منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء السادس

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۶

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

تتمه خطبه هشتاد و دوم

الفصل السادس

اشاره

و اعلموا أنّ مجازكم على الصّراط و مزالق دحضه، و أهاويل زلله، و تارات أهواله، فاتّقوا اللّه تقيّه ذى لبّ شغل التّفكّر قلبه(١) و أنصب الخوف بدنه، و أسهر التهجّد غرار نومه، و أظمأ الرّجاء هواجر يومه، و ظلف الزّهد شهواته، و أوجف الذّكر بلسانه، و قدّم الخوف لأمانه، و تنكّب المخالج عن وضح السّبيل، و سلك أقصد المسالك إلى النّهج المطلوب، و لم تفتله فاتلات الغرور، و لم تعم عليه مشتبهات الأمور، ظافرا بفرحه البشرى، و راحه النّعمى، فى أنعم

١- (١) بين هذه القرائن العشر السجع المتوازى.

نومه، و آمن يومه، قد عبر معبر العاجله حميدا، و قدّم زاد «قدم خ» الآجله سعيدا، و بادر من وجل، و أكمش فى مهل، و رغب فى طلب، و ذهب عن هرب، و راقب فى يومه غده، و نظر قدما أمامه، فكفى بالجنّه ثوابا و نوالا(۱) ، و كفى بالنّار عقابا و وبالا، و كفى باللّه منتقما و نصيرا، و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما، أوصيكم بتقوى اللّه الّذى أعذر بما أنذر، و احتج بما نهج، و حذّركم عدوّا نفذ فى الصّدور خفيّا، و نفث فى الآذان نجيّا، فأضلّ و أردى، و وعد فمنّى، و زيّن سيّئات الجرائم، و هوّن موبقات العظائم، حتّى إذا استدرج قرينته، و استغلق رهينته، أنكر ما زيّن، و استعظم ما هوّن، و حذّر ما آمن «أمّن خ».

اللغه

(المزالق) جمع المزلق و هو الموضع الذى يزلق فيه القدم و لا تثبت و مكان (دحض) و يحرّك زلق و (التّارات) جمع تاره و هى المرّه و الحين و (النّصب) التّعب و (هجد و تهجّد) نام و هجد و تهجّد سهروا استيقظ فهو من الأضداد و (الغرار) بكسر الغين المعجمه القليل من النّوم و (الظماء) العطش و (الهواجر) جمع الهاجره و هو نصف النّهار عند اشتداد الحرّ يقال أتينا أهلنا مهجرين أى سايرين فى الهاجره و (ظلف) نفسه عنه يظلفها من باب ضرب منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفّها عنه و (أوجف) فى سيره أسرع و الوجيف ضرب من سير الابل و الخيل.

(و قدّم الخوف لأمانه) هكذا فى نسختين للمعتزلى و البحرانى و فى بعض النّسخ لابانه بالباء الموحّده المشدّده بعد الهمزه المكسوره و بعد الباء بالنّون

۱- (۱) بين هاتين القرينتين حسن المقابله.

قال فی القاموس ابّان الشیء بالکسر حینه أو أوّله و الأوّل أظهر و أوفق و (نکب) عنه من باب نصر و فرح نکیا و نکبا و نکوبا عدل کنکب و تنکّب و نکبه تنکیبا لازم متعدّ و طریق منکوب علی غیر قصد.

و (المخالج) المشاغل من خلج یخلج ای شغل و جذب و (الوضح) محجّه الطریق و (فتله) یفتله من باب ضرب لواه و فتل وجهه عنهم صرف و (النّعمی) و النّعیم الخفض و الدّعه و المال کالنّعمه، و أنعم اللّه صباحک من النّعومه جعله ذار فاهیّه و (أکمش) أسرع و (القدم) بالضمّ و بضمّتین و القدمه کالقدم محرّکه السّابقه فی الأمر و (نفث) ینفث من باب نصر و ضرب من النّفث و هو کالنّفخ و منه.

النّفّاثات فی العقد و نفث الشّیطان فی قلبه ألقاه و (استدرجه) خدعه و أدناه و قرین الشّیطان و (قرینته) التّابع لرأیه.

قال الشّارح المعتزلی: القرینه ههنا الانسان الذی قارنه الشّیطان و لفظه لفظ التّأنیث و هو مذکّر أراد القرین و (غلق) الرّهن من باب فرح اذا استحقّه المرتهن و ذلک إذا لم یفتکک فی الوقت المشروط.

الأعراب

شهواته منصوب بنزع الخافض، و أوجف الذّکر فی کثیر من النّسخ بنصب الذّکر فیکون الباء فی قوله بلسانه للاستعانه و فی بعض النّسخ بالرّفع فیکون الباء زائده کان المعنی حرک الذّکر لسانه مسرعا، و قدم الخوف لأمانه اللاّم للتّلیل، و عن وضح السّبیل متعلّق بالمخالج، و حمیدا و سعیدا حالان من فاعل عبر و زاد، قوله: و بادر من وجل، کلمه تعلیلیّه کما فی قوله ممّا خطیئاتهم اغرقوا، و الباء فی قوله بالجنّه و بالنّار و باللّه و بالکتاب زائده، و ثوابا و نوالا و عقابا و وبالا منصوبات علی التمیز، و منتقما و نصیرا و حجیجا و خصیما منصوبات علی الحال.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للانذار بالصّراط و التّحذیر من أهواله و الأمر

بالتّقوى تأكيدا لأوامره السّابقه فأنذر أوّلا بالصّراط حيث قال (و اعلموا أنّ مجازكم على الصّراط) الذى هو جسر جهنّم و عليه ممرّ جميع الخلائق حسبما تعرفه تفصيلا (و مزالق دحضه و أهاويل زلله) لكونه أدقّ من الشّعر و أحدّ من السّيف كما يأتى فى الأخبار الآتيه.

و فى النّبوى قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: ثلاث مواطن لا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتّى يعلم أيخفّ ميزانه أو يثقل، و عند تطاير الصّحف حتّى يعلم أيقع كتابه فى يمينه أم شماله أم من وراء ظهره، و عند الصّراط إذا وضع بين ظهر جهنّم حتّى يجوز.

قال الشّارح المعتزلى (و تارات أهواله) هو كقولك دفعات أهواله و إنّما جعل أهواله تارات لأنّ الأمور الهائله إذا استمرّت لم يكن فى الازعاج و التّرويع كما يكون إذا طرئت تاره و سكنت تاره.

ثمّ أمر عليه السّلام بملازمه التّقوى و تحصيله فى أقصى مراتب كماله مثل تقوى من كمل فى مقام العبوديّه و استجمع صفات الايمان فقال عليه السّلام (فاتّقوا اللّه عباد اللّه تقيّه ذى لبّ شغل التّفكّر) فى اللّه و فى صنعه (قلبه) من التّوجّه و الالتفات إلى الدّنيا و أباطيلها (و أنصب الخوف) من اللّه و من عذابه (بدنه) حتّى صار ناحل الجسم من ذكر النّار و أهاويلها(و اسهر التّهجّد)و عباده اللّيل(غرار نومه)فلم تترك له نوما حتّى كان قائم اللّيل(و أظمأ الرّجاء)رجاء ما أعدّ لأولياء اللّه (هواجر يومه)فأكثر صوما حتّى كان صائم النّهار.

و نسبه السّهر إلى الغرار و الظّماء إلى الهواجر من باب التّوسّع و المجاز على حدّ قولهم: قام ليله و صام نهاره، فاقيم الظرف مقام المظروف أى أسهره التّهجّد من غرار نومه و أظمأه الرّجاء فى هواجر يومه.

روى فى الوسائل عن سهل بن سعد قال: جاء جبرئيل إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال:

يا محمّد عش ما شئت فانّك ميّت، و احبب ما شئت فانّك مفارقه، و اعمل ما شئت فانّك تجزى به، و اعلم أنّ شرف الرّجل قيامه باللّيل، و عزّه استغناؤه عن النّاس.

و فيه أيضا عن المفيد فى المقنعه قال: روى أنّ صلاه اللّيل تدرّ الرّزق

و تحسّن الوجه و ترضى الرّبّ و تنفى السّيئات.

قال: و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا قام العبد من لذيذ مضجعه و النّعاس فى عينيه ليرضى ربّه بصلاه ليله باهى اللّه به الملائكه و قال تعالى: اشهدوا أنّى قد غفرت له قال: و قال: كذب من زعم أنّه يصلّى باللّيل و يجوع بالنّهار.

و قال صلّى اللّه عليه و آله: إنّ البيوت التى تصلّى فيها باللّيل و بتلاوه القرآن تضيء لأهل السّماء كما تضيء نجوم السّماء لأهل الأرض.

و فيه أيضا عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: المال و البنون زينه الحياه الدّنيا، و ثمان ركعات فى آخر اللّيل و الوتر زينه الآخره، و يأتى أخبار اخر فى هذا المعنى إنشاء اللّه فى شرح المختار المأه و الثانى و الثمانين (و ظلف الزّهد) فى الدّنيا (شهواته) و كفّه منها (و أوجف) إلى (الذّكر بلسانه) و لم يبطى فيه أو أسرع الذّكر لسانه فلم يسكت عنه قال تعالى:

«وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ ».

(و قدّم الخوف) من اللّه (لأمانه) أى ليأمن به من عذابه الأليم (و نكب المخالج عن وضح السّبيل) أى نحاه الشّواغل و الصّوارف عن صراطه المستقيم (و سلك أقصد المسالك) و أعدلها (إلى النّهج المطلوب) الذى هو منهج الشّرع القويم (و لم تفتله فاتلات الغرور) من الاتيان بالطاعات (و لم تعم عليه مشتبهات الأمور) فيقتحم فى الهلكات (ظافرا بفرحه البشرى و راحه النّعمى) اى مستبشرا بخطاب بشريكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الأنهار، و مستريحا بسعه العيشه و لذّه النّعمه فى دار القرار(فى أنعم نومه و آمن يومه)أى فى أطيب راحته و آمن أوقاته و اطلاق اسم النّوم على الرّاحه من باب اطلاق اسم الملزوم على اللاّزم و إلى الأمن و الاستراحه أشير فى الآيه قال سبحانه:

«إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنّاتٍ وَ عُیُونٍ أُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِینَ وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلی سُرُرٍ مُتَقابِلِینَ لا یَمَسُّهُمْ فِیها نَصَبٌ وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِینَ » أی یقال لهم ادخلوا الجنّات بسلامه من الآفات و برائه من المکاره و المضرّات آمنین من الاخراج منها ساکنی النّفس إلی انتفاء الضرر فیها (قد عبر معبر العاجله حمیدا و قدّم زاد الآجله سعیدا) أی جاز مجاز الدّنیا العاجله حمیدا فی فعاله، و قدم الزاد الآخره سعیدا فی أحواله.

و المقصود بذلک أنّه زهد فی الدّنیا فترک العیش العاجل و رغب فی الآخره فنال الثواب الآجل (و بادر من وجل و اکمش فی مهل) یعنی علیه السّلام بادر إلی الطاعات من أجل الخوف من العقوبه و أسرع إلی العبادات فی أیّام الرّفق و المهله (و رغب فی طلب و ذهب عن هرب) أی کان طلبه للحقّ و سعیه إلیه عن شوق و رغبه، و ذهابه عن الباطل و بعده عنه عن خوف و رهبه.

قال المحقّق الطوسیّ فی محکیّ کلامه عن أوصاف الأشراف فی تفسیر الرّهبه:

هو تألّم النّفس من العقاب بسبب ارتکاب المنهیّات و التّقصیر فی الطاعات کما فی أکثر الخلق، و قد یحصل بمعرفه عظمه الحقّ و مشاهده هیبته کما فی الأنبیاء و الأولیاء.

و فرّق بعض العارفین بین الخوف و الرّهبه فقال: الخوف هو توقّع الوعید و هو سوط اللّه یقوّم به الشّاردین عن بابه و یسیر بهم علی صراطه حتّی یستقیم به أمر من کان مغلوبا علی رشده، و من علامته قصر الأمل و طول البکاء، و الرّهبه هی انصباب إلی وجهه الهرب بل هی الهرب رهب و هرب مثل جبذ و جذب، فصاحبها یهرب أبدا لتوقّع العقوبه و من علاماتها حرکه القلب إلی الانقباض من داخل و هربه و انزعاجه عن انبساطه حتّی أنّه یکاد أن یبلغ الرّهابه فی الباطن مع

ظهور الكمد(١) و الكابه على الظاهر انتهى.

و الرّهابه كسحابه عظم فى الصّدر مشرف على البطن (و راقب فى يومه غده و نظر قدما أمامه) أى لا حظ فى دنياه آخرته فادّخر لها و نظر فى سابقه أمره إلى ما بين يديه و لم يلتفت إلى غيره.

ثمّ قال عليه السّلام (فكفى بالجنّه ثوابا و نوالا) و هو ترغيب إلى السّعى إليها (و كفى بالنّار عقابا و وبالا) و هو تنبيه على وجوب الهرب منها (و كفى باللّه منتقما و نصيرا) و هو إشاره إلى لزوم قصر الخشيه و الاستعانه عليه سبحانه(و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما)أى كفى كتاب اللّه محاجّا و مخاصما، و هو إشاره إلى وجوب تعليم القرآن و تعلّمه و إكرامه و حرمه إضاعته و إهانته.

قال الشّارح البحرانى و نسب الاحتجاج و الخصام إلى الكتاب مجازا.

أقول: بل هو حقيقه إذ المستفاد من الأخبار أنّه يؤتى به يوم القيامه فى صوره إنسان فيكون بنفسه حجيجا خصيما.

فقد روى فى الوسائل عن محمّد بن يعقوب الكلينىّ معنعنا عن سعد الخفاف عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال: يا سعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتى يوم القيامه فى أحسن صوره نظر إليها الخلق «إلى أن قال» حتّى ينتهى إلى ربّ العزّه فيناديه تبارك و تعالى يا حجّتى فى الأرض و كلامى الصّادق النّاطق ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفّع كيف رأيت عبادى؟ فيقول: يا ربّ منهم من صاننى و حافظ علىّ، و منهم من ضيّعنى و استخفّ بى و كذب بى و أنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول اللّه عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى لاثيبنّ اليوم عليك أحسن الثّواب، و لأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب الحديث.

و باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يجىء القرآن يوم القيامه فى أحسن منظور إليه صوره «إلى أن قال» حتّى ينتهى إلى ربّ العزّه فيقول: يا رب فلان بن فلان أظمأت هواجره و أسهرت ليله فى دار الدّنيا، و فلان بن فلان لم

١- (١) الكمد تغير اللون و ذهاب صفاته و الحزن الشديد.

اظم هواجره و لم اسهر ليله، فيقول تبارك و تعالى: ادخلهم الجنّه على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن: اقرء و ارقه، قال عليه السّلام: فيقرأ و يرقا حتّى بلغ كلّ رجل منهم منزلته التى هى له فينزلها.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و فيما أوردناه كفايه فى المقام و الزّياده على ذلك تطلب فى شرح المأه و الخامسه و السبعين، و نروى تمام روايه الخفاف السّالفه هناك إنشاء اللّه من أصل كتاب الكلينىّ ثمّ عاد عليه السّلام إلى الحثّ على التّقوى أيضا بقوله (أوصيكم بتقوى اللّه الذى أعذر بما أنذر) أى أزال العذر عنه بما أنذركم به من العقوبات (و احتجّ بما نهج) أى أقام الحجّه عليكم بما أوضحه لكم من الأدلّه و الآيات (و حذّركم عدوّا نفذ فى الصّدور خفيّا و نفث فى الآذان نجيّا) أراد به تحذير اللّه سبحانه و تعالى فى غير واحده من آيات كتابه الكريم من عداوه الشيطان اللّعين كما قال فى سوره البقره «وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » و فى سوره يوسف: «إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ » و فى سوره يس:

«أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِی آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » إلى غير ذلك و توصيفه بالنّفوذ فى الصّدور و النّفث فى الاذان إشاره إلى أنّه ليس مثل ساير الأعداء يرى بالأبصار و يدرك بالعيان، بل هو عدوّ ينفذ فى القلوب و يجرى من ابن آدم مجرى الدّم فى العروق، و يلقى فى الآذان زخرف القول و غروره، و يمكن أن يراد بالعدوّ الأعمّ من شيطان الجنّ و الانس فيكون الوصف بالنّفوذ بالنظر إلى شيطان الجنّ، و الوصف بالنّفث بالنظر إلى شيطان الانس كما قال سبحانه «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنّاسِ اَلَّذِی يُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النّاسِ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ » قال المفسّر أى من شرّ ذى الوسواس الذى وسوس فى الصّدور، ثمّ فسّره بقوله

ص:٩٠

من الجنّه و النّاس كما يقال نعوذ باللّه من شرّ كلّ مارد من الجنّ و الانس، و على هذا فيكون وسواس الجنّه هو وسواس الشّيطان، و وسواس الانس إغواء من يغويه من النّاس، فشيطان الجنّ يوسوس و شيطان الانس يأتى علانيه و يرى أنه ينصح و قصده الشرّ و يموّه و يلقى فى سمعه زخرف القول الذى يستحسن ظاهره و يقبح باطنه.

(فأضل و أردى و وعد فمنى) أى أضلّ بنفوذه فى الصدور و وسوسته فى القلوب عن طريق الهدايه و أوقع فى أوديه الهلاكه أعنى هلاكه الآخره الموجبه لاستحقاق النار و لغضب الجبار و وعدهم بالمواعيد الكاذبه و منّا هم الأمانى الباطله كما قال سبحانه:

«وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً أُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً ».

أى يمنّيهم الأهواء الباطله و يلقيها فى قلب الانسان فيمنّيه طول البقاء و أنّه ينال من الدّنيا مقصوده و يستولى على أعدائه و يوقع فى نفسه أنّ الدّنيا دول فربّما تيسّرت لى كما تيسّرت لغيرى، و يشوّش بذلك فكره فى استخراج الحيل الدّقيقه و الوسائل اللّطيفه فى تحصيل مطالبه الشّهويّه و الغضبيّه، فيصدّه عن الطاعه و يوقعه فى المعصيه و تسويف التّوبه.

و هذه الأمانى إنّما تنشأ من الثّقه بقوله و الوثوق بوعده، و وعده تاره يكون بالقاء الخواطر الفاسده و اخرى بألسنه أوليائه من شياطين الانس، فربّما يعد بالمغفره مع الكبيره كما قال تعالى: يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيغفر لنا، و ربّما يعد أنّه لا قيامه و لا حساب و لا ثواب و لا عقاب و يقول للإنسان اجتهد فى استيفاء اللّذات العاجله و اغتنم الحياه الزّائله.

(و زيّن سيئات الجرائم و هوّن موبقات العظائم) أى زيّن فى نظر الانسان

قبایح المعاصی و هوّن مهلکات الکبائر و منشأ تزیینه للسّیئات کتهوینه الموبقات أیضا مواعیده الکاذبه و أمانیه الباطله فما لم یثق بقوله و لا یطمئنّ بوعده لا یهوّن الانسان ما هوّن، و لا یمیل إلی ما زیّن.

توضیح ذلک و تحقیقه أنّ مقصود الشّیطان هو التّرغیب فی الاعتقاد الباطل و العمل الباطل و التنفیر عن اعتقاد الحقّ و عمل الحقّ، و معلوم أنّ التّرغیب فی الشیء لا- یمکن إلاّ بان یقرّر عنده أنّه لا مضرّه فی فعله، و مع ذلک فانّه یفید المنافع العظیمه و التّنفیر عن الشیء لا یمکن إلاّ بأن یقرّر عنده أنّه لا فائده فی فعله و مع ذلک فیفید المضارّ العظیمه.

إذا ثبت هذا فنقول إنّ الشّیطان إذا دعا إلی المعصیه فلا بدّ و أن یقرّر أوّلا أنّه لا مضرّه فی فعله البتّه، و ذلک لا یمکن إلاّ إذا قال لا معاد و لا جنّه و لا نار و لا حیاه بعد هذه الحیاه، فهذا الطریق یقرّر عنده أنه لا مضرّه البتّه فی فعل هذه المعاصی و إذا فرغ من هذا المقام قرّر عنده و زیّن فی نظره أن هذا الفعل یفید أنواعا من اللّذه و السّرور و لا حیاه للانسان إلاّ فی هذه الدّنیا فتفویتها غبن و حسره.

و أمّا طریق التّنفیر عن الطاعات فهو أن یقرّر أوّلا عنده أنّه لا فایده فیها من وجهین الاول أنّه لا جنّه و لا نار و لا ثواب و لا عقاب و الثانی أنّ هذه العبادات لا فائده فیها للعابد و لا للمعبود فکانت عبثا محضا، و إذا فرغ من هذا المقام قال:

إنّها توجب التّعب و المحنه و ذلک أعظم المضارّ فهذه مجامع تلبیس إبلیس و توضیح وعده و أمانیه و تزیینه و تهوینه.

(حتّی إذا استدرج قرینته و استغلق رهینته) أی إذا خدع قرینه و تابعه بتزیین الباطل فی نظره و تنفیره عن الحقّ و أوقعه فی الغلق بالذّنوب التی اکتسبها کالرّهن المغلق فی مقابل المال (أنکر ما زیّن و استعظم ما هوّن و حذّر ما آمن) کما قال سبحانه فی سوره الأنفال:

«وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ »

«اَلنّاسِ وَ إِنِّی جارٌ لَکُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ إِنِّی أَخافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ » قال الطبرسی: أی اذکر اذ زیّن الشّیطان للمشرکین أعمالهم أی أحسنها فی نفوسهم و ذلک أنّ إبلیس حسّن لقریش مسیرهم إلی بدر لقتال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و قال: لا یغلبکم أحد من النّاس لکثره عددکم و قوّتکم و إنّی مع ذلک جار لکم أی ناصر لکم و دافع عنکم السّوء، و إنّی عاقد لکم عقد الامان من عدوّکم، فلمّا التقت الفرقتان نکص علی عقبیه، أی رجع القهقری منهزما ورائه، و قال: إنّی بریء منکم، أی رجعت عمّا ضمنت لکم من الأمان و السّلامه لأنی أری من الملائکه الذین جاءوا لنصر المسلمین ما لا ترون، و کان إبلیس یعرف الملائکه و هم کانوا یعرفونه، إنّی أخاف اللّه، أی أخاف عذاب اللّه علی أیدی من أراهم، و اللّه شدید العقاب، لا یطاق عقابه و فی سوره الحشر:

«کَمَثَلِ الشَّیْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اکْفُرْ فَلَمّا کَفَرَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکَ إِنِّی أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ فَکانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِی النّارِ خالِدَیْنِ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ الظّالِمِینَ ».

أی مثل المنافقین فی إغراء الیهود أی بنی النّضیر للقتال کمثل الشّیطان فی إغرائه للانسان، فانّه أبدا یدعو الانسان إلی الکفر ثمّ یتبرّء منه وقت الحاجه مخافه أن یشارکه فی العذاب و یقول: إنّی أخاف اللّه رب العالمین، و لا ینفعه ذلک کما قال: فکان عاقبتهما أی الدّاعی و المدعوّ من الشّیطان و من أغواه، أنّهما معذّبان فی النّار.

قال ابن عبّاس: إنّ المراد بالانسان فی هذه الآیه هو عابد بنی إسرائیل قال: إنه کان فی بنی اسرائیل عابد اسمه برصیصا عبد اللّه زمانا من الدّهر حتّی کان یؤتی بالمجانین یداویهم و یعوّذهم فیبرءون علی یده، و أنّه أتی بامرأه فی شرف قد جنّت و کان لها اخوه فأتوه بها فکانت عنده فلم یزل به الشّیطان یزیّن له حتّی وقع علیها فحملت، فلمّا

استبان حملها قتلها و دفنها، فلمّا فعل ذلک ذهب الشّیطان حتّی لقی أحد إخوتها فأخبره بالذی فعل الرّاهب و أنّه دفنها فی مکان کذا.

ثمّ أتی بقیّه إخوتها رجلا رجلا فذکر ذلک له فجعل الرّجل یلقی أخاه فیقول و اللّه لقد أتانی آت فذکر لی شیئا یکبر علیّ ذکره، فذکر بعضهم لبعض حتّی بلغ ذلک ملکهم فصار الملک و النّاس، فاستنزلوه فأقرّ لهم بالّذی فعل فأمر الملک به فصلب، فلمّا رفع علی خشبته تمثّل له الشّیطان فقال: أنا الّذی ألقیتک فی هذا فهل أنت مطیعی فیما أقول اخلّصک ممّا أنت فیه؟ قال: نعم، قال: اسجد لی سجده واحده، فقال: کیف أسجد لک و أنا علی هذه الحاله؟ فقال: اکتفی منک بالایماء، فأومی له بالسّجود فکفر باللّه و قتل الرّجل، فهو قوله: کمثل الشّیطان إذ قال للانسان اکفر.

اللّهم إنّا نعوذ بک من خداع إبلیس و من شرور الأنفس و من سوء الخاتمه.

تنبیهات ثلاثه متضمنه لتحقیق بعض ما تضمنه هذا الفصل

الاول

فی تحقیق الصراط و بیانه

فأقول: إنّ الصّراط ممّا یجب الایمان به و هو من جمله ضروریّات الدّین و هو جسر جهنّم.

قال الصدوق (ره) فی محکیّ کلامه عن اعتقاداته: اعتقادنا فی الصّراط أنه حقّ و أنه جسر جهنّم و أنّ علیه ممرّ جمیع الخلق قال اللّه تعالی:

«وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا » قال (ره): و الصراط فی وجه آخر اسم حجج اللّه فمن عرفهم فی الدّنیا و أطاعهم

ص:۱۳

أعطاه اللّه جوازا على الصراط الذى هو جسر جهنّم قال (ره) و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لعلىّ عليه السّلام: يا علىّ إذ كان يوم القيامه أقعد أنا و أنت و جبرئيل على الصراط و لا يجوز على الصراط أحد إلاّ من كان معه برائه بولايتك و قال المفيد «ره»: الصراط بمعنى الطريق و لذلك يقال على ولايه أمير المؤمنين و الأئمه من ذريتهم عليهم السّلام: الصراط، لكونها طريق النجاه.

أقول: الصراط بهذين المعنيين مما اشير إليه فى غير واحد من الأخبار، ففى الصافى و البحار من معانى الأخبار و تفسير الامام عليه السّلام فى تفسير قوله:

«اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ ».

عن الصّادق عليه السّلام يعنى أرشدنا للزوم الطريق المؤدّى إلى محبّتك و المبلّغ إلى جنّتك و المانع من أن نتّبع أهوائنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك.

و عنه أيضا هى الطريق إلى معرفه اللّه و هما صراطان صراط فى الدّنيا و صراط فى الآخره، فأمّا الصراط فى الدّنيا فهو الامام المفترض الطاعه من عرفه فى الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصّراط الذى هو جسر جهنّم فى الآخره، و من لم يعرفه فى الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط فى الآخره فتردى فى نار جهنّم، و فى روايه نحن الصّراط المستقيم.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى عن حفص بن غياث قال: وصف أبو عبد اللّه عليه السّلام الصّراط فقال: ألف سنه صعود و ألف سنه هبوط و ألف سنه حذال.

و فيه عن سعد بن مسلم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن الصّراط فقال:

هو أدقّ من الشّعر و أحدّ من السّيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، و منهم من يمرّ عليه مثل الفرس، و منهم من يمرّ عليه ماشيا، و منهم من يمرّ عليه حبوا(۱) ، و منهم من يمرّ عليه متعلّقا فتأخذ النّار بعضه و تترك بعضه.

و فيه قال: حدّثنى أبى عن عمر بن عثمان عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

لمّا نزلت هذه الآيه:

۱- (۱) حبا الصبى يحبو إذا مشى على أربع، منه.

«وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ یَتَذَکَّرُ الْإِنْسانُ ».

سئل عن رسول اللّه فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلم: أخبرنی الرّوح الأمین أنّ اللّه لا إله غیره إذا برز الخلائق و جمع الأوّلین و الآخرین أتی بجهنّم تقاد بألف زمام أخذ بکلّ زمام مأئه ألف ملک تقودها من الغلاظ الشّداد لها هدّه و غضب و زفیر و شهیق و أنّها لتزفر الزّفره فلو لا ـ أنّ اللّه أخّرهم للحساب لأـهلکت الجمیع، ثم یخرج منها عنق فیحیط بالخلائق البرّ و الفاجر ما خلق اللّه عبدا من عباد اللّه ملکا و لا نبیّا إلّا ینادی ربّ نفسی نفسی و أنت یا نبی اللّه تنادی أمّتی أمّتی، ثمّ یوضع علیها الصراط أدقّ من حدّ السّیف علیها ثلاث قناطر فأمّا واحده فعلیها الأمانه و الرّحم، و الثّانیه فعلیها الصّلاه، و الثالثه فعلیها ربّ العالمین لا إله غیره فیکلّفون بالعمرّ علیها فیحبسهم الرّحم و الأمانه فان نجوا منها حبستهم الصّلاه فان نجوا منها کان المنتهی إلی ربّ العالمین(۱) و هو قوله:

«إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ ».

و النّاس علی الصراط فمتعلّق بید و تزلّ قدم و تستمسک بالقدم و الملائکه حولها ینادون حولها یا حلیم اعف و اصفح و عد بفضلک و سلّم سلّم و النّاس یتهافتون فی النّار کالفراش فیها فاذا نجی ناج برحمه اللّه مرّ بها فقال: الحمد للّه و بنعمته تتمّ الصّالحات و تزکو الحسنات و الحمد للّه الّذی نجانی منک بعد ایاس بمنّه و فضله إنّ

۱- (۱) یعنی عداله ربّ العالمین قال المحدّث المجلسی فی کتاب حق الیقین بعد روایه هذا الحدیث: یمکن أن یکون الامانه فی الاموال و العدل فی المظالم الآخر، أو یکون الامانه فی حق اللّه و العدل فی حق الناس، و لا یبعد أن یکون المراد بالرّحم رحم آل محمد و بالامانه عدم الخیانه فی عهدهم و بیعتهم، و لذلک قدّمت علی الصلاه، ثمّ قال: و لم یذکر عقبه الولایه فی هذه الروایه و هی من أعظم العقبات و یمکن أن یقال انّ هذه العقبات بالنسبه الی المؤمنین و أما المشرکون و المنافقون فیکون جهنم فی أول الصراط أو یدخلونها قبل الصراط، انتهی کلامه رفع مقامه.

ربّنا لغفور شكور.

و فی غـایه المرام للسیّد هاشم البحرانی من طریق العامه عن سعید بن جبیر عن ابن عبّاس قال: إذا کان یوم القیامه أمر اللّه مالکا أن یسعر النّیران السّبع و أمر رضوان أن یزخرف الجنان الثّمان و یقول: یا میکائیل مدّ الصّراط علی متن جهنّم و یقول: یا جبرائیل انصب میزان العدل تحت العرش و ینادی یا محمّد:

قرّب امّتک للحساب.

ثمّ یأمر اللّه تعالی أن یعقد علی الصّراط سبع قناطر طول کلّ قنطره سبع عشر ألف فرسخ، و علی کلّ قنطره سبعون ألف ملک قیام فیسألون هـذه الامّه نسائهم و رجالهم علی القنطره الأولی عن ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام و حبّ أهل بیت محمّد صلّی اللّه علیه و آله فمن أتی به جاز علی القنطره الأولی کالبرق الخاطف و من لم یحبّ أهل بیت نبیّه صلّی اللّه علیه و آله سقط علی أمّ رأسه علی قعر جهنّم و لو کان معه من أعمال البرّ عمل سبعین صدّیقا.

و علی القنطره الثّانیه فیسألون عن الصّلاه، و علی الثّالثه یسألون عن الزکاه، و علی الرّابعه عن الصیام، و علی الخامسه عن الحجّ، و علی السّادسه عن الجهاد، و علی السّابعه عن العدل فمن أتی بشیء من ذلک جاز علی الصّراط کالبرق الخاطف و من لم یأت عـذّب و ذلک قوله تعالی «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ » یعنی معاشر الملائکه قفوهم یعنی العباد علی القنطره الأولی انّهم مسئولون عن ولایه علیّ علیه السّلام و حبّ أهل البیت علیهم السّلام.

و فی البحار من تفسیر الامام علیه السّلام المفسر باسناده إلی أبی محمّد العسکری علیه السّلام فی قوله:

«اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ ».

قال: أدم لنا توفیقک الذی به أطعناک فی ماضی أیّامنا حتّی نطیعک کذلک فی مستقبل أعمارنا، و الصّراط المستقیم هو صراطان: صراط فی الدّنیا، و صراط فی الآخره فأمّا الصّراط المستقیم فی الدنیا فهو ما قصر عن الغلوّ و ارتفع عن التقصیر و استقام فلم یعدل

ص:۱۶

إلی شیء من الباطل و أمّا الطریق الآخر فهو طریق المؤمنین إلی الجنّه الـذی هو مستقیم لا یعـدلون عن الجنّه إلی النّار و لا إلی غیر النّار سوی الجنّه.

الثانی

فی تحقیق الذکر و المستفاد من قوله علیه السّلام: و اوجف الذکر بلسانه

الحث و الترغیب علیه

فأقول إنّ ذکر اللّه عزّ و جلّ علی أقسام الاول أن یذکره تعالی عند إراده المعصیه الّتی یرید ارتکابها فیترکها له الثانی ذکره عند الطاعه فیسهل علیه مشقّه العباده الثالث ذکره عنـد الرّفاهیه و النّعمه فیـذکره و یؤدّی شکره الرابع ذکره عنـد الابتلاء و المحنه فیتضـرّع له لصرف البلاء و الصّبر علیه الخامس ذکره بالقلب بأن یتفکّر فی صفاته الجلالیه و نعوته الجمالیّه و غیرها من العلوم و معارف الحقّه السادس الذکر باللّسان بأن یسبّح له و یقدّسه و یمجّده و یشتغل بذکر فضائل أهل البیت و تعلیم القرآن و تدریس العلوم الشّرعیّه و أنحائها.

و کلّ ذلک ممّا ورد الحثّ علیه فی الأخبار و الآیات قال سبحانه: «فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِیتاءِ الزَّکاهِ یَخافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ ». و قال أیضا: «فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لا تَکْفُرُونِ » و قال: «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ ».

قال الطبرسیّ (ره) هو عام فی الأذکار و قراءه القرآن و الدّعاء و التّسبیح و التهلیل و تضـرّعا و خیفه أی متضرّعا و خایفا، و دون الجهر من القول، أی و متکلّما کلاما دون الجهر، لأنّ الاخفاء أدخل فی الاخلاص و أبعد من الرّیا و أقرب إلی القبول و فی الکافی و عدّه الدّاعی لأحمد بن فهد الحلّی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم قال:

مکتوب فی التّوراه الّتی لم تغیر أن موسی سأل ربّه فقال: یا ربّ أ قریب أنت فأناجیک أم بعید فأنادیک؟ فأوحی اللّه إلیه یا موسی أنا جلیس من ذکرنی، فقال موسی: فمن فی سترک یوم لا ستر إلاّ سترک؟ فقال تعالی: الّذین یذکروننی فأذکرهم و یتحابّون لی فاحبّهم فأولئک الّذین إذا أردت أن اصیب أهل الأرض بسوء ذکرتهم فدفعت عنهم بهم.

و فی عدّه الدّاعی عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ما جلس قوم یذکرون اللّه إلاّ قعد معهم عدّه من الملائکه.

و روی أبو بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما اجتمع قوم فی مجلس لم یذکرو اللّه و لم یذکرونا إلاّ کان ذلک المجلس علیهم حسره یوم القیامه، ثمّ قال: قال أبو جعفر علیه السّلام إنّ ذکرنا من ذکر اللّه و ذکر عدوّنا من ذکر الشّیطان.

و روی الحسن بن الحسن الدّیلمی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّ الملائکه یمرّون علی حلق الذّکر فیقومون علی رؤوسهم و یبکون لبکائهم و یؤمّنون لدعائهم، فاذا صعدوا إلی السّماء یقول اللّه تعالی: یا ملائکتی أین کنتم؟ و هو أعلم، فیقولون:

یا ربّنا إنّا حضرنا مجلسا من مجالس الذکر فرأینا أقواما یسبّحونک و یمجّدونک و یقدّسونک و یخافون نارک، فیقول اللّه سبحانه: یا ملائکتی أذودها عنهم و اشهدکم أنّی قد غفرت لهم و أمنتهم ممّا یخافون، فیقولون: ربّنا إنّ فیهم فلانا و إنّه لم یذکرک فیقول تعالی: قد غفرت له بمجالسته لهم، الحدیث.

و عنه أیضا من ذکر اللّه فی السّوق مخلصا عند غفله النّاس و شغلهم کتب اللّه له ألف حسنه و یغفر اللّه له یوم القیامه مغفره لم تخطر علی قلب بشر.

و فی عدّه الدّاعی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ موسی علیه السّلام انطلق ینظر إلی اعمال

العبّاد فأتى رجلا من أعبد النّاس فلمّا أمسى حرّك الرّجل شجره إلى جنبه فاذا فيه رمّانتان قال فقال: يا عبد اللّه من أنت إنّك عبد صالح أنا ههنا منذ ما شاء اللّه ما أجد فى هذه الشّجره إلّا رمّانه واحده و لو لا أنّك عبد صالح ما وجدت رمّانتين قال أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران.

قال: فلمّا أصبح قال تعلم أحدا أعبد منك؟ قال: نعم فلان الفلانى، قال:

فانطلق إليه فاذا هو أعبد منه كثيرا فلمّا أمسى أوتى برغيفين و ماء فقال: يا عبد اللّه من أنت إنّك عبد صالح أنا ههنا منذ ما شاء اللّه و ما اوتى إلّا برغيف واحد و لو لا أنّك عبد صالح ما اوتيت برغيفين قال أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران.

ثمّ قال موسى: هل تعلم أحدا أعبد منك؟ قال: نعم فلان الحداد فى مدينه كذا و كذا، قال: فأتاه فنظر إلى رجل ليس بصاحب العباده بل إنّما هو ذاكر للّه تعالى و إذا دخل وقت الصّلاه قام فصلّى فلمّا أمسى نظر إلى غلّته فوجدها قد اضعفت قال يا عبد اللّه من أنت إنّك عبد صالح أنا ههنا منذ ما شاء اللّه غلّتى قرب بعضها من بعض و اللّيله قد اضعفت فمن أنت؟ قال: أنا رجل أسكن فى أرض موسى بن عمران.

قال: فأخذ ثلث غلّته فتصدّق بها، و ثلثا أعطى مولى له، و ثلثا اشترى له طعاما فأكل هو و موسى، قال: فتبسّم موسى عليه السّلام فقال: من أىّ شىء تبسّمت؟ قال:

دلّنى نبىّ بنى إسرائيل على فلان فوجدته من أعبد الخلق فدلّنى على فلان فوجدته أعبد منه فدلّنى فلان عليك و زعم أنّك أعبد منه و لست أراك شبه القوم.

قال: أنا رجل مملوك أليس ترانى ذاكر اللّه تعالى أ و ليس ترانى اصلّى الصّلاه لوقتها و إن أقبلت إلى الصّلاه أضررت بغلّه مولاى و أضررت بعمل النّاس أ تريد أن تأتى بلادك؟ قال: نعم.

قال فمرّت به سحابه فقال الحدّاد: يا سحابه تعالى، قال: فجاءت، قال: اين تريدين؟ فقالت: اريد كذا و كذا، قال: انصرفى ثمّ مرّت به اخرى قال: يا سحابه تعالى فجاءت فقال: اين تريدين؟ فقالت اريد ارض كذا و كذا، قال: انصرفى ثمّ مرّت به اخرى قال: يا سحابه تعالى فجاءته فقال اين تريدين؟ قالت أريد أرض موسى بن

عمران قال: تعالی و احملی هذا حمل دقیق وضعیه فی أرض موسی بن عمران وضعا دقیقا.

قال فلمّا بلغ موسی علیه السّلام بلاده قال: یا ربّ بما بلّغت هذا ما أری؟ قال تعالی: إنّ عبدی هذا یصبر علی بلائی و یرضی بقضائی، و یشکر علی نعمائی.

و فی البحار من تفسیر الامام علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: الا فاذکروا یا امّه محمّد محمّدا و آله عند نوائبکم و شدائدکم لینصرنّ اللّه بهم ملائکتکم علی الشّیاطین الّذین یقصدونکم، فانّ کلّ واحد منکم معه ملک عن یمینه یکتب حسناته و ملک عن یساره یکتب سیئاته، و معه شیطانان من عند إبلیس یغویانه.

فاذا وسوسا فی قلبه ذکر اللّه و قال: لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم و صلّی اللّه علی محمّد و آله حبس الشّیطانان ثمّ صارا إلی إبلیس فشکواه و قالا له: قد أعیانا أمره فامددنا بالمرده و لا یزال یمدّهما حتّی یمدّهما بألف مارد فیأتونه فکلّما راموه ذکر اللّه و صلّی علی محمّد و آله الطّیّبین لم یجدوا علیه طریقا و لا منفذا.

قالوا لابلیس لیس له غیرک تباشره بجنودک فتغلبه فتغویه فیقصده إبلیس بجنوده، فیقول اللّه تبارک و تعالی للملائکه: هذا إبلیس قد قصد عبدی فلانا، أو أمتی فلانه بجنوده ألا فقاتلوه، فیقاتلوه بازاء کلّ شیطان رجیم منهم مأئه ألف ملک و هم علی افراس من نار بأیدیهم سیوف من نار و رماح من نار و قسیّ و نشاشیب(۱) و سکاکین و أسلحتهم من نار.

فلا یزالون یجرحونهم و یقتلونهم بها و یأسرون إبلیس فیضعون علیه تلک الأسلحه فیقول: یا ربّ وعدک وعدک قد أجّلتنی إلی یوم الوقت المعلوم، فیقول اللّه تبارک و تعالی للملائکه: وعدته أن لا امیته و لم أعده أن لا اسلّط علیه السّلاح و العذاب و الآلام اشتقوا منه ضربا بأسلحتکم فانّی لا امیته فیسخنونه بالجراحات ثمّ یدعونه، فلا یزال سخین العین(۲) علی نفسه و أولاده المقتولین

۱- (۱) جمع النشائب بالضم و التشدید و هو النبل

۲- (۲) ای باکی العین.

المقتّلين(۱) و لا يندمل شیء من جراحاته، إلّا بسماعه أصوات المشركين بكفرهم فان بقی هذا المؤمن على طاعه اللّه و ذكره و الصّلاه على محمّد و آله بقی إبليس على تلک الجراحات، فان زال العبد عن ذلک و انهمک فی مخالفه اللّه عزّ و جلّ و معاصيه اندملت جراحات إبليس ثمّ قوی على ذلک العبد حتّى يلجمه و يسرج على ظهره و يركبه ثمّ ينزل عنه و يركب ظهره شيطانا من شياطينه و يقول لأصحابه أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا ذلّ و انقاد لنا الآن حتّى صار يركبه هذا ثمّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فان أردتم أن تديموا على إبليس سخنه عينه و ألم جراحاته فداوموا على طاعه اللّه و ذكره و الصّلاه على محمّد و آله، و إن زلتم عن ذلک كنتم اسراء إبليس فيركب أقفيتكم(۲) بعض مردته هذا، و اللّه المستعان و به الاعتصام فی النّجاه من مكايد الشّيطان.

الثالث

فی تحقيق معنى الرجاء و الخوف على فی ما شرح البحرانی اخذا من احياء العلوم

لابی حامد الغزالی بتغيير و تصرف يسير

فاعلم أنّ الرّجاء من جمله مقامات السالكين و حالات الطالبين، و هو ارتياح النّفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حاله لها تصدر عن علم و تقتضی عملا بيان ذلک أنّ ما يتصوّره النّفس من محبوب أو مكروه فامّا أن يكون موجودا فی الماضی أو فی الحال أو يوجد فی الاستقبال، و الأوّل يسمّى ذكرا و تذكيرا، و الثّانی يسمّى وجدا لأنّها حاله تجدها من نفسک، و الثّالث و هو أن يغلب على ظنّک وجود شیء فی الاستقبال لنفسک به تعلق يسمّى ذلک انتظارا

۱- (۱) المقتلين من باب الافعال ای المعرضين للقتل أو التفعيل لبيان كثره مقتولهم قال الجوهری اقتلت فلانا عرضته للقتل و قتلوا تقتيلا شد للكثره (بحار)

۲- (۲) جمع قفا (منه).

و توقّعا، فان كان مكروها حدث منه فى القلب تألم يسمّى خوفا و اشتفاقا، و إن كان محبوبا حصل من انتظاره و تعلّق القلب به لذّه للنفس و ارتياح باخطار وجوده بالبال يسمّى ذلك الاتياح رجاء.

و لكن ذلك المحبوب المتوقّع لا بدّ و أن يكون له سبب، فان كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، و إن كان انتظاره مع العلم بانتفاء أسبابه فاطلاق اسم الغرور و الحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، و إن كانت الأسباب غير معلومه الوجود و لا معلومه العدم فاسم التمنّى أصدق على انتظاره.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ أرباب القلوب و العرفان قد علموا أنّ الدّنيا مزرعه الآخره، فالقلب كالأرض و البذر هو الايمان و المعارف الألهيّه و تأثر القلب بالمواعظ و النّصايح و الإتيان بالطّاعات جار مجرى تقليب الأرض و اصلاحها و مجرى سياق الماء إليها و اعدادها للزراعه.

و القلب المستغرق بحبّ الدّنيا و الميل إليها كالأرض الصلبه أو السبخه التى لا تقبل الزّرع و الانبات و لا ينمو فيها البذر لصلب الأرض أو لمخالطه الأجزاء الملحيه، و يوم القيامه يوم الحصاد و لا حصاد إلّا من زرع، و لا زرع إلّا من بذر و كما لا ينفع الزّرع فى أرض صلبه سبخه كذلك لا ينفع إيمان مع حبّ القلب و قساوته و سوء الأخلاق.

فينبغى أن يقاس رجاء العبد لمغفره اللّه و رضوانه برجاء صاحب الزّرع و كما أنّ من طلب أرضا طيّبه و قلّبها و القى فيها بذراً جيّدا غير متعفّن و لا مسوس ثمّ أمدّه بالماء العذب و ساير ما يحتاج إليه فى أوقاته، ثمّ طهّره عن مخالطه ما يمنع نباته من الشّوك و الحشيش و نحوهما، ثمّ جلس منتظراً من فضل اللّه رفع الصواعق و الآفات المفسده إلى أن يتمّ الزّرع و يبلغ غايته كان ذلك رجاء فى موضعه و استحقّ اسم الرجاء إذا كان فى مظنّه أن يفوز بمقصده من ذلك الزّرع.

و من بذر فى أرض كذلك إلّا أنّه بذر فى اخريات النّاس و لم يبادر إليه فى

أوّل الأوقات أو قصر فى بعض أسبابه مع حصول غالب الأسباب، ثمّ أخذ ينتظر ثمره ذلك الزّرع و يرجو اللّه سبحانه فى سلامه له فهو من جمله الرّاجين أيضا.

و من لم يحصل بذرا أو بذر فى أرض سبخه أو صلبه غير قابله للانبات، ثمّ أخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء إنّما يصدق على انتظار ما حصل جميع أسبابه أو غالبها الداخله تحت اختيار العبد و لم يبق إلاّ ما لا يدخل تحت اختياره و هو فضل اللّه تعالى بصرف المضّار و المفسدات.

كذلك حال العبد إن بذر المعارف الالهيه فى قلبه فى وقته و هو انف البلوغ و مبدء التكليف و دام على سقيه بماء الطاعات و اجتهد فى تطهير نفسه عن شوك الأخلاق الرديه التى تمنع نماء العلم و زياده الايمان و انتظر من فضل اللّه أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله و حصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء الحقيقى المحمود و هو درجه السّابقين.

و إن ألقى بذر الايمان فى نفسه لكنه قصر فى بعض الأسباب إما بتأخير فى البذر أو تسامح فى السقى فى الجمله ثمّ أخذ ينتظر وقت الحصاد و يتوقع من فضل اللّه تعالى أن يبارك له و يعتمد عليه على أنه الرّزاق ذو القوه المتين فيصدق عليه أنه راج أيضا لحصول اكثر الأسباب.

و أما من لم يزرع من قواعد الايمان فى قلبه شيئا أو زرع و لم يسقه بماء الطاعه أو لم يطهر نفسه من رزايل الأخلاق و اشتغل بالسّيئآت أو انهمك فى الشهوات ثمّ انتظر المغفره و الفضل من اللّه فانتظاره حمق و غرور.

قال سبحانه: «خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيغفر لنا» و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الأحمق من اتبع نفسه هواها و تمنّى على اللّه الجنّه، قال الشّاعر:

إذا انت لم تزرع و عاينت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

فأعظم الحمق و الاغترار التمادى فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامه

ص:۲۳

و توقع القرب من اللّه تعالى بغير طاعه، و انتظار زرع الجنّه ببذر النّار و طلب دار المطيعين بالمعاصى و انتظار الجزاء بغير عمل و التمنّى على اللّه مع الافراط و التجرّى.

ترجو النّجاه و لم تسلك مسالكها إنّ السّفينه لا تجرى على اليبس

الترجمه

و بدانيد اى مردمان كه عبور شما بر صراط است و بر محلّهاى لغزش اوست و خوفهاى لغزيدن اوست و هولهاى مكرر اوست، پس بپرهيزيد از خدا همچو پرهيز نمودن شخصى كه مشغول نمايد تفكر در معارف حقه قلب او را، و بر تعب اندازد ترس خدا بدن او را، و بيدار گردانيده باشد عبادت شب خواب اندك او را، و تشنه ساخته باشد رجاء بخدا روزهاى گرم او را.

مانع شده باشد زهد از شهوت آن و سرعت نمايد ذكر بزبان آن، و مقدم بدارد خوف را بجهه امن از عقوبت، و كناره جوئى كند از چيزهائى كه شاغلست از راه روشن هدايت، و سلوك نمايد در أعدل راهها بسوى منهج مطلوب كه عبارتست از ثواب و جزاء مرغوب، و صارف نشود صوارف نخوت و غرور، و پوشيده نشود بر او مشتبهات امور در حالتى كه فايز است بشادى بشارت و راحت نعمت در آسوده ترين خواب و ايمن ترين وقت.

بتحقيق كه گذشته باشد از گذرگاه دنيا در حالتى كه پسنديده است و مقدم داشته باشد توشهٔ آخرت را در حالتى كه سعيد است، و شتافته است بعمل خير از ترس خداوندگار، و سرعت نموده است بكردار خوب در مهلت روزگار، و رغبت نموده در طلب خشنودى و رضاى پروردگار، و در رفته از باطل بجهه خوف از كردگار، و ملاحظه كرده در دنياى خود آخرت خود را، و نظر كرده در اول امر خود پيش روى خود را.

پس كفايت است بهشت از حيثيت عطا و ثواب، و كافيست جهنم از حيثيت عذاب و وبال، و كافيست خداوند در حالتى كه انتقام كشنده است و يارى كننده، و كافيست كتاب خدا در حالتى كه حجت آرنده است و خصومت كننده.

ص:۲۴

وصیت میکنم شما را بپرهیزکاری خدا، آن خدائی که عذر را زایل نمود از خود با آنچه که ترسانید خلایق را بآن از انواع عقوبات، و اقامهٔ حجت نمود بر ایشان با آنچه که روشن نمود از براهین و بینات، و ترسانیده شما را از دشمنی که نفوذ کرد و روان شد در سینه ها در حالتی که پنهانست از نظر، و دید در گوشها در حالتی که نجوی کننده است بسر، پس گمراه کرد تابع خود را و بهلاکت انداخت و وعده کرد مطیع خود را.

پس آرزومند نمود و زینت داد بدیهای جرمها را در نظر او، و آسان کرد مهلکات معصیتها را در نزد او تا آنکه چون خدعه نمود قرین و همنشین خود را و بغلق انداخت و فرو بست رهین خود را انکار کرد آن چیزی را که زینت داده بود در نظر او، و بزرگ شمرد آن چیز را که آسان کرده بود در نزد او، و ترسانید از آن چیزی که ایمن کرده بود او را از آن.

و مقصود از همه این تحذیر است از مکاید شیطان لعین و از تدلیسات آن عدوّ مبین که انسان را بارتکاب معاصی جری میکند و بعد از ارتکاب از او تبرّی می نماید.

بیت

غافل مشو که مرکب مردان راه رادر سنگلاخ وسوسه پی ها بریده اند

الفصل السابع منها فی صفه خلق الانسان

اشاره

أم هذا الّذی أنشأه فی ظلمات الأرحام و شغف الأستار نطفه دهاقا، و علقه محاقا، و جنینا و راضعا، و ولیدا و یافعا، ثمّ منحه قلبا حافظا، و لسانا لافظا، و بصرا لاحظا، لیفهم معتبرا، و یقصر مزدجرا حتّی إذا قام اعتداله، و استوی مثاله، نفر مستکبرا، و خبط سادرا ماتحا فی غرب هواه، کادحا سعیا لدنیاه، فی لذّات طربه، و بدوات أربه، لا یحتسب رزیّه، و لا یخشع تقیّه، فمات فی فتنته غریرا، و عاش

فى هفوته يسيرا، لم يفد عوضا، و لم يقض مفترضا، دهمته فجعات المنيّه فى غبّر جماحه، و سنن مراحه، فظلّ سادرا، و بات ساهرا، فى غمرات الآلام، و طوارق الأوجاع و الأسقام، بين أخ شقيق، و والد شفيق، و داعيه بالويل جزعا، و لا دمه للصّدر قلقا، و المرء فى سكره ملهثه، و غمره كارثه، و أنّه موجعه، و جذبه مكربه، و سوقه متعبه، ثمّ أدرج فى أكفانه مبلسا، و جذب منقادا سلسا، ثمّ ألقى على الأعواد رجيع و صب، و نضو سقم، تحمله حفده الولدان، و حشده الإخوان، إلى دار غربته، و منقطع زورته، حتّى إذا انصرف المشيِّع، و رجع المتفجّع، أقعد فى حفرته نجيّا لبهته السّؤال، و عثره الامتحان، و أعظم ما هنا لك بليّه نزل الحميم، و تصليه الجحيم، و فورات السّعير، و سورات الزّفير، لا فتره مريحه، و لا دعه مزيحه، و لا قوّه حاجزه، و لا موته ناجزه، و لا سنه مسليه، بين أطوار الموتات، و عذاب السّاعات، إنّا باللّه عائذون.

اللغه

(الشّغف) بضمتين جمع شغاف كسحاب و هو غلاف القلب و (الدّهاق) بالدال المهمله من دهق الماء أفرغه إفراغا شديدا، و فى بعض النّسخ دفاقا من دفق الماء دفقا من باب قتل انصب لشدّه و يقال أيضا دفقت الماء أى صببته يتعدّى فهو دافق و مدفوق، و أنكر الأصمعى استعماله لازما قال: و أمّا قوله تعالى من ماء دافق فهو على اسلوب أهل الحجاز و هو أنّهم يحوّلون المفعول فاعلا إذا كان فى موضع نعت و المعنى من ماء مدفوق، و قال ابن القوطيه ما يوافقه سرّ كاتم أى

مکتوم و عارف ای معروف و عاصم ای معصوم.

و (المحاق) بضم المیم و الکسر لغه قال الفیومی: محقه محقا من باب نفع نقصه و أذهب منه برکه، و قیل هو ذهاب الشیء کلّه حتی لا یری له أثر منه و یمحق اللّه الربا و انمحق الهلال الثلاث لیال فی آخر الشّهر لا یکاد یری لخفائه و الاسم المحاق بالضم و الکسر لغه. و فی القاموس المحاق مثلّثه آخر الشهر أو ثلاث لیال من آخره أو أن یستتر القمر فلا یری غدوه و لا عشیه سمّی به لأنه طلع مع الشّمس فمحقته.

و غلام (یافع) و یفع و یفعه مرتفع و (السادر) المتحیر و الذی لا یهتمّ و لا یبالی ما صنع و (الماتح) الذی یستسق الماء من البئر و هو علی رأسها و المایح الذی نزل البئر إذا قلّ ماؤها فیملاء الدلاء فالفرق بین المعنیین کالفرق بین النقطتین و (الغرب) الدلو العظیم و (کدح) فی العمل من باب منع سعی و (بدا) بدوا و بدوّا و بداء و بدوءً و بداوه ظهر، و بداوه الشّیء أول ما یبدو منه، و بادی الرأی ظاهره، و بدا له فی الأمر بدوا و بداءه نشأله فیه رأی و هو ذو بدوات.

قال الفیومی و (الارب) بفتحتین و الاربه بالکسر و المأربه بفتح الراء و ضمّها الحاجه، و الجمع المآرب، و الارب فی الأصل مصدر من باب تعب یقال ارب الرّجل إلی الشیء إذا احتاج إلیه فهو ارب علی فاعل و (دهمه) الشیء من باب سمع و منع غشیه و (غبّر) الشیء بضم الغین و تشدید الباء بقایاه جمع غابر کرکّع و راکع و (جمح) الفرس جمحا و جماحا بالکسر اغترّ فارسه و غلبه و جمح الرّجل رکب هواه و (سنن) الطریق مثلّثه و بضمّتین نهجه و جهته و (مرح) مرحا من باب فرح نشط و تبختر و المراح ککتاب اسم منه.

و (غمره) الشیء شدّته و مزدحمه و الجمع غمرات و غمار و (لهث) لهثا من باب سمع و لهاثا بالضمّ أخرج لسانه عطشا و تعبا أو اعیاء، و فی بعض النسخ و سکره ملهیه بالباء أی مشغله و (کرثه) الغمّ یکرثه من باب نصر اشدّ علیه و بلغ المشقّه و هو کریث الأمر إذا ضعف و جبن و (أنّ) المریض انا إذا تأوّه

ص:۲۷

و (ابلس) يئس و تحيّر و منه سمّى إبليس و ناقه (رجع) سفر و رجيع سفر قد رجع فيه مرارا و (الوصب) محرّكه المرض و الوجع.

و (النضو) بالكسر المهزول من الابل و غيره و (السّقم) كالجبل المرض و (الحشده) جمع حاشد من حشدت القوم من باب قتل و ضرب و حشد القوم يعدى و لا- يعدى إذا دعوا فأجابوا مسرعين أو اجتمعوا الأمر واحد و حفّوا فى التعاون و (البهت) بالفتح الأخذ بغته و التحيّر و الانقطاع و (النزل) بضمتين طعام النزيل الذى يهيىء له قال سبحانه: هذا نزلهم يوم الدّين.

و (الحميم) الماء الحارّ و (تصليه) النار تسخينها و (السوره) الحدّه و الشدّه و (زفر) النّار تسمع لتوقّدها صوت و (الدّعه) السعه فى العيش و السكون و (الازاحه) الازاله.

الاعراب

اختلف الشراح فى كلمه أم فى قوله أم هذا الذى أنشأه، ففى شرح المعتزلى أم ههنا إمّا استفهاميه على حقيقتها كأنه قال: أعظكم و اذكركم بحال الشيطان و اغوائه أم بحال الانسان منذ ابتداء وجوده إلى حين مماته، و إمّا أن يكون منقطعه بمعنى بل كأنه قال عادلا و تاركا لما وعظهم به بل أتلو عليهم نبأ هذا الانسان الذى حاله كذا و كذا.

و فى شرح البحرانى أم للاستفهام و هو استفهام فى معرض التقريع للانسان و أمره باعتبار حال نفسه و دلاله خلقته على جزئيات نعم اللّه عليه مع كفرانه لها و كان أم معادله لهمزه الاستفهام قبلها، و التقدير أ ليس فيما أظهره اللّه لكم من عجايب مصنوعاته عبره أم هذا الانسان و تقلّبه فى أطوار خلقته و حالته الى يوم نشوره.

أقول: لا يخفى ما فى ما ذكره من الاغلاق و الابهام بل عدم خلوّه من الفساد، إذ لم يفهم من كلامه أنّ أم متصله أم منفصله، فانّ قوله: أم للاستفهام مع قوله: و كان أم معادله لهمزه الاستفهام يفيد كون أم متصله إلاّ- أنه ينافيه قوله هو استفهام فى معرض التّقريع لأنّ أم المتّصله لا بدّ أن تقع بعد همزه التسويه نحو قوله تعالى:

«سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ » أو بعد همزه الاستفهام الّتى يطلب بها و بأم التعيين مثل أ زيد عندك أم عمرو، و لا بدّ أن يكون الاستفهام على حقيقه لتكون معادله لها فى افاده الاستفهام كمعادلتها لهمزه التسويه فى إفاده التّسويه و لذلك أيضا سمّيت متّصله لاتصالها بالهمزه حتّى صارتا فى إفاده الاستفهام بمنزله كلمه واحده، ألا ترى أنهما جميعا بمعنى أى و ينافيه أيضا قوله و التقدير أ ليس فيما أظهره آه بظهوره فى كون الاستفهام للانكار التوبيخى و إن جعل أم منفصله فلا يحتاج إلى المعادل الذى ذكره، فالأولى ما ذكره الشارح المعتزلى و إن كان هو أيضا لا يخلو عن شىء.

و التحقيق عندى هو أنّ أم يجوز جعلها متّصله مسبوقه بهمزه الاستفهام أى ء أذكركم و أعظكم بما ذكرته و شرحته لكم أم اذكركم بهذا الذى حاله كذا و كذا، و يجوز جعلها منفصله مسبوقه بالهمزه للاستفهام الانكارى الابطالى، و التقدير أ ليس فيما ذكرته تذكره للمتذكر و تبصره للمتبصر، بل فى هذا الانسان الذى حاله فلان فيكون من قبيل قوله سبحانه:

«أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها » و هذا كلّه مبنىّ على عدم كون الخطبه ملتقطه و أن لا يكون قبل قوله عليه السّلام أم هذا آه، حذف و إسقاط من السيّد، و إلّا فمعرفه حال أم موقوفه على الاطلاع و العثور بتمام الخطبه، هذا و المنصوبات الاثنان و العشرون أعنى نطفه و علقه و جنينا و راضعا و وليدا و يافعا و معتبرا و مزدجرا و مستكبرا و سادرا و ماتحا و كادحا و لا يحسب و لا يخشع و غريرا و ميلسا و منقادا و سلسا و رجيع و صب و نضوسقم و نجيّا، كلّها أحوال، و العامل فى كلّ حال ما قبله من الأفعال.

و سعيا مصدر بغير لفظ عامله من قبيل أ فنضرب عنكم الذكر صفحا، و فى لذّات طربه متعلّق بقوله كادحا، و يحتمل الحاليّه، و تقيّه مفعول لأجله، و يسيرا

ص:۲۹

صفه للظرف المحذوف بقرينه المقام ای زمانا یسیرا، و جزعا و قلقا منصوبان علی المفعول له.

المعنی

اشاره

اعلم أنّه لما وعظ المخاطبين بالحكم و المواعظ الحسنه عقّب ذلك و أكّده بذكر حال الانسان و ما أنعم اللّه به عليه من النعم الظاهره و الباطنه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا حتّى أنّه إذا كبر و بلغ أشدّه نفر و استكبر و لم يأت ما امر و لم ينته عما ازدجر ثمّ أدركه الموت فی حال عتوّه و غروره فصار فی محلّه الأموات رهين أعماله مأخوذا بأفعاله مبتلا بشدايد البرزخ و أهواله كما قال عليه السّلام:

(أم هذا الذی أنشأه) اللّه سبحانه بقدرته الكامله و حكمته التامه الجامعه (فی ظلمات الأرحام و شغف الاستار) العطف كالتفسير، و المراد بالظلمات هی ما اشيرت إليها فی قوله سبحانه «يَخْلُقُكُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ » و هی إمّا ظلمه البطن و الرحم و المشيمه أو الصلب و الرحم و البطن و الأوّل رواه الطبرسیّ عن أبی جعفر عليه السّلام (نطفه دهاقا) أی مفرغه إفراغا شديدا (و علقه محاقا) أی ناقصه لم تتصوّر بعد بصوره الانسانيه فی الاتيان بهذه الأوصاف تحقيرا للإنسان كما أومی إليه بالاشاره (و جنينا و راضعا و وليدا و يافعا) و هذه الأوصاف الأربعه كسابقيها مسوقه علی الترتب الطبيعی المشار إليه بقوله سبحانه:

«ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقاراً وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً » فانّه سبحانه قد خلق الانسان أولا عناصر ثمّ مركبات يغذی الانسان ثمّ أخلاطا ثمّ نطفه ثمّ علقه ثمّ مضغه ثمّ عظاما و لحوما كما قال «و لقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثمّ جعلناه نطفه فی قرار مكين ثمّ خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثمّ أنشأناه خلقا آخر فتبارك اللّه أحسن الخالقين».

ثمّ إنّه ما دام فی الرّحم يسمّی جنينا كما قال: «وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّهٌ فِی بُطُونِ »

«أَمَّهاتِكَمْ » و بعد ولادته يكون راضعا يرضع امّه اى يمتصّ ثديها، ثمّ يكون وليدا أى فطيما فاذا ارتفع قيل يافع.

قال فى سرّ الأدب فى ترتيب أحوال الانسان: هو ما دام فى الرحم جنين فاذا ولـد فوليد: ثمّ ما دام يرضع فرضـيع، ثمّ إذا قطع منه اللّبن فهو فطيم، ثمّ إذ ادبّ و نمى فهو دارج، فاذا بلغ طوله خمسه أشبار فهو خماسى، فاذا سقطت رواضعه فهو مشغور، فاذا نبتت أسنانه بعد السّقوط فهو مثغر(۱) ، فاذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو مترعرع و ناشى، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع و مراهق، فاذا احتلم و اجتمعت قوّته فهو حزّ، و اسمه فى جميع هـذه الأحول غلام فاذا اخضّر شاربه قيل قـد بقل وجهه، فاذا صار فتاه فهو فتى و شـارح، فـاذا اجتمعت لحيته و بلغ غايه شـبابه فهو مجتمع، ثمّ ما دام بين الثلاثين و الأربعين فهو شابّ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفى الستين و قيل إذا جاوز أربعا و ثلاثين إلى إحدى و خمسين، فاذا جاوزها فهو شيخ.

إذا عرفت ذلک فلنعد إلى شـرح قوله عليه السّـلام (ثمّ منحه قلبا حافظا و لسانا لافظا و بصرا لاحظا) أى أعطاه عقلا و نطقا و نظرا و منحه ذلـک و منّ عليه بـذلک (ليفهم معتبرا و يقصـر مزدجرا) أى ليعتبر بحال الماضـين و ما نزل بساحه العاصـين و ينتهى عما يفضيه إلى أليم النّكال و شديد الوبال، و ليفهم دلايل الصنع و القدره و يستدلّ بشواهد الربوبيه على وجوب الطاعه و الانتهاء عن المعصيه فينزجر عن الخلاف و العصيان و يتخلّص عن الخيبه و الخسران.

(حتّى إذا قـام اعتـداله) بالتنـاسب و الاسـتقامه و التوسّط بين الحالين فى كم أو كيف أى تمّ خلقته و صورته و تناسب أعضاؤه و خلت عن الزّياده و النّقصان و كمل قواه المحتاج إليها (و اسـتوى مثاله) أى اعتـدل مقداره و صـفته و يقال اسـتوى الرجل إذا بلغ أشدّه أى قوّته و هو ما بين ثمانيه عشر إلى ثلاثين (نفر) و فرّعن امتثال

۱- (۱) قـال المطرزى: ثغر الصبى فهو مثغور سـقطت رواضـعه، و اذا نبت بعـدا لسـقوط فهو مثغر بالتـاء، و الثـاء، و قـد اثغر على افتعل، منه.

الأحكام الشّرعيّه و التّكاليف الالهيّه (مستكبرا) و متعنّتا (و خبط) أی سلک و سار علی غیر هدایه (سادرا) لا یبالی ما صنع(ماتحا فی غرب هواه)شبّه الهوا بالغرب لأنّ ذی الغرب إنما یستسقی بغرب الماء لیروی غلله و کذلک صاحب الهوی یجلب بهواه ما تشتهیه نفسه و تلتذّ به و تروی به غلیل صدره و ذکر المتح ترشیح للتشبیه.

و أمّا ما قاله البحرانی من أنّه استعار الغرب لهواه الذی یملاء به صحایف أعماله من المآثم کما یملاء ذو الغرب غربه من الماء و رشح تلک الاستعاره بذکر المتح فلیس بشیء، أمّا أوّلا فلأنّ طرفی التشبیه مذکور فی کلامه علیه السّلام فکیف یکون استعاره بل هو تشبیه بلیغ، و أمّا ثانیا فلأنّ الهوی الذی یکون سببا لملاه صحایف الأعمال لا ربط له بالغرب الذی یملاء فیه الماء إذ المملوّ بالماء هو الغرب و المملو بالمآثم هو الصحایف لا الهوا نفسه، و کذلک لا مناسبه بین الاثم و الماء و الوجه ما ذکرناه فافهم جیّدا.

و قوله (کادحا سعیا لدنیاه) أی کان سعیه و همّته من جمیع جهاته مقصوره فی دنیاه غیر مراقب بوجه لآخرته (فی لذّات طربه و بدوات اربه) أی حاجته التی تبدو له و تظهر و تختلف فیها آرائه و دواعیه (لا یحتسب رزیّه و لا یخشع تقیّه) یعنی لم یکن یظنّ أن ینزل علیه مصیبه و لم یکن یخشع و یخاف من اللّه لأجل تقیّه و ذلک من فرط اغتراره بالدّنیا و شدّه تمادیه فی الشّهوات.

(فمات فی فتنته) أی فی ضلالته (غریرا) و مغرورا (و عاش فی هفوته) و زلّته زمانا (یسیرا) قلیلا (لم یفد عوضا و لم یقض مفترضا) أی لم یستفد و لم یکتسب من الکمالات و الخیرات عوضا ممّا أنعم اللّه سبحانه به علیه، و لم یأت شیئا من الطاعات و التکالیف التی فرض اللّه تعالی علیه.

(دهمته فجعات المنیّه فی غبّر جماحه و سنن مراحه) یعنی فاجأته دواهی الموت فی بقایای کوبه هواه و فی طرق نشاطه (فظلّ سادرا) متحیّرا (و بات ساهرا فی غمرات الآلام)

ص:۳۲

و شدایـدها (و طوارق الأوجاع و الأسـقام) و نوازلها (بین أخ شـقیق) عطوف (و والـد شـفیق) رؤوف و شقّ الشّـیء و شـقیقه هو نصفه.

و توصـیف الأـخ بالشّـقیق لکونه کالشقّ منه و بمنزله جزء بـدنه و قلبه (و داعیه بالویل جزعا) من النّساء و الاماء (و لادمه للصـدر قلقا) من البنات و الأمّهات و هذا کلّه تشریح لحال أهل المیّت فانّه، إذا یئس عنه الطّبیب و ابلی الحبیب فهنا لک خفّ عنه عوّاده و أسـلمه أهله و أولاـده، فشـقّت جیوبهـا نساؤه، و لطمت صـدورها اماؤه، و اعول لفقـده جیرانه، و توجّع لرزیّته إخوانه، و غضّوا بأیدیهم عینیه، و مدّوا عند خروج نفسه یدیه و رجلیه.

فکم موجع یبکی علیه تفجّعا و مستنجدا صبرا و ما هو صابر

و مسترجع داع له اللّه مخلصا یعدّ و منه خیر ما هو ذاکر

و کم شامت مستبشر بوفاته و عما قلیل کالّذی صار صائر

هـذا حالهم، و أمّا حال المیّت فقد أشار إلیه بقوله (و المرء فی سکره ملهثه) یلوک لسانه و یخرجه تعبا و عطشا (و غمره کارثه) أی شدّه بلغ الغایه من المشقّه.

روی فی الکافی عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن عبـد اللّه بن المغیره عن السّـکونی عن أبی عبد اللّه علیه السّـلام قال: إنّ المیت إذا حضـره الموت أو ثقه ملـک الموت و لو لا ذلک اسـتقرّ(۱) (و أنّه موجعه) أی تـأوّه موجب لوجع الحاضـرین و السّـامعین (و جذبه مکربه و سوقه متعبه) و المراد بهما جذب الملائکه للرّوح و سوقهم له إلی خارج البدن کما قال تعالی:

«وَ لَوْ تری إِذِ الظّالِمُونَ فِی غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِکَهُ باسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ الْیَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما کُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَی اللّهِ غَیْرَ الْحَقِّ وَ کُنْتُمْ عَنْ آیاتِهِ تَسْتَکْبِرُونَ ».

۱- (۱) هکذا فی النسخه، و فی الوافی نقلا عن الکافی: ما استقرّ و هو الصحیح «المصحح».

قال الطّبرسى: أى فى شدايد الموت عند النّزع و الملائكه الذين يقبضون الأرواح باسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينه الموت ازهاقا لهم و تغليظا عليهم و إن كان إخراجها من فعل غيرهم.

و قال الشّارح البحرانى: اعلم أنّ تلك الجذبه يعود إلى ما يجده الميّت حال النّزع و هو عباره عن ألم ينزل بنفس الرّوح يستغرق جميع أجزائه المنتشره فى أعماق البدن و ليس هو كساير ما يجده الرّوح المختصّ ببعض الأعضاء كعضو شاكته شوكه و نحوها، لاختصاص ذلك بموضع واحد فألم النّزع يهجم على نفس الرّوح و يستغرق جميع أجزائه و هو المجذوب من كلّ عرق و عصب و جزء من الأجزاء و من أصل كلّ شعره و بشره لا تسألنّ عن بدن يجذب منه كلّ عرق من عروقه، و قد يتمثّل ذلك بشجره شوك كانت داخل البدن ثمّ جذبت منه فهى الجذبه المكربه، و لمّا كان موت كلّ عضو عقيب الأمراض التى ربّما طالت تدريجا فتلك هى السّوقه المتغبه (ثمّ ادرج فى أكفانه مبلسا) أى آيسا أو حزينا (و جذب) من وطنه إلى الخارج (منقادا سلسا) اى سهلا ليّنا (ثمّ القى على الأعواد) أى الأسرّه حالكونه (رجيع وصب و نضو سقم) يعنى أنّه من جهه ابتلائه بتارات الأمراض و تردّده فى أطوار الأتعاب و الأوصاب صار كالإبل الرّجيع الذى يردّد فى الأسفار مرّه بعد اخرى و لأجل نحول جسمه من الأسقام كان الجمل النّضو الذى يهزل من كثره الأحمال و الأثقال (تحمله حفده الولدان و حشده الاخوان) يعنى أنّه بعد الفراغ من تغسيله و تكفينه و حمله على سريره أقبلوا على جهازه و شمّروا لابرازه و حمله أعوانه و ولدانه و أحبّاؤه و إخوانه.

فظلّ أحبّ القوم كان لقربه يحثّ على تجهيزه و يبادر

و شمّر من قد أحضروه لغسله و وجّه لما فاظ (۱) للقبر حافر

و كفّن فى ثوبين فاجتمعت له مشيّعه إخوانه و العشاير

ص:۳۴

۱- (۱) فاظ الرجل اى مات، م.

ثمّ اخرج من بین صحبته(۱) (إلی دار غربته و) من محلّ عزته إلی (منقطع زورته) و من سعه قصره إلی ضیق قبره فحثّوا بأیدیهم التراب و أکثروا التلدّد و الانتحاب، و وقفوا ساعه علیه و قد یئسوا من النّظر إلیه، ثمّ رجعوا عنه معولین، و ولّوا مدبرین (حتّی إذا انصرف المشیّع و رجع المتفجّع) انتبه من نومته و أفاق من غشیته و (اقعد فی حفرته نجیّا لبهته السّؤال) و دهشته (و عثره الامتحان) و زلّته.

و لعلّ المراد به أنّه یقعد فی قبره مناجیا للمنکر و ا لنکیر أی مخاطبا و مجاوبا لهما سرّا لعدم قدرته علی الاعلان من أجل الدّهشه و الحیره العارضه له من سؤالهما و العثره التی ظهرت منه بسبب اختیارهما، أو المراد أنّه یناجی ربّه فی تلک الحال من هول الامتحان و السؤال و یقول ربّ ارجعون لعلّی أعمل صالحا (و أعظم ما هنا لک بلیّه) و ابتلاء (نزل الحمیم و تصلیه الجحیم) کما قال تعالی:

«وَ إِنَّ لِلطّاغِینَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ یَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ هذا فَلْیَذُوقُوهُ حَمِیمٌ وَ غَسّاقٌ » «و فی سوره النّبأ «لا یَذُوقُونَ فِیها بَرْداً وَ لا شَراباً إِلاّ حَمِیماً وَ غَسّاقاً » قال بعض المفسّرین: إنّ الغسّاق عین فی جهنّم یسیل إلیها سمّ کلّ ذات حمه من حیّه و عقرب، و قیل هو ما یسیل من دموعهم یسقونه من الحمیم، و قیل هو القیح الذی یسیل منهم یجمع و یسقونه، و قیل إنّ الحمیم الماء الحارّ الذی انتهت حرارته و الغسّاق الماء البارد الذی انتهت برودته فهذا یحرق ببرده و ذاک یحرق بحرّه.

و قال الطّریحی: الحمیم الماء الحارّ الشّدید الحراره یسقی منه أهل النار أو یصبّ علی أبدانهم، و عن ابن عبّاس لو سقطت منه نقطه علی جبال الدّنیا

۱- (۱) جمع صاحب و الملازم للانسان و المصاحب من أولاده و أقربائه و غیرهم.

لأذابتها، و كيف كان فقوله عليه السّلام مأخوذ من الآيه الشّريفه فى سوره الواقعه قال سبحانه:

«وَ أَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَهُ جَحِيمٍ » و أمّا قوله (و فورات السّعير) فأراد به شدّه غليان نار الجحيم و لهبها، و كذلك أراد بقوله (و سورات الزّفير) شدّه صوت توقد النّار (لا فتره مريحه) لهم من العذاب (و لا دعه مزيحه) عنهم العقاب كما قال سبحانه:

«إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ » (و لا قوّه حاجزه) تمنعه عن النّكال (و لا موته ناجزه) أى عاجله تريحه من ألم الوبال إذ الموت ربّما يكون نعمه و يعده الانسان راحه كما قال مجنون العامرى و نعم ما قال: فلا ملك الموت المريح يريحنى (و لا سنه مسليه) لهمّه و نومه منسيه لغمّه و فى الحديث إنّ اللّه ألقى على عباده السّلوه بعد المصيبه لو لا ذلك لانقطع النّسل(بين أطوار الموتات و عذاب السّاعات)أراد بالموتات الآلام الشّديده و المشاق العظيمه مجازا فلا ينافى قوله عليه الصّلاه و السّلام: و لا موته ناجزه، فانّ المراد به الحقيقه (إنا باللّه عائذون) أى ملتجئون من شرّ المآل و سوء الحال. و قد راعى فى أكثر فقرات هذا الفصل السّجع المتوازى، هذا

و ينبغى تذييل المقام بامور مهمه

الاول

فى تحقيق بدو خلق الانسان فاقول:

قال سبحانه فى سوره المؤمنين: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ »

«مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ » و هذه الآیه الشّریفه أجمع الآیات لأدوار الخلقه و أشملها لمراتب الفطره، و هذه المراتب علی ما اشیرت إلیها فیها سبع.

المرتبه الأولی ما أشار إلیه بقوله:

«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِینٍ » أی من خلاصه من طین و هو مبدء نشو الآدمی لتولد النّطفه منها، و ذلک لأنّ النّطفه إنّما تتولّد من فضل الهضم الرّابع، و هو إنّما یتولّد من الأغذیه، و هی إمّا حیوانیه و إمّا نباتیه، و الحیوانیه تنتهی إلی النباتیه و النّبات إنّما یتولّد من صفو الأرض و الماء، فالانسان بالحقیقه یکون متولّدا من سلاله من طین.

المرتبه الثّانیه أنّ السّلاله بعد ما تواردت علیها أدوار الفطره تکون نطفه فی أصلاب الآباء فتقذف بالجماع إلی أرحام النّساء التی هی قرار مکین لها و إلیه أشار سبحانه بقوله:

«خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ » المرتبه الثّالثه أنّ النّطفه بعد ما استقرّت فی الرّحم أربعین یوما تصیر علقه و هی الدّم الجامد.

المرتبه الرّابعه أنّ العلقه بعد ما مکثت فی الرّحم أربعین یوما أیضا تصیر مضغه أی قطعه لحم حمراء کأنّها مقدار ما یمضغ.

المرتبه الخامسه أنّ المضغه تمکث فیه أربعین ثالثه و یجعلها اللّه صلبا فتکون عظاما.

المرتبه السّادسه ما أشار إليه بقوله: فكسونا العظام لحما أى ممّا بقى من المضغه أو ممّا أنبته عليها ممّا يصل إليها و إنّما جعل اللحم كسوه لستره العظم كما يستر اللّباس البدن.

المرتبه السّابعه ما أشار إليه بقوله: ثمّ أنشأناه خلقا آخر أى خلقا متباينا للخلق الأوّل باضافه الرّوح إليه مباينا ما أبعدها، و ذلك بعد تمام ثلاثه أربعين أى كمال أربعه أشهر فكان حيوانا بعد ما كان جمادا، و حيّا بعد ما كان ميتا، و ناطقا و كان أبكم، و سميعا و كان أصم، و بصيرا و كان أعمى، و أودع باطنه و ظاهره بل كلّ عضو من أعضائه عجايب صنعته و بدايع حكمته التى لا يحيط بها وصف الواصفين و لا شرح الشّارحين، فتبارك اللّه أحسن الخالقين هذا.

و روى الصّدوق (ره) فى الفقيه عن محمّد بن علىّ الكوفىّ، عن إسماعيل بن مهران، عن مرازم، عن جابر بن يزيد، عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: إذا وقع الولد فى جوف أمّه صار وجهه قبل ظهر أمّه إن كان ذكرا و إن كان انثى صار وجهها قبل بطن أمّها و يداه على و جنتيه و ذقنه على ركبتيه كهيئه الحزين المهموم، فهو كالمصرور منوط بعماء من سرّته إلى سرّه امّه، فبتلك السرّه يغتذى من طعام امّه و شرابها إلى الوقت المقدّر لولادته، فيبعث اللّه عزّ و جلّ ملكا إليه فيكتب على جبهته: شقىّ أو سعيد، مؤمن أو كافر غنىّ أو فقير، و يكتب أجله و رزقه و سقمه و صحّته.

فاذا انقطع الرّزق المقدّر له من سرّه امّه زجره الملك زجره فانقلب فزعا من الزّجره و صار رأسه قبل الفرج، فاذا وقع إلى الأرض وقع إلى هول عظيم و عذاب أليم إن أصابته ريح أو مشقّه أو مسّته يد وجد لذلک من الألم ما يجد المسلوخ عنه جلده.

يجوع فلا يقدر على الاستطعام، و يعطش فلا يقدر على الاستسقاء، و يتوجّع فلا يقدر على الاستغاثه، فيوكّل اللّه تبارک و تعالى برحمته و الشّفقه عليه و المحبّه له أمّه فتقيه الحرّ و البرد بنفسها، و تكاد تفديه بروحها، و تصير من التّعطف عليه

بحال لا تبالى أن تجوع إذا شبع و تعطش إذا روى، و تعرى إذا كسى.

و جعل اللّه تعالى ذكره رزقه فى ثدى أمّه فى إحداهما شرابه و فى الاخرى طعامه، حتّى إذا رضع أتاه اللّه عزّ و جلّ فى كلّ يوم بما قدر له فيه من رزق، فاذا أدرك فهمّه الأهل و المال و الشّره و الحرص، ثمّ هو مع ذلك معرض الآفات و العاهات و البليّات من كلّ وجه، و الملائكه ترشده و تهديه، و الشّياطين تضلّه و تغويه، فهو هالك إلاّ أن ينجيه اللّه عزّ و جلّ، و قد ذكر اللّه تعالى ذكره نسبه الانسان فى محكم كتابه فقال عزّ و جلّ:

«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ تُبْعَثُونَ » قال جابر بن عبد اللّه الأنصارى: فقلت: يا رسول اللّه هذه حالنا فكيف حالك و حال الأوصياء بعدك فى الولاده؟ فسكت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم مليّا ثمّ قال: يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلاّ ذو حظ عظيم، إنّ الأنبياء و الأوصياء مخلوقون من نور عظمه اللّه عزّ و جلّ ثناؤه يودع اللّه أنوارهم أصلابا طيّبه و أرحاما طاهره يحفظها بملائكته و يربّيها بحكمته و يغذوها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف، و أحوالهم تدّق عن أن تعلم، لأنّهم نجوم اللّه فى أرضه، و أعلامه فى بريّته، و خلفاؤه على عباده، و أنواره فى بلاده، و حججه على خلقه، يا جابر هذا من مكنون العلم و مخزونه فاكتمه إلاّ من أهله.

و فى توحيد المفضّل عن الصّادق عليه السّلام قال. و سنبتدئ يا مفضّل بذكر خلق الانسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين فى الرّحم و هو محجوب فى ظلمات ثلاث: ظلمه البطن، و ظلمه الرّحم، و ظلمه المشيمه، حيث لا حيله عنده

فی طلب غذاء و لا دفع أذی و لا استجلاب منفعه و لا دفع مضرّه، فإنّه یجری إلیه من دم الحیض ما یغذوه کما یغذو الماء النّبات فلا یزال ذلک غذاه.

حتّی إذا کمل خلقه و استحکم بدنه و قوی ادیمه علی مباشره الهواء و بصره علی ملاقات الضّیاء هاج الطّلق بأمّه فازعجه أشدّ إزعاج و أعنفه حتّی یولد، فاذا ولد صرف ذلک الدّم الّذی کان یغذوه من دم امّه إلی ثدییها، فانقلب الطّعم و اللّون إلی ضرب آخر من الغذاء، و هو أشدّ موافقه للمولود من الدّم فیوافیه فی وقت حاجته إلیه فحین یولد قد تلمط و حرّک شفتیه طلبا للرّضاع فهو یحدی ثدی أمّه کالاداوتین المعلّقتین لحاجته، فلا یزال یغتذی باللّبن ما دام رطب البدن رقیق الأمعاء لیّن الأعضاء.

حتّی إذا تحرّک و احتاج إلی غذاء فیه صلابه لیشتدّ و یستوی بدنه و طلعت له الطّواحین «من الاسنان خ» و الأضراس لیمضغ به الطعام فیلین علیه و یسهل له إساغته فلا یزال کذلک حتّی یدرک، فاذا أدرک و کان ذکرا طلع الشّعر فی وجهه فکان ذلک علامه الذّکر و عزّ الرّجل الذی یخرج به عن حدّ الصّبا و شبه النّساء و إن کانت انثی یبقی وجهها نقیّا من الشّعر لتبقی لها البهجه و النّضاره التی تحرّک الرّجال لما فیه دوام النّسل و بقاؤه، الحدیث.

الثانی

فی تحقیق السؤال فی القبر و ذکر شبهه المنکرین له و دفعها

اعلم أنّ کلام الامام علیه السّلام فی هذا الفصل صریح فی ثبوت السؤال فی القبر و هو حقّ یجب الایمان و الاذعان به، و علیه قد انعقد إجماع المسلمین بل هو من ضروریات الدّین، و منکره کافر خالد فی الجحیم لا یفترّ عنه العذاب الألیم، و لم یخالف فیه إلّا بعض من انتسب إلی الاسلام کضرار بن عمر و طایفه من المعتزله و جمع من الملاحده مموّهین علی العوام الّذین یصغون إلی کلّ ناعق بأنّ المیّت بعد وضعه فی قبره إن حشی فمه بالجصّ و نحوه و دفن ثمّ یؤتی إلیه فی الیوم الآخر

و ینبش قبره فانّک تراه علی حاله لم یتغیّر فلو کان فی القبر سؤال و حساب لتغیّرت حالته و لا نفتح فمه و سقط الجصّ، و أیضا فانا لا نسمع عذابه فی القبر مع شدّته و صعوبته.

و فساد ذلک الکلام غنیّ عن البیان، لأنّ هذه العین و الأذن لا تصلحان لمشاهده الأمور الملکوتیّه و سماعها، و کلّ ما یتعلّق بالآخره فهو من عالم الملکوت.

ألا ترى أنّ الصّحابه کانوا یجلسون عند النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم حین نزول جبرئیل علیه و هو یراه و یتکلّم معه فی حضورهم و النّاس لا یرونه و لا یسمعون کلامه؟ و کذلک ملکا القبر لا یمکن للنّاس أن یدرکوا سؤالهما و جواب المیّت لهما بهذه الحواسّ، و کذلک الحیّات و العقارب فی القبر لیس من جنس الحیّات و العقارب فی هذا العالم حتّی تدرک بالحسّ.

و یوضح ذلک أنّ النّائم بحضور الجالسین قد یشاهد فی نومه الحیّات و العقارب و سایر المولمات و الموذیات تؤلمه و تؤذیه و تلدغه فیتألم و یتأذی بحیث یرشح جبینه و یعرق و یبکی فی نومه من شدّه الألم و الأذی و مع ذلک کلّه فلا یری الحاضرون ممّا یری و یسمع شیئا.

و بالجمله فلا یعتدّ بهذه التّرّهات و التمویهات، و المنکر قد وجد جزاء إنکاره و هو الآن فی قبره مقرّ بما أنکر مذعن بما کفر مدرک لما أنکره بالسّمع و البصر، و الحمد للّه الذی منّ علینا بالایمان بالغیب، و خلّص قلوبنا من الشّک و الرّیب.

قال الصّادق علیه السّلام فی روایه الصّدوق: لیس من شیعتنا من أنکر ثلاثه:

المعراج، و سؤال القبر، و الشفاعه.

و فی کتاب السّماء و العالم للمحدّث المجلسی عن الکافی عن بعض أصحابه عن علیّ بن العبّاس عن الحسن بن عبد الرّحمن عن أبی الحسن الأوّل قال: إنّ الأحلام لم تکن فیما مضی فی أوّل الخلق و إنّما حدثت، فقلت: و ما العلّه فی ذلک؟

فقال علیه السّلام: إنّ اللّه عزّ ذکره بعث رسولا إلی أهل زمانه فدعاهم إلی عباده اللّه و طاعته سبحانه فقالوا: إن فعلنا ذلک فمالنا فو اللّه ما أنت باکثرنا مالا و لا بأعزّنا عشیره قال لهم: إنّکم إن أطعتمونی أدخلکم اللّه الجنّه، و إن عصیتمونی أدخلکم اللّه النّار، فقالوا: و ما الجنّه و ما النّار؟ فوصف لهم ذلک، فقالوا: متی نصیر إلی ذلک؟ فقال: إذا متم، فقالوا: لقد رأینا أمواتنا صاروا عظاما و رفاتا فازدادوا له تکذیبا و به استخفافا، فأحدث اللّه عزّ و جلّ فیهم الأحلام فأتوا فأخبروه بما رأوا و ما أنکروا من ذلک، فقال لهم: إنّ اللّه سبحانه أراد أن یحتجّ علیکم بهذا، هکذا تکون أرواحکم إذا متّم و إن بلیت أبدانکم تصیرا لأرواح إلی عقاب حتّی تبعث الأبدان، هذا.

و بقی الکلام فی عموم سؤال القبر قال العلاّمه المجلسی (ره) المشهور بین متکلّمی الامامیّه عدم عمومه و اختصاصه بمحض المؤمن و محض الکافر و أنّه لیس علی المستضعفین و لا علی الصّبیان و المجانین سؤال، و حکی عن الشّهید (ره) انّه قال: إنّ السؤال حقّ اجماعا إلاّ فی من یلقّن حجّته.

أقول: و یدلّ علی ذلک و علی اختصاصه بالمؤمن و الکافر المحض الأخبار المتظافره فی الکافی و غیره و سیجیء بعضها فی ضمن الأخبار الآتیه.

الثالث

فی حالات المیت حین اشرف علی الموت و حین ازهاق روحه و عند الغسل

و التکفین و حمله علی سریره و اذا وضع فی قبره و کیفیه السؤال فی القبر

و ضغطه القبر و بعض عقوباته فی البرزخ و مثوباته

و نحن نشرح کلّ ذلک بما وصل إلینا فی ذلک الباب من الأخبار المرویّه عن أئمّتنا الأطیاب الأطهار سلام اللّه علیهم ما تعاقب اللّیل و النّهار، فأقول:

أما حاله الاحتضار

و أعنی بها حاله إشراف المیّت علی الموت فهی حاله یلهو المرء فیها بکلیّته

عن الـدّنيا و يكون توجّهه إلى الآـخره، و يحضـر حينئـذ عنـده رسول اللّه و الأـئمه سـلام اللّه عليهم و الملائكه الموكّلون بقبض روحه كما يحضر عنده أهله و عياله و أحبّاؤه و أقرباؤه فتاره يكون مخاطبته مع الأوّلين و أخرى مع الآخرين.

روى علىّ بن إبراهيم القمّى فى تفسير قوله:

«يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَهِ وَ يُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ » باسـناده عن سويـد بن الغفله عن أمير المؤمنين عليه السّـلام قـال: إنّ ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من الـدّنيا و أوّل يوم من الآخره مثّل له أهله و ماله و ولـده و عمله، فينظر إلى مـاله فيقول: و اللّه إنّى كنت عليـك لحريصـا شـحيحا فمـا ذا عنـدك؟ فيقول: خـذ منّى كفنـك، ثم يلتفت إلى ولـده فيقول: و اللّه إنّى كنت لكم لمحبّا و إنى كنت عليكم لمحاميا فما ذا عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك و نواريك فيها، ثمّ يلتفت إلى عمله فيقول: و اللّه إنّى كنت من الزّاهـدين فيك و إنّك كنت علىّ ثقيلا فما ذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك فى قبرك و يوم حشرك حتّى اعرض أنا و أنت على ربّك.

فان كان للّه وليّا أتاه أطيب النّاس ريحا و أحسنهم منظرا و أزينهم رياشا فيقول:

ابشـر بروح من اللّه و ريحـان و جنّه النّعيم قـد قـدمت خير مقـدم فيقول: من أنت؟ قال: أنا عملك الصّالـح ارتحل من الـدّنيا إلى الجنّه و أنّه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يعجّله.

فاذا ادخل قبره أتاه ملكان و هما فتّان القبر يجرّان أشـعارهما و يبحثان الأرض بأنيابهما و أصواتهما كالرّعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له:

من ربّك، و من نبيّك و ما دينك؟ فيقول: اللّه ربّى و محمّد نبيّى و الاسلام دينى فيقولان له: ثبّتك اللّه بما تحبّ و ترضى و هو قول اللّه:

«يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ » الآيه

فيفسحان له فى قبره مدّ بصره و يفتحان له بابا إلى الجنّه و يقولان له:

نم قرير العين نوم الشّابّ النّاعم، و هو قوله:

«أَصْحابُ الْجَنَّهِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا » و إذا كان لربّه عدوّا فانّه يأتيه أقبح من خلق اللّه رياشا و أنتنه ريحا فيقول:

من أنت؟ فيقول: عملك فيقول: ابشر بنزل من حميم و تصليه جحيم، و انّه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يحبسه.

فاذا ادخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا أكفانه ثمّ قالا له: من ربّك، و من نبيّك، و ما دينك؟ فيقول: لا أدرى، فيقولان: لا دريت و لا هديت، فيضربانه بمرزبه ضربه ما خلق اللّه دابّه إلّا و تذعر لها ما خلا الثّقلين، ثمّ يفتحان له بابا إلى النّار، ثمّ يقولان له: نم بشرّ حال.

فهو من الضيق مثل ما فيه القنا(۱) من الزّج حتّى أنّ دماغه يخرج من ما بين ظفره و لحمه، و يسلّط اللّه عليه حيّات الأرض و عقاربها و هوامّها فتنهشه حتّى يبعث اللّه من قبره. و أنّه ليتمنّى قيام السّاعه ممّا هو فيه من الشّر.

و رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم مسندا عن سويد بن غفله عنه عليه السّلام مثله.

و فى الكافى عن أبى اليقظان عمّار الأسدى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لو أنّ مؤمنا أقسم على ربّه أن لا يميته ما أماته أبدا، و لكن إذا كان ذلك أو إذا حضر أجله بعثه اللّه عزّ و جلّ إليه ريحين: ريحا يقال لها المنسيه و ريحا يقال المسخيه، فأمّا المنسيه فانّها تنسيه أهله و ماله، و أمّا المسخيه فانّها تسخى نفسه عن الدّنيا حتّى يختار ما عند اللّه.

و عن أبى خديجه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما من أحد يحضره الموت إلّا وكّل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر و يشكّكه فى دينه حتّى يخرج نفسه، فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه فاذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهاده أن لا إله

۱- (۱) القنا جمع قناه و هو الرمح و الزج بالضمّ حديده فى أسفل الرمح منه.

إلّا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه حتّى يموت.

و فى روايه أخرى قال صلّى اللّه عليه و آله: فلقّنه كلمات الفرج و الشّهادتين و يسمّى له الاقرار بالأئمه عليهم السّلام واحدا بعد واحد حتّى يتقطع عنه الكلام.

و عن سدير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك يابن رسول اللّه هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال عليه السّلام: لا و اللّه إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولىّ اللّه لا تجزع فو الّذى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله لأنا أبرّ بك و أشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال: و يمثّل له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه من ذريّتهم عليهم السّلام فيقال له: هذا رسول اللّه و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه عليهم السّلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينادى روحه مناد من قبل ربّ العزّه فيقول:

«يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ » إلى محمّد و أهل بيته «ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً » بالولايه «مَرْضِيَّةً » بالثّواب «فَادْخُلِي فِي عِبادِي » يعنى محمّداً و أهل بيته «وَ ادْخُلِي جَنَّتِي » فما شىء أحبّ إليه من استلال روحه.

و عن علىّ بن عقبه عن أبيه قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا عقبه لا يقبل اللّه من العباد يوم القيامه إلّا هذا الأمر الذى أنتم عليه، و ما بين أحدكم و بين أن يرى ما يقرّبه عينه إلّا أن تبلغ نفسه إلى هذه، ثمّ أهوى بيده إلى الوريد، ثمّ اتّكى.

و كان معى المعلّى فغمزنى أن أسأله فقلت: يابن رسول اللّه فاذا بلغت نفسه هذه أىّ شىء يرى؟ فقلت له بضعه عشر مرّه: أىّ شىء يرى، فقال فى كلّها: يرى، لا يزيد عليها، ثمّ جلس فى آخرها فقال: يا عقبه، فقلت: لبيّك و سعديك، فقال:

أبيت إلّا أن تعلم؟ فقلت: نعم يابن رسول اللّه إنّما دينى مع دينك فاذا ذهب دينى

كان ذلك كيف لى بك يا بن رسول اللّه كلّ ساعه و بكيت، فرقّ لى فقال: يراهما و اللّه، فقلت: بأبى و أمّى من هما؟ قال: ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلمّ و على عليه السّلام يا عقبه لن تموت نفس مؤمنه أبدا حتّى تراهما قلت: فاذا نظر إليهما المؤمن أ يرجع إلى الدّنيا؟ فقال: لا، يمضى أمامه اذا نظر اليهما مضى أمامه فقلت له: يقولان شيئا؟ قال: نعم يدخلان جميعا على المؤمن، فيجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند رأسه و علىّ عليه السّلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيقول: يا ولىّ اللّه ابشر أنا رسول اللّه إنّى «أناخ» خير لك ممّا تركت من الدّنيا.

ثمّ ينهض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيقوم علىّ عليه السّلام حتّى يكبّ عليه فيقول: يا ولىّ اللّه ابشر أنا علىّ بن أبى طالب الذى كنت تحبّ أنا لأنفعنك، ثمّ قال عليه السّلام: إنّ هذا فى كتاب اللّه عزّ و جل، فقلت: أين جعلنى اللّه فداك هذا من كتاب اللّه؟ قال: فى يونس قول اللّه عزّ و جلّ ههنا:

«اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَهِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » و عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام إذا حيل بينه و بين الكلام أتاه رسول اللّه و من شاء اللّه فجلس رسول اللّه عن يمينه و الآخر عن يساره فيقول له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، و أمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه.

ثمّ يفتح له باب إلى الجنّه فيقول هذا منزلك من الجنّه فان شئت رددناك إلى الدّنيا و لك فيها ذهب و فضّه، فيقول: لا حاجه لى فى الدّنيا فعند ذلك يبيض لونه و يرشح جبينه و تقلص شفتاه و تنتشر منخراه و تدمع عينه اليسرى فأىّ هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فاذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه و هى فى الجسد فتختار الآخره الحديث.

أقول: و الأخبار فى رؤيه النّبىّ و الأئمّه صلوات اللّه عليه و عليهم كثيره كادت

تبلغ حدّ التواتر، و يأتى بعضها بعد ذلك، و بتلك الأخبار يطيب نفوسنا و يسكن قلوبنا إلى الموت، و بها أيضا يعلم أنّ كراهه المؤمن للموت على ما فى الحديث القدسى من قول اللّه سبحانه: ما تردّدت فى شىء أنا فاعله كتردّدى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت و أكره مسائته إنّما هى قبل الاستبشار برؤيتهم عليهم السّلام، و أمّا بعد معاينتهم فليس شىء أحبّ إليه من الموت كما عرفت فى الرّوايات.

و يدلّ عليه صريحا ما فى الكافى عن عبد الصّمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت: أصلحك اللّه من أحبّ لقاء اللّه أحبّ اللّه لقاءه؟ و من أبغض لقاء اللّه أبغض اللّه لقاءه! قال عليه السّلام: نعم، قلت: فو اللّه إنّا لنكره الموت، فقال عليه السّلام: ليس ذلك حيث تذهب إنّما ذلك عند المعاينه إذا رأى ما يحبّ فليس شىء أحبّ إليه من أن يتقدّم و اللّه تعالى يحبّ لقاءه و هو يحبّ لقاء اللّه حينئذ و إذا رأى ما يكره فليس شىء أبغض إليه من لقاء اللّه و اللّه يبغض لقاءه.

و فيه عن يحيى بن سابور قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: فى الميّت تدمع عيناه عند الموت فقال عليه السّلام: ذلك عند معاينه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيرى ما يسرّه، ثمّ قال عليه السّلام: أما ترى الرّجل يرى ما يسرّه و ما يحبّ فتدمع عينه لذلك و يضحك.

و أما صفه ملك الموت و كيفيه قبض الروح

فروى السيّد السّند السيّد نعمه اللّه الجزائرى أنّ الخليل عليه السّلام قال لملك الموت يوما: يا ملك الموت احبّ أن أراك على الصّوره التّى تقبض فيها روح المؤمن، فقال:

يا إبراهيم اعرض عنّى بوجهك حتّى أتصوّر على تلك الصّوره، فلمّا رآه إبراهيم عليه السّلام رأى صوره شابّ حسن الوجه أبيض اللون تعلوه الأنوار فى أحسن ما يتخيّل من الهيئه فقال: يا إبراهيم فى هذه الصّوره اقبض روح المؤمن فقال عليه السّلام: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلاّ لقائك لكفاه راحه.

ثمّ قال عليه السّلام: اريد أن أراك على الصّفه التى تقبض فيها روح الكافر، فقال:

يا إبراهيم لا تقـدر، فقال: أحبّ ذلك، فقال: أعرض بوجهك فأعرض بوجهه ثمّ قال: انظر فنظر إليه فاذا هو أسود كاللّيل المظلم و قامته كالنّخل الطّويل و النار و الدّخان يخرجان من منخريه و فمه إلى عنان السّماء.

فلمّا نظر إليه غشى على إبراهيم عليه السّلام فرجع ملك الموت إلى حالته فلمّا أفاق الخليل عليه السّلام قال: يا ملك الموت لو لم يكن للكافر هول من الموت إلاّ رؤيتك لكفاه عن ساير الأهوال.

فـاذا أتى إلى المؤمن سلّ روحه سـلاّ رقيقا لطيفا حتّى أنّه يحصل له الرّاحه من ذلك السّلّ لما يشاهـده من مكانه فى الجنّه و إن كان كافرا أتى إليه بحديده محميّه بنار جهنّم فأدخلها فى حلقومه و جذب روحه بها يخيل إليه أنّ أطباق السّماوات و الأرض قد وقعت عليه و طبقته حتّى يخرج زبده على فمه كالبعير.

أقول: و يدلّ عليه ما فى الكافى عن ابن الفضيل عن أبى حمزه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ آيه المؤمن إذا حضره الموت بيـاض وجهه أشـدّ من بياض لونه و يرشـح جبينه و يسـيل من عينيه كهيئه الـدّموع فيكون ذلك خروج نفسه، و إنّ الكافر يخرج نفسه سلاّ من شدقه(۱) كزبد البعير أو كما يخرج نفس البعير.

و فيه باسـناده عن عمّار بن مروان قال: حـدّثنى من سـمع أبا عبـد اللّه عليه السّلام يقول: منكم و اللّه يقبل، و لكم و اللّه يغفر إنّه ليس بين أحدكم و بين أن يغتبط و يرى السّرور و قرّه العين إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا و أومى بيده إلى حلقه.

ثمّ قـال عليه السّلام: إنّه إذا كـان ذلـك و احتضـر حضـره رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و علىّ عليه السّلام و جبرئيل و ملك الموت فيـدنو منه علىّ عليه السّلام فيقول: يا رسول اللّه إنّ هذا كان يحبّنا أهل البيت فأحبّه، و يقول رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا جبرئيل إنّ هذا يحبّ اللّه و رسوله و أهل بيت رسوله فأحبّه، و يقول جبرئيل عليه السّلام: يا ملك الموت إنَّ هذا

۱- (۱) جانب الفم، منه

يحبّ اللّه و رسوله و أهل بيت رسوله فأحبّه و ارفق به.

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد اللّه أخذت فكاك رقبتك أخذت أمان براتك تمسّكت بالعصمه الكبرى فى الحياه الدّنيا؟ قال: فيوفّقه اللّه عزّ و جلّ فيقول: نعم، فيقول: و ما ذاك؟ فيقول: ولايه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فيقول:

صدقت أمّا الذى كنت تحذره فقد آمنك اللّه منه، و أمّا الذى كنت ترجوه فقد أدركته ابشر بالسّلف الصّالح مرافقه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علىّ و فاطمه عليهم السّلام.

ثمّ يسلّ نفسه سلاّ رفيقا، ثمّ ينزل بكفنه من الجنّه و حنوطه من الجنّه بمسك أذفر فيكفن بذلك الكفن و يحنط بذلك الحنوط، ثمّ يكسى حلّه صفراء من حلل الجنّه.

فاذا وضع فى قبره فتح له باب من أبواب الجنّه يدخل عليه من روحها و ريحانها، ثمّ يفتح له عن أمامه مسيره شهر و عن يمينه و عن يساره، ثمّ يقال له:

نم نومه العروس على فراشها ابشر بروح و ريحان و جنّه نعيم و ربّ غير غضبان.

ثمّ يزور آل محمّد سلام اللّه عليهم فى جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، و يشرب معهم من شرابهم، و يتحدّث معهم فى مجالسهم حتّى يقوم قائمنا فاذا قام قائمنا بعثهم اللّه تعالى فأقبلوا معه يلبّون زمرا زمرا و عند ذلك يرتاب المبطلون و يضمحلّ المحلّون و قليل ما يكونون هلكت المحاضرون و نجا المقرّون. «بون خ» من أجل ذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلىّ عليه السّلام أنت أخى و ميعاد ما بينى و بينك وادى السّلام.

قال عليه السّلام و إذا احتضر الكافر حضره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علىّ عليه السّلام و جبرئيل و ملك الموت فيدنو منه علىّ عليه السّلام فيقول: يا رسول اللّه إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه و يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا جبرئيل إنّ هذا كان يبغض اللّه و رسوله و أهل بيت رسوله فأبغضه، فيقول جبرئيل عليه السّلام: يا ملك الموت إنّ هذا كان يبغض اللّه و رسوله و أهل بيت رسوله فأبغضه و اعنف عليه.

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد اللّه أخذت فكاك رهانك و أمان براتك

تمسّكت بالعصمه الكبرى فى الحياه الدّنيا؟ فيقول: لا، فيقول: ابشر يا عدوّ اللّه بسخط اللّه عزّ و جلّ و عذابه و النّار، أمّا الذى كنت تحذر فقد نزل بک.

ثمّ يسلّ نفسه سلا عنيفا ثمّ يوكّل بروحه ثلاثمأه شيطان كلّهم يبزق فى وجهه و يتأذى بروحه فاذا وضع فى قبره فتح له باب من أبواب النّار فيدخل عليه من فيحها و لهبها.

و عن الهيثم بن واقد عن رجل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على رجل من أصحابه و هو يجود بنفسه فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: يا ملك الموت أرفق بصاحبى فانّه مؤمن، فقال: ابشر يا محمّد فانّى بكلّ مؤمن رفيق.

و اعلم يا محمّد أنّى اقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم فى ناحيه من دارهم فأقول ما هذا الجزع فو اللّه ما تعجلناه قبل أجله و ما كان لنا فى قبضه من ذنب فان تحتسبوه و تصبروا توجروا، و إن تجزعوا تأثموا و توزروا، و اعلموا أنّ لنافيكم عوده ثمّ عوده فالحذر ثم الحذر إنّه ليس فى شرقها و لا فى غربها أهل بيت مدر و لا وبر إلاّ و أنا أتصفّحهم فى كلّ يوم خمس مرّات و لأنا أعلم بصغيرهم و كبيرهم منهم بأنفسهم و لو أردت قبض روح بعوضه ما قدرت عليها حتّى يأمرنى ربّى بها.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: إنّما يتصفّحهم فى مواقيت الصّلاه فان كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و نحىّ عنه ملك الموت إبليس.

و عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الميّت إذا حضره الموت أو ثقه ملك الموت و لو لا ذلك ما استقرّ.

و أما التغسيل و التكفين

فقد ورد فى الرّوايات أن الرّوح بعد خروجه من الجسد يكون مطلاّ على الجسد و أنّه ليرى ما يفعل به.

و فى روايه اصبغ بن نباته أنّه يناشد الغاسل و يقول له عند تغسيله: باللّه عليك يا عبد اللّه رفقا بالبدن الضّعيف فو اللّه ما خرجت من عرق إلاّ انقطع، و لا من عضو إلاّ انصدع، فو اللّه لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميّتا أبدا.

و فی جامع الأخبار قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: فو الذی نفس محمّد بیده لو یرون مکانه و یسمعون کلامه لذهبوا عن میّتهم و لبکوا علی نفوسهم حتّی إذا حمل المیّت علی نعشه رفرف روحه فوق النّعش و هو ینادی: یا أهلی و یا ولدی لا تلعبن بکم الدّنیا کما لعبت بی، الحدیث هذا.

و فی الوسائل فی عدّه روایات الأمر باجاده الأکفان و المغالات فی أثمانها معلّلا بأنّ الموتی یبعثون بها و بأنّهم یتباهون بأکفانهم.

و فیه أنّ موسی بن جعفر علیهما السّلام کفن فی حبره استعملت له بمبلغ خمسمائه دینار علیها القرآن کلّه.

و فیه عن یونس بن یعقوب عن أبی الحسن الأوّل علیه السّلام قال: سمعته یقول:

إنّی کفنت أبی فی ثوبین شطویین کان یحرم فیهما و قمیص من قمصه و عمامه کانت لعلیّ بن الحسین علیهما السّلام و فی برد اشتریته بأربعین دینارا، و لو کان الیوم ساوی أربعمائه دینار.

و أما حالته اذا حمل علی سریره

فهو أنّه إن کان مؤمنا خرج روحه یمشی بین یدی القوم قدما و تلقاه أرواح المؤمنین و یبشّرونه بما أعدّ اللّه له جلّ ثناؤه من النّعیم.

و إن کان عدوّا اللّه سبحانه فهو کما ورد فی روایه الکلینیّ عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: إذا حمل عدوّ اللّه إلی قبره نادی حملته ألا تسمعون یا اخوتاه إنّی أشکو إلیکم ما وقع فیه أخوکم الشّقیّ إنّ عدوّ اللّه خدعنی فأوردنی ثمّ لم یصدرنی و أقسم لی أنّه ناصح لی فغشّنی و أشکو إلیکم دنیا غرّتنی حتّی إذا اطمأننت إلیها صرعتنی، و أشکو إلیکم أخلاّء الهوی منّونی ثمّ تبرّؤوا منّی و خذلونی، و أشکو إلیکم أولادا حمیت عنهم و آثرتهم علی نفسی فأکلوا مالی و أسلمونی.

و أشکو إلیکم مالا ضیّعت فیه حقّ اللّه سبحانه فکان و باله علیّ و کان نفعه لغیری، و أشکو إلیکم دارا أنفقت علیها حریبتی(۱) و صار سکّانها غیری

۱- (۱) حریبه الرجل ما یعیش به، ص

أشكو إليكم طول الثواء فى قبرى ينادى أنا بيت الدّود و أنا بيت الظلمه و الوحشه و الضّيق.

يا اخوتاه فاحبسونى ما استطعتم و احذروا مثل ما لقيت فانّى قد بشّرت بالنّار و بالذّل و الصّغار و غضب العزيز الجبّار، و احسرتاه على ما فرّطت فى جنب اللّه و يا طول عولناه فمالى من شفيع يطاع و لا صديق يرحمنى فلو أنّ لى كرّه فأكون من المؤمنين.

و فى روايه إنّ أبى جعفر عليه السّلام كان يبكى إذا ذكر هذا الحديث.

ثمّ إنّه إذا أتيت بالميّت إلى شفير قبره فأمهله ساعه فانّه يأخذ اهبته للسّؤال كما وردت روايه أبى الحسن موسى عليه السّلام.

و إذا حضر المؤمنون للصّلاه عليه و شهدوا له بالخير و الصّلاح فقد ورد فى الخبر انّ اللّه سبحانه يجيز شهادتهم و يكتبه عنده من الأخيار و إن كان فى علمه عزّ و جلّ من الأشرار.

قال الصّادق عليه السّلام: إذا حضر الميت أربعون رجلا فقالوا: اللّهم إنّا لا نعلم منه إلاّ خيرا، قال اللّه تعالى: قد قبلت شهادتكم له و غفرت له ما علمت ممّا لا تعلمون.

قال السيّد الجزايرى فى الأنوار النّعمانيه روى الشّيخ الكلينىّ قدّس اللّه روحه باسناده إلى الامام أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام قال:

كان فى بنى إسرائيل عابد فأوحى اللّه تعالى إلى داود على نبيّنا و عليه السّلام إنّه مرائى قال: ثمّ إنّه مات فلم يشهد جنازته داود، فقام أربعون من بنى إسرائيل فقالوا: اللهمّ إنا لا نعلم منه إلاّ خيرا و أنت أعلم به منّا فاغفر له «قال فلمّا غسل أتى إليه أربعون غير الأربعين و قالوا: اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلاّ خيرا فأنت أعلم به منّا فاغفر له خ ل» قال عليه السّلام فأوحى اللّه إلى داود: ما منعك أن تصلّى قال داود: للذى أخبرتنى به، قال: فأوحى اللّه إليه انّه قد شهد له قومه فأجزت شهادتهم و غفرت له و عملت ما لم تعلموا.

ص:۵۲

و اما حاله بعد وضعه فی قبره

ففی الحدیث إنّ الرّوح یدخل إلی حقویه و یسمع لفظ أیدی القوم من تراب قبره فعند ذلک ینظر یمینا و شمالا فلا یری إلّا ظلمات ثلاث: ظلمه الأرض، و ظلمه العمل، و ظلمه الوحشه فیا لها من داهیه عظیمه و رزیّه جسیمه، و أوّل ملک یدخل علیه یسمّی رومان فتان القبور، و فی روایه اصبغ بن نباته یسمّی متبّه.

قال السیّد الجزائری رحمه اللّه: روی عبد اللّه بن سلام أنّه قال: سألت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عن أوّل ملک یدخل فی القبر علی المیّت قبل منکر و نکیر، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ملک یتلألأ وجهه کالشّمس اسمه رمان(۱) یدخل علی المیّت ثمّ یقول له:

اکتب ما عملت من حسنه و من سیّئه، فیقول: بأیّ شیء أکتب؟ أین قلمی و دواتی و مدادی؟ فیقول له: ریقک مدادک و قلمک اصبعک، فیقول: علی أیّ شیء أکتب و لیس معی صحیفه؟ قال: صحیفتک کفنک فاکتبه فیکتب ما عمله فی الدّنیا خیرا.

فاذا بلغ سیئآته یستحی منه فیقول له الملک: یا خاطی ما تستحی من خالقک حین عملتها فی الدّنیا و تستحی الآن، فیرفع الملک العمود لیضربه فیقول العبد:

ارفع عنی حتّی أکتبها، فیکتب فیها جمیع حسناته و سیئاته ثمّ یأمره أن یطوی و یختم فیقول له: بأیّ شیء اختمه و لیس معی خاتم؟ فیقول له: اختمه بظفرک و علّقه فی عنقک إلی یوم القیامه کما قال تعالی:

«وَ کُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ کِتاباً یَلْقاهُ مَنْشُوراً » و فی روایه اخری أنّه یأتی إلی المیّت فیسمه فان عرف منه خیرا أخبر منکرا و نکیرا حتّی یرفقا به وقت السؤال، و إن عرف منه شرّا أخبرهما حتّی یشدّدا علیه الحال و العذاب.

و أما السؤال عنه

فقد علمت سابقا أنّه من ضروریّات الدّین و علیه اتّفاق المسلمین و فی

۱- (۱) رومان فی دعاء الصحیفه السجادیه بالواو قال السید علیخان فی شرحه هو من الروم بمعنی الطلب، و فی هذه الروایه و بعض الروایات الاخر رمان بدون الواو فافهم، منه.

الأخبار الكثيره أنّ للّه سبحانه ملكين يسمّى أحدهما منكرا و الآخر نكيرا و كلّ تعالى السؤال إليهما.

و فى بعض الرّوايات أنّهما بالنّسبه إلى المؤمن مبشّر و بشير، و بالنّسبه إلى الكافر منكر و نكير، لأنّهما يأتيان إلى المؤمن بصوره حسنه و يبشّرانه بالثواب و النّعيم، و يأتيان إلى الكافر و المخالف بصوره نكره مهيبه و يوعدانه بالعذاب و الجحيم.

روى فى الكافى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ المؤمن إذا اخرج من بيته شيّعته الملائكه إلى قبره و يزدحمون عليه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض مرحبا بك و أهلا- أما و اللّه لقد كنت احبّ أن يمشى علىّ مثلك لترينّ ما أصنع بك فيوسع له مدّ بصره و يدخل عليه ملكا القبر و هما قعيدا القبر منكر و نكير فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقعدانه و يسألانه فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: اللّه تعالى، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الاسلام، فيقولان: و من نبيّك؟ فيقول: محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيقولان: و من امامك؟ فيقول: فلان، قال: فينادى مناد من السّماء صدق عبدى افرشوا له فى قبره من الجنّه و افتحوا له فى قبره بابا إلى الجنّه و البسوه من ثياب الجنّه حتّى يأتينا و ما عندنا خير له، ثمّ يقال له: نم نومه عروس نم نومه لا حلم فيها.

قال عليه السّلام: و إن كان كافرا خرجت الملائكه شيّعته إلى قبره تلعنونه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحبا بك و لا- أهلا- أما و اللّه لقد كنت أبغض أن يمشى علىّ مثلك لا- جرم لترينّ ما أصنع بك اليوم، فتضيق عليه حتّى تلتقى جوانحه.

قال عليه السّلام: ثمّ يدخل عليه ملكا القبر و هما قعيدا القبر منكر و نكير.

قال أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن و الكافر فى صوره واحده؟ فقال عليه السّلام: لا.

ص:۵۴

قال فيقعدانه فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقولان له: من ربّک؟ فيتلجلج(۱) و يقول: قد سمعت النّاس يقولون، فيقولان له. لا دريت، و يقولان له: ما دينک؟ فيتلجلج فيقولان له: لادريت، و يقولان له من نبيّک؟ فيقول: قد سمعت النّاس يقولون فيقولان له: لادريت و يسأل عن إمام زمانه.

قال عليه السّلام و ينادى مناد من السّماء كذب عبدى افرشوا له فى قبره من النّار و افتحوا له بابا إلى النّار حتّى يأتينا و ما عندنا شرّ له فيضر بانه بمرزبه ثلاث ضربات ليس منها ضربه إلاّ و يتطاير منها قبره نارا لو ضرب بتلک المرزبه جبال تهامه لكانت رميما.

و قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: و يسلّط اللّه عليه فى قبره الحيّات تنهشه نهشا و الشّيطان يغمّه غمّا، قال و يسمع عذابه من خلق اللّه إلاّ الجنّ و الانس، و قال عليه السّلام إنّه ليسمع خفق نعالهم و نفض أيديهم و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ ما يَشاءُ ».

و عن إبراهيم بن أبى البلاد عن بعض أصحابه عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال:

يقال للمؤمن فى قبره: من ربّک؟ قال: فيقول: اللّه، فيقال له: ما دينک؟ فيقول:

الاسلام، فيقال: من نبيّک؟ فيقول: محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم، فيقال: من امامک؟ فيقول: فلان فيقال: كيف علمت بذلک؟ فيقول: أمر هدانى اللّه له و ثبّتنى عليه، فيقال له:

نم نومه لا حلم فيها نومه العروس، ثمّ يفتح له باب إلى الجنّه فيدخل إليه من روحها و ريحانها ليقول: يا ربّ عجّل قيام السّاعه لعلىّ أرجع إلى أهلى و مالى.

و يقال للكافر: من ربّک؟ فيقول: اللّه، فيقال: من نبيّک؟ فيقول: محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيقال: ما دينک؟ فيقول: الاسلام، فيقال: من أين علمت ذلک؟ فيقول: سمعت النّاس يقولون فقلته، فيضربانه بمرزبه لو اجتمع عليه الثّقلان الانس و الجنّ لم

۱- (۱) اى يتردد.

يطيقوها.

قال عليه السّلام فيذوب كما يذوب الرّصاص، ثمّ يعيدان فيه الرّوح فيوضع قلبه بين لوحين من نار فيقول. يا ربّ أخّر قيام السّاعه

و عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السّلام: قال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم: إنّى كنت أنظر إلى الابل و الغنم و أنا أرعاها و ليس من نبيّ إلاّ و قد رعى الغنم، و كنت أنظر إليها قبل النبوّه و هى متمكّنه فى «ممتليه من خ» المكينه ما حولها شيء يهيّجها حتّى تذعر فتطير فأقول ما هذا و أعجب، حتّى حدّثنى جبرئيل عليه السّلام أنّ الكافر يضرب ضربه ما خلق اللّه شيئا إلاّ سمعها و يذعر لها إلاّ الثّقلين فقلنا: ذلك لضربه الكافر، فنعوذ باللّه من عذاب القبر.

و عن بشير الدّهان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: يجىء الملكان منكر و نكير إلى الميّت حين يدفن أصواتهما كالرّعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف، يخطان الأرض بأنيابهما و يطآن فى شعورهما فيسألان الميّت من ربّك و ما دينك؟ قال عليه السّلام: فاذا كان مؤمنا قال: اللّه ربّى، و دينى الاسلام، فيقولان له: ما تقول فى هذا الرّجل الذى خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: أعن محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم تسألانى؟ فيقولان: تشهد أنّه رسول اللّه؟ فيقول: أشهد أنّه رسول اللّه، فيقولان له: نم نومه لا حلم فيها و يفسح له فى قبره تسعه أذرع و يفتح له باب إلى الجنّه و يرى مقعده فيها و إذا كان الرّجل كافرا دخلا عليه و أقيم الشّيطان بين يديه عيناه من نحاس فيقولان له: من ربّك و ما دينك؟ و ما تقول فى هذا الرّجل الذى خرج من بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدرى فيخلّيان بينه و بين الشّيطان، فيسلّط عليه فى قبره تسعه و تسعين تنينا لو أن تنينا واحدا منها نفخت فى الأرض ما أنبتت شجرا ابدا، و يفتح له بابا إلى النّار و يرى مقعده فيها.

و عن محمّد بن أحمد الخراسانى عن أبيه رفعه قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام يسأل الميّت فى قبره عن خمس، عن صلاته و زكاته و حجّه و صيامه و ولايته إيّانا أهل البيت

ص:۵۶

فتقول الولايه من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكنّ من نقص فعلىّ تمامه.

و فى الوسائل عن جابر بن يزيد عن أبى جعفر عليه السّلام ما على أحدكم إذا دفن ميّته و سوّى عليه و انصرف عن قبره أن يتخلّف عند قبره ثمّ يقول: يا فلان بن فلان أنت على العهد الذى عهدناك به من شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه و أنّ عليّا أمير المؤمنين إمامك، و فلان و فلان حتّى يأتى آخرهم، فانّه إذا فعل ذلك قال أحد الملكين لصاحبه: قد كفينا الوصول إليه و مسألتنا إيّاه فانّه قد لقّن حجّته فينصرفان عنه و لا يدخلان إليه.

و فيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ينبغى أن يتخلّف عند قبر الميّت أولى النّاس به بعد انصراف عنه و يقبض على التّراب بكفّيه و يلقّنه برفيع صوته، فاذا فعل ذلك كفى الميّت المسأله فى قبره.

و فى الكافى باسناده عن أبى بكر الحضرمى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: لا يسأل فى القبر إلاّ من محض الايمان محضا أو محض الكفر محضا و الآخرون يلهون عنه.

و نحوه أخبار أخر فيه عنه عليه السّلام، و ظاهر الكلينىّ كالصّدوق هو الأخذ بظواهر هذه الأخبار لروايتهما لها من غير تمرّض لتأويلها، و قد حكى ذلك عن الشّيخ البهائى (ره).

و قال الشّهيد (ره) فى محكىّ كلامه: إنّ هذا الخبر محمول على سؤال خاصّ ليوافق الأخبار العامّه فى سؤال القبر و قال السيّد الجزايرى رحمه اللّه و يمكن أن يراد بالملهوّ عنهم الذين وردت الأخبار فى شأنهم أنّهم يكلّفون يوم القيامه بأن تؤجّج لهم نار فيؤمروا بالدّخول فيها مثل البله و المجانين و من كان فى فطرات «فترات ظ» الأنبياء و الشّيخ الفانى و العجوز الفانيه و نحوهم، و هؤلاء لم يمحضوا الايمان و هو ظاهر، و لم يمحضوا الكفر أيضا لقصورهم عن ورود الموردين فيبقون على حالتهم فى قبورهم حتّى يمنحهم اللّه سبحانه فى القيامه قوّه إدراك التّكاليف و العقل القابل له.

و أما ضغطه القبر و ضمته

ففى الكافى باسناده عن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما من موضع قبر إلّا و هو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التّراب أنا بيت البلاء أنا بيت الدّود، قال عليه السّلام فاذا دخله عبد مؤمن قال: مرحبا و أهلا أما و اللّه لقد كنت احبّك و أنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطنى فسترى ذلك.

قال عليه السّلام: فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنّه، قال عليه السّلام: و يخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئا قطّ أحسن منه فيقول: يا عبد اللّه ما رأيت شيئا قطّ أحسن منك فيقول: أنا رأيك الحسن الذى كنت عليه و عملك الصالح الذى كنت تعمله.

قال عليه السّلام: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع فى الجنّه حيث رأى منزله، ثمّ يقال له:

نم قرير العين فلا تزال نفحه من الجنّه تصيب جسده و يجد لذّتها و طيبها حتّى يبعث.

قال عليه السّلام: و إذا دخل الكافر قبره قالت: لا مرحبا بك و لا أهلا أما و اللّه لقد كنت ابغضك و أنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطنى سترى ذلك.

قال: فتضمّ عليه فتجعله رميما و يعاد كما كان و يفتح له باب إلى النّار فيرى مقعده من النّار، ثمّ قال: ثمّ انّه يخرج منه رجل أقبح من رأى قطّ قال: فيقول يا عبد اللّه من أنت ما رأيت شيئا أقبح منك، قال: فيقول: أنا عملك السيّىء الذى كنت تعمله و رأيك الخبيث.

قال ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النّار، ثمّ لم تزل نفحه من النّار تصيب جسده فيجد ألمها و حرّها فى جسده إلى يوم يبعث، و يسلّط اللّه على روحه تسعه و تسعين تنّينا تنهشه ليس فيها تنّين ينفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئا.

و هذه الضّغطه هى التى ضمنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لفاطمه بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السّلام.

و قد روى أنّه لمّا حفر لها قبر اضطجع فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقيل له صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى ذلك فقال: إنّى ذكرت ضغطه القبر عندها يوما و ذكرت شدّتها فقالت: و اضعفاه

لیس لی طاقه علیها فقلت لها: إنّی أضمن لک علی اللّه فاضطجعت فی قبرها لذلک.

و فی الکافی عن أبی بصیر قال: قلت: لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أ یفلت من ضغطه القبر أحد؟ قال: فقال علیه السّلام: نعوذ باللّه منها ما أقلّ من یفلت من ضغطه القبر، إنّ رقیّه لمّا قتلها عثمان وقف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی قبرها فرفع رأسه إلی السّماء فدمعت عیناه و قال للنّاس: ذکرت هذه و ما لقیت فرققت لها و استوهبتها من ضمّه القبر، قال:

فقال: اللّهمّ هب لی رقیّه من ضمّه القبر فوهبها اللّه له.

قال علیه السّلام و إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خرج فی جنازه سعد و قد شیّعه سبعون ألف ملک فرفع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رأسه إلی السّماء ثمّ قال: مثل سعد یضمّ؟ قال: قلت جعلت فداک: إنا نحدّث أنّه کان یستخفّ بالبول، فقال علیه السّلام: معاذ اللّه إنّما کان من زعاره(۱) فی خلقه علی أهله قال: فقالت أمّ سعد هنیئا لک یا سعد، قال: فقال لها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا امّ سعد لا تحتمی علی اللّه.

و عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: یسأل و هو مضغوط.

قال المحدّث المجلسی «ره» فی حقّ الیقین: یفهم من الأحادیث المعتبره أنّ ضغطه القبر للبدن الأصلی و أنّها تابعه للسؤال، فمن لا سؤال عنه لا ضغطه له و فیه عن الصّدوق عن الصّادق علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنّ ضغطه القبر للمؤمن کفّاره عمّا صدر عنه من تضییع نعم اللّه سبحانه.

و فی الکافی عن یونس قال: سألته عن المصلوب یعذّب عذاب القبر؟ قال:

فقال: نعم إنّ اللّه عزّ و جلّ یأمر الهواء أن یضغطه.

و فی روایه اخری سئل أبو عبد اللّه علیه السّلام عن المصلوب یصیبه عذاب القبر، فقال علیه السّلام: إنّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء فیوحی اللّه عزّ و جلّ إلی الهواء فیضغطه ضغطه هو أشدّ من ضغطه القبر.

و فیه فی روایه أبی بصیر التی تقدّم صدرها فی ذکر حاله الاحتضار عن أبی

۱- (۱) زعاره بد خوی شدن کنز.

عبد اللّه عليه السّلام، فاذا ادرج فى أكفانه و وضع على سريره خرجت روحه تمشى بين أيدى القوم قدما و تلقاه أرواح المؤمن و يبشّرونه بما أعدّ اللّه له جلّ ثناؤه من النّعيم، فاذا وضع فى قبره ردّ إليه الرّوح إلى و ركيه ثمّ يسأل عمّا يعلم فاذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذى أراه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فيدخل عليه من نورها و بردها و طيب ريحها.

قال: قلت جعلت فداك فأين ضغطه القبر؟ فقال عليه السّلام: هيهات ما على المؤمنين منها شىء و اللّه إنّ هذه الأرض لتفتخر على هذه فيقول: وطىء على ظهرى مؤمن و لم يطاء على ظهرك مؤمن، و اللّه لقد كنت احبّك و أنت تمشى على ظهرى فأما إذا وليتك فستعلم ما ذا أصنع بك فتفسح له مدّ بصره، هذا.

و فى الحقّ اليقين بعد ايراده الأخبار الوارده فى الضغطه ممّا قدّمنا روايتها و ما لم يتقدّم قال: و الجمع بين هذه الأخبار فى غايه الاشكال إذ لو حملنا المؤمن فيها على المؤمن الكامل فأىّ كامل أكمل من فاطمه بنت أسد و رقيّه ابنه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و سعد بن معاذ.

اللّهمّ إلاّ أن يحمل ما فى فاطمه و رقيّه على الاحتياط و الاطمينان و حصول الاضطجاع و الدّعاء أو يقال المراد بالمؤمن المعصوم و من يتلو مرتبه العصمه كسلمان و أبى ذر و نظرائهما، و يمكن حمل أخبار عدم الضغطه للمؤمن على عدم الضّغطه الشّديده أو حمل أخبار عدم الضّغطه له على ما تكون على وجه الغضب، و ما تدلّ عليها على ما تكون على وجه اللطف و ليكون قابلا لدخول الجنّه كما أنّ ابتلاءه بمحن الدّنيا و بلاياها كان لذلك.

و يمكن أن يقال: إنّها كانت فى صدر الاسلام عامّه للمؤمن و غيره، ثمّ اختصّت بغيرهم بشفاعه الرّسول و الأئمه صلوات اللّه و سلامه عليه و عليهم هذا.

و بقى الكلام فيما يوجب ارتفاع الضّغطه و الأمن من بعض عقوبات البرزخ و هى امور كثيره.

منها رشّ الماء على القبر فقد روى فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال:

يتجافى عنه العذاب ما دام النّدى فى التّراب.

و منها الجريدتان ففى الوسائل عن الصّدوق باسناده إلى زراره قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أرأيت الميّت إذا مات لم تجعل معه الجريدتان؟ فقال عليه السّلام يتجافى عنه العذاب أو الحساب ما دام العود رطبا إنّما العذاب و الحساب كلّه فى يوم واحد فى ساعه واحده قدر ما يدخل القبر و يرجع القوم و إنّما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب و لا حساب بعد جفوفهما إنشاء اللّه.

و منها الوفاه ليله الجمعه أو يومها ففى الأنوار للسيّد الجزائرى رحمه اللّه قد ورد فى الأخبار المعتبره، أنّ من مات من المؤمنين ليله الجمعه أو يومها أمن من ضغطه القبر، قال «ره» و ربّما ورد أنّ بعض أعمال البرّ و الأدعيه المأثوره تدفعها أيضا، و هو ليس ببعيد فانّ رحمه اللّه قريب من المحسنين.

و منها الدّفن فى وادى السّلام فقد روى فى الأنوار أيضا من كتاب إرشاد القلوب فى فضل المشهد الشّريف الغروى و ما لتربته و الدّفن فيها من المزيّه و الشّرف.

روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: الغرى قطعه من الجبل الذى كلّم اللّه موسى عليه تكليما، و قدّس عليه تقديسا و اتّخذ عليه إبراهيم خليلا، و محمّدا صلّى اللّه عليه و آله حبيبا و جعله للنّبيّين مسكنا.

و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام نظر إلى ظهر الكوفه فقال: ما أحسن منظرك و أطيب قعرك، اللّهمّ اجعل قبرى بها.

قال: و من خواصّ تربته اسقاط عذاب القبر و ترك محاسبه منكر و نكير من المدفون هناك كما وردت به الأخبار الصّحيحه عن أهل البيت عليهم السّلام.

أقول: و نظير ما رواه عن أمير المؤمنين عليه السّلام ما رواه فى الكافى عن حبّه العرنى قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الظهر فوقف بوادى السّلام كأنّه مخاطب

لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالنى مثل ما نالنى أوّلا، ثمّ جلست حتّى مللت.

ثمّ قمت و جمعت ردائى فقلت يا أمير المؤمنين إنّى قد أشفقت عليك من طول القيام فراحه ساعه، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه. فقال لى: يا حبه إن هو إلاّ محادثه مؤمن أو مؤانسته قال: قلت: يا أمير المؤمنين و إنّهم كذلك؟ قال: نعم، و لو كشف لرأيتهم حلقا حلقا محتبين يتحادثون، فقلت: أجساد أم أرواح؟ فقال لى: أرواح و ما من مؤمن يموت فى بقعه من بقاع الأرض إلاّ قيل: ألحقى بوادى السّلام و إنّها لبقعه من جنّه عدن.

و المستفاد من هذه الرّوايه و كثير من الأخبار المعتبره أنّها جنّه الدّنيا و أنّ أرواح المؤمنين فيها كما أنّ أرواح الكفّار فى بئر البرهوت.

فقد روى فى الكافى عن أحمد بن عمر رفعه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: إنّ أخى ببغداد و أخاف أن يموت بها، فقال عليه السّلام: ما يبالى حيث ما مات أما أنّه لا يبقى فى شرق الأرض و غربها إلاّ حشر اللّه روحه إلى وادى السّلام، قال:

قلت له: و أين وادى السّلام؟ قال عليه السّلام: ظهر الكوفه أما أنّى كأنّى بهم حلق حلق قعود يتحدّثون.

و عن محمّد بن أحمد باسناد له قال قال أمير المؤمنين عليه السّلام: شرّ بئر فى النّار البرهوت الّذى فيه أرواح الكفّار.

و عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، و هو واد بحضر موت ترد عليه هام الكفّار.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و لا حاجه إلى ذكرها نعم فى المقام خبر يستلذّ النّفس و يسرّ القلب به و هو ما رواه فى الأنوار عن القاضى بن بدر الهمدانى الكوفى و كان رجلا صالحا متعبّدا.

قال: كنت فى جامع الكوفه ذات ليله مطيره فدقّ باب مسلم جماعه ففتح لهم و ذكر بعضهم أنّ معهم جنازه فأدخلوها و جعلوها على الصّفه التى تجاه باب

مسلم بن عقيل، ثمّ إنّ أحدهم نعس فنام فرأى فى منامه قائلا يقول لآخر: ما تبصره حتّى نبصر هل لنا معه حساب أم لا، فكشف عن وجه الميّت و قال لصاحبه بل لنا معه حساب و ينبغى أن نأخذه معجّلا قبل أن يتعدّى الرّصافه فما يبقى لنا معه طريق.

فانتبه و حكى لهم المنام و قال: خذوه عجلا ـ فأخذوه و مضوا به فى الحال إلى المشهد الشّريف صلوات اللّه و سلامه على مشرّفها.

أقول: رزقنا اللّه سبحانه و إخوانى المؤمنين مجاوره حضرت مولاى و مولى العالمين عليه الصّلاه و السّلام حيّا و ميّتا، و أنا أوصى خليفتى و وليّ أمرى بعدى أن يدفننى فى ذلك المقام الشّريف.

و أقول له:

إذا متّ فادفنّى إلى جنب حيدر أبى شبر أكرم به و شبير

فلست أخاف النّار عند جواره و لا أتّقى من منكر و نكير

فعار على حامى الحمى و هو فى الحمى إذا ضلّ فى البيدا عقال بعير

ثم أقول له:

ولايتى لأمير النّحل تكفينى عند الممات و تغسيلى و تكفينى

و طينتى عجنت من قبل تكوينى بحبّ حيدر كيف النّار تكوينى

ثم اناجى ربى و أقول:

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات و القلب السليم

فحمل الزّاد أقبح كلّ شيء إذا كان الوفود على الكريم

الترجمه

و بعض ديگر از اين خطبهٔ شريفه در صفت خلقت انسانست كه مى فرمايد: آيا ياد آورى نمايم شما را باين انسانى كه ايجاد فرمود او را صانع حكيم در ظلمتهاى رحمها و در غلافهاى پرده ها در حالتى كه نطفهٔ بود ريخته شده و علقهٔ ناقص گشته و بچهٔ پنهان در شكم زنان و طفل شيرخواره و از شير بازگرفته و بسنّ احتلام رسيده.

ص:۶۳

پس از آن عطا فرمود او را قلب حفظ كننده، و زبان گوينده، و ديدهٔ نگرنده تا فهم كند در حالتى كه عبرت گيرنده باشد و باز ايستد از معصيت در حالتى كه نفس خود را زجر كننده شود، تا اين كه قايم شد حدّ اعتدال او، و راست شد پيكر و مثال او، رميد و نفرت نمود از حق در حالتى كه گردن كش بود، و خبط كرد در حالتى كه بى باك بود.

آب كشنده بود در دلو بزرگ هوس و هواى خود، رنج كشنده بود و سعى كننده از براى دنياى خود در لذّتهاى شاديش و در حاجتهاى خطور كنندهٔ قلب خويش در حالتى كه گمان نمى نمود مصيبتى كه برسد باو، و نمى ترسيد از محذورى كه وارد شود باو پس مرد در ضلالت خود در حالتى كه غافل بود از غضب مالك الملك، و زندگانى كرد در لغزيدن خود در زمان اندك.

كسب ننمود عوض نعمتها را در دنيا، و بجا نياورد فرايض لازمهٔ برخود را، هجوم آور شد بر او اندوههاى مرگ در بقاياى سوارى او بر هواى خود، و در راههاى سرور و شادى خود، پس متحيّر گشت و شب را بر بيدارى بروز آورد در شدّتهاى دردها و نازل شده هاى المها و بيماريها در ميان برادر كه شقّه ايست از جان و پدر مهربان و مادر و اويلا گوينده از روى جزع و خواهر بسينه زننده از روى اضطراب و فزع و حال آنكه آن مرد در سكرات موتست مشتمله بر تعب و شدت، و در غمرات مرگست متّصفه با نهايت مشقّت، و در نالهاى درد آورنده، و در كشش روح اندوه آورنده، و راندن رنجاننده.

پس پيچيده شد در كفنهاى خود در حالتى كه مأيوس بود و حزين، و كشيده شد در حالتى كه اطاعت كننده بود آسان و ليّن، پس انداخته شد در چوبهاى نعش مثل شتر مردّد در اسفار، و همچو شتر لاغر از كثرت بار، در حالتى كه بردارند او را فرزندان يارى دهنده، و برادران جمع شونده بسوى قبر كه سراى غربت اوست و جاى بريدن زيارت از اوست. «ج ۴»

ص:۶۴

تا آنکه چون رجوع کند تشییع کننده و بر می گردد اندوه خورنده نشانده می شود در قبر در حالتی که راز گوینده باشد از جهه بهت و حیرتی که حاصل می شود او را از سؤال، و بجهه لغزش در امتحانی که او راست در عقاید و اعمال، و بزرگترین چیزی که آن جاست از حیثیت بلا پیشکش آب گرم و جوشانست، و در آوردن اوست در آتش سوزان، و جوششهای آتش سرخ شده، و شدّتهای صدای نار موقده.

نیست آنجا سستی که راحت کننده از عذاب باشد، و نه آرمیدنی که زایل کنندهٔ عقاب باشد، و نه مرگ حاضر که باعث استراحت او شود، و نه خواب اندک که سبب فراموشی زحمت او گردد، بلکه همیشه در میان أنواع مرگ ها باشد، و در میان عذابهای ساعت بساعت، بدرستی که پناه می بریم بخدا از این عذاب و عنا.

الفصل الثامن

اشاره

عباد اللّه، أين الّذين عمّروا فنعموا، و علّموا ففهموا، و أنظروا فلهوا، و سلّموا فنسوا، أمهلوا طويلا، و منحوا جميلا، و حذّروا أليما، و وعدوا جسيما، أحذروا الذّنوب المورطه، و العيوب المسخطه، أولى الأبصار و الأسماع، و العافيه و المتاع، هل من مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو فرار أو محار، أم لا فأنّى تؤفكون، أم أين تصرفون، أم بماذا تغترّون، و إنّما حظّ أحدكم من الأرض، ذات الطّول و العرض، قيد قدّه، منعفرا على خدّه، الان عباد اللّه و الخناق مهمل، و الرّوح مرسل، فى فينه الإرشاد، و راحه الأجساد، و باحه

الاحتشاد، و مهل البقيّه، و أنف المشيّه، و إنظار التّوبه، و انفساح الحوبه، قبل الضّنك و المضيق، و الرّوع و الزّهوق، و قبل قدوم الغائب المنتظر، و أخذه العزيز المقتدر.

قال السّيّد (ره) و فى الخبر أنّه عليه السّلام لمّا خطب بهذه الخطبه اقشعرّت لها الجلود و بكت العيون و رجفت القلوب، و من النّاس من يسمّى هذه الخطبه الغرّاء.

اللغه

(احذروا) أمر من حذر بالكسر من باب علم و (الورطه) الهلكه و أرض مطمئنّه لا طريق فيها و أورطه ألقاه فيها و (المناص) الملجأ و (المحار) المرجع من حار يحور أى رجع قال تعالى:

«إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ » و (أفك) من باب ضرب و علم أفكا بالفتح و الكسر و التّحريك كذب و افكه عنه يأفكه صرفه و قلبه أو قلب رأيه و (القيد) كالقاد المقدار و (المعفر) محرّكه التّراب و عفره فى التّراب يعفره من باب ضرب و عفّره فانعفر و تعفّر مرّغه فيه أودسّه و(الخناق)ككتاب حبل يخنق به و يقال أخذ بخناقه أى بحلقه لأنّه موضع الخناق فاطلق عليه مجازا و (فينه) السّاعه و الحين يقال لقيته الفينه بعد الفينه و قد يحذف اللّام و يقال لقيته فينه بعد فينه.

و فى بعض النّسخ الارتياد بدل (الارشاد) و هو الطّلب و (الباحه) السّاحه و الفضاء و (الاحتشاد) الاجتماع و (انف) الشىء بضمّتين أوّله و (الانفساح) من الفسحه و هو السّعه و (الحوبه) الحاله و الحاجه و (و الضّنك) و الضّيق بمعنى واحد و (المضيق) ما ضاق من المكان و المراد هنا القبر و (الرّوع) الفزع و (زهق) نفسه من باب منع و سمع زهوقا خرجت و زهق الشىء بطل و هلك.

و «اقشعرّ جلده» أخذته قشعريره أى رعده و «رجفت القلوب» اضطربت

ص:۶۶

و «الخطبه الغرّاء» بالغين المعجمه أى المتّصفه بالغرّه قال فى القاموس: و الغرّه من المتاع خياره و من القوم شريفهم و من الرّجل وجهه و كلّ ما بدا لک من ضوء أو صبح فقد بدت غرّته.

الاعراب

قوله عباد اللّه منصوب على النّداء بحذف حرفه، و كذلک قوله عليه السّلام: اولى الأبصار، و قوله: هل من مناص استفهام على سبيل الانكار و الابطال، و أم فى قوله أم لا منقطعه بمعنى بل فهى مثل أم فى قوله:

«هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ » و الشّاهد فى الثّانيه فانّه سبحانه بعد إبطال استواء الأعمى و البصير و الظلمات و النّور أضرب عن ذلک و أخبر عن حالهم بأنّهم جعلوا للّه شركاء، و كذلک الامام عليه السّلام بعد إنكار المناص و الخلاص و إبطاله أضرب عن ذلک و أخبر بأنّه ليس هناک مناص و لا خلاص.

و قوله: فأنّى تؤفكون، أنّى بمعنى كيف أو بمعنى أين و من مقدّره قبلها أى من أين تؤفكون، صرّح به نجم الأئمه الرّضى فى مبحث الظروف من شرح الكافيه، و ذا فى قوله أم بماذا تغترون إمّا زايده و هو الأظهر أو بمعنى الذى كما فى ما ذا لقيت، و منعفرا حال من الضّمير فى قدّه.

و قوله: الآن من ظروف الزّمان مبنىّ على الفتح و اختلفوا فى علّه البناء و الأظهر ما قاله أبو علىّ من أنّه متضمّن لمعنى ال الحضورى لأنّ معناه الزّمن الحاضر، و اللاّم فيه زايده لازمه و ليست للتّعريف كما توهّم السّيرافى و ابن عصفور إذ لا تعرف انّ التى للتّعريف تكون لازمه و هذه لازمه لأنّ الآن لم يسمع مجرّدا عنها، و كيف فهو مفعول فيه و العامل محذوف، و التّقدير اعملوا و اغتنموا الفرصه الآن.

ص:٦٧

و جمله و الخناق مهمل، فى محلّ الانتصاب على الحال من عباد اللّه و العامل النّداء المحذوف لكونه فى معنى الفعل، و اللام فى الخناق عوض عن المضاف إليه أى خناقكم على حدّ و علّم آدم الأسماء، أى أسماء المسمّيات، و كذا فى الرّوح و قوله فى فينه الارشاد، متعلّق بقوله مرسل و فى للظرفيه المجازيّه، و قيل الضنك ظرف للفعل المحذوف الذى جعلناه العامل فى الآن.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للتذكير بحال السّلف و للأمر بالكفّ عن المعاصى و للحثّ على التّدارك للذنوب قبل الموت بتحصيل التوبه و الانابه و هو قوله:

(عباد اللّه أين الذين عمّروا فنعموا) أى أعطاهم اللّه العمر فصاروا ناعمين أى صاحبى سعه فى العيش و الغذاء (و علّموا ففهموا) أى علّمهم الأحكام ففهموا الحلال و الحرام (و أنظروا) فى مدّه الأجل (فلهوا) بطول الأمل (و سلّموا) فى العاجله (فنسوا) العاجله (أمهلوا) زمانا (طويلا) و أمدا بعيدا (و منحوا) عطاء (جميلا) و عيشا رغيدا (و حذروا عذابا أليما) و جحيما (و وعدوا) ثوابا (جسيما) و عظيما (احذروا الذنوب المورطه) أى المعاصى الموقعه فى ورطه الهلاكه و العقاب (و العيوب المسخطه) أى المساوى الموجبه لغضب ربّ الأرباب.

(أولى الأبصار و الأسماع و العافيه و المتاع) و إنّما خصّ هؤلاء بالنّداء و خصّصهم بالخطاب لأنهم القابلون للاتعاظ و الاذكار و اللائقون للانتهار و الانزجار بما أعطاهم اللّه من الأبصار و البصاير منحهم من الأسماع و الضمائر و بذل لهم من الصّحّه و السّلامه فى الأجساد و منّ به عليهم من المتاع و الأموال و الأولاد الموجبه للاعراض عن العقبا و الرّغبه إلى الدّنيا و الباعثه على ترك سبيل الرّحمن و سلوك سبيل الشّيطان و الداعيه إلى ترك الطّاعات و الاقتحام فى الهلكات.

ثمّ استفهم على سبيل التكذيب و الانكار بقوله:(هل من مناص) من العذاب (أو خلاص) من العقاب (أو معاذ) من الوبال (أو ملاذ) من النكال (أو فرار) من الحميم (أو محار) من الجحيم (أم لا و ليس فانّى تؤفكون) و تنقلبون (أم أين

تصرفون) و تلفتون (أم بماذا تغترّون) و تفتنون (و انّما حظّ أحدكم من الأرض) الغبراء (ذات الطول و العرض) و الارجاء (قيد قدّه) و قامته (منعفرا على خدّه) و وجنته.

اعملوا (الآن) و اغتنموا الفرصه فيهذا الزّمان يا (عباد اللّه و الخناق مهمل و الرّوح مرسل) أى أعناق نفوسكم مهمله من الأخذ بخناق الموت و أرواحكم متروكه من الجذب بحبال الفناء و الفوت (فى فينه الارشاد) و الهدايه إلى الجنان (و راحه الاجساد) و استراحه الأبدان (و باحه الاحتشاد) أى ساحه اجتماع الأشباه و الاقران (و مهل البقيه و انف المشيّه) أى مهمله بقيّه الحياه و أوّل أزمنه الارادات.

و أشار بذلك إلى أنّ اللاّزم على الانسان أن يجعل أوّل زمان إرادته و ميل خاطره إلى اكتساب الفضائل و اجتناب الرّذايل و يكون همّته يومئذ مصروفه فى اتيان الطاعات و اقتناء الحسنات ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات و اردا على لوح صاف من الكدورات سالم عن رين الشّبهات إذ لو انعكس الأمر و جعل أوائل ميوله و إرادته منصرفه إلى اتيان المعاصى و الخطيئات تسوّد وجه نفسه بسوء الملكات فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضائه بنور الحقّ و الاهتداء إلى الخيرات.

(و انظار التّوبه و انفساح الحوبه) أراد به إمهال اللّه لهم لأجل تحصيل التوبه و إعطائه لهم اتساع الحاله و وسعه المجال لاكتساب الحسنات الأعمال (قبل الضّنك و المضيق) أى قبل ضيق الزّمان و مضيق المكان (و الرّوع و الزّهوق) أى الفزع و خروج الرّوح من الأبدان (و قبل قدوم) الموت الذى هو (الغائب المنتظر و أخذه) الذى هو (العزيز) الغالب (المقتدر) فانّه إذا قدم الموت بطل التكليف و استحال تدارك الذنوب و لا ينفع النّدامه.

و لذلك قال أبو جعفر عليه السّلام: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الموت الموت ألا و لا بدّ من الموت، جاء الموت بما فيه جاء بالرّوح و الرّاحه و الكرّه المباركه إلى جنّه عاليه لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم و فيها رغبتهم، و جاء الموت بما فيه

بالشّقوه و النّدامه و الكرّه الخاسره إلی نار حامیه لأهل دار الغرور الذین کان لها سعیهم و فیها رغبتهم.

ثمّ قال: و قال إذا استحقّت ولایه اللّه و السّعاده جاء الأجل بین العینین و ذهب الأمل وراء الظهر، و إذا استحقت ولایه الشّیطان جاء الأمل بین العینین و ذهب الأجل وراء الظهر.

قال علیه السّلام: و سئل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أیّ المؤمنین أکیس؟ فقال: أکثرهم ذکرا للموت و أشدّهم له استعدادا.

قال السّید (ره) و فی الخبر أنّه لمّا خطب بهذه الخطبه اقشعرّت لها الجلود و ارعدت و بکت العیون و اسکبت (۱)و رجفت القلوب و اضطربت و من النّاس من یسمّی هذه الخطبه الغرّاء.

أقول: و هی حقیقه بهذه التسمیه لکونها من خیار خطبه و شرایفها و وجوهها لما تضمّنه معناها من الحکمه و الموعظه الحسنه و هی کافیه فی الهدایه و الارشاد للطّالب الرّاغب إلی الثّواب و وافیه فی مقام التحذیر و الانذار للهارب الرّاهب من العقاب.

و لما اشتملت علیه الفاظها من انواع المحسّنات البیانیّه و البدیعیّه من الانسجاء و الترصیع و التنجیس و السّجع و المقابله و الموازنه و المجاز و الاستعاره و الکنایه و غیرها.

و ناهیک حسنا قوله علیه السّلام فی هذا الفصل: هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار، و قوله فی الفصل الرّابع، فاتقوا اللّه تقیّه من سمع فخشع و اقترف فاعترف و وجل فعمل إلی آخر ما قاله.

فانّک إذا لاحظت کلّ لفظه منها وجدتها آخذه برقبه قرینتها، جاذبه لها إلیها دالّه علیها بذاتها و محسّنات کلامه غنیّه عن الاظهار غیر محتاجه إلی التّذکار إذ تکلّف الاستدلال علی أنّ الشّمس مضیئه یتعب و صاحبه ینسب إلی

۱- (۱) ای اسکبت الدموع

السّفه و ليس جاحدا لأمور المعلومه بالضّروره بأشدّ سفها ممّن رام الاستدلال عليها

تكمله

اعلم أنّ بعض فصول هـذه الخطبه مرویّ فی البحار من کتاب عیون الحکمه و المواعظ لعلیّ بن محمّد الواسـطی باختلاف یسـیر لمـا هنا، و هو من الفصل الخامس إلی آخرها و لا حاجه لنا إلی ایراده نعم روی کلام آخر له علیه السّـلام فیه من الکتاب الـذی اشرنا إلیه بعض فصول هذه الخطبه مدرّج فیه و أحببت ایراده لاقتضاء المقام ذلک.

قـال (ره) و من کلاـم له علیه السّـلام إنّکم مخلوقون اقتـدارا، و مربوبون ایتسـارا إلی آخر مـا یـأتی إنشـاء اللّه فی تکمله الشّـرح الخطبه المأتین و الرّابعه و العشرین

الترجمه

أی بنـدگان خـدا کجایند آن کسانیکه معمّر شدند پس منعم شدند بناز و نعمت، و تعلیم شدند پس فهمیدند بذکاء و فطنت، و مهلت داده شدنـد پس غفلت ورزیدند از طاعات، و سالم گردانیده شدند پس فراموشـی اختیار کردند بر تذکیرات حذر نمائید از ذنوبی که می اندازد بورطهٔ هلاکت، و از عیوبی که باعث می شود بخشم حضرت عزّت.

ای صاحبان دیـده های بینا و گوشـهای شـنوا و خداونـدان سـلامتی و متاع دنیا آیا هیچ پناه گاهی هست از عذاب، یا خلاصـی هست از عقـاب، یا هیـچ ملجائی هست از شـدّت، یا ملاذی هست از عقوبت، یا هیـچ گریزی هست از آتش جحیم، یا مرجعی هست از عـذاب ألیم، یا این که چاره و علاج نیست و مفرّ و مناص نه؟ پس چگونه گردانیـده می شویـد از فرمان خـدا، یا کجا صرف کرده می شوید یا بچه چیز مغرور می باشـید و جز این نیست که نصـیب هر یکی از شما از زمینی که صاحب طولست و عرض مقدار قامت اوست در حالتی که خاک آلوده باشد بر رخسار خود.

عمل بکنید و فرصت غنیمت شمارید الآن ای بندگان خدا و حال آنکه

آن چیزی که بآن أخذ کرده می شود گردنهای نفوس شما که مرگست واگذاشته شده است، و روحهای شما ترک کرده شده است در ساعت رشادت یعنی کسب کردن چیزهائی که باعث رشد است و در راحت بدنها و در مهلت بقیۀ حیاه و در اوّل ازمنۀ ارادات و در مهلت دادن بجهت تحصیل توبه و در وسعت و فراخی حالت پیش از زمان کوتاه و مکان تنک، و قبل از ترس و رفتن جان از بدن و پیش از آمدن غایب انتظار کشیده شده که عبارتست از موت، و پیش از اخذ نمودن خدای غالب صاحب قدرت او را در سلسله عقوبت.

قال الشارح عفى اللّه عنه: و لیکن هذا آخر ما أردنا ایراده فی هذا المجلّد و هو المجلّد الثّانی(۱) من مجلّدات منهاج البراعه فی شرح النّهج، و یتلوه إنشاء اللّه المجلّد الثّالث إن ساعدنا الوقت و المجال بتوفیق اللّه الملک المتعال، و هذه هی النسخه الأصل التی کتبتها بیمینی و أرجو من اللّه سبحانه أن یثبتها فی صحایف أعمالی و یرجّح بها میزان حسناتی و أن یؤتیها بیمینی کما أملیتها بیمینی إنّه علی کلّ شیء قدیر و بالاجابه جدیر، و کان الفراغ منه فی فجر العشرین من شهر ربیع الآخر ۱۳۰۳.

بسم اللّه الرحمن الرحیم و به نستعین الحمد للّه الذی هدانا لهذا و ما کنّا لنهتدی لو لا أن هدانا اللّه، و الصّلاه و السّلام علی عبده و رسوله محمّد حبیب اللّه، و علی آله الذین فضّلهم علی العالمین و جعلهم أفضل عبدا اللّه و اختصّهم بالامامه و الولایه فصاروا أئمه الدّین و أولیاء اللّه، و أهل بیته الذین أذهب اللّه عنهم الرّجس و طهّرهم تطهیرا، و لعنه اللّه علی أعدائهم الذین جعل مأواهم جهنّم لهم فیها زفیر و شهیق و سائت مقاما و مصیرا.

و بعد فهذا هو المجلّد الثالث من مجلّدات منهاج البراعه املاء راجی عفو ربّه الغنیّ «حبیب الله بن محمد بن هاشم الهاشمی العلوی الموسوی» أعطاه اللّه کتابه .

ص:۷۲

۱- (۱) هذا علی حسب تجزأه المصنف (قده) کما فی الطبعه الأولی

بيمناه، و جعل عقباه خيرا من اولاه، و المرجوّ منه سبحانه أنّ يمنّ علىّ بإتمامه بقرب محمّد و آله.

فأقول: قال السّيّد (ره):

و من كلام له عليه السلام فى ذكر عمرو بن العاص

اشاره

و هو الثالث و الثمانون من المختار فى باب الخطب

و قد رواه غير واحد من المحدّثين على اختلاف تطلع عليه فى التّذنيب الثانى إن شاء اللّه.

عَجَباً لابْنِ النّابِغَهِ يَزْعَمُ لِأَهلِ الشّامِ أنَّ فِيَّ دُعابَهٌ وَ إِنّى امْرءٌ تِلْعابَهٌ أُعافِسُ وَ أُمارِسُ، لَقَدْ قالَ باطِلًا، وَ نَطَقَ آثِماً، أَما وَ شَرُّ الْقَول الْكِذْبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَ يَسْئَلُ فَيُلْحِفُ، وَ يُسْئَلُ فَيَبْخَلُ، وَ يَخُونُ الْعَهْدَ، وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ، فَإذا كانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ ما لَمْ يَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَها، فَإذا كانَ ذلِكَ كانَ أَكْبَرُ مَكيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سَبَّتَهُ، أَما وَ اللّه إِنَّهُ لَيَمْنَعُنى مِنَ اللَّعَبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيانُ الْآخِرَهِ، إِنَّهُ لَمْ يُبايِعْ مُعوِيَهَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيهُ أَتِيَّهً، وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلى تَرْكِ الدِّينِ رَضيخَهً.

اللغه

(النّابغه) أمّ عمرو بن العاص سمّيت بها لظهورها و شهرتها بالبغى، مأخوذه

من نبغ الشیء نبوغا أی ظهر و (یزعم) بمعنی یقول، قال الفیومی: و علیه قوله تعالی:

«أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ » أی كما أخبرت قال المرزوقی: أكثر ما یستعمل الزّعم فیما كان باطلا ـ أو فیه ارتیاب، قال الحطانی: و لهذا قیل زعم مطیّه الكذب و زعم غیر مزعم قال غیر مقول صالح و ادّعی ما لا یمكن، و قال أبو البقاء: الزّعم بالضمّ اعتقاد الباطل بلا تقوّل و بالفتح اعتقاد الباطل بتقوّل، و قیل: بالفتح قول مع الظنّ و بالضمّ ظنّ بلا قول، و من عاده العرب أنّ من قال كلاما و كان عندهم كاذبا قالوا: زعم فلان قال شریح:

لكلّ شیء كنیه و كنیه الكذب زعم، و قد جاء فی القرآن فی كلّ موضع ذمّا للقائلین.

و (الدعابه) بضمّ الدّال المزاح من دعب یدعب مثل مزح یمزح و زنا و معنی و فی لغه من باب تعب و فی الحدیث قلت: و ما الدّعابه؟ قال: هی المزاح و ما یستملح و (التلعابه) بكسر التّاء كثیر اللعب و المزاح و التّاء للمبالغه، و التّلعاب بالفتح مصدر لعب و (العافسه) المعالجه فی الصراع من العفس و هو الجذب إلی الأرض فی ضغط شدید و الضرب علی الأرض بالرِّجل و (الممارسه) المعالجه و المزاوله و (ألحف) السائل إلحافاً ألحّ و (الالّ) العهد و القرابه قال تعالی:

«لا یَرْقُبُونَ فِی مُؤْمِنٍ إِلًّا وَ لا ذِمَّهً » و (السبه) الاست و (الاتیه) كالعطیه لفظا و معنی و (الرضیخه) الرّشوه من رضخ له رضخاً من باب نفع و ضیخه أعطاه شیئاً لیس بالكثیر.

الإعراب

عجباً منصوب علی المصدریه بحذف عامله، و جمله یزعم إمّا فی محل النّصب علی الحال من ابن النابغه لكونه مفعولاً بالواسطه، أو لا محلّ لها من الإعراب لكونها استینافاً بیانیا، فكأنّه علیه السّلام سئل عن علّه التعجب فأجاب بأنّه یزعم و هو الأظهر

ص:۷۴

و جمله أعافس و أمارس فى محل الرّفع صفه بعد صفه لامرء و هى فى المعنى تأكيد لقوله تلعابه و لكمال الاتّصال بينهما ترك حرف العطف و هو من المحسّنات البيانيه و جمله لقد قال باطلا قسميه و باطلا صفه لمصدر محذوف،و آثماً منصوب على الحال و يحتمل أن يكون صفه لمحذوف أيضا أى نطق نطقاً آثماً فيكون اسناد آثماً إليه من باب التّوسع.

قوله فأىّ زاجر و آمر هو، لفظه أىّ منصوبه على الحاليه و حذف عاملها للقرينه و هى اسم موضوع للدّلاله على معنى الكمال و يستعمل فى مقام التّعجب، تقول:

مررت برجل أىّ رجل، أى كامل فى الرّجوليه و بزيد أىّ رجل أى كاملاً فيها قالوا: إنّه إذا وقع بعد المعرفه فحال و إذا وقع بعد النكره فصفه، و تقدير كلامه عليه السّلام فهو زاجر أىّ زاجر.

قال الرّضى فى شرح الكافيه بعد ما حكى عنهم كون أىّ اسماً موضوعاً للدلاله على معنى فى متبوعه: و الذى يقوى عندى أنّ أىّ رجل لا يدلّ بالوضع على معنى فى متبوعه، بل هو منقول عن أىّ الاستفهاميّه، و ذلك أنّ الاستفهاميّه للسؤال عن التّعيين، و ذلك لا يكون إلاّ عند جهاله المسئول عنه فاستعيرت لوصف الشّىء بالكمال فى معنى من المعانى و التّعجب من حاله، و الجامع بينهما أنّ الكامل البالغ غايه الكمال بحيث يتعجّب منه يكون مجهول الحال بحيث يحتاج إلى السؤال عنه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ عمرو بن العاص اللّعين ابن اللّعين لمّا كان عدوّا لأمير المؤمنين سلام اللّه عليه و آله، معلناً بعداوته كما كان أبوه العاص بن وائل عدواً لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا جرم كان همّه اللّعين مصروفه فى الكذب و الافتراء عليه السّلام و كان يروم بذلك أن يعيبه عند النّاس و يسقط محلّته عليه السّلام من القلوب و من جمله ما افترى عليه كذبا أنّه قال لأهل الشّام: إنّما أخّرنا علياً لأنّ فيه هزلا لا جدّ معه، فنسبه عليه السّلام إلى الدّعابه و كثره المزاح كما نسبه عليه السّلام إلى ذلك عمر بن الخطاب و هذه النسبه من عمرو سيّئه من سيّئات عمر.

فأراد علیه السّلام بکلامه ذلک دفع هذه النسبه و اثبات أنه افتراء و بهتان فی حقه و ذکر أوّلا ما قاله ابن العاص ثمّ اتبعه بردّه فقال:

(عجباً لابن النّابغه) و إنّما کنی عنه بامّه إذ من عاده العرب النسبه إلی الأمّ إذا کانت مشهوره بالخسّه و الدّنائه یریدون بذلک ذمه و القدح فیه، و قد ینسبونه إلیها إذا کانت معروفه بالشّرف یریدون بذلک شرفه و مدحه (یزعم لأهل الشّام) و یقول لهم قصدا للقدح و التّعییب (انّ فیّ) مزاح و (دعابه و انی امرء تلعابه) و کثیر الممازحه حتّی أنّی (أعافس) و أصارع (و أمارس) و أعالج فعل من اتّصف بفراغ القلب فاستغرق أوقاته باللّهو و اللّعب، و اللّه (لقد قال) قولا (باطلا و نطق) عاصیا (آثماً) لأنّه کذب فاذنب و افتری فعصی (أما و شرّ القول الکذب) و الافتراء من حیث العقل و النّقل و الدّین و الدّنیا کما ستطّلع علیه فیما علیک یتلی.

و هذا الملعون قد اتّصف بذلک و بغیره ممّا یوقعه فی المهالک و لقد کان جامعا لجمله من الصّفات الخبیثه الشّیطانیه و متصفا بجمّه من الرّذایل الخسیسه النّفسانیه مضافه إلی ما فیه من فساد الاعتقاد و الکفر و العناد و هی علی ما نبّه علیها أمور:

أول (انه لیقول فیکذب) و رذاله هذه الصّفه و قباحته معلومه من حیث العقل و النّقل.

أمّا العقل فلأنّ الوجدان شاهد بأنّ الکذب یوجب اسوداد لوح القلب و یمنعه من انتقاش صور الحقّ و الصّدق فیه و یفسد المنامات و الالهامات، و ربما یکون سببا لخراب البلاد و فساد أمر العباد، جالبا للعداوه و البغضاء، باعثا علی سفک الدّماء و لذلک اتفق العقلاء من الملیّین و غیرهم علی قبحه، و قالت المعتزله: قبحه معلوم بالضروره.

و أمّا النّقل فقد قال سبحانه:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ کُونُوا مَعَ الصّادِقِینَ » و قال فی صفه المؤمنین: «وَ الَّذِینَ لا یَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِراماً ».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إيّاكم و الكذب «فانّ الكذب ظ» يهدى إلى الفجور و الفجور يهدى إلى النّار - رواه فى جامع الأخبار.

و فيه عن أنس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك و خرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش فيلعنه حمله العرش و كتب اللّه عليه بتلك الكذبه سبعين زنيه أهونها كمن يزنى مع أمّه.

و قال موسى عليه السّلام: يا ربّ أىّ عبادك خير عملا؟ قال: من لا يكذب لسانه و لا يفجر قلبه و لا يزنى فرجه.

و قال العسكرى عليه السّلام: جعلت الخبائث كلّها فى بيت و جعل مفتاحها الكذب و فى عقاب الأعمال عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ جعل للشّر أقفالا و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب و الشّر من الشراب الكذب.

و فى الوسائل من الكافى بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ أوّل من يكذّب الكذّاب اللّه عزّ و جلّ ثمّ الملكان اللّذان معه ثمّ هو يعلم أنه كاذب.

و عن عبد الرّحمن بن أبى ليلى عن أبيه عمّن ذكره عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

الكذب هو خرّاب الإيمان.

و عن عبيد بن زراره قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ مما أعان اللّه به على الكذّابين النسيان.

و عن محسن بن طريف عن أبيه عمّن ذكره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال عيسى بن مريم عليه السّلام: من كثر كذبه ذهب بهاؤه.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و فيما أوردناه كفايه لمن له درايه و سيأتى تحقيق الكلام فيه و فى أقسامه فى شرح الخطبه الخامسه و الثّمانين فانتظر.

(و) الثانى أنّه (يعد فيخلف) و هذا أيضاً من شئونات الكذب ففيه ما فيه و زياده، و يقابله الوفاء و هو توأم الصدق كما قد مرّ مشروحاً فى الخطبه الحاديه و الأربعين (و) الثالث أنه (يسأل فيلحف) و دنائه هذه الصّفه أيضاً واضحه إذ الإصرار

فی المطالبه و الالحاح فی السّوال من أوصاف الأرذال موجبه للابتذال لا محاله (و) الرابع انّه (یسأل فیبخل) یعنی أنّه یمنع السّائل و ینهره و یبخل من أداء الحقوق الواجبه و صرفها فی جهتها، و قد قال سبحانه:

«وَ أَمَّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ » و قال أیضاً: «وَ الَّذِینَ فِی أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ » و قال فی موضع آخر: «وَ أَمّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنی وَ کَذَّبَ بِالْحُسْنی فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْعُسْری » و فی سوره آل عمران:

«وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَیُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ یَوْمَ الْقِیامَهِ وَ لِلّهِ مِیراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ » و فی سوره التّوبه:

«وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ یَوْمَ یُحْمی عَلَیْها فِی نارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوی بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما کَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ ».

روی فی الوسائل من الکافی بإسناده عن مسعده بن صدقه عن جعفر عن آبائه علیهم السّلام أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام سمع رجلا یقول: إنّ الشحیح أعذر من الظالم، فقال له:

کذبت إنّ الظالم قد یتوب و یستغفر و یردّ الظلامه علی أهلها، و الشّحیح إذا شحّ منع الزکاه و الصّدقه و صله الرّحم و قری الضیف و النفقه فی سبیل اللّه و أبواب البرّ، و حرام علی الجنّه أن یدخلها شحیح.

و فیه عن عبد العلیّ بن أعین عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ البخیل من کسب

مالا من غير حلّه و أنفقه فى غير حقه.

و عن إسماعيل بن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ » أ هو سوى الزّكاه؟ فقال: هو الرّجل يؤتيه اللّه الثروه من المال فيخرج منه الألف و الألفين و الثلاثه و الأقلّ و الأكثر فيصل به رحمه و يحمل به الكلّ عن قومه.

و يجىء اشباع الكلام فى هذا المقام زياده على ذلك فى شرح المأه و التّسع من المختار فى باب الخطب انشاء اللّه (و) الخامس أنّه (يخون العهد) و هى رذيله داخله تحت الفجور، و يقابلها الوفاء قال سبحانه:

«وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا »...، «وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً ».

و قد مضى تفصيل الكلام فيه فى شرح كلماته السّابعه و السّبعين (و) السادس أنه (يقطع الالّ) إن كان المراد بالالّ العهد فالعطف بمنزله التّفسير و إن كان المراد به القراب كما هو الأظهر فالمقصود به قطع الرّحم، و يقابله الصّله و قد مضى الكلام فيهما فى الفصل الثانى من الخطبه الثالثه و العشرين.

و السابع الجبن و يقابله الشّجاعه و إليه أشار عليه السّلام بقوله (فاذا كان عند الحرب فأىّ زاجر و آمر هو) بالقتال و براز الأبطال (ما لم يأخذ السّيوف مأخذها) و الرّماح مراكزها (فاذا كان ذلک) و التحم الحرب و شبّ لظاها و علا سناها (كان أكبر مكيدته) فى الذّب عنه و أعظم حيلته فى الخلاص عن حدّ السّيف و النجاه منه (أن يمنح القوم سبّته) كما ستطلع عليه فى التّذنيب الآتى.

ثمّ إنّه عليه السّلام رجع إلى ابطال دعوى عمرو و بيّن وجه البطلان بأمرين:

أحدهما راجع إليه عليه السّلام و هو قوله (أما و اللّه إنّه ليمنعنى من اللّعب ذكر الموت)

ص:٧٩

فانّ مذاكره الموت و مراقبه الاخره تكون شاغله عن الدّنيا معرضه عن الالتفات إليها و إلى شهواتها من اللّعب و نحوه لكونه و جلا من اللّه و مترصّدا لهجوم الموت و هو واضح بالمشاهده و العيان و يشهد عليه البداهه و الوجدان، و ثانيها راجع إلى عمرو و هو قوله (و انه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخره) فانّ نسيان الآخره يوجب صرف الهمه إلى الدّنيا و طول الأمل فيها و يبعث على الانهماك فى الشّهوات و الانغمار فى اللّذات و من كان هذه حاله لا يبالى بما قال و ما يقول و يقدّم بدواعى شهواته الكذب على الصدق و الباطل على الحقّ ليصل غرضه و ينال مناه.

ثمّ نبّه عليه السّلام على بعض ما ترتب على نسيان الآخره بقوله (انّه لم يبايع معاويه حتى شرط له أن يؤتيه على البيعه أتيّه و يرضخ له على ترك الدّين) و العدول عن الحقّ (رضيخه) فأعطاه مصر ثمنا و طعمه على ما قد مضى مفصّلا فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السّادسه و العشرين.

تذنيبات

الاول

فى ذكر نسب عمرو بن العاص

اللّعين ابن اللّعين عليه لعنه اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين أبد الأبدين و بيان بعض حالاته الداله على كفره و شقاوته مع الاشاره إلى ما صدر عنه فى صفين من كشف سوئته فأقول:

اعلم أنّ العاص بن وائل أباه كان من المستهزئين برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و المعالنين له بالعداوه و الأذى، و فيه و فى أصحابه نزل قوله تعالى.

«إِنّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ».

و كان يلقّب فى الاسلام بالأبتر لأنّه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غدا فينقطع ذكره، يعنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و يشتمه و يضع فى طريقه الحجاره، لأنّه صلى اللّه عليه و آله و سلم كان يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبه فكان يجعل الحجاره فى طريقه ليعثر بها، و هو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم لما خرجت من مكه

ص:٨٠

مهاجره إلى المدينه فروّعوها و قرعوا هودجها بكعوب الرّماح حتى اجهضت جنينا ميتا من أبى العاص بن الرّبيع بعلها، فلمّا بلغ ذلك رسول اللّه نازل منه و شقّ عليه مشقّه شديده و لعنهم، رواه الشّارح المعتزلى عن الواقدى.

و روى عنه و عن غيره من أهل الحديث أنّ عمرو بن العاص هجا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هجا كثيرا كان تعلمه صبيان مكه فينشدونه و يصيحون رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم إذا مرّ بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و هو يصلّى بالحجر: اللهمّ إنّ عمرو بن العاص هجانى و لست بشاعر فالعنه بعدد ما هجانى.

قال: و روى أهل الحديث أنّ النّضر بن الحارث و عقبه بن أبى معيط و عمرو بن العاص عمدوا إلى سلا(۱) جمل فرفعوه بينهم و وضعوا على رأس رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و هو ساجد بفناء الكعبه فسال عليه فصبر و لم يرفع رأسه و بكى فى سجوده و دعا عليهم فجاءت ابنته فاطمه عليها السلام و هى باكيه فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته و قامت على رأسه تبكى فرفع رأسه صلى اللّه عليه و آله و سلم قال: اللهم عليك بقريش قالها ثلاثا، ثمّ قال صلى اللّه عليه و آله رافعا صوته: إنّى مظلوم فانتصر، قالها ثلاثا، ثمّ قال فدخل منزله و ذلك بعد وفات عمّه أبى طالب بشهرين.

قال: و لشدّه عداوه عمرو بن العاص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أرسله أهل مكّه إلى النّجاشى ليزهده فى الدّين و ليطرد عن بلاده مهاجره حبشه و ليقتل جعفر بن أبى طالب عنده إن أمكنه قتله، فكان منه فى أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور فى السّير.

فاما النابغه فقد ذكر الزمخشرى فى الكتاب ربيع الأبرار قال: كانت النّابغه أمّ عمرو بن العاص أمه لرجل من عنزه فسبيت فاشتراها عبد اللّه بن جذعان التّيمى بمكه فكانت بغيّا، ثمّ اعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب و اميّه بن خلف الجهمى و هشام بن المغيره المخزومى و أبو سفيان بن الحرب و العاص بن وائل السهمى فى طهر واحد فولدت عمرا فادّعاه كلّهم فحكمت امّه فيه فقالت: هو من العاص .

۱- (۱) السلا المشيمه لغه

ابن وائل، و ذلک لأنّ العاص بن وائل ینفق علیها کثیرا، قالوا: و کان أشبه بأبی سفیان.

قال: و روی أبو عبیده معمّر بن المثنّی فی کتاب الأنساب أنّ عمرا اختصم فیه یوم ولادته رجلان: أبو سفیان بن الحرب و العاص بن وائل، فقیل: لتحکم امّه فقالت امّه: من العاص بن وائل، فقال أبو سفیان: أما أنی لا أشکّ أنی وضعته فی بطن (رحم خ ل) امّه فأبت إلّا العاص فقیل لها: أبو سفیان أشرف نسبا، فقالت:

إنّ العاص بن وائل کثیر النّفقه علیّ و أبو سفیان شحیح، ففی ذلک یقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حیث هجاء مکافتا له عن هجاء رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم:

أبوک أبو سفیان لا شکّ قد بدت لنا فیک منه بینات الشّمائل

ففاخر به إمّا فخرت و لا تکن تفاخر بالعاص الهجین بن وائل

و إنّ التی فی ذاک یا عمرو حکمت فقالت رجاء عند ذاک لنایل

من العاص عمرو تخبر الناس کلّما تجمّعت الأقوام عند المحافل

و فی البحار من الاحتجاج فی حدیث طویل قال الحسن علیه السّلام مخاطبا لابن العاص: و أما أنت یا عمرو بن العاص الشّانی اللّعین الأبتر فانما أنت کلب أوّل أمرک امّک لبغیه أنّک ولدت علی فراش مشترک فتحاکمت فیک رجال قریش منهم أبو سفیان بن حرب و الولید بن المغیره و عثمان بن الحارث و النّضر بن الحارث بن کلده و العاص بن وائل کلّهم یزعم أنّک ابنه فغلبهم علیک من بین قریش ألأمهم حسبا و أخبثهم منصبا و أعظمهم بغیه ثمّ قمت خطیبا و قلت أنا شانئ محمّد، و قال العاص ابن وائل: إن محمّدا رجل أبتر لا ولد له فلو قد مات انقطع ذکره فأنزل اللّه تبارک و تعالی «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

و کانت امّک تمشی إلی عبد قیس یطلب البغه تأتیهم فی دورهم و فی رحالهم و بطون أودیتهم، ثم کنت فی کلّ مشهد یشهده رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم من عدوّه أشدّهم له عداوه و أشدّهم له تکذیبا، الحدیث.

و فی البحار من کتاب سلیم بن قیس الهلالی عن أبان بن أبی عیّاش عن سلیم

قـال: إن عمرو بن العـاص خطب النّـاس بالشّام فقال: بعثنى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله على جيش فيه أبو بكر و عمر فظننت أنّه إنّمـا بعثنى لكرامتى عليه فلمّـا قـدمت قلت يـا رسول اللّه أى النّـاس أحبّ إليـك؟ فقال صـلى اللّه عليه و آله و سـلم: عايشه، فقلت: من الرّجال؟ قال: أبوها، و هـذا علىّ يطعن على أبى بكر و عمر و عثمان، و قـد سـمعت رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سلم يقول: إنّ اللّه ضرب بالحقّ على لسان عمر و قلبه، و قال فى عثمان: إنّ الملائكه تستحى من عثمان.

و قـد سـمعت عليّا و إلاّ فسـمّتا يعنى اذنيه يروى على عهـد عمر إنّ نبى اللّه نظرا إلى أبى بكر و عمر مقبلين، فقال: يا علىّ هـذان سيّدا كهول أهل الجنّه من الأوّلين و الآخرين ما خلا النّبيين منهم و المرسلين و لا تحدّثهما بذلك فيهلكا.

فقام علىّ عليه السّـلام فقال: العجب لطغاه أهل الشّام حيث يقبلون قول عمرو و يصـدّقونه و قد بلغ من حديثه و كذبه و قلّه ورعه أن يكـذب على رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و لعنه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلم سـبعين لعنه و لعن صـاحبه الـذى يدعو إليه فى غير موطن.

و ذلك انّه هجا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بقصيده سبعين بيتا فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

اللّهم إنّى لا أقول الشّعير و لا احلّه فالعنه أنت و ملائكتك بكلّ بيت لعنه تترى على عقبه إلى يوم القيامه.

ثمّ لما مات إبراهيم ابن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فقال: إن محمّـدا قد صار أبتر لا عقب له و إنّى لأشـنا الناس له و أقولهم فيه سوء فأنزل فيه:

«إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ ».

يعنى هو الأبتر من الايمـان من كـلّ خير ما لقيت من هـذه الامه من كـذا بيها و منافقيها لكأنّى بالقرّاء الضـعفه المتهجـدين رووا حديثه و صدّقوه فيه و احتجّوا علينا أهل البيت بكذبه: انا نقول خير هذه الامه أبو بكر و عمر و لو شـئت لسـمّيت الثالث، و اللّه ما أراد بقوله فى عايشه و انتهى الارضاء معاويه بسخط اللّه عزّ و جلّ، و لقد استرضاه بسخط اللّه.

و أمّا حديثه الذى يزعم انّه سمعه منّى فلا و الذى فلق الحبّه و برىء النسمه

ليعلم أنّه قد كذب على يقينا و انّ اللّه لم يسمعه منّى سرّا و لا جهرا، اللهمّ العن عمرا و العن معاويه بصدّهما عن سبيلك و كذبهما على كتابك و استخفافهما نبيّك صلى اللّه عليه و آله و كذبهما عليه و علىّ.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله المسجد و فيه عمرو ابن العاص و الحكم بن أبى العاص قال عمرو: يا أبا الأبتر و كان الرّجل فى الجاهليّه إذا لم يكن له ولد سمّى ابتر ثمّ قال عمرو: إنّى لأشنأ محمّدا أى ابغضه فأنزل اللّه على رسوله صلى اللّه عليه و آله:

«إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ » إلى قوله: «إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ».

اى مبغضك عمرو بن العاص لا دين له و لا حسب، و بما ذكر كلّه ظهر كفر ابن العاص اللّعين و كفر أبيه كما ظهر عداوته لأمير المؤمنين عليه السّلام و بغضه و هو ليس ببعيد من أولاد الزنا و لنعم ما قال الشّاعر:

بحبّ على تزول الشّكوك و تزكوا النّفوس و تصفو البخار

و مهما رأيت محبّا له فثمّ الذّكاء (الزكاه) و ثمّ الفخار

و مهما رأيت عدوّا له ففى أصله نسب مستعار

فلا تعذلوه على فعله فحيطان دار أبيه قصار

و أمّا خبر عمرو فى صفين ففى البحار من المناقب و برز أمير المؤمنين عليه السّلام و دعا معاويه قال: و أسألك أن تحقن الدماء و تبرز إلى و أبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب، فبهت معاويه و لم ينطق بحرف، فحمل أمير المؤمنين عليه السّلام على الميمنه فأزالها، ثمّ حمل على المسيره فطحنها، ثمّ حمل على القلب و قتل منهم جماعه و أنشد

فهل لك فى أبى حسن عليلعلّ اللّه يمكن من قفاكا

دعاك إلى البراز فعكت عنهو لو بارزته تربت يداكا

فانصرف أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ برز متنكّرا فخرج عمرو بن العاص مرتجزا

يا قاده الكوفه من أهل الفتنيا قاتلى عثمان ذاك المؤتمن

كفى بهذا حزنا عن الحزنأضربكم و لا أرى أبا الحسن

فتناكل عنه علىّ عليه السّلام حتى تبعه عمرو ثمّ ارتجز:

أنا الغلام القرشى المؤتمن الماجد الأبيض ليث كالشّطن

يرضى به الساده من أهل اليمين أبو الحسين فاعلمن أبو الحسن

فولى عمرو هاربا فطعنه أمير المؤمنين عليه السّلام فوقعت فى ذيل درعه فاستلقا على قفاء و أبدا عورته فصفح عليه السّلام استحياء و تكرّما، فقال معاويه: أحمد اللّه عافاك و احمد استك الذى و قال، قال أبو نواس:

فلا خير فى دفع الرّدى بمذلّه كما ردّها يوما بسوءته عمرو

قال و برز علىّ عليه السّلام و دعا معاويه فنكل عنه فخرج بسر بن أرطاه يطمع فى على عليه السّلام فصرعه أمير المؤمنين فاستلقى على قفاه و كشف عن عورته فانصرف عنه على عليه السّلام فقالوا: وليكم يا أهل الشّام أما تستحيون من معامله المخانيت لقد علّمكم رأس المخانيت عمرو، و لقد روى هذه السّيره عن أبيه عن جدّه فى كشف الاستاه وسط عرصه الحروب.

قال الشّارح المعتزلى: و للشراء فيهما أشعار مذكوره فى موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر الكلبى و المداينى قول الحرث بن نضر الخثعمى و كان عدوّا لعمرو بن العاص و بسر بن أرطاه:

أفى كلّ يوم فارس ليس يتّقى (ينتهى خ ل) و عورته وسط العجاجه باديه

يكفّ لها عنه علىّ سنانه و يضحك منه فى الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه و عوره بسر مثلها حذ و حاذيه

فقولا لعمرو ثمّ بسر ألا انظرا سبيلكما لا تلقيا اللّيث ثانيه

و لا تحمدا إلّا الحيا و خصاكما هما كانتا و اللّه للنّفس واقيه

و لو لا هما لم تنجوا من ستانه و تلك بما فيها من العود ماهيه

متى تلقيا الخيل المشيحه صيحه و فيها علىّ فاتركا الخيل ناحيه

و كونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا نحور كما إنّ التجارب كافيه

قال نضر بن مزاحم: حدّثنا عمرو بن شمر عن النخعى عن ابن عبّاس قال:

تعرض عمرو بن العاص لعلی علیه السّلام یوما من أیّام صفّین و ظنّ أنّه یطمع منه فی غرّه فیصیبه فحمل علی علیه السّلام فلما کاد أن یخالطه اذری نفسه عن فرسه و دفع ثوبه و شفر برجله فبدت عورته فضرب علیه السّلام وجهه عنه و قام معفرا بالتراب هازما علی رجلیه معتصما بصفوفه فقال أهل العراق: یا أمیر المؤمنین أفلت الرّجل، فقال علیه السّلام أ تدرون من هو؟ قالوا: لا، قال علیه السّلام: فانّه عمرو بن العاص تلقانی بسوءه فصرفت وجهی عنه، و رجع عمرو إلی معاویه فقال: ما صنعت یا أبا عبد اللّه؟ فقال: لقینی علیّ فصر عنی قال: احمد اللّه و عورتک، و اللّه إنّی لأظنّک لو عرفته لما أقمحت علیه، و قال معاویه فی ذلک:

ألا للّه من هفوات عمرو یعاتبنی علی ترکی برازی

. فقد لا قی أبا حسن علیّا فآب الوائلیّ مآب خازی

فلو لم یبد عورته لطارت بمهجته قوادم أیّ بازی

فان تکن المنیّه أخطأته فقد غنّی بها أهل الحجاز

و روی الواقدی قال: قال معاویه یوما بعد استقرار الخلافه لعمرو بن العاص یا با عبد اللّه لا أراک إلّا و یغلبنی الضّحک، قال: بما ذا؟ قال: أذکر یوم حمل علیک أبو تراب فی صفّین فاذریت نفسک فرقا من شبا سنانه و کشف سوئتک له، فقال عمرو: أنا منک أشدّ ضحکا إنّی لأذکر یوم دعاک إلی البراز فانفتح منخرک و ربا لسانک فی فمک و عصب ریقک و ارتعدت فرائصک و بدا منک ما أکره ذلک، فقال معاویه: لم یکن هذا کلّه و کیف یکون و دونی عمّک و الأشعرون، قال: انّک لتعلم أنّ الذی وضعت دون ما أصابک و قد نزل ذلک بک و دونک عمک و الأشعرون فکیف کانت حالک لو جمعکما مآقط الحرب؟ قال: یا با عبد اللّه خض بنا الهزل إلی الجدّ إنّ الجبن و الفرار من علیّ لاعار علی أحد فیهما.

الثانی

اعلم أنّ ما رواه السید (ره) من کلامه علیه السّلام مرویّ فی غیر واحد من الکتب

ص:۸۶

المعتبره، ففى الاحتجاج مثل الكتاب، و فى البحار من أمالى المفيد عن محمّد بن عمران عن الحسن بن علىّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن علىّ بن محمّد قال: كان عمرو بن العاص يقول: إنّ فى علىّ دعابه، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: زعم ابن النابغه أنّى تلعابه مزاحه ذو دعابه اعافس و امارس، هيهات يمنع من العفاس و المراس ذكر الموت و خوف البعث و الحساب و من كان له قلب ففى هذا عن هذا له واعظ و زاجر، أما و شرّ القول الكذب و انّه ليحدّث فيكذب و يعد فيخلف فاذا كان يوم البأس فأى زاجر و أين هو ما لم يأخذ السيوف هام الرّجال، فاذا كان ذلك فأعظم مكيدته فى نفسه أن يمنح القوم استه.

و فيه من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفى قال: بلغ عليّا عليه السّلام أنّ ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام، فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: يا عجبا عجبا لاينقضى لابن النّابغه يزعم لأهل الشّام، الى آخر الكلام و جمع بين الروايتين.

و كيف كان فقد ظهر و تحقّق من هذه الرّوايات و ممّا قدّمناه فى التذنيب الأوّل أنّ نسبه ابن العاص له عليه السّلام إلى الدعابه كان منشاها شدّه العناد و العداوه كما قد ظهر كذب اللّعين ابن اللّعين فى ذلك بتكذيبه له عليه السّلام مع ما ذكره عليه السّلام من البيّنه و البرهان على كذبه، و هو أنّ من كان قلبه مستغرقا بذكر الآخره و ما فيها لا يكون له فراغ إلى التلفّت إلى الدّنيا و مالها.

قال الشّارح المعتزلى: و أنت إذا تأمّلت حال على عليه السّلام فى أيّام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وجدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدّعابه و المزاح لأنّه لم ينقل عنه شىء من ذلك أصلا لا فى الشّيعه و لا فى كتب المحدّثين، و كذلك إذا تأمّلت حاله فى أيام أبى بكر و عمر لم تجد فى كتب السيره حديثا واحدا يمكن أن يتعلّق به متعلّق فى دعابته و مزاحه إلى أن قال:

و لعمر اللّه لقد كان أبعد من ذلك و أىّ وقت كان يتّسع لعلىّ عليه السّلام حتّى يكون فيه على الصّفات، فان زمانه كلّها فى العباده و الذكر و الصّلاه و الفتاوى

و العلم و اختلاف النّاس إليه فى الأحكام و تفسير القرآن، و نهاره كلّه أو معظمه مشغول بالصّوم، و ليله كلّه أو معظمه مشغول بالصّلاه، هذا فى أيّام سلمه فأمّا أيّام حربه فالسّيف الشّهير و النشّاب الطّرير و ركوب الخيل وقود الجيش و مباشره الحروب.

و لقد صدق عليه السّلام فى قوله إنّه ليمنعنى من اللّعب ذكر الموت و لكن الرّجل الشريف النبيل الذى لايستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أو يعدوا عليه وصمه لا بدّ أن يحتالوا و يبذلوا جهدهم فى تحصيل أمرّ ما و إن ضعف يجعلون عذرا له فى دمه و يتوسلون به على أتباعهم فى تحسينهم لهم مفارقته و الانحراف عنه، و ما زال المشركون و المنافقون يضعون لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الموضوعات و ينسبون إليه ما قد برأه اللّه عنه من العيوب و المطاعن فى حياته و بعد وفاته إلى زماننا هذا، و ما يزيده اللّه سبحانه إلاّ رفعه و علوّا.

فغير منكر أن يعيب عليا عليه السّلام عمرو بن العاص و أمثاله من أعدائه بما إذا تأمّله المتأمّل علم أنّهم باعتمادهم و تعلّقهم به قد اجتهدوا فى مدحه و الثناء عليه لأنهم لو وجدوا غيره عيبا لذكروه.

أقول: و لعلّه إلى ذلك ينظر الشاعر فى قوله:

و اذا أتتك مذمّتى من ناقص فهى الشهاده لى بأنّى كامل

و لعمرى انّه لابيان فوق ما أتى به الشارح من البيان فى توضيح برائه ساحته عليه السّلام مما قاله ابن العاص فى حقّه من الكذب و البهتان إلاّ أنّه لو انصف لعلم أنّ كلّ الصّيد فى جوف الفراو أنّ أوّل من فتح أمثال ذلك الباب لابن العاص و نظرائه هو عمر بن الخطاب إذ هو أوّل من صدر عنه هذه اللّفظه فحذا ابن العاص حذوه كما سبق ذلك فى التذييل الثانى من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيّه.

و قد اعترف به الشّارح نفسه أيضا ههنا حيث قال: و أمّا ما كان يقوله عمرو بن العاص فى علىّ لأهل الشام: إنّ فيه دعابه يروم أن يعيبه بذلك عندهم

ص:٨٨

فأصل ذلک کلمه قالها عمر فتلقفها أعداؤه حتّی جعلها أعداؤه عیبا له و طعنا علیه.

و استند فی ذلک إلی روایه أحمد بن یحیی فی کتاب الأمالی قال: کان عبد اللّه ابن عبّاس عند عمر فتنّفس عمر نفسا عالیا قال ابن عبّاس حتّی ظننت أنّ أضلاعه قد انفرجت فقلت له: ما أخرج هذا النّفس منک یا أمیر المؤمنین إلاّ همّ شدید؟ قال: ای و اللّه یا بن عبّاس فکرت فلم أدر فیمن أجعل هذا الأمر بعدی، ثمّ قال:

لعلّک تری صاحبک لها أهلا؟ قلت: و ما یمنعه من ذلک من جهاده و سابقته و قرابته و علمه قال: صدقت و لکنه امرء فیه دعابه ثمّ ذکر الخمسه الباقیه من أمر أهل الشوری و ثبت لکلّ منهم عیبا نحو ما تقدّم ذکره فی شرح الخطبه الشقشقیه ثمّ قال: إنّ أحراهم أن یحملهم علی کتاب ربّهم و سنّه نبیّهم لصاحبک و اللّه لئن ولیها لیحملنّهم علی المحجّه البیضاء و الصّراط المستقیم.

ثمّ اعتذر الشارح عن جانب عمر بأنّ عمر لما کان شدید الغلظه، وعر الجانب خشن الملمس، دایم العبوس، کان یعتقد أنّ ذلک هو الفضیله و أنّ خلافه نقص و لو کان سهلا طلقا مطبوعا علی البشاشه و سماحه الخلق لکان یعتقد أنّ ذاک هو الفضیله و أنّ خلافه نقص حتی لو قدّرناا أنّ خلقه حاصل لعلیّ و خلق علیّ علیه السّلام حاصل له لقال فی علیّ لو لا شراسه فیه، فهو غیر ملوم عندی فیما قاله و لا منسوب إلی أنّه أراد الغص من علیّ علیه السّلام و القدح فیه و لکنه أخبر عن خلقه ظانّا أنّ الخلافه لاتصلح إلاّ للشدید الشّکیمه العظیم الوعوره.

إلی أن قال: و جمله الأمر أنّه لم یقصد عیب علیّ علیه السّلام و لا کان عنده معیبا و لا منقوصا، ألا تری أنه قال فی آخر الخبر إنّ أحراهم أن یحملهم علی کتاب اللّه و سنّه رسوله لصاحبک، ثمّ أکدّ ذلک بأن قال لئن ولیهم لیحملنّهم علی المحجّه البیضاء و الصراط المستیم، فلو کان أطلق تلک اللّفظه و عنی بها ما حملها علیه الخصوم لم یقل فی خاتمه کلامه ما قاله، انتهی ما أردنا ایراده من کلامه.

و أقول: لا أدری إلی م یتعصّب هذا الرّجل حقّ عمر؟ و حتّام یستصلح

عثراته؟ و أىّ شىء رأى منه حتّى اغترّ به؟ و أىّ داع له إلى تأويل كلامه؟ فانّ لفظه الدّعابه فى كلام ابن العاص و ابن الخطاب واحده فلم يبقيها فى حقّ ابن العاص على ظاهرها و يجريها على أقبح وجها و يأوّلها فى حق ابن الخطاب و يخرّجها على أحسن وجهها مع أنّ الشمس لا يستر بالحجاب و الحقّ لايخفى على أولى الألباب.

و أهل المعرفه يعرف أنّ كلّ ما يتوجّه فى هذا الباب على ابن العاص يتوجّه على ابن الخطاب بل و زياده إذ هو أوّل من صدر عنه هذا التشنيع و أوّل من اتّهمه عليه السّلام بهذا الأمر الفظيع.

ثمّ أقول: كيف خفى عن الشارح التناقض فى كلام عمر مع وضوحه حيث إنّه صدق ابن عبّاس أوّلا فى كون أمير المؤمنين عليه السّلام أهلا للخلافه إلاّ أنّه استدرك بقوله: و لكنه فيه دعابه فجعل الدعابه مانعه له عنها موجبه لسقوطه عن أهليّتها و ذلك يناقض صريحا قوله فى آخر الرّوايه لئن وليها ليحملنّهم على المحجّه البيضاء و بعباره أخرى إن كانت الدّعابه التى نسبها إليه عليه السّلام أمرا خارجا عن حدّ الاعتدال مخالفا للشريعه الغراء كيف يمكن معها حمل الناس على المحجّه البيضاء و على الكتاب و السنّه و الطريقه المستقيمه و إن لم يكن أمرا منافيا لحملهم على ما ذكر فأىّ مانعيه له عن استحقاق الخلافه و الولايه.

و أمّا ما اعتذر به الشارح من أنّ عمر إنّما قال ذلك بمقتضى شدّه غلظته و خشونه جبلته ظانا أنّ الخلافه لا تصلح إلا للشديد الشكيمه العظيم الوعوره.

ففيه أنّ الشدّه و الغلظه لو كانت شرطا للخلافه كما ظنه عمر لوجب أن يكون شرطا للنّبوه بطريق أولى مع أنّه سبحانه قال:

«وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » و مدح نبيَّه صلّى اللّه عليه و آله بقوله: «وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ».

فاللّازم لعمر الّذى جعلوه خليفتهم أن يكون سيره و سلوكه على طبق الكتاب

لا أن ينبذ الكتاب وراء ظهره و يتكلّم بمقتضى طبيعته و يجانب الاقتداء بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى أفعاله و أعماله «و أخلاقه خ ل».

و الانصاف أنّ من لاحظ وجنات حال عمر يعرف أنّ كلّ ما صدر عنه من الأقوال و الأفعال أو أغلبه كان ناشئا من فرط قوته الغضبيه و الشّهويه و مقتضى هوى نفسه الأماره، و لم يكن ملاحظا جانب الشريعه و مقدّما لها على دواعى نفسه و مقتضى جبلته، بل من راجع محاوراته عرف أنّه كان مثل حيّه سمّه فى لسانه تلسع المخالف و المؤالف، و عقرب عوجاء لا تفرق بين البرّ و الفاجر.

و كفى بذلك شاهدا ما قاله لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم حين وفاته صلّى اللّه عليه و آله و سلم على ما قدّمناه مفصّلا فى شرح الكلام السّادس و السّتين فى التّنبيه الثانى منه، و ما قاله لأهل الشّورى حين وصيّته كما مرّ فى ثانى تذييلات الفصل الثالث من شرح الخطبه الثّالثه، و ما توعد به جبله بن الأيهم حتى عاد إلى النّصرانيه حسب ما مرّ فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الثالثه و مرّ هناك أيضا أنّ ابن عبّاس أضمر بطلان القول بالعول فى حياته و أظهره بعد وفاته خوفا منه و أنّه أساء الأدب فى الكلام بالنسبه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى صلح الحديبيّه إلى غير ذلك ممّا لو أردنا إشباع الكلام فيها لطال.

و يؤيد ذلك كلّه ما رواه الشّارح فى شرح هذا الكلام من أنه إذا غضب على أهله لم يسكن غضبه حتّى يعضّ يده عضّا شديدا حتّى يدميها.

و بعد ذلك كلّه لا يكاد ينقضى عجبى من الشّارح و أمثاله حيث إنّهم يوردون مثل ما أوردناه فى كتبهم و يذكرون مثالب عمر و مطاعنه ثمّ يغمضون عنها و لا يعرفون مع فضلهم و ذكائهم فى العلوم أنّ أدنى شىء من ذلك يوجب سقوط الرّجل عن مرتبه الكمال و عن درجه القبول و الاعتبار فكيف بذلك كلّه و كيف بمرتبه الخلافه و منصب الولايه.

و لا أدرى بأىّ مناقبه يجعلونه قابلا لولايه اللّه، و مستحقا لخلافه رسول اللّه، و لايقاً لرياسه الدّين، و أهلا لأماره المؤمنين أ بحسن حاله؟ أم مزيد كماله؟ أم

شرافه نسبه؟ أم کرامه حسبه؟ أم عذوبه لسانه؟ أم فصاحه بیانه؟ أم علوّ قدره؟ أم طهاره مولده؟ أم کثره علمه؟ أم وفور فضله؟ «وَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَعْمالُهُمْ کَسَرابٍ بِقِیعَهٍ یَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّی إِذا جاءَهُ لَمْ یَجِدْهُ شَیْئاً وَ وَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَ اللّهُ سَرِیعُ الْحِسابِ».

الثالث

فی تحقیق الکلام فی جواز المزاح و عدمه فأقول إنّ الأخبار فی طرفی النفی و الاثبات کثیره جدا إلاّ أنّ مقتضی الجمع بینها هو حمل أدلّه النّفی علی الکثیر منه الخارج عن حدّ الاعتدال و أدلّه الجواز علی القلیل کما قال الشّاعر:

أفد طبعک المصدود بالجدّ راحه یجمّ (۱) و علّله بشیء من المزح

و لکن إذا أعطیته المزح فلیکن بمقدار ما یعطی الطّعام من الملح

و یدلّ علی هذا الجمع الأدلّه المفصله و السّیره المستمره، فانّ المشاهد من حالات النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمه أنهم کانوا قد یمزحون إدخالا للسّرور فی قلب المؤمنین و مداراه للخلق و مخالطه معهم أو نحو ذلک، و کذلک نوّابهم القائمون مقامهم من المجتهدین و العلماء العاملین، فانّهم مع کثره زهدهم و شدّه ورعهم ربما یمزحون و یدعبون.

و بالجمله فالحقّ فی المقام هو الجواز فی الجمله للأدلّه الدّاله علی ذلک قولا و فعلا و تقریرا.

فمنها ما فی الوسائل عن الکلینیّ باسناده عن معمّر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن علیه السّلام فقلت جعلت فداک الرّجل یکون مع القوم فیجری بینهم کلام یمزحون و یضحکون، فقال، لا بأس ما لم یکن، فظننت أنه عنی الفحش ثمّ قال: إنّ رسول

۱- (۱) أی یستریح منه

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يأتيه الأعرابى فيأتى إليه الهديه ثمّ يقول مكانه أعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كان إذا اغتمّ يقول ما فعل الأعرابى ليته أتانا.

و عن إبراهيم بن مهزم عمّن ذكره عن أبى الحسن الأوّل عليه السّلام قال: كان يحيى بن زكريّا يبكى و لا يضحك، و كان عيسى بن مريم يضحك و يبكى، و كان الّذى يصنع عيسى عليه السّلام أفضل من الّذى كان يصنع يحيى عليه السّلام.

و عن الفضل بن أبى قره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال: ما من مؤمن إلّا و فيه دعابه، قلت: و ما الدّعابه؟ قال: المزاح.

و عن يونس بن الشيبانى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: كيف مداعبه بعضكم بعضا؟ قلت: قليل قال: فلا تفعلوا فانّ المداعبه من حسن الخلق و إنّك لتدخل بها السّرور على أخيك، و لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يداعب الرّجل يريد أن يسرّه.

أقول: و يستفاد من هذه الرّوايه استحبا بها لشمول أدلّه استحباب حسن الخلق و إدخال السّرور فى قلب المؤمن عليها.

روى فى الوسائل عن الصّدوق فى المجالس مسندا عن محمّد بن علىّ الرّضا عن آبائه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام إنكم لن تسعوا النّاس بأموالكم فسعوهم بطلاقه الوجه و حسن اللّقاء فانى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوها بأخلاقكم.

و فى شرح المعتزلى روى الناس قاطبه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال إنى أمزح و لا أقول إلّا حقا.

و فيه أتت عجوز من الأنصار إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسألته أن يدعو اللّه تعالى لها بالجنّه فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ الجنّه لا تدخلها العجز، فصاحت فتبسّم عليه السّلام فقال:

«إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً » قال و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمازح ابنى بنته مزاحا مشهورا و كان يأخذ الحسين عليه السّلام فيجعله على بطنه و هو صلّى اللّه عليه و آله نائم على ظهره و يقول ترقّه ترقّه ترقّ عين بقّه.

قال: و جاء فی الخبر أن یحیی علیه السّلام لقی عیسی علیه السّلام و عیسی متبسّم فقال یحیی:

ما لی أراک لاهیا کأنّک آمن فقال أراک عابسا کأنّک آیس فقال: لا نبرح حتی ینزل علینا الوحی فأوحی اللّه إلیهما أحبّکما إلیّ الطّلق البسّام أحسنکم ظنّا بی.

قال: و رأی نعیمان یبیع أعرابی عکّه عسل فاشتراها منه فجاءها إلی بیت عایشه فی یومها، و قال خذوها فظنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّه أهداها إلیه و مضی نعیمان فنزل الأعرابیّ علی الباب فلما طال قعوده نادی یا هؤلاء إمّا أن تعطونا ثمن العسل أو تردّوه علینا، فعلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالقصه و أعطی الأعرابی الثمن و قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لنعیمان: ما حملک علی ما فعلت؟ قال: رأیتک یا رسول اللّه تحبّ العسل و رأیت العکّه مع الأعرابی، فضحک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لم ینکر.

و فی زهر الرّبیع تألیف السیّد نعمه اللّه الجزایری «قده» روی أنّه کان یأکل رطبا مع ابن عمّه أمیر المؤمنین علیه السّلام و کان یضع النوی قدام علیّ علیه السّلام فلما فرغا من الأکل کان النّوی مجتمعا عنده، فقال صلّی اللّه علیه و آله: یا علی إنّک لأکول، فقال: یا رسول اللّه الأکول من یأکل الرطب و النواه.

و روی أنه أتته امرئه فی حاجه لزوجها فقال لها: و من زوجک؟ قالت:

فلان فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: الّذی فی عینه بیاض فقالت: لا، فقال: بلی فانصرفت عجلا إلی زوجها و جعلت تتأمّل عینه فقال لها: ما شأنک؟ فقالت: أخبرنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّ فی عینک بیاضا، فقال: أما ترین بیاض عینی أکثر من سواده؟ قال: و استدبر صلّی اللّه علیه و آله رجلا من ورائه و أخذ بعضده و قال من یشتری هذا العبد یعنی أنه عبد اللّه.

و قال: قال صلّی اللّه علیه و آله لرجل: لا تنس یاذا الاذنین.

و رأی جملا یمشی و علیه حنطه فقال علیه السّلام: تمشی الهریسه.

و جاء أعرابیّ فقال: یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بلغنا أنّ الدّجال یأتی بالثرید و قد هلکوا جمیعا جوعا أفتری بأبی أنت و أمّی أن أکفّ عن ثریده تعفّفا؟ فضحک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثمّ قال: بل یغنیک اللّه بما یغنی به المؤمنین.

و قبّل خالد القسرى خدّ امرئه فكشت إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فارسل إليه فاعترف و قال: إن شائت أن تقتصّ فلتقتصّ فانّ من دينك القصاص فتبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه و قال: أ و لا تعود؟ فقال: لا و اللّه يا رسول اللّه فعفى صلّى اللّه عليه و آله.

و قال رجل: احملنى يا رسول اللّه، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا حاملوك على ولد ناقه فقال: ما أصنع بولد ناقه؟ قال صلّى اللّه عليه و آله: و هل يلد الابل إلاّ النّوق؟.

الرابع

فى طايفه من طرايف الكلم و ظرايف الحكم و نوادر الأخبار، و غرائب

الآثار

، أردت أن اوردها هنا ليرتفع بها الكلال و يرجع اليها عند الملال، فانّ القلوب قد تملّ و الأرواح تكلّ كما تكلّ الأبدان فتحتاج إلى التنزّه و الارتياح و التّفرّج و السّراح.

فأقول: روى إنّ أبا حنيفه قال يوما لمؤمن الطاق: يا با جعفر أنت قائل بالرّجعه؟ قال: نعم، قال: فاقرض لى خمسمائه دينار اؤدّيك فى الرّجعه، فأجاب «ره» إنّ من جمله أحكام الرجعه عندنا أنّ بعض مبغضى آل محمّد سلام اللّه عليه و عليهم يرجعون بصوره الكلاب و الخنازير فلا بدّ أن تؤتينى ضامنا على أنّك ترجع بصوره الانسان و أخاف أن ترجع بصوره الخنزير.

و قال أيضا له يوما: يا با جعفر لو كان لعلىّ حقّ فى الخلافه فلم لم يطالبها؟ قال: خاف أن يقتلها الأجنّه بحمايه أبى بكر و عمر كما قتلت سعد بن عباده.

قال الراغب فى المحاضرات: إنّ بقزوين قريه أهلها متناهون بالتشيّع فمرّ بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال: عمر، فضربوه ضربا شديدا، فقال: ليس اسمى عمر بل عمران، فقالوا: هذا أشدّ من الأوّل فانّ فيه عمر و حرفان من عثمان فهو أحقّ بالضّرب.

و مضى رجل إلى بغداد فاتّهموه بسبّ الشّيخين فأخذوه إلى القاضى فسأله القاضى، فقال: كذبوا علىّ أنا رجل عاقل أعرف أنّ هذه البلاد بلاد أهل الخلاف لا ينبغى اللعن و السبّ و الطّعن فيها هذا شيء يجوز فى بلادنا أمّا هذه البلاد فلا

و كان القاضى منصفا فضحك و خلّاه.

روى فى حواشى المغنى عن أبى بكر الأنبارى بسنده إلى هشام بن الكلبىّ قال: عاش عبيد بن شريه الجرهمى ثلاث مأئه سنه و أدرك الاسلام فأسلم و دخل على معاويه بالشّام و هو خليفه، فقال: حدّثنى بأعجب ما رأيت، فقال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميّتا لهم فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناى بالدّموع فتمثّلت بقول الشّاعر:

يا قلب إنّك من أسماء مغرور فاذكر و هل ينفعنك اليوم تذكير

قد بحت بالحبّ ما تخفيه من أحد حتّى جرت لك اطلاقا محاضير

تبغى امورا فما تدرى أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير

فاستقدر اللّه خيرا و ارضينّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير

و بينما المرء فى الاحياء مغتبط إذ صار فى الرّمس يعفوه الأعاصير

يبكى عليه الغريب ليس يعرفه و ذو قرابته فى الحىّ مسرور

قال: فقال: لى رجل: أتعرف من قال هذا الشعر؟ قلت: لا، قال: إنّ قائله هو الذى دفنّاه السّاعه و أنت الغريب تبكى عليه و لا تعرفه، و هذا الذى خرج من قبره أمسّ الناس رحما به و أسرّهم بموته فقال له معاويه: لقد رأيت عجبا فمن الميّت قال: هو عنتر بن لبيد الغدرى.

روى أنّ مؤمن الطاق كان بينه و بين أبى حنيفه مزاح و كان يمشى معه يوما فنادى رجل: من يدلّنى على صبّى ضالّ؟ فقال مؤمن الطّاق أمّا الصبىّ الضالّ فلا أدرى إن كنت تبغى الشيخ الضالّ فهو هذا. و أشار إلى أبى حنيفه، و قيل إنّ أبا حنيفه كان جالسا مع أصحابه فجاء مؤمن الطاق فقال أبو حنيفه لأصحابه: جائكم الشيطان و سمعه مؤمن الطّاق فقرأ.

«أَنّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا »(۱)

۱- (۱) اى تزعجهم ازعاجا

أقول: مؤمن الطاق لقب هشام بن الحكم عند الشّيعه و هو من أصحاب الصّادق عليه السّلام و يسمّونه المخالفون شيطان الطاق و له بسطه يد فى المناظرات.

قيل: مكتوب فى خاتمه التوراه هذه الكلمات: كلّ غنىّ لا زاحه له من ماله فهو و الأجير سواء، و كلّ امرئه لا تجالس فى بيتها فهى و الأمه سواء، و كلّ فقير تواضع الأغنياء لغناه فهو و الكلب سواء، و كلّ ملكك لا عدل له فهو و فرعون سواء و كلّ عالم لا يعمل بعلمه فهو و إبليس سواء.

المداينى، رأيت رجلا يطوف بين الصّفا و المروه على بغل ثمّ رأيته راجلا فى سفر فقلت له: تمشى و يركب الناس؟ فقال: ركبت حيث يمشى الناس و حقّ على اللّه أن يرجلنى حيث يركب النّاس.

ارسطاطاليس، حركه الاقبال بطيئه حركه الادبار سريعه لأنّ المقبل كالصّاعد من مرقاه إلى مرقاه و المدبر كالمقذوف به من علوّ إلى سفل.

أرسل رجل سنّى إلى شيعى مقدارا من الحنطه و كانت حنطه عتيقه فردّها عليه ثمّ أرسل إليه عوضا جديده و لكن فيها تراب فقبلها و كتب إليه بهذا الشّعر:

بعثت لنا بدال البرّ برّا رجاء للجزيل من الثّواب

رفضناه عتيقا و ارتضينا به إذ جاء و هو أبو تراب

أقول: و غير خفىّ لطفه فانّ عتيق اسم أبى بكر و أبو تراب كنيه أمير المؤمنين عليه السّلام سئل نصرانىّ عسيى عليه السّلام أفضل أم موسى؟ فقال: إنّ عيسى يحيى الموتى و موسى و كز رجلا فقضى عليه، و عيسى تكلّم فى المهد صبيّا و موسى قال بعد ثمانين سنه: و احلل عقده من لسانى فانظر أيّهما أفضل.

نقل انّه لما مات عمر بن عبد العزيز و تخلّف بعده يزيد بن عبد الملك قال لوزرائه: دلّونى على خزائن ابن عبد العزيز فدلّوه على حجره كان يخلو فيها، فلمّا فتحوا قفلها رأوها قاعا بيضاء و فى وسطها تراب متحجّر من بكائه و فيها ثياب خشنه و غلّ من الحديد يضعه فى عنقه و يبكى إذا تفرّد بنفسه قيل إنّ أهل خراسان علموا بموته بالشام يوم وفاته قالوا: كنّا نرى الذّئب

مع الغنم و السباع مع الانعام حتى افترقت ذات يوم من الأيّام فعلمنا أنه قد مات و قال الشّيخ الرّئيس: النساء من ثلاث إلى عشر سنين لعبه اللاّعبين، و من عشره إلى خمسه عشرهنّ حور عين، و من خمسه عشر إلى عشرين هنّ لحم و شحم و لين، و من عشرين إلى ثلاثين هنّ امّهات البنات و البنين، و من ثلاثين إلى أربعين هنّ عجوز فى الغابرين، و من أربعين إلى خمسين اقتلوهنّ بالسّكين، و من خمسين إلى ستّين عليهنّ لعنه اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين.

قيل دخلت امرئه على داود النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: يا نبىّ اللّه ربّك عادل أم ظالم؟ فقال عليه السّلام: ويحك هو العدل الّذى لا يجوز ثمّ قال لها: ما قصّتك؟ قالت:

انّى امرئه أرمله و عندى ثلاث بنات و إنّى أقوم عليهنّ من غزل يدى فلمّا كان أمس شدّيت غزلى فى خرقه حمراء و أردت أن أذهب به إلى السوق و أبيعه فأشترى الطعام للأطفال فاذا بطاير قد انقضّ علىّ و أخذ الخرقه و الغزل و طار، و بقيت حزينه مالى شىء أبلغ به أطفالى.

قال الراوى فبينما المرأه مع داود عليه السّلام فى الكلام فاذا بطارق يطرق الباب فأذن داود عليه السّلام بالدّخول و إذاهم عشره من التجار و مع كلّ واحد مأئه دينار فقالوا:

يا نبىّ اللّه بمستحقّها فقال عليه السّلام لهم و ما سبب إخراجكم هذا المال؟ قالوا: كنّا فى مركب فهاجت علينا الريح فعاب المركب و أشرفنا على الغرق و إذا نحن بطاير قد ألقى إلينا خرقه حمراء و فيها غزل فسددنا به عيب المركب فانسدّ و نذرنا أن يصدّق كلّ واحد منّا مأئه دينار من ماله، و هذا المال بين يدك تصدّق به على من أردت، فالتفت داود إلى المرأه و قال عليه السّلام: ربّك يتّجر لك فى البحر و تجعلينه ظالما؟ ثمّ أعطاها الألف دينار و قال: اذهبى بها و أنفقيها على أطفالك و اللّه أعلم بحالك.

حكى إنّ جماعه من المصرّيين لعنهم اللّه نقبوا فى جوار روضه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قصدوا إخراج جسده الشريف و نقله إلى مصر و كان ذلك فى نصف اللّيل فسمع أهل المدينه من الجوّ: احفظوا نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله، فأوقدوا السّراج و طافو فرأوا ذلك النقب

فی الجدار و حوله الجماعه موتی.

قال السّید الجزایری: حکی لی جماعه من الثقات أنّه فی بعض السّنین نزلت صاعقه فیها نار من السّماء علی الضّریح المقدّس النبویّ صلّی اللّه علیه و آله فی المدینه فاحرقت طرفا منه فقال بعض النواصب شعرا:

لم یحترق حرم النبیّ لحادث و لکلّ شیء مبتدا و إزار

لکنّما أیدی الرّوافض لامست ذاک الجناب فطهّرته النّار

فقال بعض الشّیعه فی الجواب:

لم یحترق حرم النبیّ لحادث و لکلّ شیء مبتدا و عواقب

لکنّ شیطانین قد نزلا به و لکلّ شیطان شهاب ثاقب

روی فی البحار انّ یحیی بن خالد البرمکی سأل مؤمن الطّاق هشام بن الحکم بمحضر من الرّشید فقال: أخبرنی یا هشام هل یکون الحقّ فی جهتین مختلفتین؟ قال هشام: الظاهر لا قال فأخبرنی عن رجلین اختصما فی حکم فی الدّین و تنازعا هل یخلو من أن یکونا محقّین أو مبطلین أو أن یکون أحدهما محقّا و الآخر مبطلا؟ فقال هشام: لا یخلو من ذلک.

قال یحیی: فأخبرنی عن علیّ و العبّاس لمّا اختصما إلی أبی بکر فی المیراث أیّهما کان المحقّ و من المبطل إذ کنت لا تقول أنّهما کانا محقّین و لا مبطلین؟ قال هشام: فنظرت فاذا انّنی إن قلت إنّ علیّا علیه السّلام کان مبطلا کفرت و خرجت من مذهبی، و إن قلت: إنّ العبّاس کان مبطلا ضرب الرّشید عنقی و وردت علیّ مسأله لم اکن سئلت عنها قبل ذلک الوقت و لا أعددت لها جوابا.

فذکرت قول أبی عبد اللّه علیه السّلام یا هشام لا تزال مؤیّدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانک فعلمت أنّی لا اخذل و عنّ لی الجواب فی الحال فقلت له: لم یکن لأحدهما خطاء حقیقه و کانا جمیعا محقّین و لهذا نظیر قد نطق به القرآن فی قصّه داود علیه السّلام یقول اللّه عزّ و جلّ:

«هَلْ أَتاکَ نَبَأَ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ » إلی قوله: «خَصْمانِ بَغی بَعْضُنا عَلی بَعْضٍ ».

فأیّ الملکین کانا مخطئا و أیّهما کان مصیبا أم تقول انهما کانا مخطئین فجوابک فی ذلک جوابی فقال یحیی: لست أقول إنّ الملکین أخطا بل أقول إنهما أصابا و ذلک إنّهما لم یختصما فی الحقیقه و لم یختلفا فی الحکم و إنّهما أظهرا ذلک لیتبّها علی داود علیه السّلام فی الخطیئه و یعرّفاه الحکم و یوقفاه علیه.

قال هشام: قلت له: کذلک علیّ علیه السّلام و العبّاس لم یختلفا فی الحکم و لم یختصما فی الحقیقه و إنما أظهرا الاختلاف و الخصومه لیتبّها أبا بکر علی خطائه و یدلّاه علی أنّ لهما فی المیراث حقّا و لم یکونا فی ریب من أمرهما و إنما کان ذلک منهما علی حدّ ما کان من الملکین، فاستحسن الرّشید ذلک الجواب.

صلّی أعرابی خلف إمام فقرأ.

«إِنّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ ».

ثمّ وقف و جعل یردّدها، فقال الأَعرابیّ: أرسل غیره یرحمک اللّه و أرحنا و أرح نفسک و صلّی آخر خلف إمام فقرأ.

«فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتّی یَأْذَنَ لِی أَبِی ».

فوقف و جعل یردّدها، فقال الأعرابیّ: یا فقیه إن لم یأذن لک أبوک فی هذه اللّیله نظلّ نحن وقوفا إلی الصّباح؟ ثمّ ترکه و انصرف.

فی الأثر انّ الجاحظ کان من العلماء النّواصب و هو قبیح الصّوره حتّی قال الشّاعر:

لو یمسخ الخنزیر مسخا ثانیا ما کان إلّا دون قبح الجاحظ

قال یوما لتلامذته: ما أخجلنی إلّا امرئه أتت بی إلی صائغ فقالت: مثل هذا، فبقیت حائرا فی کلامها، فلمّا ذهبت سألت الصّائغ فقال: استعملتنی لأصوغ لها

صوره جنّی فقلت: لا أدری کیف صورته فأتت بک.

فی الحدیث إنّ شیطانا سمینا لقی شیطانا مهزولا فقال: لم صرت مهزولا؟ قال: إنّی مسلّط علی رجل إذا أکل أو شرب أو أتی أهله یقول: بسم اللّه فحرمت المشارکه معه فصرت مهزولا، و أنت لم صرت سمینا؟ قال: إنّی مسلّط علی رجل غافل عن التّسمیه یأکل و یشرب و یأتی أهله غافلا فشارکته فیها کما قال تعالی «وَ شارِکْهُمْ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ ».

حکی إنّ عالما سئل عن مسأله فقال: لا أدری فقال السّائل: لیس هذا مکان الجهّال، فقال العالم: المکان لمن یعلم شیئا و لا یعلم شیئا فأمّا الّذی یعلم کلّ شیء فلا مکان له.

و سئل أبو بکر الواعظ عن مسأله فقال: لا أدری قیل له: لیس المنبر موضع الجهّال، فقال: إنّما علوت بقدر علمی و لو علوت بقدر جهلی لبلغت السّماء.

دخل لصّ دار رجل یسرق طحینا فی اللّیل فبسط ردائه و مضی إلی الطّحین ففطن به صاحب المنزل و مدّ یده و جرّا لرداء إلیه فأتی اللّصُّ بالطّحین و وضعه یظن أنّه فوق الرّداء و إذا هو فی الأرض فصاح به صاحب الدّار سارق سارق فانفلت اللّصّ هاربا و هو یقول قد علم أیّنا السّارق أنا أو أنت.

قال الأصمعی: دخلت البادیه و معی کیس فأودعته عند امرئه منهم فلما طلبته أنکرته فقدمتها إلی شیخ فأقامت علی إنکارها، فقال: لیس علیها إلّا یمین فقلت کأنّک لم تسمع قوله تعالی:

و لا تقبل لسارقه یمینا و لو حلفت بربّ العالمینا

فقال: صدقت ثمّ تهدّدها فأقرّت و ردّت إلیّ مالی ثمّ التفت إلیّ الشّیخ فقال فی أیّ سوره تلک الآیه؟ فقلت فی سوره.

ألا هبّی بصحنک فاصبحینا و لا تبقی خمور الأندرینا

(۱)

۱- (۱) البیت لعمرو بن کلثوم التغلبی هب من نومه یهب هبا اذا استیقظ و الصحن القدح العظیم و الجمع الصحون و الصبح سقی الصبوح و الفعل صبح یصبح و الاندرون قری بالشام یقول الا استیقظی من نومک ایتها الساقیه و استقینی الصبوح بقدحک العظیم و لا تدّخری خمر هذه القری، هکذا قال شارح الابیات، منه

قال: سبحان اللّه لقد كنت ظننت أنها فى سوره إنّا فتحنا لك فتحا مبينا.

و نظيره انّ رجلا احضر ولده إلى القاضى فقال: يا مولانا إنّ ولدى هذا يشرب الخمر و لا يصلّى، فأنكر ولده ذلك فقال أبوه: أتكون صلاه بغير قراءه؟ فقال الولد إنّى أقرء القرآن و أعرف القرائه فقال له القاضى: اقرء حتى أسمع فقال:

علق القلب ربابا بعد ما شابت و شابا

إنّ دين اللّه حقّ لا ترى فيه ارتيابا

فقال له أبوه: إنّه لم يتعلّم هذا إلاّ البارحه سرق مصحف الجيران و حفظ هذا منه فقال له القاضى: قاتلكم اللّه يتعلّم أحدكم القرآن و لا يعمل به.

قيل: ما وضعت سرّى عند أحد فأفشاه فلمته لأنّى أحقّ باللّوم منه اذ كنت أضيق صدرا منه قال الشّاعر:

إذ المرء أفشا سرّه بلسانه فصدر الّذى يستودع السرّ أضيق

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه و لام عليه آخرا فهو أحمق

رأى الحسن عليه السّلام يهودىّ فى أبهى زىّ و أحسنه و اليهودى فى حال ردىّ و حال رثه، فقال: أليس قال رسولكم: الدّنيا سجن المؤمن و جنّه الكافر؟ قال عليه السّلام نعم، فقال: هذا حالى و هذا حالك، فقال عليه السّلام: غلطت يا أخا اليهودى و لو رأيت ما وعدنى اللّه من الثّواب و ما أعدّ لك من العقاب لعلمت أنّك فى الجنّه و انّى فى السّجن.

حكى صاحب الأغانى قال: صلّى دلّال يوما خلف إمام بمكّه فقال:

«وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ».

فقال: ما أدرى و اللّه، فضحك النّاس و قطعوا الصّلاه، فلمّا فرغوا عاتبه الامام و قال: ويلك لا تدع الجنون و السّفه قال: كنت عندى أنّك تعبد اللّه فلمّا سمعتك تستفهم ظننت أنّك قد شككت فى ربّك فتب إليه.

قيل: دخل أعرابىّ فى الجامع ليصلّى و كان اسمه موسى و وجد فى طريقه

كيسا فيه دنانير فقرأ الامام: «و ما تلك بيمينك يا موسى» فرمى إليه الكيس و قال: و اللّه انّك لساحر.

حكى انّ بعضهم تمنّى فى منزله و قال: يكون عندنا لحم فنطبخه على مرق فما لبث أن جاء جاره بصحن فقال: اغرفوا لنافيه قليلا من المرق، فقال. إنّ جيراننا يشمّون رايحه الأماني.

قال أبو علىّ بن سينا فى رساله المعراج: إنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام مركز الحكمه و فلك الحقيقه و خزانه العقل، و لقد كان بين الصحابه كالمعقول بين المحسوس.

روى ان طايفه من العامه تناظروا مع شيخنا بهاء الملّه و الدّين فقالوا: كيف تجوّزون قتل عثمان مع ما ورد من قوله: صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل أصحابى كمثل النّجوم بايّهم اقتديتم اهتديتم؟ فقال: جوّزنا قتله بهذا الحديث لأنّ بعض الصّحابه افتى بقتله و بعضهم باشر قتله.

قال الحجّاج يوما لرجل: اقرء شيئا من القرآن فقال:

«إِذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النّاسَ » «يَخْرُجُونَ مِنْ» «دِينِ اللّهِ أَفْواجاً ».

فقال: ليس كذلك بل هى «يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ »، قال: ذلك قبل ولايتك و لكنّهم الآن يخرجون بسببك، فضحك و أعطاه.

صلّى معروف الكرخى خلف إمام فلمّا فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل؟ قال: اصبر حتى اعيد صلاتى خلفك لأنّ من شكّ فى رزقه شكّ فى خالقه.

قال فى مجمع البيان فى ذكر حكم لقمان: إنّ مولاه دعاه فقال اذبح شاه فأتنى بأطيب مضغتين منها، فذبح شاه و أتاه بالقلب و اللسان، فسأله عن ذلك فقال:

إنّهما أطيب شيء إذا طابا و أخبث شيء إذا خبثا.

ص:۱۰۳

و فيه قال عبد اللّه بن دينار: قدم لقمان من سفر فلقى غلامه فى الطّريق فقال:

ما فعل أبى؟ قال: مات، قال: ملكت أمرى، قال: ما فعلت امرأتى؟ قال: ماتت، قال:

جدّد فراشي، قال: ما فعلت اختى؟ قال: ماتت، قال: سترت عورتى، قال: ما فعل أخى؟ قال: مات، قال: انقطع ظهرى.

عن كشكول البهائى (ره) إنّ أباه حسين بن عبد الصّمد الحارثى وجد فى مسجد الكوفه فصّ عقيق مكتوب عليه:

أنا درّ من السّماء نثرونى يوم تزويج والد السّبطين

كنت أصفى من اللّجين بياضا صبغتنى دماء نحر الحسين

قال نعمه اللّه الموسوى الجزايرى (ره): وجدنا فى نهر تستر(۱) صخره صغيره صفراء أخرجها الحفّارون من تحت الأرض و عليها مكتوب بخط من لونها:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه علىّ ولىّ اللّه لمّا قتل الحسين بن علىّ بن أبى طالب بأرض كربلا كتب دمه على أرض حصباء: و سيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

فى رياض الجنّه تأليف بعض أصحابنا انّ البارى عزّ و جلّ قال لعزرائيل:

هل رحمت أحدا و هل هبت من أحد؟ فقال: يا ربّ أنت أعلم، فقال سبحانه تعالى صدقت يا عزرائيل و لكن احبّ أن تقول ذلك، فقال عزرائيل: إنّى يا ربّ رحمت طفلا يرتضع ثدى امّه و كان هو و امّه فى مركب فى البحر فغرق المركب فأمرتنى ان أقبض روح امّه فقبضتها و بقى الولد فى البحر طايفا على صدر امّه فرحمته، و إنّى يا ربّ خفت (هبت خ ل) من رجل أمرتنى أن أقبض روحه و كان ذا سلطان و مملكه و غلمان كثيره و هو جالس على سريره فى نهايه العافيه فلما اردت قبض روحه دخلنى خوف و رعب، فقال البارى سبحانه: يا عزرائيل الذى رحمته هو الذى خفت منه، ثمّ قال: المشهور أنّ الرّجل المذكور هو الشّداد المعروف، و العلم عند اللّه.

۱- (۱) وزان جندب اسم بلد يقال له ششتر منه

و فیه و فی غیره أنّ بهلول وقت جنونه مرّ یوما علی باب دار أبی حنیفه فوقف عند الباب ساعه فسمع أبا حنیفه یحدّث أصحابه و یقول: إنّ جعفر بن محمّد الصّادق علیه السّلام یقول: إنّ اللّه لا یمکن رؤیته و محال علیه الرؤیه، و أیضا إنّ العبد فاعل مختار یفعل فعله بالاختیار، و یقول: إنّ الشّیطان یعذّب بالنار و هذه الأقوال الثّلاثه غیر معقوله عندی.

أمّا الأوّل فلأنّ اللّه تعالی موجود و کلّ موجود یمکن رؤیته، و الثّانی إنّ العبد لا اختیار له، و الثالث إنّ الشّیطان خلق من النّار فلا یعذّب إذ النّار لا یعذّب بعضها بعضا.

فلمّا سمع البهلول ذلک الکلام اغتاظ و أخذ مدرا من الأرض فضرب أبا حنیفه فأصاب رأسه و أوجعه و مضی یعدو، فتلاحقه أصحاب أبی حنیفه و جاءوا به إلیه و لأجل قرابته من المنصور الخلیفه لم یقدروا أن یصلوا إلیه بشیء من الضرب قال أبو حنیفه: اذهبوا به إلی الخلیفه و أخبروه بما فعل، فلما اخبر المنصور بالقصّه عاتبه و قال له: لم فعلت ذلک و طلب أبا حنیفه یعتذر إلیه بحضره البهلول، فطلب البهلول الرخصه منه فی التّکلم مع أبی حنیفه فأذن له.

فقال: یا با حنیفه ما أصابک منّی؟ قال: ضربتنی بالمدر فوجع رأسی، فقال البهلول: أرنی الوجع حتّی أنظر الیه، فقال أبو حنیفه: یا مجنون الوجع کیف یری؟ و کیف یمکن أن تنظر الیه؟ فقال بهلول: یا ملعون الوجع موجود أم لا؟ قال: بل موجود، قال بهلول: إنّک ادّعیت أنّ اللّه یری لأنّه موجود و الوجع أیضا موجود فلم لا یری؟ فلمّا سمع أبو حنیفه ذلک أطرق رأسه و افحم.

ثمّ قال: یا با حنیفه ینبغی أن لا یوجع المدر رأسک لأنّک خلقت من التّراب و هو تراب، ثمّ قال: یا با حنیفه العبد لا فعل له و لا اختیار حسب ما زعمت فلأیّ شیء تؤاخذنی بما صدر منّی و لا قدره لی علیه؟ فلما سمع الخلیفه أقواله استحسن مقاله و رخصه فی الانصراف بغیر عتاب.

فی زهر الرّبیع انّ أبا العلی المعرّی کان یتعصّب لأبی الطیب فحضر یوما مجلس المرتضی «ره» فذکر أبو الطیب فأخذ المرتضی فی ذمّه و الازراء علیه

ص:۱۰۵

فقال المعرّی: لو لم یکن له من الشعر إلاّ قصیدته الّلامیه و هی:

لک یا منازل فی القلوب منازل أقفرت أنت و هنّ منک أواهل

لکفی فی فضله، فغضب المرتضی و أمر بحسب المعرّی فسحب و ضرب، فلما اخرج قال المرتضی لمن بحضرته: هل تدرون ما عنی الأعمی إنّما عنی قول المتنبّی فی اثناء قصیدته:

و إذا أتتک مذمّتی من ناقص فهی الشّهاده لی بأنّی کامل

و لمّا بلغ الخبر إلی أبی العلی قال: قاتله اللّه ما أشدّ فهمه و زکاه، و اللّه ما عنیت غیره.

أقول: أبو العلی ذلک کان من النّواصب فصار من الزنادقه و معروف أنّ المرتضی «ره» أمر بقلع عینیه و له اعتراضات علی الشریعه و حکمه اللّه سبحانه و من جملتها قوله:

ید بخمس مئین عسجد ودیت ما باله قطعت فی ربع دینار

و أجابه المرتضی بقوله:

عزّ الامانه أغلاها و أرخصها ذلّ الخیانه فانظر حکمه الباری

و ربما ینسب هذا الجواب إلی أخیه الرضی «ره».

فی البحار من کتاب الفردوس عن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا رأیت حیه فی الطّریق فاقتلها فانّی قد شرطت علی الجنّ أن لا یظهروا فی صوره الحیات فمن ظهر فقد أحلّ بنفسه.

أقول: و یناسب ذلک و یؤیّده ما ذکره شارح دیوان أمیر المؤمنین فی فواتحه عن استاده جلال الدّین الدّوانی عن السیّد صفیّ الدّین عبد الرحمن اللایجی أنه قال: ذکر لی العالم الفاضل المتّقی شیخ أبو بکر عن الشّیخ برهان الدّین الموصلی و هو رجل عالم فاضل ورع أنا توجّهنا من مصر إلی مکّه نرید الحجّ و نزلنا منزلا- و خرج علیه ثعبان فثار الناس إلی قتله فقتله ابن عمّی فاختطف و نحن نری سعیه و تبادر النّاس علی الخیل و الرکاب یریدون ردّه فلم یقدروا علی ذلک فحصل للناس

من ذلك أمر عظيم.

فلما كان آخر النّهار جاء و عليه السّكينه و الوقار فسألناه ما شأنك؟ فقال:

ما هو إلّا أن قتلت هذا الثّعبان الذى رأيتموه فصنع بى ما رأيتم، فاذا أنا بين قوم من الجنّ يقول بعضهم قتلت أبى و بعضهم قتلت ابن عمّى فتكاثروا علىّ و إذا رجل لصق بى و قال لى قل: أنا أرضى باللّه و بالشريعه المحمديه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقلت ذلك فأشار إليهم أن سيروا إلى الشّرع فسرنا حتّى وصلنا إلى شيخ كبير على مصطبه، فلما صرنا بين يديه قال: خلّوا سبيله و ادّعوا عليه فقال الأولاد نـدّعى عليه أنّه قتل أبانا فقلت: حاشا للّه انا نحن وفد بيت اللّه الحرام نزلنا هـذا المنزل فخرج علينا ثعبان فتبادر النّاس إلى قتله فضربته فقتلته فلما سمع الشّيخ مقالتى قال: خلّوا سبيله سمعت ببطن نخل عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من تزيّا بغير زيّه فقتل فلا ديه و لا قود.

فى البحار عن حيوه الحيوان، روى البيهقى فى دلائل النّبوّه عن أبى دجانه و اسمه سماك بن خرشه قال: شكوت إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّى نمت فى فراشى فسمعت صريرا كصرير الرحى و دويّا كـدوىّ النحل و لمعانا كلمعان البرق فرفعت رأسى فاذا أنا بظلّ أسود يعلو و يطول بصحن دارى فمسست جلده فاذا هو كجلد القنفذ فرمى فى وجهى مثل شرر النّار فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: عامر داركِ يا با دجانه ثمّ طلب دواتا و قرطاسا و أمر عليّا عليه السّلام أن يكتب:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هـذا كتاب من رسول ربّ العالمين إلى من طرق الـدار من العمار و الزوار إلّا طارقا يطرق بخير أمّا بعد فـانّ لنـا و لكم فى الحقّ سعه فـان يكن عاشقا مولعا فاجرا مقتحما فهـذا كتاب اللّه ينطق علينا و عليكم إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابى هذا و انطلقوا إلى عبده الأصنام و إلى من يزعم أنّ مع اللّه الها آخر لا إله الّا هو كلّ شىء هالك إلّا وجهه له الحكم و إليه ترجعون حم لا ينصرون حمعسق تفرق أعداء اللّه و بلغت حجّه اللّه و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه فسيكفيكهم اللّه و هو السّميع العليم.

ص:۱۰۷

قال أبو دجانه فأخذت الكتاب و أدرجته و حملته إلى دارى و جعلته تحت رأسى فبت ليلتى فما انتبهت إلّا من صراخ صارخ يقول: يا با دجانه أحرقتنا هذه الكلمات فبحقّ صاحبك إلّا ما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عود لنا فى دارك و لا فى جوارك و لا فى موضع يكون فيه هذا الكتاب قال أبو دجانه: لا أرفعه حتّى استأذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

قال أبو دجانه و لقد طالت علىّ ليلتى ممّا سمعت من أنين الجنّ و صراخهم و بكائهم حتّى أصبحت فغدوت فصلّيت الصّبح مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبرته بما سمعت من الجنّ و ما قلت لهم فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا با دجانه ارفع عن القوم فو الذى بعثنى بالحقّ نبيّا إنّهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامه.

فى المحاسن مسندا عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إذا ضللت فى الطريق فناد: يا صالح يا با صالح أرشدونا إلى الطريق رحمكم اللّه، قال عبد اللّه: فأصابنا ذلك فامرنا بعض من معنا أن يتنحّى و ينادى كذلك قال: فتنحّى فنادى ثمّ أتانا فأخبرنا أنّه سمع صوتا برز دقيقا يقول: الطريق يمنه أو قال يسره، فوجدناه كما قال.

فى البحار قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا أصاب أحدا منكم وحشه أو نزل بأرض مجنّه فليقل: أعوذ بكلمات اللّه التّامات التى لا يجاوزهنّ برّ و لا فاجر من يشرّ ما يلج فى الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السّماء و ما يعرج فيها و من فتن اللّيل و من طوارق النهار إلّا طارقا يطرق بخير

إذا قلّ مال المرء قلّ بهاؤهو ضاقت عليه أرضه و سماؤه

إذا قلّ مال المرء لم يرض عقلهبنوه و لم يعصب له أولياؤه

فيل كلّ عضو من الأعضاء فرد فهو مذكّر إلّا الكبد و الطحال، و كلّ ما كان فى الجسد اثنين فهو مؤنث إلّا الحاجب و الخدّ و الجنب.

فى الأثر انّ الرّبيع بن خثيم حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد من قلبه قسوه اضطجع فيه فمكث ما شاء ثمّ يقول ربّ ارجعون لعلّى أعمل صالحا فيما تركت

ثمّ يردّ على نفسه فيقول قد ارجعتك فجدّ.

قيل كان ملك يسير و معه نديم له فبيناهما كذلك إذا بكلب بال على قبر فقال الملك: لعلّ هذا قبر رافضىّ يبول عليه الكلب، فقال نديمه: ان كان هذا رافضيّا فالكلب لا بدّ أن يكون سنيّا.

قال الرّشيد للبهلول: أتحبّ أن تكون خليفه؟ قال: لا، و ذلك إنّى رأيت موت ثلاث خلفاء و لم ير الخليفه موت بهلولين.

و فى زهر الرّبيع دخل رجل من أهل حمص إلى بلد فرأى فيها مناره فقال لصاحبه: ما أطول قامه من بنا هذه المناره، فقال له صاحبه: يا أخى هل فى الدّنيا من يكون قامته مثل هذه المناره و إنّما بنوها فى الأرض و هى نائمه ثمّ أقاموها.

فى زهر الرّبيع رأيت رساله فى المشهد الرّضوى على مشرّفه السّلام سنه ثمان بعد المأه و الألف للامام الجوينى من أكابر علماء مذهب الشّافعى ردّ بها على مذهب الحنفيه و ذكر فيها أشياء كثيره من أكاذيب أبى حنيفه و زخارفه و خلافه على ملّه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و ذكر من جمله الطّعون عليه: أنّ السّلطان محمود بن سبكتكين كان على مذهب أبى حنيفه و كان مولعا بعلم الحديث يقرأ بين يديه و هو يسمع فوجد الأحاديث أكثرها موافقا لمذهب الشّافعى فالتمس من العلماء الكلام فى ترجيح أحد المذهبين فوقع الاتفاق على أن يصلّوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعى و ركعتين على مذهب أبى حنيفه لينظر فيه السّلطان و يتفكّر و يختار ما هو أحسن فصلّى القفال المروزى من أصحاب الشّافعى ركعتين على مذهب الشّافعىّ بالأركان و الأذكار و الطّمأنينه و الطّهاره ممّا لم يجوّزه غير الشّافعى، ثمّ أمر القفال أن يصلّى بين يديه ركعتين على ما يجوّزه أبو حنيفه، فقام و ليس جلد كلب مدبوغ و لطخ ربعه بالنجاسه لأنّ أبا حنيفه يجوّز الصّلاه على هذا الحال، و توضّأ بنبيذ التّمر فاجتمع عليه الذّباب و توضّأ معكوسا منكوسا ثمّ استقبل القبله فأحرم بالصّلاه من غير نيّه و أتى بالتكبير بالفارسيّه ثمّ قرء آيه بالفارسيّه

دو برک سبز(۱) ثمّ نقر نقرتين کنقر الدّيک من غير فصل و من غير رکوع و تشهّد.

فقال القفال أيّها السّلطان هذه صلاه أبی حنيفه فقال السّلطان ان لم تکن هذه لقتلتک فأنکر أصحاب أبی حنيفه هذه صلاته فأمر القفال باحضار کتب العراقيين و أمر السّلطان نصرانيّا يقرأ کتب المذهبين فوجدت الصّلاه على مذهب أبی حنيفه کما حکاه القفال فعدل السلطان إلى مذهب الشّافعی و هذه المقاله نقلها علیّ بن سلطان الهروی الحنفی.

ثمّ عارض الشّافعيه بأنّهم يقولون: إذا کان جماعه معهم من الماء قلتين و ذلک لا يکفيهم لطهارتهم و لو کمّلوه ببولهم لکفاهم فانّه يجب عليهم تکميله بالبول أو الغائط و هذا ممّا تمجّه العقول و تدفعه النقول.

ثمّ عارض تلک الصّلاه بما جوّزه الشّافعی فی الصّلاه فقال: إنّ واحدا منهم إذا اجتمع عندهم ماء بالوعه نجس حتّى صار قلّتين فتمضمض به و استنشق منه ثمّ قال نويت ان اطهّر بهذا الماء الطاهر المطهّر للصّلاه ثمّ غسل وجهه و يديه و مسح برأسه على شعره أو شعرتين ثلاثا أو مرّتين و غسل رجليه ثمّ انغمس فيه معکوسا و منکوسا لکمال الطّهاره و مع هذا رعف وقاء و فصد و احتجم و لبس جلد خنزير بحریّ، و تحنى فی اليدين و الرّجلين مشبّها بالمخانيث و النّساء، و لطخ جميع بدنه و ثيابه بماء منی منفصل عن ذنب حمار حتی اجتمع عليه الذّباب و هو فوق جبل أبی قبيس يقتدى بامام عند الکعبه، و مع هذا همز اللّه أو أکبر ثمّ وقف و الامام انتقل من رکن إلى رکن و هو يقول: بس بس بسمی اللّه و نحوه و هو جاهل بالقرآن غير عالم بمخارج الحروف ثمّ يقول: ملک يوم الدّين باسکان اللام و المستقيم بالغين و الذين بالزا و أنعمت بتحريک النون و يختم بقوله غير المغضوب عليهم و لا الضّالّين بالقاف عوض الغين أو بالذال بدل الضّاد هذه صفه صلاه الشّافعی و أطال فی التشنيع

ص:۱۱۰

۱- (۱) و هو معنى مدهامّتان فی سوره الرحمن

علیه قال الشّاعر:

و مصطنع المعروف من غیر أهله یلاقی کما لاقی مغیث أمّ عامر

قیل(۱) إنّ أمّ عامر کنیه الضبع و انّ صیّادا أراد صیدها فطردها فالتجأت إلی بیت أعرابی فأجارها فلما جاء اللّیل أطعمها و أنامها فقامت فی اللّیل إلی صبیّ فمزّقت بطنه و أکلت رأسه و خرجت لیلا قال أبو الطیب:

و وضع النّدی فی موضع السیف بالعلی مضرّ کوضع السّیف فی موضع النّدی

قال بعض الخلفاء لبعض الزّهاد: إنّک لعظیم الزّهـد، فقال: إنّک أزهد منّی لأنّک زهدت فی نعیم الآخره و هو نعیم دائم عظیم و زهدت أنا فی نعیم الدّنیا الحقیر المنقطع.

کان بعضهم فی أیّام صغره أشدّ منه ورعا فی أیّام کبره فقال:

عصیت هوی نفسی صغیرا و عند ما أتتنی اللّیالی بالمشیب و بالکبر

أطعت الهوی عکس القضیه لیتنی خلقت کبیرا ثمّ عدت إلی الصّغر

الترجمه

از جمله کلام آن جناب ولایت مآب است در ذکر عمرو بن عاص بی اخلاص می فرماید: تعجب میکنم تعجب کردنی به پسر نابغه باغیه می گوید باهل شام بدرستی که در من است مزاحی و بدرستی که من مردی هستم بسیار بازی کننده شوخی میکنم و بازی می نمایم، بتحقیق که گفته است آن روسیاه حرف باطل و تباه را، و گویا شده است در حالتی که گناه کننده است.

۱- (۱) و قیل انه کان من حدیثه ان قوما خرجوا الی الصید فی یوم حار فعرضت لهم ام عامر فطردوها فألجأوها الی خباء أعرابی فاقتحمته فخرج الیهم الاعرابی و قال: لا تصلون الیها ما ثبت قائم سیفی بیدی، فرجعوا و ترکوها فأسقاها و أطعمها حتی استراحت، فبینما الاعرابی قائم اذ و ثبت الیه فبقرت بطنه و شربت دمه، فجاء ابن عمه فرآه مقتولا فأخذ قوسه و تبعها حتی أدرکها فقتلها و أنشا یقول:و من یصنع المعروف مع غیر أهلهیلاقی الذی لاقی مجیر امّ عامرفقل لذوی المعروف هذا جزاء منبدا یصنع المعروف فی غیر شاکر، منه

آگاه باشید که بدترین گفتار دروغ است و بدرستی آن بد بنیاد حرف می زند پس دروغ می گوید و وعده می دهد پس خلف وعده میکند، و سؤال میکند پس اصرار می نماید در سؤال، و سؤال کرده می شود پس بخل می ورزد از قضاء آمال، و خیانت میکند در عهد و پیمان، و قطع رحم میکند از خویشان، پس اگر واقع شود آن بد خصال در نزد قتال و جدال پس چه بزرگ نهی کننده است و امر نماینده مادامی که شمشیرها شروع نکرده اند در محل شروع خود.

یعنی ما دامی که نایره حرب مشتعل نشده است دعوی سر کردگی میکند و مشغول امر و نهی می شود، پس چون زمان ضرب و شست رسید و شجاعان روزگار مشغول کارزار گردید میباشد بزرگترین حیله آن با تزویر این که بذل کند بمردمان دبر خود را و باین واسطه و تدبیر از دم شمشیر آبدار نجات یابد چنانچه در جنگ صفین امام عالمیان قصد آن بدبخت بی دین را نمود و او خودش را از اسب بزمین انداخت و آن مردود ابتر علاجی از مرگ بغیر از کشف از قبل و دبر خویش نیافت پس آن معدن حیا و عفت از سوئت آن بدبخت رو بتافت و بازگشت.

پس می فرماید آگاه باشید بخدا سوگند که بازمیدارد مرا از بازی کردن ذکر موت، و بازمیدارد ابن نابغه را از گفتار حق فراموشی آخرت، و بدرستی که آن بیعت نکرد بمعاویه تا این که شرط کرد از برای وی که عطا کند باو عطاء قلیلی و ببخشد او را بر ترک دین رشوت حقیری که عبارت باشد از حکومت دو روزهٔ مصر.

و من خطبه له علیه السّلام و هی الرابعه

اشاره

و الثمانون من المختار فی باب الخطب

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، الأوّل لا شیء قبله و الآخر لا غایه له، لا تقع الأوهام له علی صفه، و لا تعقد القلوب منه

ص:۱۱۲

على كيفيّه، و لا تناله التّجزيه و التّبعيض، و لا تحيط به الأبصار و القلوب.

منها فاتّعظوا عباد اللّه بالعبر النّوافع، و اعتبروا بالاى السّواطع، و ازدجروا بالنّذر البوالغ، و انتفعوا بالذّكر و المواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنيّه، و انقطعت منكم علائق الامنيّه، و دهمتكم مفظعات الأمور، و السّياقه إلى الورد المورود، و كلّ نفس معها سائق و شهيد، سائق يسوقها إلى محشرها، و شاهد يشهد عليها بعملها. و منها فى صفه الجنه درجات متفاضلات، و منازل متفاوتات، لا ينقطع نعيمها، و لا يظعن مقيمها، و لا يهرم خالدها، و لا يبأس «يبأس خ ل» ساكنها.

اللغه

(العبر) جمع عبره و هى ما يعتبر به أى يتّعظ و (الآى) جمع آيه و هى العلامه و آيه القرآن كلّ كلام متصل إلى انقطاعه، و قيل ما يحسن السّكوت عليه و (سطع) الشىء يسطع من باب منع ارتفع و (النّذر) بضمّتين جمع نذير و هو المنذ رأى المخوف، قال الشّارح المعتزلى: و الأحسن أن يكون النذر هى الانذارات نفسها، لأنّه قد وصف ذلك بالبوالغ و بوالغ لا تكون فى الأكثر إلاّ صفه المؤنث.

أقول: و عليه حمل قوله سبحانه:

«فَكَيْفَ كانَ عَذابِى وَ نُذُرِ ».

ص:۱۱۳

أی کیف رأیتم انتقامی منهم و انذاری إیّاهم مرّه بعد اخری فالجمع للمصدر باعتبار اختلاف الأجناس و الأنواع و (علق) الشوک بالثوب من باب تعب إذا نشب و (المخلب) من الحیوان بمنزله الظفر للانسان و (مفظعات الأمور) بالفاء و الظاء المعجمه شدایدها الشنیعه و (ظعن) ظعنا من باب نفع ارتحل (و لا یبأس) بالباء الموحده مضارع بئس کسمع یقال بئس فلان إذا أصاب بؤسا و هو الضّر و الشدّه، و فی بعض النّسخ لا ییأس بالیاء المثناه التحتانیه من الیأس بمعنی القنوط یقال یأس ییأس من باب منع، و من باب ضرب شاذّ و فی لغه کحسب.

الاعراب

قوله: فکأن قد علقتکم مخفّفه کأنّ و ملغاه عن العمل علی الاستعمال الفصیح لفوات مشابهه الفعل بفوات فتحه الآخر و لذلک ارتفع بمدها الاسم فی قوله:

و نحر مشرق اللّون کأن ثدیاه حقّان.

و ان أعملتها قلت ثدییه لکنه استعمال غیر فصیح و مثله قوله:

و یوما توافینا بوجه مقسّم کأن ظبیه تعطو إلی وارق السّلم

برفع ظبیه علی الاهمال و نصبها علی الأعمال و یروی جرّها علی جعل أن زایده أی کظبیه و إذا لم تعملها ففیه ضمیر شأن مقدّر کما فی ان المخففه و یجوز أن یقال بعدم التقدیر لعدم الدّاعی علیها، ثمّ هل هی فی قوله للتحقیق کما قاله الکوفیّون فی قوله:

فأصبح بطن مکه مقشعرّا کأنّ الأرض لیس بها هشام

أو للتقریب کما فی قولهم: کأنّک بالشتاء مقبل، و کأنّک بالدّنیا لم تکن و بالآخره لم تزل، الوجهان محتملان و ان کان الأظهر هو الأوّل و قوله علیه السّلام: لا ینقطع نعیمها إما فی محلّ النّصب علی الحال أو فی محلّ الرّفع علی الوصف.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه کما یظهر من الکتاب مأخوذه و ملتقطه من خطبه طویله و لم نعثر بعد علی أصلها و ما أورده السید «ره» هنا یدور علی فصول ثلاثه.

ص:۱۱۴

الفصل الاول

فی الشّهاده بالتّوحید و ذکر بعض صفات الجمال و الجلال و هو قوله:(و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده) فی ذاته و صفاته (لا شریک له) فی أفعاله و مخلوقاته، و قد مضی تحقیق الکلام فی ذلک فی شرح الفصل الثّانی من فصول الخطبه الثانیه فلا حاجه إلی الاعاده (الأوّل) بالأزلیّه ف (لا شیء قبله و الآخر) بالأبدیّه ف (لا غایه له) قد مضی تحقیق الأول و الآخر فی شرح الخطبه الرّابعه و السّتین، و قدّمنا هناک أنّ أولیّته سبحانه لا تنافی آخریته، و آخریّته لا تنافی أوّلیّته کما تتنافیان فی غیره سبحانه.

و نقول هنا مضافا إلی ما سبق: أنّه سبحانه أوّل الأشیاء و قبل کلّ شیء فلا یکون شیء قبله، و ذلک لاستناد جمیع الموجودات علی تفاوت مراتبها و کمالاتها إلیه، و هو مبدء کلّ موجود فلم یکن قبله أوّل بل هو الأوّل الّذی لم یکن قبله شیء.

قال النّیسابوری فی محکیّ کلامه: و هو سبحانه متقدّم علی ما سواه بجمیع أقسام التقدّمات الخمسه التی هی تقدّم التّأثیر و الطبع و الشرف و المکان و الزمان، أمّا بالتّأثیر فظاهر، و أمّا بالطّبع فلأنّ ذات الواجب من حیث هو لا یفتقر إلی الممکن من حیث هو و حال الممکن بالخلاف، و أمّا بالشّرف فظاهر، و أمّا بالمکان فلأنّه وراء کلّ الأماکن و معها کقوله تعالی:

«فَأَیْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ».

و قد جاء فی الحدیث لو دلیتم بحبل إلی الأرض السّفلی لهبط إلی اللّه ثمّ قرأ: هو الأوّل و الآخر، و أمّا بالزّمان فأظهر.

و أمّا آخریّته فلأنه هو الباقی بعد فناء وجود الممکنات و إلیه ینتهی کلّ الموجودات فهو غایه الغایات فلا یکون له غایه.

ص:۱۱۵

قال بعض العارفين: هو الآخر بمعنى أنه غايه القصوى تطلبها الأشياء و الخير الأعظم الّذى يتشوّقه الكلّ و يقصده طبعا و إراده، و العرفاء المتألّهون حكموا بسريان نور المحبّه له و الشوق إليه سبحانه فى جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم و أنّ الكاينات السّفليه كالمبدعات العلويّه على اغتراف شوق من هذا البحر العظيم و اعتراف شاهد مقرّ بوحدانيّه الحقّ القديم.

فهو الأوّل الذى ابتدء أمر العالم حتّى انتهى إلى أرض الأجسام و الأشباح و هو الآخر الذى ينساق إليه وجود الأشياء حتى يرتقى إلى سماع العقول و الأرواح و هو آخر أيضا بالاضافه إلى سير المسافرين، فانهم لا يزالون مترقّين من رتبه إلى رتبه حتى يقع الرجوع إلى تلك الحضره بفنائهم عن ذواتهم و اندكاك جبال هويّاتهم، فهو تعالى أوّل من حيث الوجود، و آخر من حيث الوصول و الشهود، و قيل أوليّته أخبار عن قدمه و آخريّته اخبار عن استحاله عدمه.

و فى الكافى بإسناده عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام و قد سئل عن الأوّل و الآخر فقال عليه السّلام: الأوّل لا عن أوّل قبله و لا عن بدىء سبقه، و الآخر لا عن نهايه كما يعقل عن صفات المخلوقين و لكن قديم أوّل آخر لم يزل و لا يزول بلا بدىء و لا نهايه لا يقع عليه الحدوث و لا يحول من حال إلى حال، خالق كلّ شىء و يأتى إنشاء اللّه شرح هذا الحديث فى شرح الخطبه المأه.

(لا تقع الأوهام له على صفه) أراد عليه السّلام أنه لا تناله الأوهام و لا تلحقه فتقع منه على صفه إذ الوهم لا يدرك إلّا ما كان ذا وضع و مادّه، فأمّا الأمور المجرّده عن الوضع و المادّه فالوهم ينكر وجودها فضلا أن يصدق فى اثبات صفه لها، و البارى سبحانه مع بساطه ذاته و تجرّده ليس له صفه زايده حتّى يدركه الأوهام أو تصفه بصفه، و قد مرّ بعض القول فى ذلك فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الاولى.

(و لا تعقد القلوب منه على كيفيّه) إذ ليس لذاته تعالى كيفيّه حتّى تعقد عليها القلوب فلا يعرف بالكيفوفيه، و تحقيق ذلك يتوقّف على معرفه معنى الكيف فنقول: إنّ الكيف كما قيل هى هيئه قارّه فى المحلّ لا يوجب اعتبار

وجودها فيه نسبه إلى أمر خارج عنه و لا قسمه فى ذاته و لا نسبه واقعه فى اجزائه، و بهذه القيود تفارق الأعراض الثمانيه الباقيه.

و أقسام الكيفيّات و أوايلها أربعه، لأنّها إمّا أن تختصّ بالكميّات من جهه ما هى كمّ كالمثلّثيه و المربّعيّه للأشكال، و الاستقامه و الانحناء للخطوط، و الزوجيه و الفرديه للأعداد و إمّا أن لا تختصّ بها و هى إمّا أن تكون مدركه بالحسّ راسخه كانت كصفره الذهب و حلاوه العسل، أو غير راسخه كحمره الخجل و صفره الوجل و إمّا أن لا تكون مدركه بالحسّ و هى إمّا استعدادات للكمالات كالاستعداد للمقاومه و الدّفع و للانفعال و تسمّى قوّه طبيعيه كالصّلابه و المصحاحيه، أو للنّقايص كالاستعداد بسرعه للانفعال و تسمّى ضعفا و لا قوّه طبيعيّه كاللين و الممراضيه و إمّا أن لا تكون استعدادا للكمالات و النقائص بل تكون فى أنفسها كمالات أو نقايص فما كان منها ثابتا يسمى ملكه كالعلم و القدره و الشّجاعه، و ما كان سريع الزوال يسمّى حالا كغضب الحليم و حلم الغضبان فهذه أقسام الكيف و اجناسها و يتدرج تحتها أنواع كثيره.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ من المحال أن يتّصف سبحانه بها لكونها حادثه بالذّات ممكنه الوجود مفتقره إلى جاعل يوجدها بريء الذّات عن الاتّصاف بها، أمّا حدوثها و إمكانها فلكونها ذات ماهيّه غير الوجود فكونها عرضا قائما بمحلّه فهى مفتقره إلى جاعل و ينتهى افتقارها بالأخره إلى اللّه سبحانه، و أمّا برائه ذاته سبحانه من الاتّصاف بها فلأنّ موجد الشيء متقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيّف بالكسر أى جاعل الكيف مكيّفا بالفتح أى منفعلا و إلاّ لزم تقدّم الشيء على نفسه و كون الشيء الواحد فاعلا و قابلا لشيء واحد.

(و لاـ تناله التجزيه و التبعيض) عطف التبعيض على التجزيه إمّا من باب التأكيد أو المراد بالأول نفى الأجزاء العقليّه كالجنس و الفصل و بالثانى نفى الأجزاء الخارجيه كما فى الأجسام، و على كلّ تقدير فالمقصود به نفى التركيب عنه إذ كلّ مركّب ممكن.

و أمّا ما قاله الشّارح البحرانى: من أنّه اشاره إلى نفى الكميّه عنه إذ كانت التجزيه و التبعيض من لواحقها و قد علمت أنّ الكمّ من لواحق الجسم و البارى تعالى ليس بجسم و ليس بكمّ.

ففيه أنّه خلاف الظاهر إذ التّجزيه أعمّ من التجزيه العقليّه و الخارجيّه و لا دليل على التّخصيص بالثانيّه لو لم تكن ظاهره فى الأولى حسب ما أشرنا إليه فيكون مفادها على ذلك مفاد قوله عليه السّلام فى الخطبه الأولى: فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه و من ثنّاه فقد جزّاه.

(و لا تحيط به الأبصار و القلوب) و قد مرّ تحقيق ذلك فى شرح الخطبه الثالثه و الأربعين بما لا مزيد عليه و فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الاولى.

الفصل الثانى

(منها) فى التذكير و الموعظه و هو قوله عليه السّلام (فاتّعظوا عباد اللّه بالعبر النوافع) اى اعتبروا بالعبر النافعه و اتّعظوا بما حلّ بأهل القرون الخاليه كيف صارت أجسادهم شحبه بعد بضّتها، و عظامهم نحره بعد قوّتها، و كيف انجلوا عن الرّباع و الدّور و ارتحلوا عن الضياع و القصور، و طوّحت بهم طوايح الزّمن و هجرتهم «و أزعجتهم خ ل» عن الأموال و الأولاد و الوطن (و اعتبروا بالآى السّواطع) من آثار القدره و علامات الجلال و الجبروت و العزّه أو بالآيات القرآنيه المعذره و المنذره و براهينها السّاطعه المشرقه.

(و ازدجروا بالنّذر البوالغ) أى بالانذارات الكامله و التّخويفات البالغه الوارده فى الكتاب و السنّه (و انتفعوا بالذكر و المواعظ) النافعه التى تضمّنتها آيات الكتاب المبين و أخبار سيّد المرسلين(فكأن قد علقتكم مخالب المنيّه)شبّه المنيّه بالسّبع من باب الاستعاره بالكنايه و اثبات المخالب تخييل و ذكر العلوق ترشيح (و انقطعت منكم علائق الامنيه) لأنّ الأجل إذا حلّ و الموت إذا نزل انقطع الأهل و ضلّ الحيل و تنغّص اللذات و انتقض الشّهوات (و دهمتكم مفظعات

الامور) أی الامور الموجبه للفظع و الـدّواهی الموقعه فی الفزع من سـكرات الموت و غمرات الفوت و الجـذبه المكربه و السوقه المتعبه و الهجره إلی دار الوحده و بیت الوحشه و ما یلیها من شداید البرزخ و أهوال القیامه.

(و السّـیاقه إلی الورد المورود) أی المكان الذی یرده الخلایق و علیه محشرها و منشرها (و كلّ نفس معها سائق و شهید) اقتباس من الآیه فی سوره ق و هو قوله:

«وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ ذلِکَ یَوْمُ الْوَعِیدِ وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِیدٌ ».

أی تجیء كـلّ نفس من المكلّفین یوم الوعیـد و معهـا (سـائق) من الملائكه (یسوقها إلی محشـرها) أی یحثّها علی السّـیر إلیه (و شاهد) منهم أو من الأنبیاء و الرّسل و الأئمه علی ما سـبق فی شرح الخطبه الواحده و السّبعین أو من الأعضاء و الجوارح كما ورد فی غیر واحـد من الآیـات و یـأتی التصـریح به فی الكلام المأه و الثّامن و التّسـعین إنشاء اللّه (یشـهد علیها بعملها) و بما یعلم من حالها.

الفصل الثالث

(منها فی صفه الجنه) و هو قوله (درجات متفاضلات و منازل متفاوتات) كما قال سبحانه:

«یَرْفَعِ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ » و قال: «هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِیرٌ بِما یَعْمَلُونَ » و قال: «أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ كَرِیمٌ ».

و تفـاوت الـدّرجات و تفاضل المنازل إنّما هو بتفاوت أهل الایمان فی مراتب المعرفه و الكمال، فالمؤمنون الكاملون فی مراتب العمل و الاخلاص ذوو الدّرجات العلی و النّاقصون فیهما ذوو الدّرجات السّفلی و قد جاء فی الخبر أنّ أهل الجنّه لیرون

أهل علّيّن كما يرى النجم فى افق السّماء.

و فى الحديث إنّ فى الجنّه مأئه درجه بين كلّ درجتين منها مثل ما بين السّماء و الأرض و أعلى درجاتها الفردوس و عليها يكون العرش و هى أوسط شىء فى الجنّه و منها تفجر أنهار الجنّه فاذا سألتم اللّه فاسألوه الفردوس.

و فى بعض الرّوايات إنّ اقلّ ما يعطى المؤمن فيها ما يقابل الدّنيا و أشرف المنازل و أرفع المراتب هو مرتبه الرّضوان كما قال سبحانه:

«وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

أى رضاء اللّه عنهم و محبّته أيّاهم أكبر من كلّ لذّات الجنّه، و هذه اللّذه لا يدركها كلّ أحد و إنما هى مختصّه بالأولياء التّامين فى مقام المحبّه الكاملين فى العبوديه و فى روايه زراره الوارده فى ثواب البكاء على الحسين عليه السّلام عن الصّادق عليه السّلام و ما من عبد يحشر إلّا و عيناه باكيه إلّا الباكين على جدّى فانه يحشر و عينه قريره و البشاره تلقّاه و السّرور على وجهه و الخلق يعرضون و هم حدّاث الحسين تحت العرش و فى ظلّ العرش لا يخافون سوء الحساب يقال لهم: ادخلوا الجنّه فيأبون و يختارون مجلسه و حديثه، و أنّ الحور لترسل إليهم إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين فما يرفعون رؤوسهم لما يرون فى مجلسهم من السّرور و الكرامه الحديث.

فلا تظنن أنّ أعلى الدّرجات هو أعالى الجنان و الجلوس مع الحور و الغلمان فانّ هذا من لذات البدن و الرّضوان من لذّات الرّوح، و لذا كان مطمح نظر الأئمه عليهم آلاف الصّلاه و التحيّه تلك اللّذه المعنويّه كما يشير إليه قول أمير المؤمنين عليه السّلام ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا فى جنّتك و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك و تقابل هذه المرتبه أعنى مرتبه الرّضوان لأهل السّعاده مرتبه الخذلان لأهل

الشقاوه كما يشير إليه قوله تعالى حكايه عنهم:

«رَبَّنا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ».

فانّ قولهم أخزيته دون أحرقته أو عذّبته دليل على أنّ ألم الخزى عندهم أشدّ و أفظع من ألم الاحتراق بالنار، و ذلك لأنّ الخزى عذاب روحانىّ و عذاب الاحتراق و الأفاعى و العقارب و ساير ما اعدّ فى جهنّم عذاب جسمانىّ، و لا شكّ أنّ الأوّل أشدّ و آكد.

ثم أشار عليه السّلام إلى دوام نعيم الجنّه بقوله:(لا ينقطع نعيمها) و قد أشير إلى ذلك فى غير واحده من الآيات مثل قوله سبحانه:

«مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها » و قوله: «وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ وَ ماءٍ مَسْكُوبٍ وَ فاكِهَهٍ كَثِيرَهٍ لا مَقْطُوعَهٍ وَ لا مَمْنُوعَهٍ » و قوله: «إِنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ » و إنّما لم يكن لنعمها نفاد و انقطاع لأنّ استحقاق تلك النّعيم إنّما نشأ من ملكات ثابته فى جوهره لا تتغيّر و لا تتبدّل و مهما دام الاستحقاق القابل للنعمه و الجود وجب دوام الافاضه و الانعام من واجب الوجود، إذ هو الجواد المطلق الذى لا بخل من جهته و لا نفاد فى خزانته (و لا يظعن مقيمها) أى لا يسير عنها و المراد به إمّا نفى سيره عنها إلى الخارج فيكون المقصود به الاشاره إلى أنّها دار خلود و دوام و على ذلك فهذه الجمله تأكيد للجمله السّابقه، و إمّا نفى السير عن مقامه إلى مقام آخر فيها طلبا لما هو أحسن منه و إلى الأوّل أشير فى قوله تعالى:

«لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها » الآيه و على الثّانى اشير فى قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ »

«كـانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ـ خالِدِينَ فِيهـا لا ـ يَبْغُونَ عَنْهـا حِوَلاً » قال فى مجمع البيان: أى دائمين فيها لا يطلبون عن تلك الجنّات تحوّلا إلى موضع آخر يطلبها و حصول مرادهم فيها (و لا يهرم خالـدها و لا ييأس ساكنها) لأنّ الهرم و البؤس متلازمان للتعب و النّصب المنفيّين فى حقّ أهل الجنّه كما قال سبحانه حكايه عنهم:

«وَ قـالُوا الْحَمْـدُ لِلّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَـكُورٌ اَلَّذِى أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَهِ مِنْ فَضْـلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ ».

أى لا يمسّنا فيها عناء و مشقّه و لا يصيبنا فيها اعياء و متعبه

الترجمه

از جمله خطبهاى آن حضـرتست كه مشـتمل است بسه فصل فصل اول در مقام شـهادت بتوحيـد مى فرمايد: و گواهى مى دهم كه نيست هيچ معبودى بسـزا بجز خدا در حالتى كه يگانه است و نيست شريك او را، أوّلى است كه نيست هيچ چيزى پيش از او در بدايه، و آخريست كه نيست مر او را غايه و نهايت، واقع نمى شود و همها از براى او بر صـفتى، و بسته نمى شود عقلها از او بر كيفيّتى، از جهه اين كه او منزّه است از صـفه زايـده بر ذات، و مبرّاست از كيفيه و چگونگى حالاـت، و نمى رسـد بـدايرۀ ذات او تجزّى و تبعّض بجهه اتصاف او بوحدت، و نمى تواند احاطه كند باو أبصار و قلوب و ادراك كنند او را بحقيقت.

فصل دوم در مقام موعظه و نصـيحت مى فرمايـد: پس قبول موعظه نمائيـد أى بنـدگان خـدا با عبرتهاى نافعه، و عبرت برداريد بآيات باهره، و منزجر بشويـد با ترسانيـدنهاى بى پايان، و منتفع باشـيد بـذكر متـذكران و موعظهاى واعظان، پس گويا فرو رفته است بشما چنگالهاى مرگ خون آشام، و بريده شده است از شما

ص:١٢٢

علاقهای آرزوها بناکام، و رسیده است ناگهان بشما فظع آورنده کارها، و راندن بسوی محشر که محلّ ورود خلایق است آنجا، و هر نفس او راست راننده و گواهی دهندهٔ که گواهی می دهد بعمل ناپسندیده او.

فصل سیم در صفه جنّت می فرماید: درجه های بهشت بعضی تفاضل دارد ببعضی و بعض دیگر منازل آن با تفاوتست با یکدیگر، بریده نمی شود نعیم بهشت و رحلت نمی کند مقیم بهشت، و پیر نمی شود کسی که مخلّد است در آن، و محزون نمی شود یا مأیوس نمی گردد کسی که ساکن است در آن بلکه ساکنان آن جوانان تازه و رعنا است، و مقیمان آن ملتذّند با لذائذ بی حدّ و انتها.

و من خطبه له علیه السلام و هی الخامسه و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

قد علم السّرائر، و خبر الضّمائر، له الإحاطه بکلّ شیء، و الغلبه لکلّ شیء، و القوّه علی کلّ شیء، فلیعمل العامل منکم فی أیّام مهله قبل إرهاق أجله، و فی فراغه قبل أوان شغله، و فی متنفسّه قبل أن یؤخذ بکظمه، و لیمهّد لنفسه و قدمه، و لیتزوّد من دار ظعنه لدار إقامته. فاللّه اللّه أیّها النّاس فیما استحفظکم من کتابه، و استودعکم من حقوقه، فإنّ اللّه لم یخلقکم عبثا، و لم یترککم سدی، و لم یدعکم فی جهاله و لا عمّی، قد سمّی آثارکم، و علم أعمالکم، و کتب آجالکم

ص:۱۲۳

و أنزل عليكم الكتـاب تبيانـا، و عمّر فيكم نبيّه أزمانا، حتّى أكمل له و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّـذى رضـى لنفسه، و أنهى إليكم على لسـانه محـابّه من الأعمـال و مكارهه، و نواهيه و أوامره، فألقى إليكم المعـذره، و اتّخـذ عليكم الحجّه، و قـدّم إليكم بالوعيد، و أنذركم بين يدى عذاب شديد، فاسـتدركوا بقيّه أيّامكم، و اصبروا لها أنفسـكم، فإنّها قليل فى كثير الأيّام الّتى تكون منكم «فيهـا خ» الغفله، و التّشاغل عن الموعظه، و لا ترخّصوا لأنفسـكم، فتـذهب بكم الرّخص فيها مـذاهب الظّلمه، و لا تـداهنوا فيهجم بكم الإدهـان على المعصـيه. عبـاد اللّه إنّ أنصـح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه، و إنّ أغشّـهم لنفسه أعصاهم لربّه، و المغبون من غبن نفسه، و المغبوط من سـلم له دينه، و السّعيد من وعظ بغيره، و الشّقىّ من انخدع لهواه، و اعلموا أنّ يسير الرّياء شرك، و مجالسه أهل الهوى منسأه للإيمان، و محضـره للشّـيطان جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان، الصّادق على شـفا منجاه و كرامه، و الكاذب على شـرف مهواه و مهانه، و لا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب، و لا تباغضوا فإنّها الحالقه، و اعلموا أنّ الأمل يسهى العقل، و ينسى الذّكر، فأكذبوا الأمل فإنّه غرور،

ص:۱۲۴

و صاحبه مغرور.

اللغه

(السّـِرّ و السّـِريره) ما يكتم و جمع الأوّل أسرار و الثانى السّراير (خبرت) الشىء من باب قتل علمته و امتحنته، و فى القاموس خبر ككرم و فى بعض النسخ خبر الضّماير بكسر الباء، قال الشارح المعتزلى: خبر الضمايرا متحنها و ابتلاها و من رواه بكسر الباء أراد علم انتهى فافهم.

و(ضـمير)الانسان قلبه و باطنه كما فى المصـباح و الجمع الضّماير، و فى القاموس الضمير السّر و داخل الخاطر، و على ذلك فهو إمّا حقيقه فى الأوّل مجاز فى الثانى أو بالعكس بعلاقه الحال و المحل و (المهل) محركه المهله و (الارهاق) الاعجال و (الكظم) محركه مخرج النفس و (الظعن) الارتحـال و (الانهـاء) الاعلام و الابلاغ و (الرّخصه) التّسـهيل فى الأمر و الجمع رخص كغرفه و غرف و (الادهان) و المداهنه اظهار خلاف ما تضمر و الغشّ.

و (المنسـاه) و (المحضـره) محـلّ النسـيان و الحضور، و التاء فيهما للتكثير كما يقال أرض مسبعه أى كثير فيها السّـِباع و (الشـفا) طرف كلّ شىء و (الشرف) محركه المكان العالى و (المهواه) محلّ السقوط و (المهانه) الذله و الحقاره و (الحالقه) الخصله التى فيهـا حلق اى شؤم قـال فى القـاموس: و الحـالق المشـئوم كالحالقه فالتاء للمبالغه و فى القاموس أيضا الحالقه قطيعه الرّحم و التى تحلق رأسها فى المصيبه، قال شارح القاموس و منه الحديث دبّ اليكم داء الامم البغضاء الحالقه، و هى قطيعه الرّحم انتهى.

و أمّا تفسير الحالقه بالمستأصله للشعر كما فى شرح المعتزلى و البحرانى فلم أجده فى كتب اللّغه و كذلك لم أجد تفسير الحالق بما يحلق به الشّـعر بل المستفاد من القاموس خلافه حيث ذكر للحالق معانى و لم يذكر ذلك فيها، و قال: المحلق كمنبر الموسى فيفهم منه أن ما يحلق به الشعر و يستأصل به على وزن مفعل لا على وزن الفاعل و الفاعله.

ص:۱۲۵

الاعراب

الفـاء فی قوله: فليعمـل فصـيحه، فـاللّه اللّه منصوب على الاـغراء أی فـاتقوا اللّه، و تكرير اللّفـظ نيـابه عن الفعـل المقـدّر، و تبيانا منصوب على الحاليه، و ازمانا على الظرفيه، و الباء فی قوله بالوعيد زايده، و بقيّه أيّامكم منصوب على الظرف، و اصبروا لها اللّام بمعنى على بدليل قوله: فما أصبرهم على النّار، و قوله فانّها قليل أی شیء قليل فحذف الموصوف كما حذف فی قوله تعالى:

«وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً ».

أی قبيلا رفيقا، و نفسه بالنّصب مفعول غبن، و دينه بالرفع فاعل سلم.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هـذه الخطبه مسوقه للتـذكير و المـوعظه، و المقصـود بهـا جـذب الخلق إلى طرف الحقّ و صـدّرها بالاشـاره إلى بعض أوصافه سبحانه لتكون مقدّمه للمقصد فقال عليه السّلام (قد علم السّرائر) و هو كقوله سبحانه:

«وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى » و قوله تعالى:

«يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ ».

و قـد مضـى القول فی ذلـک فی شـرح الخطبه التاسـعه و الأـربعين، و تمام القول فی علمه تعالى بالكلّيات و الجزئيات و السـرّ و الاعلان فی تنبيهات الفصل السّابع من فصول الخطبه الاولى و نقول هنا مضافا إلى ما سـبق: انّ عموم علمه سـبحانه مما اتّفق عليه المتكلّمون و الحكماء.

أمّا المتكلّمون فظاهر لأنّهم تابعون للشّرع و الشرع قد ورد بذلک حسبما عرفت مفصلا فی شرح الخطبتين المذكورتين.

و أمّا الحكماء فملخّص كلامهم على ما فی شـرح البحرانی أنّه يعلم ذاته بذاته و يتّحد هناک المدرک و المدرّک و الادراک و لا يتعدّد إلا بحسب الاعتبارات العقليه التی تحدثها العقول البشريه، و أمّا علمه بمعلولاته القريبه منه فيكون بأعيان ذواتها،

و یتّحد هناک المدرک و الادراک و لا یتعدّدان إلّا بالاعتبار العقلی و یعایرهما المدرک و أمّا بمعلولاته البعیده کالمادّیات و المعدومات التی من شأنها إمکان أن توجد فی وقت أو تتعلّق بموجود فیکون بارتسام صورها المعقوله من المعلولات القریبه التی هی المدرکات لها أوّلا و بالذّات و کذلک ینتهی إلی ادراک المحسوسات بارتسامها فی آلات مدرکاتها.

قالوا: و ذلک لأنّ الموجود فی الحاضر حاضر و المدرک للحاضر مدرک لما یحضر معه فاذا لا یعزب عن علمه مثقال ذرّه فی السّموات و لا فی الأرض و لا أصغر من ذلک و لا أکبر، لکون ذوات معلولاته القریبه مرتسمه بجمیع الصور، و هی التی یعبّر عنها تاره بالکتاب المبین، و تاره باللّوح المحفوظ، و تسمّی عندهم عقولا فعّاله.

هذا ما حقّقه محقّقو الحکماء فی کیفیّه علمه سبحانه، إلّا أنّ الکلام بعد فی صحّه القول بالارتسام، و قد مضی ما فیها فی شرح الفصل السّابع من الخطبه الاولی، و کیف کان فلا ریب فی عموم علمه و ان لم نعلم کیفیّه ذلک و لم نعرفه بکنهه (و خبر الضّمائر) ای امتحن القلوب بالخیر و الشرّ أو أنّه عالم بالقلوب و بما فیها من الأسرار و خبیر بما فی الصّدور علی الاختلاف المتقدّم فی بیان اللّغه قال سبحانه:

«أَ فَلا یَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِی الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِی الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ یَوْمَئِذٍ لَخَبِیرٌ ».

قال بعض المحقّقین: الخبیر هو الّذی لا تعزب عنه الأخبار الباطنه فلا یجری فی الملک و الملکوت شیء و لا تتحرّک ذرّه و لا تسکن و لا تضطرب نفس و لا تطمئنّ إلّا و یکون عنده خبره، و هو بمعنی العلیم لکنّ العلم إذا اضیف إلی الخفایا الباطنه سمّی خبره و سمّی صاحبها خبیرا فهو أخصّ من مطلق العلم (له الاحاطه بکلّ شیء) أی علما و حفظا، أو استیلاء و قدره کما قال تعالی:

«أَلا إِنَّهُ بِكَلِّ شَيْ ءٍ مُحِيطٌ ».

و قد مضى تفسيرها فی شرح الفصل السابع من الخطبه الأولى (و الغلبه لكلّ شیء) كما قال سبحانه:

«وَ اللّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ».

و قد مرّ بعض القول فی غالبيّته فی شرح الخطبه الرابعه و السّتين و أقول هنا إنّ معنى غلبته بكلّ شیء يعود إلى تمام قدرته عليه و كونه قاهرا على جميع الأشياء، و ليس قهره تعالى و غلبته على نحو ما يتصوّر فينا، بل على معنى آخر.

كما أشار إليه أبو الحسن الرّضا عليه السّلام فی حديث الكافی بقوله: و أمّا القاهر فليس على معنى نصب و علاج و احتيال و مداراه و مكر كما يقهر العباد بعضهم بعضا و المقهور منهم يعود قاهرا و القاهر يعود مقهورا، و لكن ذلك من اللّه تعالى على أنّ جميع ما خلق ملبّس به الذلّ لفاعله و قلّه الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفه عين أن يقول له كن فيكون و القاهر منّا على ما ذكرت و وصفت.

توضيحه أنّ اللّه سبحانه لا يحتاج فی قهره و غلبته إلى عمل و آله و مدافعه و تعب و خديعه و مخالطه و حيله كما يحتاج العباد فی قهر بعضهم بعضا إلى ذلك، إذ هذه كلّها من صفات النّقص و زايده على الذّات و من العوارض الّتی يجوز انفكاكها عن المعروض فيجوز أن يكون القاهر فی وقت ما لوقوع تدبيره على وفق مطلوبه مقهورا فی وقت آخر لعدم وقوع تدبيره على وفق مقصوده أو لوقوع تدبير المقهور على نحو ارادته و غلبته على تدبير القاهر كما هو المشاهد فی تدبيرات السّلاطين و الملوك و ساير النّاس.

بل قاهريّته سبحانه عباره عن ذلّ الخلايق لفاعلهم القديم و دخولهم فی استكانه الامكان تحت غلبته و احتياجهم فی اسر الحاجه إلى كمال قدرته بحيث لا يقدرون على الامتناع لما أراد من ذواتهم و صفاتهم و هيئاتهم و مقاديرهم و كمالاتهم و نفعهم

و ضرّهم و خيرهم و شرّهم للزوم حاجتهم فى الذّوات و الصّفات و جميع الحالات إليه و رفع أيدى الامكان و الافتقار لهم من جميع الجهات بين يديه.

و لعلّ لفظ القلّه فى الحديث اشاره إلى صدور الامتناع عن بعضهم قليلا فيما أراد منهم من أفعالهم الاختياريه، و ليس ذلك لقهرهم و غلبتهم عليه، بل لأنه تركهم على حالهم و لم يجبرهم تحقيقا لمعنى التّكليف و الاختيار.

و قوله عليه السّلام لم يخرج منه طرفه عين أن يقول أه حال عن فاعله أو عن فاعل أراد، و ضمير منه راجع إليه، و أن يقول فاعل لم يخرج يعنى لم يخرج منه سبحانه فى سلطانه على الخلق و قهره عليهم طرفه عين قول كن فيكون، فهو إشاره إلى أنّه قاهر دائما و لا يصير مقهورا أبدا، و فيه تنبيه على أنّ الممكن فى بقائه يحتاج إليه سبحانه كما يحتاج إليه فى وجوده.

قال بهمنيار فى محكّى كلامه: إنّ كلّ ممكن بالقياس إلى ذاته باطل و به تعالى حقّ يرشد إليه قوله: كلّ شىء هالك إلّا وجهه فهو آنافآنا يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحقّ كن و يفيض عليه الوجود بحيث لو أمسك عنه هذا القول و الافاضه طرفه عين لعاد إلى البطلان الذاتى و الزّوال الأصلى كما أنّ ضوء الشمس لو زال عن سطح المستضىء لعاد الى ظلمته الأصليّه.

(و القوّه على كلّ شىء) و هو أيضا يعود إلى تمام القدره، و ليس المراد به قوّه البطش المعروف من المخلوق الذى هو الأخذ الشديد عند ثوران الغضب و التناول عند الصّوله أو قوّه التّعلّق بالشىء و أخذه على الشّده، لأنّ القوّه بهذا المعنى من الصّفات الجسمانيه كالقوّه الشّهويه و الغضبيّه و قابله للزّياده و النقصان، فلا يمكن اتّصاف الواجب القديم بذلك بالبديهه و العيان، لكونه من صفات الامكان كما مرّ تفصيلا و تحقيقا فى شرح الخطبه الرّابعه و الستين.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا أشار إلى أنّه سبحانه عالم بما فى الصّدور و غالب على كلّ مقدور و كان ذلك مقتضيا لانجذاب الخلق إليه ليفوزوا بما لديه علما منهم بأنّه سبحانه طالب كلّ راغب و مدرك كلّ هارب أمر بعد ذلك بالطاعات و حذّر عن

الخطيئات فقال:

(فليعمل العامل منكم فی أيّام مهله قبل إرهاق أجله) و هو أمر بالمبادره إلی العمل قبل حلول الأجل، لأنّ الموت إذا حلّ ارتفع التّكليف و بطل، فليبادر فی أيّام المهل قبل أن يحلّ الموت و ينزل و قبل أن يحول بينه و بين العمل.

(و فی فراغه) من شدايد الأهوال (قبل أوان شغله) بفجايع الآجال (و فی متنفّسه) أی سعه نفسه و خلاقه(۱) (قبل أن يؤخذ بكظمه) و خناقه(۲) (و ليمهّد لنفسه و قدمه) قبل أن لا ينفعه ندمه (و ليتزوّد من دار ظعنه) و رحلته (لدار إقامته) و محلّ فاقته، و إنّما أمر بذلك لأنّ سفر الآخره مهول و السّبيل طويل و الخطر جليل فمن لم يمهّد لنفسه زادا يتقوّی به و لا لقدمه محلا يضعها عليه مع حزونه الطّريق و خشونته صعب له الوصول إلی المحلّ بل تاه فی المهامه(۳) و ضلّ.

(فاللّه اللّه عباد اللّه فيما استحفظكم من كتابه) و طلب منكم تدبّر ما فيه من تكليفه و خطابه (و استودعكم من حقوقه) المؤدّيه إلی ثوابه و عقابه (فانّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثا) لعبا (و لم يترككم سدی) هملا۔ كالابل الرّتاع و الجمل الرّعاع، و انّما خلقكم علی وجه الحكمه و الصّواب و جعلكم عاقلا قابلا للتّكليف و الخطاب لتستفيدوا محاسن الآداب، و تنافسوا فی المكارم، و تسارعوا فی المغانم و تحصّلوا المعارف و الطّاعات، و تنتهوا عن المعاصی و السّيئات.

فانه قد نصب لكم أعلام الهدی (و لم يدعكم فی جهاله و لا عمی) فمن خبط بعد ذلک و طغی فقد ضلّ و غوی، و من أطاع فاتّقی فلسوف يعطيه ما يرضی و (قد سمّی آثاركم) خيرها و شرّها و رفع أخباركم نفعها و ضرّها (و علم أعمالكم) صغيرها و كبيرها (و كتب آجالكم) طويلها و قصيرها (و أنزل عليكم الكتاب

۱- (۱) الخلاق بالفتح النصيب.

۲- (۲) و الخناق بالكسر والضمّ الحلق منه

۳- (۳) أی المفازه جمع مهمه

تبيانـا) و برهانا (و عمّر فيكم نبيّه) صـلّى اللّه عليه و آله آونه و (أزمانا) لانتظام معاشـكم و اصـلاح معادكم و اقامه للحجّه عليكم «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ ».

(حتّى أكمل له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذى رضى لنفسه) و أتمّ عليكم نعمته الّتى اختارها له و لكم من اسلامه و شرعه كما قال عزّ من قائل:

«اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ».

(و أنهى إليكم) و أعلمكم (على لسـانه) سـلام اللّه عليه و آله (محـابّه من الأعمـال) الحسـنه (و مكـارهه) من الأفعـال القبيحه (و نواهيه) الموجبه للشّـقاوه (و أوامره) المحصّـِله للسـعاده (فألقى إليكم المعـذره) أى العذر فى عقوبتكم يوم القيامه حتّى لا يكون لكم الحجّه عليه بـل يكون له الحجّه عليكم (و اتّخـذ عليكم الحجّه) بمـا أنزله فى كتـابه لئلاـ تكونوا عن آيـاته فى غفله (و قـدّم اليكم بالوعيـد و أنـذركم بين يدى عذاب شديد) أى قدّم إليكم الوعيد و خوّفكم أمام العذاب الشّديد ليكون الوعيد قبل حلول العقاب و الانذار قبل نزول العقاب، لأنّ العقاب من دون بيان قبيح و التأديب بعد التّكليف حسن و مليح كما قال تعالى شأنه:

«وَ ما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً ».

فأرسل سبحانه رسله مبشّرين و منذرين و بعث رسوله بالكتاب المبين كيلا تقولوا يوم القيامه: إنّا كنّا عن هذا غافلين (فاستدركوا بقيّه أيّامكم و أصبروا لها أنفسكم) أى تداركوا ما أسلفتم من الذّنوب و الخطيئات فيما بقى لكم من الأوقات و احبسوا أنفسكم عليها بتحمّل مشاقّ الطاعات.

و فى الحـديث الصّبر صبران صبر على مـا تكره و صبر عمّـا تحبّ، فـالصّبر الأـوّل مقاومه النّفس للمكاره الوارده عليها و ثباتها و عدم انفعالها، و قد يسمّى سعه الصّدر

و هو داخل تحت الشجاعه، و الصّبر الثانی مقاومه النّفس لقوّتها الشهویه و هو فضیله داخله تحت العفّه (فانّها قلیل فی کثیر الأیام التی تکون منکم الغفله و التشاغل عن الموعظه) یعنی أنّ الأیام الباقیه الّتی یمکن فیها الاستدراک و التدارک قلیله فی جنب الأیام الّتی تکون فیها الغفله و التّشاغل و هی کثیره بالنسبه إلیها.

و لعلّ الاتیان بلفظه تکون دون کانت للاشعار بأنّ غفلتهم لیست مختصّه بما مضی، بل ربما تکون فیما یأتی أیضا، و ذلک لما علم من حالهم أنّهم لا یستغرقون أوقاتهم الآتیه بالتدارک و الطاعه فأمر علیه السّلام بالتدارک فیما هو آت إذ ما مضی قد فات فافهم.

(و لا ترخّصوا لأنفسکم فتذهب بکم الرّخص فیها مذاهب الظلمه) أی مسالکها، و الظاهر أنّ المراد بالترخیص للنفوس المسامحه و المساهله لها، فیکون المقصود بالنّهی المواظبه علیها و مجاهدتها.

روی الکلینیّ باسناده عن السّکونی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعث سریه فلمّا رجعوا قال علیه السّلام: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقی علیهم الجهاد الأکبر فقیل: یا رسول اللّه ما الجهاد الأکبر؟ قال: جهاد النّفس.

و فی الوسایل عن الصّدوق باسناده عن شعیب العقرقوفی عن الصّادق علیه السّلام قال: من ملک نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهی و إذا غضب و إذا رضی حرّم اللّه جسده علی النّار.

و عن الکلینیّ عن عدّه من أصحابنا عن محمّد بن محمّد بن خالد رفعه قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام أقصر نفسک عمّا یضرّها من قبل أن تفارقک، واسع فی فکاکها کما تسعی فی طلب معیشتک فانّ نفسک رهینه بعملک، هذا.

و یحتمل أن یکون المراد به الترخیص فی الشبهات المؤدّی إلی الاقتحام فی الهلکات فیکون مساقه مساق ما رواه الصّدوق عنه علیه السّلام قال: إنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام خطب الناس فقال فی کلام ذکره: حلال بیّن و حرام بیّن و شبهات بین ذلک، فمن ترک ما اشتبه علیه من الاثم فهو لما استبان له أترک، و المعاصی حمی اللّه فمن

ص:۱۳۲

يرتع حولها يوشک أن يدخلها.

و نظيره ما رواه فى الوسائل عن الكراجكى فى كتاب كنز الفوايد مسندا عن سلام بن المستنير عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال: قال جدّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيّها النّاس حلالى حلال إلى يوم القيامه و حرامى حرام إلى يوم القيامه ألا و قد بيّنهما اللّه عزّ و جلّ فى الكتاب و بيّنتهما لكم فى سنّتى و سيرتى، و بينهما شبهات من الشّيطان و بدع بعدى من تركها صلح له أمر دينه و صلحت له مروّته و عرضه، و من تلبّس بها و وقع فيها و اتّبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى، و من رعى ماشيته قرب الحمى نازعته نفسه إلى أن يرعى ها فى الحمى، ألا و إنّ لكلّ ملک حمى ألا و إنّ حمى اللّه عزّ و جلّ محارمه فتوقوا حمى اللّه و محارمه، الحديث.

(و لا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصيه) و المراد بالمداهنه إمّا المساهله للنفس فيكون هذه الجمله تأكيدا للجمله السّابقه، و إمّا ترک المناصحه و الصّدق و إظهار خلاف ما تضمر أعنى النفاق و هو الأظهر.

و منه الحديث القدسى لعيسى عليه السّلام قال لمن تمرّد علىّ بالعصيان و عمل بالادهان ليتوقّع عقوبتى.

و مثله فى حديث الباقر عليه السّلام قال: أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى شعيب النبىّ عليه السّلام انّى معذّب من قومک مأئه ألف أربعين ألفا من شرارهم، و ستّين ألفا من خيارهم فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى إليه داهنوا أهل المعاصى و لم يغضبوا لغضبى.

(عباد اللّه إنّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه) و ذلک لأنّه لما كان مقصود النّاصح بنصحه ايصال المنفعه إلى المنتصح و كان أعظم المنافع و أجلّها هو السّعاده الأبديه و العنايه السّرمديه المستفاده من طاعه الحضره الرّبوبيّه، لا جرم كان أنصح النّاس لنفسه أكثرهم طاعه لربّه.

(و إنّ أغشّ النّاس لنفسه أعصاهم لربّه) و الغشّ خلاف النّصح و هو عباره عن عدم الخلوص و عن اظهار خلاف ما يضمر، و لما كان غرض الغاشّ من غشّه ايصال الضّرر إلى المستغشّ

و كان أعظم المضارّ هو الشّقاوه الأبديّه و العقوبه الدّائمه الناشيه من عصيان الحضره الالهيّه، لا جرم كان أغشّ النّاس لنفسه أكثرهم معصيه لربّه.

و فى هاتين الجملتين من الأمر بالطاعه و التحذير عن المعصيه ما لا يخفى، إذ أحبّ الأشياء إلى الانسان نفس الانسان فهو دائما طالب لمحابّها و منافعها.

هارب عن مضارّها و مكارهها، فيلزم له الاتيان بالطّاعه و الحذر عن المعصيه لكون الاولى جالبه للمحبوب و الأخرى كاسبه للمكروه.

(و المغبون من غبن نفسه) أصل الغبن هو الخداع فالغابن خادع و المغبون مخدوع و الغبن فى البيع هو بيع الكثير بالقليل، و لمّا كانت الشّهوات الدّنيويه و اللّذايذ العاجله زهيده قليله فى جنب الثّمرات الأخرويّه و المنافع الآجله، و كان المشتغل باللّذات الدّنيه و الصّارف عمره فى الشّهوات الخسيسه قد فوّت على نفسه المنافع الكثيره و النّعم الخطيره، فكأنّه قد باع الكثير بالقليل و فوّت على نفسه الخطير بالحقير، لا جرم كان هو غابنا لنفسه و خادعا لها حيث بخسها ما تستحقّه من ثواب اللّه و رضوانه، و منه قوله تعالى:

«يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ ».

قال الطبرسى فى تفسيره: هو تفاعل من الغبن و هو أخذ شرّ و ترك خير أو أخذ خير و ترك شرّ فالمؤمن ترك حظه من الدّنيا و أخذ حظه من الآخره فترك ما هو شرّ له و أخذ ما هو خير له فكان غابنا، و الكافر ترك حظّه من الآخره و أخذ حظّه من الدّنيا فترك الخير و أخذ الشرّ فيكون مغبونا، فيظهر فى ذلك اليوم الغابن و المغبون هذا.

و لما كان السعادات الاخرويّه أنفس متاع لا متاع فوقه، و الغبن فيها أعظم غبن لا غبن مثلّه، لذلك حصر عليه السّلام المغبون فيمن غبن فى ذلك و قال: المغبون من غبن نفسه على طريق المبالغه، و مثله قوله عليه السّلام (و المغبوط من سلم له دينه) فان سلامه الدّين لما كانت أعظم نعمه لا نعمه فوقها كان المنعم بذلك أحقّ بأن يغبط و يتمنّى مثل ماله من غير أن تريد زواله، و بهذا القيد يفترق الغبطه من الحسد

ص:۱۳۴

حسبما ستعرف.

(و السعيد من وعظ بغيره) أى السّعيد فى الآخره من لاحظ حال الغير فاتّعظ به بأن ينظر إلى حال الصّالحين و ما لهم و ما أعدّ اللّه لهم و بشّرهم به فى كتابه الكريم من الجنان و الغلمان و الحور العين و الشراب من الكوثر و التّسنيم فيحذو حذوهم و يسلك مسالكهم و يلاحظ مصير المجرمين و مقرّهم و ما هيّأ اللّه لهم و أنذهم به من الجحيم و ظلّ من يحموم و شراب من الزّقوم و الحميم فيعدل عن جادّتهم و يتنحّى عن قدّتهم.

(و الشّقىّ من انخدع لهواه) و غروره كما قال سبحانه:

«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ » و قال أيضا: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ » أى الخداع الذى لا حقيقه له و هو المتاع الرّدى الذى يدلّس به على طالبه حتّى يشتريه ثمّ يتبيّن له ردائته و الشّيطان هو المدلّس (و اعلموا أنّ يسير الرّيا سرك) فكيف بكثيره كما مضى تفصيلا فى شرح الخطبه الثالثه و العشرين بما لا مزيد عليه (و مجالسه أهل الهوى منساه للايمان و محضره للشّيطان) أراد بمجالسه أهل الهوى مجالسه أهل المعاصى و قد مضى بعض الأخبار النّاهيه عنها فى شرح كلامه الثالث عشر.

و أقول هنا: إنّ كون مجالسه أهل المعصيه و مخالطتهم موجبه لنسيان الايمان و لحضور الشّيطان واضح، لأنّ الفساق باقبالهم إلى اللّعب و اللّهو و الفسق و الفجور و السّيّآت بما فيهم من دواعى الهوى و الشّهوات يسوّد ألواح خاطرهم و يرين وجه قلوبهم فيغفلون بذلك عن ذكر الحقّ و تذكّر الآخره و يزيد الغفله شيئا فشيئا و يشتدّ فيخرج نور الايمان من قلوبهم و يضمحلّ و يمحو و يحضر الشيطان فى مجالسهم لاغوائهم و إضلالهم، فمن جالس معهم و خالطهم يكون المجالسه و المخالطه لا محاله مؤثّره فيه، إذ المرء على دين خليله و قرينه فيقتدى بهم

و يحذو حذوهم و يعمل عملهم فيكون ناسى الايمان و قرين الشّيطان مثلهم.

و يدلّ على ذلك الأخبار المستفيضه بل المتواتره ففى الوسائل عن الكلينىّ مسندا عن غياث بن إبراهيم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث قال: ما اجتمع ثلاثه من الجاحدين إلّا حضرهم عشره أضعافهم من الشّياطين، فان تكلّموا تكلّم الشّياطين بنحو كلامهم، و إذا ضحكوا ضحكوا معهم، فاذا نالوا من أولياء اللّه نالوا معهم، فمن ابتلى من المؤمنين بهم فاذا خاضوا فى ذلك فليقم و لا يكن شرك شيطان و لا جليسه، فانّ غضب اللّه لا يقوم له شىء و لعنته لا يردّها شىء ثمّ قال: فان لم يستطع فلينكر بقلبه و ليقم و لو حلب شاه أو فواق ناقه.

و عن عمرو بن يزيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: لا تصحبوا أهل البدع و لا تجالسوهم فتصيروا عند النّاس كواحد منهم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: المرء على دين خليله و قرينه.

و عن أبى حمزه عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام فى حديث طويل إيّاكم و صحبه العاصين و معونه الظّالمين و مجاوره الفاسقين، احذروا فتنتهم و تباعدوا من ساحتهم.

و فيه من علل الشرائع مسندا عن علىّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال: قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأنّ اللّه تبارك و تعالى يقول:

«وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ » الحديث.

و من كتاب صفات الشيعه معنعنا عن محمّد بن قيس عن أبى جعفر عن آبائه عن علىّ سلام اللّه عليه و عليهم قال: مجالسه الأشرار تورث سوء الظّن بالأخيار، و مجالسه الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، و مجالسه الفجّار للأبرار تلحق الفجّار بالأبرار

فمن اشتبه عليكم أمره و لم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه، فان كانوا أهل دين اللّه فهو على دين اللّه، و إن لم يكن على دين اللّه فلا حظّ لهم فى دين اللّه، إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول: من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فلا يواخينّ كافرا و لا يخالطنّ فاجرا، و من آخى كافرا أو خالط فاجرا كان فاجرا كافرا و لنعم ما قيل فى هذا المعنى:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن يقتدى

و من مجالس الشّيخ حسن ابن شيخنا الطّوسى قدّس اللّه رمسهما مسندا عن أبى الخير قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أربعه مفسده للقلوب: الخلوه بالنّساء، و الاستمتاع منهنّ، و الأخذ برأيهنّ، و مجالسه الموتى فقيل: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما مجالسه الموتى؟ قال: كلّ ضالّ عن الايمان و جائر «حائر ظ» عن الأحكام، و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و لا حاجه إلى الزّياده.

ثمّ أمر بمجانبه الكذب بقوله:(جانبوا الكذب) و قد مرّ الكلام فى قبحه عقلا و شرعا فى شرح كلامه الثالث و الثمانين و يأتى تفصيل أقسامه فى التذنيب الآتى، و علّل عليه السّلام قبحه هنا بقوله:(فانّه مجانب للايمان) و أراد عليه السّلام بذلك أنّ كلّا من الكذب و الايمان مجانب من الآخر و أن بينهما تباعدا و تجانبا.

و ذلك على القول بكون الايمان عباره عن مجموع المعرفه و ما يتبعها من الأعمال الصّالحه واضح، لأنّ الصّدق على ذلك جزء للايمان و الكذب مضادّ له فيكون مضادّا للايمان، و أمّا على كونه عباره عن نفس المعرفه فلأنّ الايمان من أعظم الفضايل المنجيه و الكذب من أخس الرّذايل المهلكه و التباعد بين الفضيله و الرّذيله و الانجاء و الاهلاك أيضا ظاهر.

كما أشار إلى ذلك و أوضحه بقوله:(الصّادق على شفا منجاه و كرامه) أى على طرف من النجاه و الكرامه و مشارف عليهما أو على طرف من محلّ النّجاه و قريب منها يكاد أن يقع فيها و فى الكرامه الدنيويه و الاخرويه (و الكاذب على شرف مهواه و مهانه) أى على مكان عال من الهوى و الهوان أو مشارف لمحلّ السقوط

ص:۱۳۷

و الذّلّه يكاد أن يسقط منها إلى الجحيم و يقع فى العذاب الأليم قال الشّاعر:

لا يكذب المرء إلاّ من مهانته أو عاده السّوء أو من قلّه الأدب

لعفن جيفه كلب خير رايحه من كذبه المرء فى جدّ و فى لعب

ثمّ نهى عن الحسد بقوله:(و لا تحاسدوا) و هو من أعظم الموبقات على ما ستعرف تفصيلا فى التذنيب الآتى إنشاء اللّه، و علّله بقوله (فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب) و هذا التعليل ممّا تظافرت الأخبار به عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أولاده المعصومين سلام اللّه عليهم.

و قد اتّفق الأخبار ككلام علمائنا الأبرار على أنّ الحسد مضرّ بالنّفس و الجسد.

أمّا بالنّفس فقد قال الصّادق عليه السّلام: الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كابليس لعنه اللّه أورث بحسده له اللّعنه و لآدم عليه السّلام الاجتباء و الهدى و الرّفع إلى محلّ حقايق العهد و الاصطفاء، فكن محسودا و لا تكن حاسدا، فانّ ميزان الحاسد أبدا خفيف يثقل ميزان المحسود، و الرّزق مقسوم فما ذا ينفع الحسد الحاسد و ما ذا يضرّ المحسود الحسد؟ و قال العلماء: إنّ الحسد يذهل نفس الحاسد و يغرق فكره بالاهتمام بأمر المحسود حتّى لا يبقى له فراغ بتحصيل المنافع العايده إليها بل و يمحو ما حصلت لها من الملكات الخيريّه و الحسنات المنقوشه فى جوهرها بطول تعوّد الحسد و تمادى اشتغال الفكر فيه و كثره الحزن و الهمّ، لأنّ نعم اللّه سبحانه على عباده غير معدوده، و فيوضاته غير متناهيه، فاذا كان حسد الحاسد على الخلق بتلك الآلاء و النعم دام عليه الهمّ و الغمّ فيضيق وقته بل ينقطع عن اتيان الحسنات و يلقى نفسه فى المهلكات و هو معنى قولهم عليهم السّلام: إنّه يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب، أى يستأصله و يفنيه و يبطله مثل استيصال النّار للحطب و إفنائها له.

و أمّا بالجسد فقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام فيما يرويه السيّد «ره» فى الكتاب:

صحّه الجسد من قلّه الحسد.

و سرّه أنّ الحسود إذا دام عليه الحزن و الغمّ بتواتر الآلاء و النعم على المنعم أورث ذلك له طول السهر و تمادى الفكر و ضيق العيش و ضنك المعيشه و قلّه الراحه و مضيق الباحه، فينقطع عنه الابتهاج و يؤدّى ذلك إلى فساد المزاج.

ثمّ نهى عن العداوه و البغضاء بقوله(و لا تباغضوا فانّها الحالقه)أى البغضاء خصله مشؤمه كما أنّ المحبه و الالفه ميمونه، أو أنّها موجبه لقطيعه الرّحم، و على تفسير الخالقه بما تحلق الشّعر و تستأصله من موسى و نحوه كما فى شرحى المعتزلى و البحرانى و إن لم أجده فى كتب اللّغه فالكلام مبنىّ على الاستعاره، يعنى أنها مستأصله للخلق أو للدّين أو كليهما كما أنّ موسى مستأصله للشّعر.

نعم يدلّ على تفسيرهما ما رواه الغزالى فى كتاب إحياء العلوم فى باب ذمّ الحسد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: و قال: دبّ إليكم داء الامم قبلكم الحسد و البغضاء و البغضه هى الحالقه لا أقول حالقه الشّعر و لكن حالقه الدّين و الذى نفس محمّد بيده لا تدخلون الجنّه حتّى تؤمنوا، و لن تؤمنوا حتّى تحابّوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السّلام بينكم.

و مثله فى الكافى باسناده عن مسمع بن عبد الملك عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث: ألا إنّ فى التباغض الحالقه لا أعنى حالقه الشّعر و لكن حالقه الدّين.

و كيف كان فيدلّ على كراهه هذه الصّفه و شؤمها و إيجابها للقطيعه و لاستيصال النفوس و الدّين و الايمان أنّ نوع الانسان مدنىّ بالطّبع يحتاج فى انتظام أمر معاشه و معاده إلى الاجتماع و الايتلاف و التعاون و التظافر، و كان أقوى أسباب الاجتماع و التعاون هو الموده و المحبّه و المؤاخاه، و لذلك آخا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بين الأصحاب و حثّ على الجمعه و الجماعه لتصفو الالفه و تخلص المحبّه، و نهى عن التباغض لما يستلزمه من التقاطع و عدم التعاون و تسلّط أيادى الحاسدين عليهم و تحكم آراء المعاندين و أهوائهم فيهم، بل ربما ينجرّ إلى حسد بعضهم بعضا و بغى بعضهم على

بعض، فلا تسلم لهم نعمه و لا تصفو لهم لذّه، و لا يكون لهم فراغ العباده، بل يكون بذلك بوارهم و هلاكهم فى الدّنيا و الآخره.

و لذلک ورد فى غير واحد من الأخبار النّهى عنها و الحثّ على التّحابّ و الالفه.

مثل ما رواه الغزالى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: سيصيب امّتى داء الامم، قالوا: و ما داء الامم؟ قال عليه السّلام: الأشر و البطر و التكاثر و التّنافس فى الدّنيا و التباعد و التحاسد حتّى يكون البغى ثمّ الهرج.

و فى الكافى باسناده عن مالک بن أعين الجهنى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل اللّه عزّ و جلّ يده بين أيديهما و أقبل بوجهه على أشدّهما حبّا لصاحبه، فاذا أقبل اللّه بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذّنوب كما يتحات الورق من الشّجر.

و عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: من زار أخاه فى بيته قال اللّه عزّ و جلّ: أنت ضيفى و زائرى علىّ قراک و قد أوجبت لک الجنّه بحبّک إيّاه.

و عن عدّه من أصحابنا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

المؤمن مألوف لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف.

و عن حبيب الخثعمى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاضلکم أحسنکم أخلاقا الموطئون اکنافا الّذين يألفون و يؤلفون و توطأ رحالهم.

و عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: المتحابّون فى اللّه يوم القيامه على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم و نور أجسادهم و نور منابرهم کلّ شىء حتى يعرفوا به فيقال: هولاء المتحابّون فى اللّه.

و عن سماعه بن مهران عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ المسلمين يلتقيان فأفضلهما أشدّهما حبّا لصاحبه.

و عن أبى عبد الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: المتحابّون فى اللّه يوم القيامه على أرض زبرجده خضراء فى ظلّ عرشه عن يمينه و کلتا يديه

یمین، وجوههم أشدّ بیاضا و أضوء من الشّمس الطالعه، یغبطهم بمنزلتهم کلّ ملک مقرّب و کلّ نبیّ مرسل یقول النّاس: من هؤلاء؟ فیقال: هؤلاء المتحابّون فی اللّه.

و عن أبی حمزه الثمالی عن علیّ بن الحسین علیهما السّلام قال: إذا جمع اللّه الأوّلین و الآخرین فنادی مناد یسمع النّاس فیقول: أین المتحابّون فی اللّه؟ قال: فیقوم عنق من النّاس فیقال لهم: اذهبوا إلی الجنّه بغیر حساب، قال: فتلقّیهم الملائکه فیقولون: إلی أین؟ فیقولون: إلی الجنّه بغیر حساب، قال: فیقولون: فأیّ ضرب أنتم من النّاس؟ فیقولون: نحن المتحابّون فی اللّه، قال: فیقولون: و أیّ شیء کانت أعمالکم؟ قالوا: کنا نحبّ فی اللّه و نبغض فی اللّه قال علیه السّلام: فیقولون: نعم أجر العاملین.

و عن جابر الجعفی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إذا أردت أن تعلم أنّ فیک خیرا فانظر إلی قلبک، فان کان یحبّ أهل طاعه اللّه و یبغض أهل معصیته ففیک خیر و اللّه یحبّک، و إذا کان یبغض أهل طاعه اللّه و یحبّ أهل معصیته فلیس فیک خیر و اللّه یبغضک و المرء مع من أحبّ، هذا.

و بهذه الأخبار یعلم أنّ المقصود بالحبّ و البعض فی الأخبار المطلقه الآمره بالأوّل و الناهیه عن الثّانی هو حبّ المؤمن و بغضه، فیجب تقیید اطلاقها بذلک و إلاّ فقد علمت أنّ بغض المنافق و الکافر و العاصی مطلوب کحبّ المؤمن و بغضه منهیّ عنه کحبّهم، فالمدار فی الحبّ و البغض علی ما کان للّه و فی اللّه.

ثمّ إنّه نبّه علی مفاسد طول الأمل و نهی عنه بقوله (و اعلموا أنّ) طول (الأمل) فی الدّنیا (یسهی العقل) و یغفله عمّا یجذبه إلی اللّه (و ینسی الذکر) أی یوجب نسیان ذکر الموت و الآخره و ما هو نافع فیها.

و ذلک لأنّ طویل الأمل لافتتانه بالدّنیا و لذّاتها و شهواتها و حبّه لها و تمنّیه طول البقاء فیها یکون أوقاته مستغرقه فی ذکرها و حدیثها، و همّته مصروفه إلی تهیّه مقتضیات هواه، و نظره مقصورا فی تحصیل مآربه و مناه، فیوجب ذلک غفله العقل و نسیان الذکر إذ من أحبّ شیئا کره الفکر فیما یضادّه و یعانده و مضادّه

العقل للهوى و ذكر الآخره لذكر الدّنيا واضح لاغبار عليها كما قد مضى مفصّلا فى شرح الخطبه الثّانيه و الأربعين.

(فاكذبوا الأمل) بكثره ذكر الموت و دوام اخطاره بالبال فى الأيام و اللّيال، و ملاحظه أهوال المعاد و شدايد يوم التّناد، فانّ ذلك يوجب ردّ الأمل و تكذيبه.

و إنّما سمّى ردّ الأمل تكذيبا له، لأنّ النفس حال تمنّيها للمأمول تحكم حكما و هميّا بنيله و إدراكه، فاذا رجعت إلى صرف العقل و جوّزت بحكمه إمكان نزول الأجل قبل بلوغ الأمل كان تجويزها ذلك مكذّبا لما جزم به الوهم من الأحكام ورادّا له عن ذلك.

و علّل تكذيبه بقوله (فانّه غرور و صاحبه مغرور) يعنى أنّ الأمل موجب للغرور و الغفله و لا أصل له و لا حقيقه إذ ربّ شىء تأمله النّفس تنقطع دونه فهو فى الحقيقه و نفس الأمر:

«كَسَرابٍ بِقِيعَهٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَ اللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ».

تذنيبان

الاول فى الكذب

و قد مرّ شطر من الكلام فى قبحه عقلا و شرعا مع طائفه من الأخبار الوارده فيه فى شرح الكلام الثالث و الثمانين، و أردنا هنا اشباع الكلام فيه و فى تفصيل أقسامه و أحكامه.

فأقول: إنّ الكذب من قبايح الذّنوب و فواحش العيوب و يترتّب عليه من المفاسد الدّينيه و الدّنيويّه ما لا يحصى، مثل كونه خرّابا للايمان، و جلّا بالسخط الرّحمن، و موجبا لاهراق الدّماء و انتهاب الأموال، و باعثا على تحليل الفرج

ص:۱۴۲

الحرام و تحريم فرج الحلال.

إذ من دنائه الكذب أنّه يردّ شهاده صاحبه و إن كان صادقا، و من شرافه الصّدق أنّه يقبل شهاده المتّصف به و إن كان كاذبا، و منشأ الكذب دنائه الهمّه و قلّه المروّه و غلبه الحرص و الخسّه، و منشأ الصّدق ارتفاع الهمّه و غلبه المروّه و كمال الفتوّه و الكذب شعار خلق، و مورد رنق، و أدب سيّیء، و خلق ردیّ، و عاده خسیسه، و صفه خبیثه، و قلّ ما یجلب به الالفه، و قلّ من ألفه إلّا أتلفه، و الصّدق لباس بهیّ و جوهر درّی؛ و صفه و صیفه، و حاله شریفه، جالبه للالفه، کاسبه للمودّه، خدمته القلوب بالمحبّه، لحظته العیون بالمهابه.

و کفی لقبحه شرعا لو لم یرد به خبر إلّا قول أمیر المؤمنین فی روایه الکافی عن أصبغ بن نباته عنه علیه السّلام لا یجد عبد طعم الایمان حتی یترک الکذب هزله و جدله «جدّه ظ» و کیف بذلک و الأخبار الوارده فیه فوق حدّ الاستفاضه کما مضی سابقا.

و یزید علی سایر المعاصی بأنّ أصحاب الکبایر ربّما یلحقهم الحیاء و الخجل من سوء عملهم، و یرجعون عن عملهم القبیح و یتوبون عنه، و أمّا الکاذب فلا یستحیی من کذبه لکونه کثیر الاستعمال و مأنوسا مرفوع القبح عن نظره، و من تعوّد نفسه بذلک قلّ أن یرتدع عنه.

و من هنا قیل رأیت شریب خمر نزع، و لصّا أقلع، و صاحب فواحش ارتدع و ما رأیت کاذبا رجع.

إذا عرفت ذلک فنقول: إنّ الکذب علی قسمین: شرعیّ و غیر شرعیّ، و أعنی بالشّرعی ما یجوز فی الشّرع جوازا بالمعنی الأعم، و بالغیر الشرعی خلافه و أعنی به الحرام و

هو علی قسمین جلیّ و خفیّ

أما الجلی فهو علی قسمین

أحدهما الکذب فی حقّ النّاس

أو فی حقّ نفسه أو غیرهما، بأن یقول: وعدنی فلان کذا مع أنّه لم یعده بشیء أو یقول أعطیت فلانا کذا مع أنّه لم یعطه شیئا، أو أنّی عالم بکذا مع أنّه جاهل به، أو نحو ذلک.

و محصّله أن يخبر عن نفسه أو عن الغير كائنا ما كان بخبر مخالف للواقع، و أكثر الأخبار الوارده فيه محمول على هذا القسم و يزيد شناعته بأن يكذب ثمّ يروّج كذبه بالحلف باللّه، و هو الّذى بارز اللّه بالمحاربه و يمينه هذه تذر الدّيار بلاقع من أهلها و تثقل الرّحم و توجب انقطاع النّسل و تدخل النّار و تبعث غضب الجبّار كما ورد فى غير واحد من الأخبار، و قد عقد فى الوسائل بابا عليها.

و ثانيهما الكذب على اللّه و رسوله و الأئمّه

قال تعالى:

«فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ ».

و من هذا القسم الأخبار الموضوعه و الأحاديث المجعوله فى زمن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و بعده فى زمن بنى اميّه و بنى العبّاس لعنهم اللّه.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى روايه الكافى الطّويله: و قد كذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى عهده حتّى قام خطيبا فقال: أيّها النّاس قد كثرت علىّ الكذّابه فمن كذب علىّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من نار، هذا.

و أوّل من فتح باب هذا الكذب بعد النبىّ هم المتخلّفون الثلاثه حيث إنّهم قالوا إنّ النبىّ مات و لم يوص فى الخلافه بشىء فاغتصبوا بذلك الخلافه و رووا حديثا مجعولا من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنهبوا حقّ فاطمه سلام اللّه عليها و غصبوا فدك و لحقهم التابعون و حذوا حذوهم.

و من عجيب ما روى أنّ علم الهدى (قده) وقع بينه و بين علماء العامّه مناظره فانجرّ الكلام إلى الأخبار التى وضعوها فى فضايل مشايخهم قال (ره): إنّ هذه الأخبار كلّها موضوعه فقالوا من يقدر أن يكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ فقال لهم:

قد ورد فى الروايه عنه أنه صلّى اللّه عليه و آله قال فى حياته: ستكثر علىّ الكذّابه بعد موتى

فمن كذب علىّ متعمّدا فليتبوء مقعده من النّار، فهذا الحديث إمّا صدق أو كذب و على التّقديرين يثبت المطلوب.

و كيف كان فأكثر من ابتلاء بهذا القسم من الكذب العلماء السّوء، و يلحق به ما اعتاده الناس فى محاوراتهم من أنّهم يكذبون ثمّ يقولون: اللّه و رسوله أعلم.

روى فى الوسائل من الكافى باسناده عن وهب بن عبد ربّه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من قال: اللّه يعلم فيما لا يعلم اهتزّ لذلک عرشه إعظاما له.

و عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إذا قال العبد: علم اللّه و كان كاذبا قال اللّه: و ما وجدت أحدا تكذب عليه غيرى؟.

و هذا القسم من الكذب أعنى الكذب على اللّه و رسوله و الأئمّه صلوات اللّه و سلامه عليهم ممّا ورد فى الأخبار أنّه ينقض الوضوء و الصّوم.

أمّا نقضه الصّوم فهو المشهور بين علمائنا الأخيار.

و أمّا نقضه الوضوء فليس بذلک، و حملها الشّيخ قدّس اللّه روحه على نقضه الفضل و الكمال و الوجه الذى يستحقّ به الثواب، و بعض من قال بإبطاله الصّوم ربّما عمّمه بكونه فى الدّنيا و الدّين سواء كان فى الأحكام أو فى الفتاوى، و سواء أسنده إلى اللّه و إليهم عليه السّلام أم لا، و سواء كان الإخبار بالقول أم بالكتابه أم الاشاره و التفصيل فى كتب الفقه.

و أما الكذب الخفى

فهو أن تخبر عن نفسک أو تخاطب ربّک بما لا حقيقه له و لا أصل أو تقول شيئا و أنت تعمل بخلافه مثل أن تقول: أستغفر اللّه و أتوب إليه فانّک تظهر التّوبه و أنت غير راجع عن الخطيئه و لا قالع عن المعصيه.

و لذلک روى عن ربيع بن خثيم أنّه قال: لا تقل أستغفر اللّه و أتوب إليه، فانه كذب بل قل أستغفر اللّه و أسأله التّوبه.

أو تقوم بين يدى ربّک فى كلّ يوم و ليله و تقرء فاتحه الكتاب فى صلواتک و أقلّه عشر مرّات و تقول لربّک الحمد و الثّناء لک أيّها المربّى لنا الرّحمن الرّحيم

ص:۱۴۵

بنـا المالـک لأمورنـا فی یوم وفودنا علیک فنحن نخصّک بالعباده لا نعبـد سواک، فإنّا لو رجعنا إلی أنفسـنا و أنصـفنا نعرف أنّنا کـاذب فی ذلـک المقال و خاطئ فی تلک الـدّعوی، و کیف نکون صادقا مع ما نحن علیه من إطاعه الشّـیطان و عبادته و انقیاد أمره و نهیه و انفـاذ حکمه و العمل بما یریـده، و من إطاعه النّفس الأمّاره و القیام بما تهویه و تشـتهیه مضافا إلی الرّیا و الشّـرک الّذی نخفیه.

و نعم ما قال ابن عبّاس فی تفسیر قوله تعالی:

«لا تَتَّخِذُوا إِلهَیْنِ اثْنَیْنِ ».

إنّه تعالی نهاک عن الاثنین و أنت اتّخذت الألوف فما أقلّ حیاؤک و قال تعالی:

«أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَیْهِ وَکِیلًا ».

فقـد جعـل سـبحانه إراده النّفس و امنیّاتها الباطله إلها، و إذا کان هـذه حالنا فکیف یصـحّ منّا دعوی تخصـیصه تعالی بالعباده، و کیف نجتریء علی مواجهته بذلک الخطاب الکاذب مع علمه بما فی الصّدور و الضّمایر و إحاطته بالبواطن و السّرایر، فکأنه ظنّنا أنه سبحانه أعجز من جمیع الالهه حتّی خصّصناه بالکذب.

و مثله قولنا: إیّاک نسـتعین، علی طریق الحصـر فانّا إذا رجعنا إلی وجداننا و لاحظنا حالنا عرفنا أنّا نسـتعین فی أمورنا من کلّ من سواه سـبحانه نعم إذا آیسنا من الخلق رجعنا إلی الخالق فکیف نخصّصه بالاستعانه و نطلب منه الاعانه و لو تأمّلنا فی هذا الکذب الخفیّ وجـدناه أضـرّ بأحوالنـا من الکـذب الجلیّ لمـانعیّته من قبول الطّاعـات و من التأهّـل للقیـام علی بسـاط المناجـاه، و إیراثه الحسره و الندامه و ملامه النّفس اللوّامه یوم القیامه.

فوا حسرتاه علی ما فرّطنا فی جنب اللّه، و و أطول کربتاه علی ما استخففنا فی عباده اللّه.

ص:۱۴۶

أيّها النّفس الخاطئ و القلب الجاهل القاسى بأنّك لو واجهت أحدا من النّاس و قلت له: إنّى لا أتردّد إلاّ إلى بيتك، و لا ثقه لى إلاّ بك، و لا عون لى سواك، و لا رجاء لى غيرك، و لا صديق لى دونك، مع علمك بأنه يعلم أنّك تتردّد إلى كلّ أحد و تثق بكلّ أحد و تستعين من غيره أكثر من التردّد و الوثوق و الاستعانه منه، و لك أصدقاء كثيرون سواه، لاستحييت من عندك و كنت خجلا من هذا الكذب الذى واجهته به و تنفعل من ملاقاته و المراجعه إليه إلاّ بعد زمان طويل و مدّه متطاوله و أنت هنا إذ كان أوّل النّهار قلت إيّاك نستعين، ثمّ إذا جاء الظّهر قلت مثل ذلك، و هكذا مع أنّك تعمل بين هذين القولين و فيهما و بعدهما بخلاف ما قلت و تستعين الخلق و تأملهم و ترجو منهم.

أفلا تعلم أنّ من توجّه بحاجته إلى الخلق أو جعله سبب نجحها فقد تعرّض للحرمان و استحقّ من عنده سبحانه الخسران و فوات الاحسان.

فان شئت أن تعرف ذلك بعين اليقين فانظر إلى موسى بن عمران فانّه توسّل بالفقر إلى الحقّ و قال:

«رَبِّ إِنِّى لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ».

فقيّض اللّه له شعيبا عليه السّلام حتّى دعاه و آواه و زوّجه بنته و أعطاه العصا و اليد البيضاء و بلغ أمره إلى ما بلغ.

و انظر إلى يوسف بن يعقوب كيف خاب حيث استعان من المخلوق.

«وَ قالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّکَ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ».

روى فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قرء فى بعض الكتب انّ اللّه تعالى يقول: و عزّتى و جلالى و مجدى و ارتفاعى على عرشى لاقطعنّ أمل كلّ مؤمّل من الناس أمل غيرى باليأس، و لأكسونّه ثوب المذلّه عند النّاس، و لا نحينّه من

قربی، و لابعدّنه من و صلی أیؤمّل غیری فی الشّداید و الشّداید بیدی، و یرجو غیری و یقرع بالکفر باب غیری و بیدی مفاتیح الأبواب و هی مغلقه و بابی مفتوح لمن دعانی، فمن ذا الّذی أمّلنی لنوائبه فقطعته دونها، و من ذا الّذی رجانی لعظیمه فقطعت رجائه منّی، جعلت آمال عبادی عندی محفوظه فلم یرضوا بحفظی، و ملأت سماواتی ممّن لا یملّ من تسبیحی، و أمرتهم أن لا یغلقوا الأبواب بینی و بین عبادی، فلم یثقوا بقولی ألم یعلم من طرقته نائبه من نوائبی أنّه لا یملک کشفها أحد غیری إلّا من بعد إذنی، فمالی أراه لاهیا عنّی أعطیته بجودی ما لا یسألنی ثمّ انتزعته عنه فلم یسألنی ردّه و سأل غیری، أ فیرانی أبدأ بالعطاء قبل المسأله ثمّ اسأل فلا أجیب سائلی أ بخیل أنا فیبخلنی عبدی، أو لیس الجود و الکرم لی؟ أو لیس العفو و الرحمه بیدی؟ أو لیس أنا محلّ الآمال فمن یقطعها دونی؟ أفلا یخشی المؤمّلون أن یؤمّلوا غیری؟ فلو أنّ أهل سماواتی و أهل أرضی أمّلوا جمیعا ثمّ اعطیت کلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجمیع ما انتقص من ملکی مثقال ذرّه، و کیف ینقص ملک أنا قیّمه؟ فیا بؤسا للقانطین من رحمتی، و یا بؤسا لمن عصانی و لم یراقبنی هذا.

و بقی الکلام فی الکذب الشرعی و أعنی ما هو سایغ فی الشرع المطّهر و تحقیقه یحتاج إلی تمهید مقدّمه و هی:

إنا قد حقّقنا فی الأصول أنّ الأحکام الشّرعیه تابعه للمصالح و المفاسد الواقعیّه و بیّنا هناک أنّ حکم الشّارع المقدّس بوجوب شیء أو حرمته من جهه أنه أدرک فیه حسنا ملزما واقعیا فحکم بوجوبه، أو قبحا ملزما واقعیّا فحکم بحرمته، خلافا للأشاعره القائلین بأنّ الحسن و القبح إنّما هو تابع للأمر و النّهی و بأنّ الصّلاه مثلا إنّما هی حسنه لتعلّق الأمر بها و الکذب قبیح لتعلّق النّهی علیه، و أنّه لو نهی الشارع عن الأولی و أمر بالثّانی لکان الأولی قبیحه و الثّانی حسنا، و قد حقّقنا بطلان هذا المذهب و فساد هذا القول فی الأصول بما لا مزید علیه.

إذا عرفت ذلک فنقول: إنّ حرمه الکذب إنّما هی من أجل ما فیه من المفسده الواقعیّه، کالضّرر علی المخاطب أو غیره أو نحو ذلک ممّا قدّمنا، و أقلّ

درجات تلك المفسده هو إلقاء المخاطب فى بيداء الجهاله و اعتقاده للشىء على خلاف ما هو عليه، فتلك المفسده فيه صارت مقتضيه لحرمته.

فلو فرضنا أنّ هذه المفسده الواقعيّه كانت متعارضه بجهه حسن و مصلحه فى الظاهر متداركه بها تلك المفسده كالكذب المتضمّن لانجاء نفس محترمه من القتل مثلا ارتفعت الحرمه قطعا، لانتفاء سببها.

و مثله المصلحه الواقعيّه الّتى فى الصّدق، فانها اقتضت وجوبها، فلو فرضنا معارضتها لمفسده ظاهريّه راجحه عليها كالصدق المتضمّن لقتل نبيّ مثلا تبدّل حكم الوجوب فيه بالحرمه فيكون الصدق حينئذ حراما.

ثم أقول: إنّ جهات المفسده الواقعيه فى الكذب لو كانت مساويه لجهات المصلحه الظاهريه فيه كان الكذب حينئذ مباحا، لتساوى مقتضيات الحسن و القبح، و ذلک كالكذب فى الوعد للأهل و الأولاد على ما سيأتى فى الأخبار، و لو كانت جهه المفسده راجحه فهو حينئذ باق على حرمته.

و لو كانت جهه المصلحه راجحه فامّا أن تكون ملزمه له فيكون حينئذ واجبا كالكذب و الخديعه فى الحرب توصّلا إلى قتل الكافر الواجب؛ و إمّا أن لا تكون ملزمه فيكون حينئذ مستحبّا كالكذب لاصلاح ذات البين.

و إذا ظهر لک ذلک فاعلم أنّه قد رخّص لنا أهل البيت الأطهار سلام اللّه و صلواته عليهم ما تعاقب اللّيل و النّهار فى بعض أقسام الكذب فى أخبارهم المأثوره و لا بأس بالاشاره إليها.

فأقول: روى ثقه الاسلام الكلينىّ فى الكافى عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد ابن عيسى عن أبى يحيى الواسطى عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

الكلام ثلاثه: صدق و كذب و إصلاح بين الناس، قال: قيل له: جعلت فداك ما الاصلاح بين النّاس؟ قال: تسمع من الرّجل كلاما يبلغه فيخبث نفسه فتلقاه فتقول قد سمعت منّ فلان قال فيک من الخير كذا و كذا خلاف ما سمعت منه.

و عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان عن أبى مخلد السّراج عن عيسى بن

حسان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: كلّ كذب مسئول عنه صاحبه يوما إلّا كذبا فی ثلاثه: رجل كايد فی حربه فهو موضوع عنه، و رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما، و رجل وعد أهله شيئا و هو لا يريد أن يتمّ لهم.

بل المستفاد من الأخبار الأخر جواز الحلف باليمين الكاذبه لدفع ظلم الظّالم عن نفسه أو ماله أو نفس أخيه المؤمن أو ماله.

مثل ما رواه فی الوسائل عن الصدوق باسناده عن ابن بكير عن زراره قال:

قلت لأبی جعفر عليه السّلام: نمرّ بالمال على العشّار فيطلبون منّا أن نحلف لهم فيخلّون سبيلنا و لا يرضون منّا إلّا بذلک، قال عليه السّلام فاحلف لهم فهو أحلى «أحلّ خ» من التمر و الزّبد، قال: و قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: التّقيه فی كلّ ضروره و صاحبها أعلم بها حين تنزل.

و عنه باسناده عن الحلبیّ أنه سأل أبا عبد اللّه عليه السّلام: عن الرّجل يحلف لصاحب العشور يحرز بذلک ماله، قال: نعم.

قال: و قال الصّادق عليه السّلام: اليمين على وجهين إلى أن قال: فأمّا الذی يوجر عليها الرّجل إذا حلف كاذبا و لم تلزمه الكافره فهو أن يحلف الرّجل فی خلاص امرء مسلم أو خلاص ماله من متعدّ يتعدّى عليه من لصّ أو غيره.

و فيه عن الشّيخ باسناده عن السّكونی عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن علیّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: احلف باللّه كاذبا و نجّ أخاک من القتل.

إلى غيره مما رواه فيه و عقد عليه بابا، و اللّه الهادی و هو العاصم من هفوات الجنان و سقطات اللّسان.

الثانی فی الحسد

و هو من أعضل الدّاء و أكبر المعاصی و أفسدها للقلب و جرح لا يبرء، و الكلام فيه فی مقامات:

المقام الاول فی حده

و قد عرّف بأنه انبعاث القوّه الشهويه إلی تمنّی مال الغير و حاله التی هو عليها و زوالها عن ذلک الغير، و هو مستلزم لحرکه القوّه الغضبيّه و عرّفه الغزالی فی احياء العلوم بـأنّه کراهه النّعمه و حبّ زوالهـا من المنعم عليه، و يقـابله الغبطه و هو أن لا ـ تحبّ زوال النعمه و لا ـ تکره وجودهـا و دوامهـا و لکن تشـتهی لنفسـک مثلهـا، و الثـانی أعمّ من الأول لشـموله ما لو أحبّ زوال النّعمه عن المنعم عليه و إن کـان لا يتمنّاها لنفسه، و هو ناش عن غايه خبث الطّينه و سوء السّـريره و أشـدّ مما لو أحبّ زوالها عنه و انتقالها إليه فالحدّ الثّانی أولی

الثانی فی الآيات و الأخبار الوارده فيه

فأقول قال سبحانه: «وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ ».

فقد أمر نبيّه صـلّی اللّه عليه و آله بالاستعاذه من شرّ الحاسد بعد أن أمره بالاستعاذه من شرّ السّاحر فأنزله منزلته، و قال فی معرض التوبيخ:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ » و قال: «إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها ».

فانّ مسائتهم من إصابه الحسنه و فرحهم باصابه السّيّئه دليل علی حسدهم و قال:

«وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ».

و فی الکافی عن داود الرّقی قال: سـمعت أبا عبـد اللّه عليه السّـلام يقول: اتّقوا اللّه و لا يحسد بعضـکم بعضا إنّ عيسـی بن مريم عليه السّـلام کان من شرايعه السيح فی البلاد فخرج فی بعض سيحه و معه رجل من أصحابه قصير و کان کثير اللّزوم لعيسی عليه السّـلام فلما انتهی عيسی إلی البحر قال: بسم اللّه، بصحّه يقين منه فمشی علی ظهر الماء، فقال الرّجل القصير حين نظر إلی عيسی عليه السّلام جازه: بسم اللّه بصحّه يقين منه

فمشى على الماء و لحق بعيسى عليه السّلام فدخل العجب بنفسه فقال: هذا عيسى عليه السّلام روح اللّه يمشى على الماء و أنا أمشى على الماء فما فضله علىّ قال: فرمس فى الماء فاستغاث بعيسى عليه السّلام فتناوله من الماء فأخرجه ثمّ قال عليه السّلام له: ما قلت يا قصير.

قال: قلت: هذا روح اللّه يمشى على الماء و أنا أمشى على الماء فدخلنى من ذلك عجب فقال له عيسى عليه السّلام: لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذى وضعك اللّه فيه فمقتك اللّه على ما قلت فتب إلى اللّه عزّ و جلّ ممّا قلت قال عليه السّلام: فتاب الرّجل و عاد إلى مرتبته الّتى وضعه اللّه فيها فاتّقوا اللّه و لا يحسدنّ بعضكم بعضا.

و عن معاويه بن وهب قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام آفه الدّين الحسد و العجب و الفخر.

و عن داود الرقّى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وسلّم: قال اللّه تعالى لموسى بن عمران: لا تحسدنّ النّاس على ما آتيتهم من فضلى و لا تمدّنّ عينيك إلى ذلك و لا تتبعه نفسك فانّ الحاسد ساخط لنعمى صاد لقسمى الّذى قسمت بين عبادى و من كان كذلك فلست منه و ليس منّى.

و عن فضيل بن عياض عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ المؤمن يغبط و لا يحسد و المنافق يحسد و لا يغبط.

و عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّ الرّجل ليأتى بأدنى بادره فيكفر و إنّ الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب.

و فى الوسايل من المجالس مسندا عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه الصّادق عليه السّلام أصول الكفر ثلاثه: الحرص، و الاستكبار، و الحسد.

و فى الأنوار النّعمانيّه للسيّد المحدّث الجزايرى قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

ستّه يدخلون النّار قبل الحساب بستّه: الأمراء بالجور، و العرب بالعصبيّه و الدّهاقين بالكبر، و التجار بالخيانه، و أهل الرّستاق بالجهاله، و العلماء بالحسد قال و فى حديث آخر إنّ الحسد عشره أجزاء منها تسعه بين العلماء و واحد فى النّاس و لهم من ذلك الجزء الحظّ الأوفر، و روى ما رواه أولا الغزالى فى

احياء العلوم عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله مثله إلى غير هذه ممّا وردت فيه.

و قد استفيد منها و من الآيات السّابقه حرمته و كونه من أعظم الموبقات مضافا إلى اجماع علماء الاسلام عليه.

فان قلت: فكيف التّوفيق بين هذه الأدلّه و بين حديث رفع التسعه المعروف بين الفريقين، و المروىّ فى الوسايل عن الصّدوق فى التّوحيد و الخصال بسند صحيح عن حريز بن عبد اللّه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: رفع عن أمتى تسعه أشياء: الخطاء، و النسيان، و ما اكرهوا عليه، و ما لا يعلمون، و ما لا يطيقون و ما اضطرّو إليه، و الحسد، و الطيره، و التّفكر فى الوسوسه فى الخلق ما لم ينطقوا بشفه، فانّ المراد برفع تلك الأمور إمّا رفع جميع آثارها التى منها المؤاخذه عليها، أو رفع خصوص المؤاخذه، و على التقديرين فيدلّ على رفع المؤاخذه على الحسد و عدم كونه معصيه فينا فى الأدلّه السابقه.

قلت: قد جمع بينهما شيخنا العلاّمه المرتضى الأنصارى (قد) فى الرّسائل بحمله على ما لم يظهر الحاسد أثر حسده بلسان أو غيره بجعل عدم النطق باللّسان قيدا له.

قال (ره): و يؤيّده تأخير الحسد عن الكلّ فى مرفوعه الهندى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام المرويّه فى أواخر أبواب الكفر و الايمان من أصول الكافى قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: وضع عن أمّتى تسعه أشياء: الخطاء، و النسيان، و ما لا يعلمون و ما لا يطيقون، و ما اضطرّوا إليه، و ما استكرهوا عليه، و الطيره، و الوسوسه فى التفكّر فى الخلق، و الحسد ما لم يظهر بلسان أويد الحديث.

قال (ره): و لعلّ الاقتصار فى النبوىّ الأوّل على قوله ما لم ينطق لكونه أدنى مراتب الاظهار.

قال: و روى ثلاثه لا يسلم منها أحد: الطيره، و الحسد، و الظّن، قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيّرت فامض، و إذا حسدت فلا تبغ، و إذا ظننت فلا تحقّق، و البغى عباره عن استعمال الحسد.

ص:۱۵۳

قال: و لأجل ذلک عدّ فی الدّروس من الکبائر فی باب الشّهادات إظهار الحسد لا نفسه، و فی الشرائع إنّ الحسد معصیه و کذا بغض المؤمن و التظاهر بذلک قادح فی العداله، ثمّ قال: و الانصاف أنّ فی کثیر من أخبار الحسد إشاره إلی ذلک انتهی کلامه رفع مقامه.

أقول: أمّا استشهاده بکلام صاحب الشّریع ففیه ما لا یخفی لصراحتها فی کون نفس الحسد معصیه، و کون التظاهر به قادحا فی العداله إنّما هو لأجل کونه طریقا إلیه لا من حیث موضوعیّته فیه، و لعلّ ذلک أیضا مراد الشّهید فی الدّروس فانظر ما ذا تری.

و أمّا ما قاله من أنّ فی کثیر من أخبار الحسد إشاره إلی ذلک فهو صحیح و من جمله تلک الأخبار، ما رواه فی الوسائل من مجالس الشّیخ حسن ابن شیخنا الطوسی (ره) معنعنا عن علیّ بن جعفر عن أخیه موسی بن جعفر عن أبیه عن جدّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذات یوم لأصحابه: ألا إنّه قد دبّ الیکم داء الامم من قبلکم و هو الحسد لیس بحالق الشعر لکنه حالق الدّین و ینجی فیه أن یکفّ الانسان یده و یخزن لسانه و لا یکون ذا غمر علی أخیه المؤمن.

قال صاحب الوسائل بعد روایته: و تقدّم ما یدلّ علی العفو عن الحسد الّذی لا یظهر أثره.

و فیه من الکافی باسناده عن حمزه بن حمران عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ثلاثه لم ینج منها نبیّ فمن دونه: التّفکّر فی الوسوسه فی الخلق، و الطیره، و الحسد إلاّ أنّ المؤمن لا یستعمل حسده هذا.

و قال شیخنا السیّد قدّس اللّه روحه فی مجلس الدّرس: الأقرب حمل رفع المؤاخذه علی الحسد فی حدیث رفع التّسعه علی ما کان من قبیل الخطرات القلبیّه الزائله بسرعه و حمل ما دلّ علی حرمته و کونه من الکبایر علی ما عداه ممّا اشتدّ و تأکّد.

ص:۱۵۴

و هی کثیره و حصرها الغزالی فی إحیاء العلوم فی سبعه: العداوه، و التعزّز و التکبّر، و التعجّب، و الخوف من فوت المقاصد المحبوبه، و حبّ الریاسه، و خبث النّفس.

أمّا العداوه و هی أشدّ الأسباب و معناها أن تکره النّعمه علی غیرک لکونه عدوّا لک و کونک مبغضا له فانّ البغض إذا رسخ فی النّفس یقتضی التشفّی و الانتقام و ربما یعجز المبغض عن أن یتشفی بنفسه فیتمنّی زوال النعمه من المبغوض و یکون زوالها منه موجبا لفرحه کما أنّه یفرح إذا ابتلی ببلیّه أو أصابته مصیبه و یکون ذلک تشفّیا لخاطره، و قد وصف اللّه سبحانه الکفار بهذه الصّفه فی قوله:

«وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَ ما تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَکْبَرُ » و قوله: «إِنْ تَمْسَسْکُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکُمْ سَیِّئَهٌ یَفْرَحُوا بِها ».

و هذا القسم من الحسد ربما یفضی إلی القتال و الجدال و استغراق العمر فی إزاله النعمه بالحیل و السّعایه و طلب أسباب زوالها علی کلّ حال.

و أمّا التعزّز فهو أن یثقل علیه ترفّع غیره علیه فاذا أصاب بعض نظرائه و أمثاله ولایه أو علما أو مالا خاف من تکبّره علیه و هو یشقّ علیه ذلک و لا یسمح نفسه تحمّل ذلک فلا یرضی بکونه منعما علیه بتلک النّعمه حذرا من ذلک، و محصّله الخوف من تفاخر الغیر علیه لا حبّ تفاخره علی الغیر و ربما یرضی بمساواته له.

و أمّا التّکبّر فهو أن یکون فی طبعه أن یتکبّر علی الغیر و یترفّع علیه و یکون الغیر منقادا له مطیعا لأمره و نهیه صاغرا عنده، فاذا نال نعمه خاف من عدم إطاعته و انقیاده له و عدم إمکان ترفّعه علیه کما کان أو ترقّیه إلی مقام یترفّع هو علیه فیکون مطیعا بعد ما کان مطاعا، و متکبّرا علیه بعد ما کان متکبرا،

و من هـذا الباب كان حسـد كفّار قريش فى حقّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله إذا قالوا كيف يتقـدّم علينا غلام يتيم و يكون رسولا علينا و نكون مطيعا له كما حكى اللّه عنهم بقوله:

«وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هـذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ » و أرادوا بذلك نزوله على الوليد بن المغيره لعنه اللّه أو أبى مسعود عروه بن مسعود الثقفى أو غيرهمـا لأجل كون هؤلاء من رؤساء القبايل و ذوى الأموال الجسيمه و عظيم المنزله عنـدهم لا يثقل عليهم التّواضع و الطاعه لهم كما كان يثقل عليهم طاعته صلّى اللّه عليه و آله.

و أمّـا التّعجب فهو أن تكون النّعمه عظيمه و المنصب جليلاـ فيتعجّب من فوز مثله بمثـل تلـك النعمه كما حكى اللّه سبحانه عن الامم السّابقه بقوله.

إِذْ قالُوا «ما أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا » وَ قالُوا «أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا » «وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ ».

فتعجّبوا من أن يفوز برتبه الرساله و الوحى و الزلفى من اللّه بشـر مثلهم فحسـدوا و أحبّوا زوال النبوّه عنهم إشـفاقا من أن يفضـل عليهم من هو مثلهم فى البشـريّه و لم يكن مقصودهم إظهـار كبر و لا طلب رياسه و لابينهم سابقه عـداوه أو نحو ذلك من ساير أسباب الحسد.

و أمّا الخوف من فوت المقاصـد العظيمه فهو يختصّ بمتزاحمين على مقصود واحـد، فانّ كلّ واحـد منهما يحسد صاحبه و يريد انفراده بـذلك المقصود، و من هـذا البـاب تحاسـد الضـرّات فى مقاصـد الزّوجيه و تحاسـد الاـخوه من أجـل تزاحمهم على نيل المنزله فى قلب الأبوين للتوصّل إلى مقاصد الكرامه و الشـرافه أو المال و العزّه كما وقع من اخوه يوسف عليه السّـلام فى حقّه و من قابيل فى حقّ هابيل، و منه أيضا تحاسد الواعظين و الرّاثين و نحوهما.

و أمّا حبّ الرّياسه فمنشأه حبّ الاختصاص بنعمه لا يشاركه فيها غيره، و حبّ

ثناء النّاس له و فرحه بتفرّده بها، فاذا رأی مشارکا له فیها سائه ذلک، و هو غالب فی العلماء السّوء فانّهم یحبّون أن یکونوا مرجعا للنّاس و ملجئا، و یکون تردّدهم إلیهم و لا یرضون بمشارکه الغیر لهم.

و من هذا الباب کان حسد علماء الیهود لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فانّهم کانوا ینکرون معرفته و لا یؤمنون به خیفه من أن تبطل ریاستهم و استتباعهم مهما نسخ علمهم.

و منه أیضا کان حسد الخلفاء الثلاثه لأمیر المؤمنین علیه السّلام مضافا إلی العداوه و البغضاء التی کانت فیهم و غیر ذلک من الأسباب السابقه، إذ لا امتناع فی اجتماع الأسباب المتعدّده.

و الفرق بین هذا القسم و سابقه اشتراط التّزاحم علی المقصود فی السّابق دون ذلک، إذ ربّما تری عالما أو صانعا یختصّ بفنّ مخصوص من العلم أو الصّناعه یمدحه النّاس بأنه فرید دهره و وحید عصره فی ذلک الفنّ أو الصّناعه، فانّه لو سمع فی أقصی البلاد بنظیر له فیه لساءه ذلک و أحبّ موته أو زوال النّعمه عنه.

و أمّا خبث النّفس فالحسد بذلک خارج عن جمیع الأقسام السّابقه، فانّک تری من النّاس من لیس غرضه فی ریاسه و لا تعزّز و لا تکبّر إذا وصف عنده حال عبد من عباد اللّه فیما أنعم اللّه به علیه یشقّ علیه ذلک و إذا وصف له اضطراب أمور النّاس و إدبارهم یفرح بذلک، فهو دائما یحبّ الادبار لغیره و یبخل بنعم اللّه علی عباده کانّهم یأخذونها من ملکه و خزانته، و لیس لذلک سبب ظاهر إلاّ خبث النّفس و شقائها و رذاله الطبع و دنائته و معالجته شدیده إذ الحسد الثابت بسایر الأسباب أسبابه عارضه یتصوّر زوالها و یرجی إزالته، و هذا ناش من خبث الطّینه و سوء السریره فیعسر زواله و إلی ذلک ینظر ما قیل.

کلّ العداوه قد ترجی إماطتها(۱) إلاّ عداوه من عاداک من حسد

و هذه هی أسباب الحسد و قد یجتمع بعضها أو أکثرها أو جمیعها فی شخص فیشتدّ حسده و یتضاعف، و أکثر المحاسدات تجتمع فیها جمله من هذه الأسباب و قلّما

۱- (۱) الاماطه الابعاد.

يتجرّد سبب واحد منها، نعوذ باللّه من شرور النفس و شحّ الأنفس.

الرابع

فی بیان سبب کثره الحسد بین العلماء علی ما أخبر به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من أنّه عشره أجزاء منها تسعه بین العلماء و واحد فی النّاس و لهم من ذلک الجزء الحظّ الأوفر.

فأقول: العلماء إمّا علماء الدّنیا أو علماء الآخره، و المراد بالأوّل من کان غرضه من العلم هو الدّنیا و تحصیل ریاستها و حبّ شهواتها و قنیاتها و طلب الوقع فی قلوب النّاس و ابتغاء إقبالهم إلیه، و بالثّانی هم العارفون باللّه و الراغبون فی الآخره و الزّاهدون فی الدّنیا المعرضون عنها.

و الحسد إنّما هو بین الطائفه الاولی، و سببه تزاحمهم علی غرض واحد إذ کلّ منهم یرید الفضل لنفسه دون صاحبه، و یتمنّی الاشتهار و المرجعیّه و الرّیاسه و صداء النّعلین و نحو ذلک، و یرید ذلک بعینه غیره من أبناء جنسه فیتزاحمان علی غرض واحد.

و من أجل التّزاحم أیضا ینشأ الحسد بین أفراد جنس واحد و أبناء نوع واحد کالتّاجر للتّاجر، و الواعظ للواعظ، و البزّاز للبزّاز و هکذا، فانّ الغالب أنّ البزّاز یحسد للبزّاز دون العطار و دون الواعظ، و العالم یحسد العالم دون الصّانع و لما ذکرناه تری الحسد بین علماء بلده واحده أکثر مما بین علماء بلدتین و ما بین البلدتین القریبتین أکثر ممّا بین البلدتین النائیتین لزیاده التزاحم فی الأولی علی الثّانیه، و منشأ ذلک کلّه هو حبّ الدّنیا، فانّ الدّنیا هی الّتی تضیق علی المتزاحمین.

و أمّا علماء الآخره العارفون باللّه و المبتهجون بمعرفته سبحانه فلا یکون بینهم تحاسد، لأنّ غرضهم هو الآخره و مقصدهم هو المعرفه و لا ضیق فی شیء منهما کالدّنیا ألا تری أنّ من أحبّ معرفته سبحانه و معرفه صفاته و أفعاله من عجائب ملکوت سمائه و أرضه لا یعادی و لا یبغض غیره ممّن کان یحبّ معرفه ذلک أیضا و ذلک لسعه

بحر المعرفه و عدم الضّيق فيه، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم و يفرح بمعرفته و يلتذّ به و لا ينتقص لذّه أحدهم بسبب غيره، بل يحصل بكثره العارفين ثمره الافاده و الاستفاده و الانس و الصّحبه، و غرضهم إنّما هو تحصيل المنزله عند اللّه و الزّلفى لديه و ما عند اللّه أعظم من أن يضيق على الطّالبين و لا يسع الرّاغبين، إذ البحر لا ينفد بالقطر، و الشّمس لا ينقص بالذّر، و ليس كمال الدّنيا إذا وقع فى يد أحد خلت عنه يد الآخر أو كجاهها إذا اتّصف به شخص حرم عنه غيره، إذا لجأه عباره عن ملك القلوب و مهما امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محاله فيكون سببا للمحاسده.

و بالجمله فنعمه العارف و جنّته معرفته الّتى هى صفه ذاته، و هو دائما يجنى ثمارها و يغتذى بفواكهها، و هى فاكهه غير مقطوعه و لا ممنوعه بل قطوفها دانيه و إن غمض العين الظاهره فروحه ترتع كلّ الأوقات فى جنّه عاليه و رياض زاهره و كثرتهم لا يوجب تحاسدهم بل كانوا كما قال ربّ العالمين:

«وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ » و هذا حالهم و هم فى الدّنيا فما ظنّك بهم إذا انكشف عنهم الغطاء و شاهدوا المحبوب فى العقبى فأهل العرفان و اليقين برآء من الحسد فى الدّنيا و الآخره جميعا، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعه علّيين إلى ضيق سجّين، و لذلك و سم به الشّيطان اللّعين، حيث أظهر الحسد و البغضاء لما رأى اختصاص آدم بالخلافه و الاحتباء و لمّا دعى إلى السجود استكبر و أبى، و تمرّد و عصى، فاستحقّ الجحيم و قيل له:

«فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ».

و إذا عرفت أنّ منشأ الحسد هو التّوارد على مقصود يضيق عن الوفاء لمن ابتغى فعليك بمقصد لا تزاحم فيه أصلا و لذّه لانفاد لها و نعمه لا زحمه فيها و لا يوجد ذلك فى الدّنيا إلاّ فى معرفه الحقّ تعالى و معرفه صفاته العلياء و إن لم تكن تشتاق.

إلى ذلـك و لاـ تجـد لـذّه لـذلک فـأنت فى ذلک معـذور لأنّک فى يـد هواک مغمور مقهور و الصّبى لا يعرف لـذّه الملک و السّلطنه، و إنّما لـذّته فى اللّهو و اللّعبه، فـانّ هـذه لـذّه يختص بإدراكها الرّجال دون الصّبيان و الأطفال، و المعرفه مختصّه بأهل الكمال و هم الّذين لا غرض لهم إلّا اللّه و هم «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ ».

و لا يشـتاق إلى هـذه اللّـذه غيرهم، لأنّ الشّوق بعد الذّوق، و من لم يذق لم يعرف و من لم يعرف لم يشـتق، و من لم يشـتق لم يطلب، و من لم يطلب لم يدرک، و من لم يدرک بقى مع المحرومين فى أسفل السّافلين.

«وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ».

الخامس

فى معالجه الحسد الّذى هو من موبقات الذّنوب و من الأمراض العظيمه للقلوب، و الدّواء النّافع له هو أن تعرف أنّه مضـرّ عليک فى الـدّنيا و الـدّين و غير مضـرّ بـالمحسود فى الـدّنيا و الـدّين، بـل نـافع له فيهما، و مهما عرفت هـذا عن بصـيره و كنت صـديقا لنفسک شفيقا لها و لم تكن عدوّا و مبغضا لها فارقت الحسد لا محاله.

أمّا كونه مضـرّا عليک فى الـدّين فلما مرّ فى الأخبار السّابقه من كونه سـببا لسـخط الجبّار و آكلا للايمان أكل الحطب للنّار، بل الحاسد فى الحقيقه ساخط لقضاء اللّه و غضـبان على قدر اللّه كاره للنّعم الّتى قسّمت بين عباد اللّه، و حسده فى الحقيقه اعتراض على الخـالق فيمـا منحه على الخلايق و ايراد على الحكمه و جنايه على حـدقه التّوحيـد، و فيه متابعه الشّـيطان اللّعين و أوليائه من الكفّار و المنافقين حيث إنّه حسد و قال:

أ أَسْجُدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فَ «أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ »

و کـذلک أولیاؤه لم یزالوا حاسـدین معاندین للمؤمنین، مبغضـین لهم و بعداوتهم معلنین متألّمین بفرحهم و بتألّمهم مسـرورین، فمن کان حاسدا فهو للشّیطان و أولیائه قرین، و هو معهم فی أسفل السّافلین.

و أمّا کونه مضـرّا علیک فی الـدّنیا فلأنّک تتألّم بحسـدک فیها و تتعذّب به دائما و لا تزال فی همّ و غمّ، إذ نعم اللّه سبحانه فی الـدّنیا فی حقّ البرّ و الفاجر و المؤمن و الکافر غیر معدوده، و فیوضاته غیر متناهیه و أنت کلّما رأیت تنعّم المحسود بنعمه تألّمت و تـأثّرت، فلاـ یحصـل لک خلاص من الحزن و الألم لعـدم انقطاع الآلاء و النّعم، و لا یکون لک فراغ من الکفر و یطول علیک الهجود و السّـهر فلیطرق علیک النّصب و الآلام، و یتراکم علیک الأوصاب و الأسـقام، لسرایه المرض من القلب إلی البدن و من الخلد إلی الجسد.

و لذلک قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: صحّه الجسد من قلّه الحسد، و قیل الحسد یضرّ بنفس الحاسد قبل إضراره بالمحسود.

و قـد روی أنّ رجلا کان یغشـی بعض الملوک فیقوم بحذاء الملک فیقول: أحسن إلی المحسن باحسانه فانّ المسـیء سـیکفیکه إسائته، فحسـده رجل علی ذلک المقام و الکلام فسعی به إلی الملک فقال: إنّ هـذا الذی یقوم بحذائک و یقول ما یقول یزعم أنّ الملک أبخر، فقال الملک و کیف یصـحّ ذلک عنـدی قال: تدعوه إلیک فانّه إذا دنا منک وضع یده علی أنفه لئلّا یشمّ ریح البخر فقال له: انصرف حتّی أنظر.

فخرج من عند الملک فدعی الرّجل إلی منزله فأطعمه طعاما فیه ثوم، فخرج الرّجل من عنده فقام بحذاء الملک علی عادته فقال: أحسن إلی المحسن باحسانه فانّ المسـیء سـیکفیکه إسائته، فقال له الملک: ادن منّی، فـدنا منه فوضع یده علی فیه حذرا من أن یشمّ الملک منه رایحه الثّوم فقال الملک: ما أری فلانا إلّا قـد صـدق و کان الملک لا یکتب بخطّه إلّا بجایزه أوصـله، فکتب له کتابا بخطّه إلی عامل من عمّاله:

إذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه و اسلخه و حشّ جلده تبنا و ابعث به إلىّ، فأخذ الكتاب و خرج، فلقاه الرّجل الذى سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال:

خطّ الملك لى بجايزه، فقال: هبه لى فوهبه له، فأخذه و مضى إلى العامل فقال العامل فى كتابك أن أذبحك و أسلخك، قال: إنّ الكتاب ليس هو لى فاللّه اللّه فى أمرى حتّى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعه، فذبحه و سلخه و حشى جلده تبنا و بعث به.

ثمّ عاد الرّجل كعادته إلى الملك و قال مثل قوله، فتعجّب الملك و قال:

ما فعلت الكتاب؟ فقال لقانى فلان فاستوهبه منّى فوهبته له، قال الملك: إنّه ذكر لى أنّك تزعم أنّى أبخر، قال: ما قلت ذلك، قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنّه أطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمّه، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسىء إسائته.

و أمّا عدم كونه مضرّا بالمحسود فى الدّنيا و الدّين فواضح.

أمّا الدّنيا فلأنّ النعمه لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدّره اللّه فى حقّه من النعمه و الاقبال و من طيب العيش و حسن الحال لا بدّ أن يدوم إلى أجل معلوم، لارادّ لحكمه و لا دافع لقضائه، إذ كلّ شىء عنده بمقدار، و لكلّ أجل كتاب و مهما لم تزل النعمه بالحسد لم يكن على المحسود ضرر.

و لعلّك تقول: ليت النعمه كانت تزول عن المحسود بحسدى فهذا غايه الجهاله و السفاهه لأنّه بلاء تشتهيه أوّلا لنفسك، فانّك أيضا لا تخلو من حاسد يحسدك فلو كانت النعمه تزول بالحسد للزم أن تنقطع عنك النعم و عن كلّ أحد بل يزول الايمان عن المؤمنين لأنّ الكفّار حاسدون لهم فى ذلك محبّون ارتفاعه عنهم كما قال سبحانه:

«وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ».

و ان اشتهیت أن تزول النعمه عن محسودک بحسدک و لا تزول عنک بحسد حاسدک، فهذا غایه الغباوه و الحماقه، لأنّ کلّ واحد من الحسّاد یشتهی الاختصاص بهذا الخاصیّه فأیّ ترجیح لک علی غیرک؟ فان قلت: سلّمنا هذا کلّه و لکن ما تقول فیما رواه فی الکافی عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن النّوفلی عن السّکونی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: کاد الفقر أن یکون کفرا و کاد الحسد أن یغلب القدر، فانّ المستفاد من هذه الرّوایه أنّ الحسد له تأثیر فی زوال النعمه.

قلت: هذه لا تکافیء الأدلّه السّابقه، لعدم سلامه سندها و قلّتها بالنسبه إلیها، مع إمکان الجمع بینهما بأن یقال بتأثیر الحسد فی الجمله کالعین الصائبه إلّا أنه لا یوجب زوال النعمه بالمرّه فیمکن أن یزول النعمه التی صارت سببا لحسد الحاسد عن المحسود ثمّ ینتقل المحسود إلی نعمه أخری أشرف و أجل ممّا زالت منه، لما قد روی فی الأخبار من أنّ الرّزق مقسوم، و من قوله صلّی اللّه علیه و آله لن تموت نفس حتّی تستکمل رزقها فاتّقوا اللّه و أجملوا فی الطلب فتأمّل.

و أمّا عدم کونه مضرّا بالمحسود فی الدّین فواضح مستغن عن البیان.

و أمّا انتفاعه به فی الدّین و الدّنیا فظاهر أیضا.

أمّا الدّین فلأنّه مظلوم من جهتک و أنت ظالم له و میزانه ثقیل و میزانک خفیف کما مرّ فی الأخبار، و أیضا فانّه بصبره و تحمّله علی أذاک یفوز فوزا عظیما و یدرک ما أعدّ اللّه من عظیم الأجر للصّابرین کما یشهد به ما فی الوسائل عن الصّدوق باسناده عن معاویه بن وهب عن الصّادق جعفر بن محمّد علیه السّلام قال: اصبر علی أعداء النّعم فانّک لن تکافیء من عصی اللّه فیک بأفضل من أن تطیع اللّه فیه، و مثله روایه عمّار بن مروان عن أبی الحسن الأوّل علیه السّلام و نحوهما أخبار اخر.

و أمّا انتفاعه به فی الدّنیا فهو إنّ أهمّ أغراض الخلق مسائه الأعداء و ألذّ عیشهم أن یکون أعداؤهم معذّبین، و لا عذاب أشد ممّا أنت فیه من ألم الحسد

و غايه أمانى أعـدائك أن يكونوا فى نعمه و أن تكون فى غمّ و حسـره بسـببهم، و قـد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، و لذلك لا يشتهى عدوّك موتك بل يشتهى طول حياتك لتنظر ما أنعم اللّه به عليه و ينقطع نياط قلبك حسدا كلّما رأيته، و لذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلّدوا حتّى يروا فيك الّذى يكمد

لا زلت محسودا على نعمه فانّما الكامل من يحسد

و إن شـئت زياده وضوح إضـرار الحاسـد بنفسه و انتفاع المحسود بحسده فاختبر ذلك بقصّه يوسف عليه السّـلام و اخوته حيث حسدوه و قالوا:

اقْتُلُوهُ «أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ » فَ «أَلْقُوهُ فِى غَيابَتِ الْجُبِّ » «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ».

فأدركه العنايه الأزليّه و الرّحمه الالهيّه و اعطى بمحسوديّته الملك و المملكه و العزّ و السّـلطنه و ابتلوا بحاسـديّتهم بالفقر و الفاقه و الضّر و المسكنه حتّى صاروا محتاجين إليه بسوء الأعمال فدخلوا عليه و نادوه بلسان الابتهال:

«يـا أَيُّهَـا الْعَزِيزُ مَسَّنـا وَ أَهْلَنَـا الضُّرُّ » و سوء الحـال «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَـدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللّهَ يَجْزِى الْمُتَصَـدِّقِينَ » فاصـبحوا بفضـله مذعنين و عن علوّ شأنه مفصحين بقوله:

«تَاللّهِ لَقَـدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنّا لَخاطِئِينَ »...، «وَ خَرُّوا لَهُ سُـجَّداً » بعـد أن كانوا له حسّدا و أنت أيّها النّاقد البصـير و الذّكىُّ الخبير إذا أحطت خبرا بما تلوناه عليك و عرفت مضارّ الحسـد و مفاسـده فراقب الانصاف و جانب الاعتساف و لاحظ نفسك و امحض لهـا نصـحك و لا تكسب لها الخساره فى الحال و لا تجلب لها الشّـقاوه فى المآل، و لا تبخس حظّك عنـد الخالق، و لا تسقط وقعك من قلوب الخلايق، و نعمه المحسود دائمه شئت أم أبيت، باقيه كرهت أم رضيت، فلا تكن للشّيطان

ص:۱۶۴

ولیّا و لا لنفسک عدوّا و لا للمؤمنین خصیما، فلا تفت علی نفسک فوایـد المحبّه، و لا تحرمها من منافع الالفه و المودّه، و لا توقعها فی مضارّ البغضاء و العداوه، أ فما دریت فی شرح هذه الخطبه أنّها حالقه للدّین و الایمان، ساخطه للرّحمن، و باللّه أستعیذ من خبث النفس و شرور الأنفس، و به أعتصم من مکاید الشّیطان و موبقات الایمان، و منه التوفیق و علیه التکلان و هو المستعان.

الترجمه

از جملهٔ خطب شریفه آن امام انامست که فرمود: بتحقیق که عالم است حقّ سبحانه و تعالی بسرّها و خبیر است بضمیرها، مر او راست احاطه بجمیع أشیاء از حیثیّت علم و حفظ و غلبه بجمیع مخلوقات با قهر و سلطنت، و قوّه بهمهٔ موجودات با کمال اقتدار و قدرت، پس باید عمل نماید عمل کننده از شما در أیّام مهلت پیش از سرعت اجل او، و در زمان فراغت قبل از اشتغال او، و در زمان وسعت نفس زدن پیش از آنکه گرفته شود راه نفس او، و بایست مهیّا نمایـد از برای نفس خود توشهٔ طاعات و از برای استواری قدم خود بر صراط، و باید توشه بردارد از سرای رحلت خود برای سرای اقامت خود.

پس بترسید از خدا ای بندگان خدا در آنچه که خواسته است از شما حفظ کردن آن را از کتاب خود، و در آنچه امانت نهاده پیش شما از حقوق خود، پس بدرستی خداوند عالم خلق نفرموده شما را بعبث، و فرو نگذاشته است شما را مهمل و نگذاشته است شما را در جهالت و کوری.

بتحقیق که بلند نموده است خبرهای شما را، و عالم است عملهای شما را، و نوشته است اجلهای شما را، و نازل کرد بر شما کتاب را بجهه بیان هر شیء، و زندگانی داد در میان شما پیغمبر خود را زمانی چند تا آنکه کامل ساخت از برای او و از برای شما در آنچه که نازل فرموده بود از کتاب خود دین خود را که پسندیده بود از برای خود، و اعلام نمود بشما بزبان پیغمبر خود محبوب ها و مکروههای خود را از عملها و کارها و نواهی خود را و اوامر خود را.

پس القا کرد بسوی شما معذرت خود را در عقوبت شما، و أخذ نمود بر شما حجّت خود را، و پیش انداخت بسوی شما تهدید و وعید را، و ترسانید شما را پیش از عذاب شدید.

پس تدارک نمائید در بقیّهٔ روزگار خود و باز دارید در بقیّه أیّام نفس خود را از عمل ناشایست، و متحمل باشید بمشقت عبادت پس بدرستی که آن بقیه ایام کم است در میان روزگار بسیار که میباشد از شما غفلت و بی خبری و مشغول شدن از پندگیری و رخصت ندهید نفسهای خود را تا این که ببرد شما را آن رخصتها در راههای ظالمان و ستمکاران، و مداهنه و مسامحه ننمائید با فاسقان تا این که بیاورد شما را آن مداهنه بمعصیت.

ای بندگان خدا بدرستی که نصیحت کننده ترین خلق بر نفس سرکش خود اطاعت کننده ترین ایشانست پروردگار خود را، و بدرستی که فریب دهنده ترین خلق نفس خود را عاصی ترین ایشان است بر آفریدگار خود، و زیان کار کسی است که زیان رساند نفس خود را، و سودمند کسی است که سالم شود از برای او دین او، و صاحب سعادت آن کسی است که پند گیرد بحال غیر خود، و صاحب شقاوت آن کسی است که فریب خورد بهوا و غرور خود.

و بدانید که اندکی از ریا شرکست بخدا، و همنشینی أهل معصیت و هوا محل فراموشی ایمانست و مکان حضور شیطان، و کناره جوئی کنید از کذب و بهتان که آن بیگانه است از ایمان، راستگو بر کنارهٔ نجاتست و بزرگواری، و دروغ گو بر گوشهٔ هوس است و خواری، و بر یکدیگر حسد مبرید، پس بدرستی که می خورد حسد دین را همچنان که می خورد آتش هیزم را.

بیت

هر که را پیشه بود حقد و حسدهرگز از آتش دوزخ نرهد

کینه از سینهٔ خود بیرون کنزین عمل قدر و شرف افزون کن

بیخ حقد و حسد از دل بر کنبر فلک ساز چه عیسی مسکن

ص:۱۶۶

و دشـمنی نکنید بر یکدیگر پس بدرستی که عداوت تراشـندهٔ ایمان است و بدانید که آرزوی دور و دراز باعث سهو عقل می شود و سـبب نسیان ذکر، پس تکذیب نمائید آرزوی خود را از جهت این که آمال و امانی دروغ است و فریب، و صاحب آن مغرور است و مفتون.

و من خطبه له علیه السّلام و هی السادسه و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی ضمن فصول:

الفصل الاول

اشاره

عباد اللّه إنّ من أحبّ عباد اللّه إلیه عبـدا أعانه اللّه علی نفسه، فاستشـعر الحزن و تجلبب الخوف، فزهر مصـباح الهدی فی قلبه، و أعدّ القری لیومه النّازل به، فقرّب علی نفسه البعید، و هوّن الشّدید، نظر فأبصـر، و ذکر فاستکثر، و ارتوی من عذب فرات سهّلت له موارده، فشـرب نهلا، و سـلک سبیلا جـددا، قد خلع سـرابیل الشّـهوات، و تخلّی من الهموم إلاّ همّا واحدا انفرد به، فخرج من صفه العمی و مشارکه أهل الهوی، و صار من مفاتیـح أبواب الهـدی و مغالیق أبواب الرّدی، قـد أبصـر طریقه، و سـلک سبیله، و عرف مناره، و قطع غماره، و استمسک من العری بأوثقها، و من الحبال بأمتنها، فهو من الیقین

على مثل ضوء الشّمس، قد نصب نفسه للّه سبحانه فى أرفع الأمور، من إصدار كلّ وارد عليه، و تصيير كلّ فرع إلى أصله، مصباح ظلمات، كشاف عشوات، مفتاح مبهمات، دفّاع معضلات، دليل فلوات، يقول فيفهم، و يسكت فيسلم، قد أخلص للّه فاستخلصه، فهو من معادن دينه، و أوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أوّل عدله نفى الهوى عن نفسه، يصف الحقّ و يعمل به، و لا يدع للخير غايه إلاّ أمّها، و لا مظنّه إلاّ قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده و إمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، و ينزل حيث كان منزله.

اللغه

(الشّعار) من الثوب مايلى شعر الجسد و (الجلباب) القميص أو غيره ممّا مضى فى شرح الكلام الخامس و الستين و (زهر) الشيء يزهر من باب منع صفا لونه و أضاء و (القرى) من قرى الضّيف من باب رمى قرى بالكسر و القصر و الفتح و المدّ أضافه، و فى المصباح قرى بالكسر و القصر و الاسم القراء بالفتح و المدّ و (فرات) الماء العذب و باللام اسم نهر معروف.

و (نهل) البعير نهلا من باب تعب شرب الشّرب الأوّل حتّى روى و (الجدد) بالتحريك المستوى من الأرض و (السّربال) القميص و (الغمار) بالكسر إما جمع الغمر كالغمور و هو الماء الكثير و معظم البحر أو جمع الغمره كالغمرات و هى الشده و الزحمه و (العرى) بالقصر مثل العروه من الدّلو و الكوز و نحوهما مقبضها و (عشوات) بالتحريك جمع العشوه بالتّثليث و هى الأمر الملتبس.

(و المعضلات) الشدائد و الأمور التى لا تهدى لوجهها من أعضل الأمر إذا

اشتدّ و (المعادن) جمع معدن كمجلس و هو محل الجوهر و (أمّه) أمّا من باب قتل قصده و (مظنه) الشىء المكان الذى يظنّ فيه وجوده و (الثقل) متاع المسافر و حشمه و الجمع أثقال كسبب و أسباب.

الاعراب

الفاء فى قوله فاستشعر الحزن عاطفه مشعره بسببيه ما قبلها لما بعدها كما فى قولك يقوم زيد فيغضب عمرو، و كذلك أكثر الفاءات بعدها، و قوله فهو من اليقين على مثل آه هو مبتداء و على مثل خبر له و من اليقين حال إمّا من المبتدأ و العامل فيه الخبر و هو مبنىّ على جواز الاختلاف بين عامل الحال و عامل صاحبه، و إمّا من الضمير المستكن فى الخبر فيتّحد العاملان و إنّما قدّمت الحال على عاملها لتوسّعهم فى الظروف قالوا: و من ذلك البرّ الكرّ بستّين أى الكرّ منه بستّين فمنه حال و العامل فيه بستّين.

و قوله عليه السّلام: مصباح ظلمات بالرفع خبر بعد خبر، و قوله فكان أوّل عدله نفى الهوى يجوز جعل أوّل اسما و نفى الهوى خبرا و بالعكس إلاّ أنّ مقتضى الاعراب الموجود فى نسخ الكتاب هو الأوّل حيث اعراب الأوّل مرفوعا و النفى منصوبا و هو أيضا مقتضى الأصل.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق بشرح حال المتّقين و بيان صفات العارفين الكمّلين من عباد اللّه الصّالحين، و فى الحقيقه و المعنى هو شرح لحال نفسه الشريف و حال أولاده المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، إذ الأوصاف الآتيه لم تجمع إلاّ فيهم و لم تشاهد إلاّ منهم.

و هم المتّصفون بالفناء فى اللّه و البقاء باللّه، و المبتغون لمرضاه اللّه و هم أحبّ النّاس إلى اللّه و اللّه أحبّ إليهم و أولى بهم من أنفسهم، فهم التّامّون فى محبّه اللّه و المخلصون فى توحيد اللّه و المظهرون لأمر اللّه و نهيه و عباده المكرمون

الّذين «لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ».

إذا عرفت هذا فأقول قوله عليه السّلام (إنّ من أحبّ عباد اللّه إليه عبدا أعانه اللّه على نفسه) أراد بمحبّته سبحانه له إفاضته الكمالات النّفسانيه عليه المعدّه له بالقرب إليه تعالى و القبول بفضله و جوده، و يأتى فى شرح المختار المأتين و الخامس و العشرين إنشاء اللّه تفصيل الكلام فى معنى محبّته تعالى، و معنى إعانته له على نفسه اعانته جنود عقله على جنود جهله و تقويه عقله على قهر نفسه الأمّاره، فاذا قوى عقله و اعين له اتّصف بأوصاف أشار عليه السّلام إليها.

أوّلها أنّه (استشعر الحزن) أى أتّصف بالحزن و جعله ملازما له لزوم الشّعار للجسد، و إنّما صار محزونا لما صدر منه فى الأيّام الماضيه من التفريط فى جنب اللّه حيث لم يكتسب فيها من موجبات القرب و الاختصاص اضعاف ما اكتسبه (و) الثّانى انه (تجلبب الخوف) أى جعله لازما له لزوم الجلباب للبدن، و قد مضى تحقيق الكلام فى الخوف و فى أقسامه فى شرح الخطبه الخامسه و السّبعين و الثّالث أنّه حيث اتّصف بالحزن و الخوف (ف) استعدّ بذلك لأن (زهر مصباح الهدى فى قلبه) أى أضاء أنوار المعارف الحقّه الالهيّه فى قلبه فصار سببا لاهتدائه و وصوله إلى مقام القرب.

(و) الرابع انّه(أعدّ القرى ليومه النّازل به)شبّه يوم الموت و ما بعده بالضّيف المتوقّع نزوله و كما أنّ من توقّع نزول ضيف به يهيّأ له قرى ليبيض به وجهه عند الضيف و يكسب به المحمده منه و لا ينفعل منه عند نزوله، فكذلك الرّجل الموصوف لمّا توقّع نزول الموت و علم أنّه قادم لا محاله أعدّ له من وظايف الطّاعات و العبادات ما يكون موجبا لبياض (لابيضاض خ) وجهه عند نزوله و اكتسابه المحمده و الثّناء، و ذلك أيضا من ثمرات الخوف المقدّم ذكره و من شئوناته.

و الخامس أنه حيث أعدّ قرى ضيفه (فقرّب على نفسه البعيد) و الظّاهر أنّ

المراد بالبعيد هو الموت الذى يراه الغافلون بعيدا و بتقريبه على نفسه هو مبادرته إليه و جعله له نصب عينيه و ترقّبه له و عدم غفلته عنه صباحا و مساء، لأنّه بعد ما هيّأ أسبابه و أعدّ القرى له لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه و أمّا ما ذكره الشّارح البحرانى من احتمال كون المراد بالبعيد هو رحمه اللّه البعيد عن مستحقّها، و بتقريبه تحسين العمل أو كون المراد به أمله الطّويل فى الدنيا و بتقريبه تقصير الأمل فمضافا إلى بعده فى نفسه غير ملايم لظاهر العطف بالفاء و إن أمكن توجيهه بتكلّف.

(و) السادس أنّه (هوّن الشديد) يحتمل أن يكون المراد بالشديد شدايد الموت و دواهيه و ما يتلو ذلك، فيكون المراد بتهوينها تسهيلها بالأعمال الصّالحه و هو من ثمرات اعداده القرى للموت، و أن يكون المراد به شدايد الطاعات و كلفه المجاهدات و الرّياضيات، فيكون المراد بتهوينها تحملها و الصّبر لها و حبس النّفس عليها، و هو من فروع شروق مصباح الهدى فى قلبه.

و السّابع انّه (نظر فأبصر) أى تفكّر فى الملك و الملكوت فصار ذا معرفه و بصيره كما قال سبحانه:

«سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » (و) الثّامن أنّه (ذكر فاستكثر) أى ذكر اللّه فاستكثر من ذكره إذ بذكره تسكن النّفوس كما قال سبحانه:

«أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ».

و بكثره ذكره تنال المحمده و الثّناء عند اللّه كما قال تعالى:

«رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ » (و) التّاسع أنه(ارتوى من عذب فرات سهلت له موارده)شبّه عليه السّلام العلوم الحقّه و المعارف الالهيّه المفاضه على العارف بالماء الصّافى العذب الزّلال فاستعاره لها و رشّحه بذكر الارتواء كما أنّه استعار فى الكلام السّابع عشر للعقايد

ص:١٧١

الباطله و الآراء الفاسده لفظ الآجن حيث قال عليه السّلام فی ذکر أوصاف القضاه السوء:

حتّی إذا ارتوی من آجن، و المراد بسهوله موارده عدم کونها ردغه و حله و هو کنایه عن سرعه استعداده لقبول تلک العلوم المفاضه من محالّها و مواردها أعنی الألواح السّماویّه و ألسن الملائکه و لسان النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الرّوع فی القلب و النّکث فی القلوب و نحوها إن کان المراد بالموصوف الأئمه علیهم السّلام علی ما قدّمنا، و النّبی و الأَئمه سلام اللّه علیه و علیهم إن کان المقصود به مطلق العارف هذا و قوله علیه السّلام (فشرب نهلا) إشاره إلی أنّه لما شرب من العذب الفرات و ارتوی اکتفی بذلک و صار شربه الأوّل کافیا و لم یحتج بعده إلی الشّرب الثّانی لأنه شرب من رحیق التحقیق و من عین التوفیق شربه لا ظمأ بعدها أبدا.

(و) العاشر أنّه (سلک سبیلا جدداً) أی طریقاً مستویه عدلا مصونه عن طرفی الافراط و التفریط إذ الیمین و الشّمال مضلّه و الطریق الوسطی هی الجادّه الموصله لسالکها إلی خطیره القدس، و قد مضی تفصیلًا و تحقیقاً فی شرح الفصل الثانی من الکلام السادس عشر فتذکر.

و الحادی عشر أنّه (قد خلق سرابیل الشّهوات) أی نزع لباس الشهوات و خلی نفسه منها لکونها موجبه لصداء مرآت القلب مانعه عن انطباع صور الحقّ فیها.

(و) الثانی عشر أنه قد (تخلّی من الهموم) أی هموم الدّنیا کلّها لکونها مجانبه للحقّ شاغله عنه (إلا همّا واحداً انفرد به) و هو همّه بالوصول إلی مولاه الّذی به لذّته و بالانفراد بذکره و مناجاته سروره و بهجته و بمطالعه جلاله و کبریائه شعفه و فرحته.

و الثّالث عشر أنّه حیثما تخلّی من الهموم و انحصر همّه فی الهمّ الواحد (فخرج به من صفه العمی و) عن (مشارکه أهل الهوی) أراد أنه باتّصافه بفضیله العلم و الحکمه خرج من صفه الجهاله و عن مشارکه أهل الهوی و الشّهوه لکون الاشتراک معهم موجباً للضّلاله، و إلیه الإشاره بقوله سبحانه:

«وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى ».

(و) الرابع عشر أنّه من أجل اتّصافه بالعلم و الحكمه أيضا (صار من مفاتيح أبواب الهدى و مغاليق أبواب الرّدى) فبه ينفتح أبواب الرّشاد و الهدايه للمهتدين، و ينغلق أبواب الغوى و الضّلاله للجاهلين، لكونه فاتحا لباب المعروف سادّا لباب المنكر فبنور وجوده يهتدى الجاهلون، و بكمال ذاته يرتدع الضّالّون.

و الخامس عشر أنه (قد أبصر طريقه و سلك سبيله) أى أبصر بنور بصيرته طريقه المأمور بسلوكها فسلكها، و إلى هذا السّبيل و الطريق أشير فى قوله:

«أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » و فى قوله: «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً » كما مضى مشروحا فى شرح الفصل الثانى من الكلام السّادس عشر فتذكر.

(و) السّادس عشر أنّه (عرف مناره) أصل المنار هو العلم المنصوب على الطّريق ليأمن به المارّه من الخروج عن الجادّه فمن عرف مناره أمن الضّلاله، و المراد به هنا هم أئمه الدّين الّذينهم أعلام اليقين، فالسّالك إلى اللّه بقدمى الصّدق و العرفان إذا عرفهم و لزمهم و أخذ بحجزتهم أمن من الضّلال و وصل إلى حظيره القدس و الجلال التى هى منتهى الآمال، هذا إن كان الموصوف بالصّفات مطلق العارف و إن كان المقصود به هم عليه السّلام حسبما أشرنا إليه سابقا فالمراد بالمنار هو النّبيُّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(و) السابع عشر أنّه (قطع غماره) أشار بالغمار إلى ما كان مغمورا فيه من مشاق الدّنيا و همومها و التّألّم بسبب فقدها و مجاذبه أهلها لها و تزاحمهم عليها، فانّ العارف بمعزل عن ذلك و إنّما هو شأن الجاهلين الّذين هم فى غمره ساهون.

(و) الثامن عشر أنّه (استمسك من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها) و المراد

بأوثق العرى و أمتن الحبال ما اشير إليها فى سوره البقره بقوله:

«فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها » و فى سوره آل عمران بقوله: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا ».

و قد فسّر العروه فى الظاهر بالايمان و الحبل به و بالقرآن، و قد فسّرا فى الباطن بالولايه، روى فى البحار من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات قال:

ذكر صاحب نهج الايمان فى تأويل قوله:

«فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى » روى أبو عبد اللّه الحسين بن جبير فى كتاب نخب المناقب لآل أبى طالب حديثا مسندا إلى الرّضا عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: من أحبّ أن يستمسك بالعروه الوثقى فليستمسك بحبِّ علىٍّ بن أبى طالب عليه السّلام، و روى أيضا فى الكتاب المذكور مسندا عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: نحن حبل اللّه الذى قال اللّه تعالى:

«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا ».

و الأخبار فى هذا المعنى متظافره.

و التاسع عشر أنّه لما استمسك بالعروه الوثقى و الحبل الأمتن فترقّى بذلك إلى أعلى مدارج العلم و العرفان (ف) كان (هو من اليقين على مثل ضوء الشمس) يعنى أنّه رأى بعين اليقين الحقائق و شاهد دقايق الملك و الملكوت لا يختلجه فى ذلك شكّ و وهم كما يرى بصره نور الشمس فى الوضوح و الجلا.

و العشرون أنه لكمال ذاته (قد نصب نفسه) و عيّنها (ل) أجل ابتغاء مرضات (اللّه سبحانه فى أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه و تصيير كلّ فرع إلى أصله) أراد عليه السّلام أنه لما كمل ذاته نصب نفسه لأرفع الأمور من هدايه الخلق و ارشادهم إلى

ما فيه رشادهم فقام باصدار الأجوبه عن كلّ ما ورد عليه من الأسئله و نهض بردّ كلّ فرع من فروع العلم إلى أصله المتشعّب عنه، و فيه إشعار و تنبيه على جواز الاجتهاد و استنباط الأحكام الشرعيه الفرعيه عن أدلّتها التفصيليه كما عليه بناء المجتهدين من أصحابنا، خلافا لأصحابنا الأخباريّين و التفصيل معنون فى الأصول.

و الحادى و العشرون أنّه (مصباح ظلمات) يقتبس منه العالمون أنوار العلم و يهتدى به التائهون فى ظلمات الجهل.

و الثّانى و العشرون أنّه (كشّاف عشوات) يكشف به و يميّز الأمور الملتبسه و فى بعض النسخ غشوات بالغين المعجمه فالمراد أنه يكشف النقاب عن وجه الحقّ.

و الثالث و العشرون أنّه (مفتاح مبهمات) به يفتح أبواب الأحكام المبهمه المغلقه.

و الرّابع و العشرون أنّه (دفّاع معضلات) يعنى أنه يدفع الأعضال عن المسائل المعضله الشرعيه و يرفع الاشكال عن الأحكام المشكله الأصليّه و الفرعيّه بكلامه الوافى و بيانه الشافى.

و الخامس و العشرون أنّه (دليل فلوات) أراد عليه السّلام أنّ السّالك فى مسالك الفلوات كما لا يهتدى إليها إلّا بدلاله الأدلاء الّذين اعتادوا سلوكها و ضبطوا مراحلها و منازلها، فكذلك السّاير فى فلوات المعقولات الطالب لطىّ مراحلها الباغى للنّزول إلى ساحه الحقّ و الوصول إلى حظيره القدس لا يهتدى إليها و لا يمكنه النّزول فيها إلّا بهدايه دليل هاد و إرشاد مرشد يرشد إلى الرشاد، و هو العارف المعتاد بسلوك تلك المسالك فمن لم يسلك بدلالته فهو ضالّ و هالك.

و السادس و العشرون أنّه (يقول فيفهم و يسكت فيسلم) يعنى أنه يقول:

إذا اقتضت الحال فيفهم لمخاطبه المقال و يسكت فى مقام السّكوت فيسلم من عثرات اللّسان.

و السابع و العشرون أنّه (قد أخلص للّه فاستخلصه) أی أخلص علمه للّه و جعله خالصا عن شوب الرّیاء و الشّرک علی ما مضی فی شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الأولی، و حیث إنه أخلص للّه فاستخلصه اللّه و اختاره و اختصّه من بین أبناء جنسه بالرّضا عنه و إفاضه الکمالات علیه و إدنائه إلی مقام القدس.

و الثّامن و العشرون أنّه إذا اتّصف بالاخلاص و الاستخلاص (ف) صار(هو من معادن دینه و أوتاد أرضه)شبّهه علیه السّلام من حیث کونه محلاّ للدّین و مستقرّا له بالمعدن الّذی یستقرّ فیه الجوهر فکما أنّ المعدن یستخرج منه الجوهر و ینتزع منه، فکذلک الدّین الّذی هو جوهر عقلائی یستفاد من ذلک الموصوف و یکتسب منه،و أمّا معنی کونه منأوتاد أرضهفهو أنّک قد عرفت فی شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه الأولی أنّه سبحانه وتدّ بالصّخور و الجبال میدان أرضه و اضطرابه و أنت إذا أخذت بین مجامع هذا الکلام و ما تقدّم ظهر لک أنّه علیه السّلام جعل الموصوف بمنزله جبل یکون وتداً للأرض مانعا لها عن الاضطراب، و هو إمّا جار علی الحقیقه إن أراد بالموصوف نفسه الشّریف و من هو بمنزلته من أولاده المعصومین الّذین لولاهم لماجت الأرض بأهلها و ساخت، و إمّا علی المجاز بأن یکون المراد به العموم فانّ الرّجل الموصوف لما کان سببا لانتظام أمر الدّنیا و عدم اضطراب أحوال أهلها کان کالوتد للأرض فافهم.

و التّاسع و العشرون أنه (قد ألزم نفسه العدل فکان أوّل عدله نفی الهوی عن نفسه) لما کان العداله ملکه تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضله خلقا لا تخلّقا و اصولها عباره عن الحکمه و العفّه و الشجاعه، و سایر الفضایل فروعا لها و کان العارف قد أرضی نفسه بالعباده و غیرها حتّی حصل علی هذه الفضایل الخلقیّه لا جرم کان بسعیه فی حصولها قد ألزم نفسه العدل.

قال الشّارح البحرانی: و لما کان العدل فی القوّه الشّهویه الّذی هو أن یصیر عفیفا لا خامد الشهوه و لا فاجرا أصعب(۱) من العدل علی سایر القوی لکثره

۱- (۱) خبر کان.

موارد الشّهوه و ميلها بالانسان إلى طرف الافراط، و لذلک قال أكثر المناهى الوارده فی الشريعه هى موارد الشهوه لا جرم(۱) کان مقتضى المدح أن يبدء بذكر نفى الهوى عن نفسه، و لأنّ السّالک أوّل ما يبدء فى تكميل القوّه العمليّه باصلاح القوّه الشهويّه فيقف عند حدود اللّه و لا يتجاوزها فی مأكول أو منكوح أو كسب و نحوه.

و الثّلاثون أنّه (يصف الحقّ و يعمل به) أى يطابق فعله قوله و يوافق قوله عمله فانّ من يأمر و لا يأتمر و ينهى و لا يزدجر لا يؤثّر وعظه و لا يثمر إرشاده فانّ الموعظه إذا صدرت عن اللّسان لا يتجاوز الآذان و إذا خرجت من القلب وقع فى القلب، و قد ذمّ اللّه أقواما خالفت أفعالهم أقوالهم بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ».

(و) الحادى و الثلاثون أنّه (لا يدع للخير غايه إلاّ أمّها و لا مظنّه إلاّ قصدها) يعنى أنّ همّته مقصوره على سلوک مسالک الخير و قصد مظانّ البرّ ليفوز غايته و يدرک نهايته.

و الثّانى و الثّلاثونأنّه(قد أمكن الكتاب)أى كتاب اللّه(من زمامه)أدّى زمام نفسه إلى الكتاب و فوّضه إليه و مكّنه منه و هو كنايه عن كونه منقادا له مطيعا لما اشتمل عليه من الأوامر و النواهى (فهو قائده و امامه) يقوده إلى اللّه و يأمّه فى سلوک سبيل رضوان اللّه(يحلّ حيث حلّ ثقله و ينزل حيث كان منزله)قال الشارح البحراني: استعار عليه السّلام وصفى الحلول و النّزول الّذين هما من صفات المسافر و كنّى بحلوله حيث حلّ عن لزوم أثره و العمل بمقتضاه و متابعته له فى طريق سفره إلى اللّه بحيث لا ينفکّ عنه وجودا و عدما.

أقول: هذا إن كان المراد بالموصوف نفسه الشّريف و من حذا حذوه،

۱- (۱) جواب لما.

و أمّا إن اريـد به مطلق العارف فالمراد بمحلّ القرآن و منزله هو بيت الرّساله و الامامه أعنى مهبط الوحى و معدن الذكر، فيكون المقصود بحلول الموصوف و نزوله فيه كالقرآن كونه مقتديا بالرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و الأئمه مقتبسا لهداهم آخذا بولايتهم صلوات اللّه و تحيّاته عليه و عليهم أجمعين.

الترجمه

از جملهٔ خطب شريفه آن امام زمان و مقتداى عالميان است در وصف حال متّقين فرموده كه:

اى بنـدگان خـدا بـدرستى از محبوبترين بنـدگان خـدا است بسوى او بنـدۀ كه اعانت فرمود و غالب نمود خداى تعالى او را بر نفس خـود پس شـعار خـود گردانيـد حزن را، و سـرپوش خود نمود ترس را، پس روشن شـد چراغ هـدايت در قلب او، و مهيا نمـود مهمـانى را براى روزى كـه فرود آيـد بـاو؛ پس نزديـك گردانيـد بر نفس خـود دور را كه عبـارتست از مـوت و احـوال آخرت، و آسان نمود كار سـخت را كه عبارتست از كلفت و مشاقّ عبادت، نگاه كرد بديده عبرت بملك و ملكوت، پس شد صاحب معرفت و بصـيرت، و ذكر كرد خداونـد را پس بسـيار نمود از ذكر ربّ العزّت، و سـيراب شد از آب خوش شـيرين كه آسان گردانيـده شـد از براى او موارد آن پس آشاميد آبرا أول بار و سـبقت نمود بر سايرين و محتاج نشد بآشاميدن دوّيمين و سلوك كرد راه راست محفوظ از تفريط و افراط را.

بتحقيق كه بر كند از خود پيراهن هاى شهوتها را، و خالى شد از همهٔ همّها و غمّها مگر همّ واحدى كه منفرد شده است باو كه عبـارتست از همّ وصول بقرب حق، پس بيرون آمـد از صـفت كورى و از مشـاركت أهل هوا و غفلت، و گرديـد از كليـدهاى درهاى هدايت و از آلتهاى بستن درهاى هلاكت.

بتحقيق كه ديد راه صواب خود را و سلوك نمود در راه راست خود و شناخت نشان هدايت خود را از دلايل واضحات، و بريد از خود آنچه فرو رفته بود در آن از شهوات، و چنگ زد از بندها بمحكم ترين آنها و از ريسمانها باستوارترين آنها

ص:۱۷۸

پس او از یقین بر مثال نور آفتابست در تابندگی و درخشندگی، پس نصب کرد نفس خود را از برای خداوند در بلندترین کارها که عبارت باشد از بازگردانیدن جواب هر وارد کنندۀ سؤال بر او و از ردّ نمودن هر فرع از فروع علوم بسوی اصل خود چراغ تاریکیها است، کشف کننده امرهای مشتبه است، راهنمای بیابانها است سخن می گوید پس می فهماند، و ساکت می شود پس بسلامت می ماند.

بتحقیق که خالص نمود عبادت را از برای خدا پس خالص نمود خداوند او را از برای خود و برگزید او را با بنای جنس بافاضۀ فیوضات و کمالات، پس او از معدنهای دین خدا است و از میخهای زمین حق تعالی است.

بتحقیق که لازم گردانیده بر نفس خود عدل را پس هست اوّل عدالت او دور نمودن هوا و هوس از نفس خود، تعریف میکند حق را و عمل میکند بآن، ترک نمی نماید عمل خیر را هیچ غایتی مگر این که قصد میکند آن را، و نمی گذارد مظنه خیری مگر این که آهنگ می نماید آن را.

بتحقیق که متمکّن ساخت کتاب اللّه المجید را از مهار خود، و جلو خود را بدست او واگذار نمود، پس کتاب عزیز قائد و پیشوای او است، حلول میکند هر جا که حلول میکند بار نفیس کتاب، و نزول می نماید هر مکانی که منزل نموده در آن کتاب، و اللّه أعلم بالصّواب.

الفصل الثانی

اشاره

و آخر قد تسمّی عالما و لیس به، فاقتبس جهائل من جهّال، و أضالیل من ضلاّل، و نصب للنّاس أشراکا من حبائل غرور، و قول زور، قد حمل الکتاب علی آرائه، و عطف الحقّ علی أهوائه، یؤمّن النّاس من العظائم، و یهوّن کبیر الجرائم، یقول أقف عند الشّبهات

ص:۱۷۹

و فيها وقع، و يقول أعتزل البدع و بينها اضطجع، فالصّوره صوره إنسان، و القلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، و لا باب العمى فيصدّ عنه، و ذلك ميّت الأحياء.

اللغه

(قد تسمّى) تسمّى بفتح التّاء المثناه الفوقانيّه قال فى القاموس تسمّى بكذا و بالقوم و إليهم انتسب، و فى بعض النسخ يسمّى بصيغه المضارع المجهول من باب فعل و هو الأظهر (الجهائل) جمع الجهاله كالعلائق و العلاقه و (الأضاليل) من الضّلال جمع لا واحد له من لفظه و (ضلّال) بضم الضّاد جمع ضالّ كجاهل و جهّال و عامر و عمّار و (الأشراك) جمع الشّرك محرّكه و هو ما يصطاد به و (الزّور) الكذب و مزخرف الكلام قال تعالى: و اجتنبوا قول الزّور و (ضجعت) ضجوعا من باب نفع وضعت جنبى بالأرض و اضطجعت مثله.

الاعراب

قوله: و آخر بالرّفع صفه لمحذوف معطوف على محلّ اسم انّ السّابق فى أوّل الفصل السّابق، قوله: و ليس به، من زياده الباء فى الخبر و اسم ليس ضمير مستتر، و اللّام فى الصوره و القلب إمّا عوض عن الضمير المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيّين و بعض البصريّين أى صورته صوره إنسان و قلبه قلب حيوان و عليه خرج الكوفيّون قوله سبحانه: فإنّ الجنّه هى المأوى، و المانعون يقولون فى مثل ذلك إنّ اللّام للعهد و الضمير محذوف أى الصوره له أو منه و قالوا فى الآيه:

هى المأوى له.

المعنى

اعلم أنّه لما شرح حال أحبّ العباد إلى اللّه سبحانه فى الفصل السّابق أردف ذلك بشرح حال المبغوضين عنده تعالى فقال (و آخر قد تسمّى عالما و ليس به) أى و عبد آخر قد انتسب إلى أهل العلم و نسب نفسه إليهم و ليس هو بذلك أو سمّاه

العوام عالما (فاقتبس جهائل من جهّال و أضاليل من ضلّال) أى تعلّم جهالات مركّبه و عقايد باطله من أهل الجهاله و اكتسب الآراء الموجبه للانحراف عن قصد السّبيل عن أهل الضّلاله فحذا حذوهم و سلك سبيلهم و صار جاهلا ضالاّ مثلهم (و نصب للنّاس أشراكا من حبائل غرور و قول زور) يعنى أنه يغرّ الخلق بأقواله الباطله و أفعاله المزخرفه و يجذبهم بها إليه و يوقعهم فى شركه و حبالته كما يغرّ الصيّاد الصّيد يخدعه حتّى يوقعه فى شركه الّذى نصبه له (قد حمل الكتاب على آرائه) أراد عليه السّلام أنه حمل كتاب اللّه على مقتضى رأيه و هواه، و ذلك لجهله بفحواه و معناه و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار، و كفى بكلامه عليه السّلام شاهدا أنّ كلاّ من الفرق المختلفه كالمشّبهه و المجسّمه و الكراميّه و الأشعريّه و المعتزله و غيرها على كثرتها قد تعلّق فى إثبات مذهبه بالقرآن، فكلّ يأوّله على رأيه و يخرجه على معتقده مع أنّ قول الكلّ باطل و تأويل الجميع فاسد. «وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

و قوله عليه السّلام (و عطف الحقّ على أهوائه) عطف تفسير و توضيح إذ الكتاب حقّ و ما فيه حقّ و من حمله على رأيه فقد عطف الحقّ على هواه و جعل هواه حقّا بتأويل ما. «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ » (يؤمّن الناس من العظائم و يهوّن) فى نظرهم (كبير الجرائم) بذكر الآيات الدّاله على الوعد و الأحاديث المحصّله للطمع و الرّجا كقوله تعالى:

«قُلْ يا عِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً »

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: حبّ علىّ حسنه لا يضرّ معها سيئه، و نحو ذلك و إنّما يهوّنها فى نظرهم و يؤمّنهم منها استجلا با لقلوبهم و طلبا للوقع عند الجهّال من الأمرا و أرباب المناصب و نحوهم من المنهمكين فى الشّهوات و الباغين للّذّات و المقتحمين فى الشبهات و المحرّمات الذين لا يبالون فى شىء منها طمعا فى أنه سبحانه قابل التّوبات و غافر الخطيئات و ما حىّ السّيئآت. و هذا من تسويلات الشّيطان اللّعين و تدليسات ذلك الفاسق المتوسّم بسمه العالم إذ الخوف توأم الرجاءِ و الوعد ردف الوعيد، و هو تعالى قهّار كما أنّه غفّار، فاللّازم للعالم أن يلاحظ المقام و ينظر مواقع الكلام فيورد أدلّه الرّجاء فى مجالس الخائفين، و آيات الخوف فى مجالس الآمنين كيلا ييأس الخائف من روح اللّه و لا يأمن الآمن من غضب اللّه.(يقول أقف عند الشّبهات) توقّيا و تورّعا (و فيها وقع) لجهله بها و غفلته عنها و الوقوف عندها فرع العلم (و يقول أعتزل البدع) المخالفه للقوانين الشرعيه (و بينها اضطجع) لجهله بها أيضا (فالصّوره صوره إنسان) تامّ الأعضاء و الأركان بهىّ الهيئه عذب اللسان (و القلب قلب حيوان) له اذنان محجوب عن إدراک حقايق العرفان.

و کاين ترى من صامت لک معجبزيادته أو نقصه فى التّكلّم

لسان الفتى نصف و نصف فؤادهفلم يبق إلّا صوره اللّحم و الدّم

(لا يعرف باب الهدى فيتّبعه و لا باب العمى فيصدّ عنه) يعنى أنه بسبب جهله المركب لا يعرف قانون الهدايه إلى الرّشاد فيلزمه، و لا واجه الدّخول فى الباطل فيتركه، و ذلک لأنّ الجاهل المركّب لمّا ألحد عن سبيل اللّه و اعتقد بخلاف الواقع امتنع مع ذلک أن يعرف باب الهدى و مبدء الدّخول إليه فلا يمكن له اتّباعه، و لمّا اعتقد أنّ ما جزم به من الباطل هو الحقّ امتنع معه أن يعرف مبدء دخوله فى الجهل و هو باب العمى فامتنع منه أن يصدّ عنه.(فذلک ميّت الأحياء) يعنى أنّه ميّت فى سلک الأحياء، و إنّما كان ميّتا

ص:١٨٢

إذ المقصود بالحياه فى الحقيقه هو استكمال النّفس و اكتساب الفضايل الّتى هى سبب السّعاده الأبديه و العنايه السّرمديّه، و لما كان الجاهل بمعزل عن ذلك فكان بمنزله الميّت بل ميّتا فى الحقيقه قال الشّاعر:

ليس من مات فاستراح بميّت إنّما الميت ميّت الأحياء

تنبيه

هذا الفصل من كلام الامام عليه آلاف التحيه و السّلام كاف فى ذمّ العلماء السوء و القدح عليهم و الطّعن فيهم، و أعنى بالعلماء السوء المتّصفين بالأوصاف المذكوره فى هذا الفصل، و هم العلماء الآخذون بالبدع و الآراء، و العاملون بالمقائيس و الأهواء، كعلماء العامّه و قضاتها الّذين لم يأخذوا العلم من ينابيعه، و لم يتعلّموا القرآن من أهله و استغنوا عن عتره النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و آله و حيث ضاق بهم المجال فى الوصول إلى حقيقه الحال اضطرّوا إلى الأخذ بالرّأى و القياس ففسّروا القرآن بآرائهم، و عطفوا الحقّ على أهوائهم، و عملوا فى مسائل الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام بأقيستهم، فأبدعوا فى الدّين، و غيّروا شرع سيّد المرسلين صلوات اللّه عليه و آله أجمعين هذا. و مثلهم فى استحقاق الذّم و الطّعن العلماء السوء منّا، و هم الذين تعلّموا العلم من أهله، و أخذوه من أحاديث الأئمه، و رجعوا فى تفسير القرآن إلى تفسير خير الامه إلاّ أنّهم لم يعملوا بعلمهم، و وصفوا الحقّ فخالف فعلهم قولهم، و هم علماء الدّنيا الذين قصدهم من العلم التّنعم بالدّنيا و التوصّل إلى الجاه و المنزله عند أهلها. و الآيات و الأخبار فى ذمّ هؤلاء و تشديد الأمر عليهم فوق حدّ الاحصاء و متجاوزه مرتبه الاستقصاء، و ينبغى أن نورد هنا شطرا منها ممّا يناسب المقام. فأقول: روى ثقه الاسلام الكلينىّ فى الكافى عن سليم بن قيس الهلالى قال:

سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سلّم: منهومان لا يشبعان: طالب

دنیا، و طالب علم، فمن اقتصر من الدّنیا علی ما أحلّ اللّه له سلم، و من تناولها من غیر حلّها هلک إلّا أن یتوب أو یراجع، و من أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا، و من أراد الدّنیا فهی حظّها. و عن أبی خدیجه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: من أراد الحدیث لمنفعه الدّنیا لم یکن له فی الآخره نصیب، و من أراد به خیر الآخره أعطاه اللّه خیر الدّنیا و الآخره. و عن حفص بن غیاث عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إذا رأیتم العالم محبّا لدنیاه فاتّهموه علی دینکم، فانّ کلّ محبّ شیء یحوط ما أحبّ و قال علیه السّلام:

أوحی اللّه إلی داود علیه السّلام لا تجعل بینی و بینک عالما مفتونا بالدّنیا فیصدّک عن طریق محبّتی، فانّ أولئک قطّاع طریق عبادی المریدین إلیّ، إنّ أدنی ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوه مناجاتی من قلوبهم. و عن ربعی بن عبد اللّه عمّن حدّثه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: من طلب العلم لیباهی به العلماء أو یماری به السّفهاء أو یصرف به وجوه النّاس إلیه فلیتبوّء مقعده من النّار، إنّ الرّیاسه لا تصلح إلّا لأهلها. و عن حفص بن غیاث عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال: یا حفص یغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن یغفر للعالم ذنب واحد. و عن حفص أیضا قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: قال عیسی بن مریم علیه السّلام: ویل للعلماء السوء کیف تلظّی علیهم النّار. و عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی:

«فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ ». قال: هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثمّ خالفوه إلی غیره. و عن سلیم بن قیس الهلالی قال: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یحدّث عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال فی کلام له: العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، و عالم

تارک لعلمه فهذا هالک، و إنّ أهل النّار ليتأذّون من ريح العالم التّارک لعلمه، و إنّ أشدّ أهل النّار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلى اللّه فاستجاب له و قبل منه فأطاع اللّه فأدخله اللّه الجنه فأدخل الداعى النّار بترک علمه و اتّباعه الهوى و طول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق و أمّا طول الأمل فينسى الآخره و عن عبد اللّه بن القاسم الجعفرى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصّفا. أقول: و نعم ما قيل فى هذا المعنى:

يا واعظ النّاس قد أصبحت متّهما إذ عبت منهم امورا أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا فالموبقات لعمرى أنت جائيها

تعيب دنيا و ناسا راغبين لها و أنت أكثر منهم رغبه فيها

و فيه عن علىّ بن هاشم بن البريد عن أبيه قال: جاء رجل إلى علىّ بن الحسين عليه السّلام فسأله عن مسائل فأجاب ثمّ عاد ليسأل عن مثلها فقال علىّ بن الحسين عليهما السّلام:

مكتوب فى الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون و لمّا تعملوا بما علمتم فانّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفرا و لم يزدد من اللّه إلّا بعدا. و عن المفضّل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: بم يعرف النّاجى؟ قال عليه السّلام: من كان فعله لقوله موافقا فاثبت له الشهاده، و من لم يكن فعله لقوله موافقا فانّما ذلک مستودع. أقول: قال الشاعر:

لاتنه عن خلق و تأتى مثله عار عليک إذا فعلت عظيم

هذا و الأخبار العاميه فى ذلک الباب كثيره جدّا و قد أكثر أبو حامد الغزالى فى احياء العلوم من روايتها. ففيه قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ أشدّ النّاس عذابا يوم القيامه عالم لم ينفعه اللّه بعلمه. و عنه صلّى اللّه عليه و آله انّه قال: لا يكون المرء عالما حتّى يكون بعلمه عاملا و قال: صلّى اللّه عليه و آله العلم علمان علم على اللّسان فذلک حجّه اللّه على خلقه و علم فى القلب فذلک العلم النّافع

و قال عليه السّلام إنّ العالم ليعذّب عذابا يطيف به أهل النّار استعظاما لشدّه عذابه و قال اسامه بن زيد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يقول يؤتى بالعالم يوم القيامه فيلقى فى النّار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى فيطيف به أهل النّار فيقولون مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير و لا آتيه، و أنهى عن الشّر و آتيه. و روى معاذ بن جبل موقوفا و مرفوعا فى روايه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: من فتنه العالم أن يكون الكلام أحبّ إليه من الاستماع، و فى الكلام تنميق و زياده و لا يؤمن على صاحبه الخطاء، و فى الصّمت سلامه و علم. و من العلماء من يخزن علمه فلا يحبّ أن يوجد عند غيره فذلك فى الدّرك الأول من النّار، و من العلماء من يكون فى علمه بمنزله السّلطان إن ردّ عليه شىء من علمه أو تهوّن بشىء من حقّه غضب، فذلك فى الدّرك الثانى من النار، و من العلماء من يجعل علمه و غرايب حديثه لأهل الشرف و اليسار و لا يرى أهل الحاجه له أهلا فذلك فى الدّرك الثالث من النّار، و من العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطاء و اللّه تعالى يبغض المتكلّفين، فذلك فى الدّرك الرّابع من النّار، و من العلماء من يتكلّم بكلام اليهود و النّصارى ليعزّز به علمه، فذلك فى الدّرك الخامس من النّار، و من العلماء من يتّخذ علمه مروّه و نيلا و ذكرا فى النّاس، فذلك فى الدّرك السادس من النّار، و من العلماء من يستفزّه الزّهو و العجب فان وعظ أنف، فذلك فى الدّرك السّابع من النار، إلى غير هذه مما رواه فيه، و هى كافيه فى الدّلاله على عظم وزر العالم فى معاصيه و كون عذابه أشدّ و حسرته أدوم. و سرّ ذلك أمران: الاول أنّ العالم إذا عصى يزلّ بعصيانه خلق كثير كما قيل:

إذا فسد العالم فسد العالم، فمن تناول شيئا من المحرّمات و قال للنّاس لا تتناولوه سخر به النّاس و استهزءوه و زاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون لو لا أنّه أطيب شىء و ألذّه لما كان يستأثر به نفسه و يقدم عليه فيقتدى به الخلق فى سوء عمله و يتّبعونه فيلحق به مثل وزرهم، مضافا إلى وزر نفسه كما قال: من سنّ سنّه سيّئه كان له مثل وزر من عمل بها. و عن أمير المؤمنين عليه السّلام قصم ظهرى رجلان: عالم متهتّك، و جاهل متنسّك

فالجاهل يغرّ النّاس بتنسّكه و العالم يغرّهم بتهتّكه. و الثانى أنّ عصيان العالم مع اتّصافه بصفه العلم كاشف عن منتهى خبث طينته و سوء سريرته و غايه جرئته على مولاه، و ذلک بخلاف الجاهل فانه إمّا جاهل ساذج فلا تکليف فى حقّه إذ الجهل مانع من أن يتوجّه إليه حکم أو خطاب، فليس فى حقّه أمر و لا- نهى فلا- ثواب و لا- عقاب، و إمّا جاهل فى الجمله فليس له معرفه مثل المعرفه الّتى للعالم و لذلک جعل اللّه سبحانه ثواب المطيعات من نساء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و العاصيات منهنّ ضعف ما لغيرهنّ، لكونهنّ عارفات عالمات بادراكهنّ حضور النّبى صلّى اللّه عليه و آله و صحبته كما قال عزّ من قائل:

«يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً » و قال سبحانه: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ ». لأنّهم جحدوا بعد العلم و جعل اليهود شرّا من النّصارى مع أنّهم ما جعلوا اللّه تعالى ولدا و لا قالوا: إنّه سبحانه ثالث ثلاثه إلاّ أنّهم أنكروا بعد المعرفه إذ قال اللّه:

«يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ » و قال: «فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ » و فى سوره الجمعه: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ ». إذا ظهر لک أيّها العالم ذلک فلا يغرّنّک الشّيطان و لا يصدّنّک عن سبيل ربّک و لا ينبغى لک أن تعرّض نفسک للهوان و لغضب الرّحمن، و لا يجوز لک أن تؤثر

دنیاک علی آخرتک و لا أن تتّبع هوی نفسک أو تأمر النّاس بالبرّ و تنسی نفسک[(۱)] ، أو تقول ما لا تفعل، فقد کبر مقتا عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون[(۲)] فالویل کلّ الویل لمن اتّبع هواه و باع آخرته بدنیاه.

عجبت لمبتاع الضّلاله بالهدیو من یشتری دنیاه بالدّین أعجب

و أعجب من هذین من باع دینهبدنیا سواه فهو من ذین أعجب

الترجمه

و شخصی دیگری هست که نسبت داده شده بأهل علم و حال آنکه عالم نیست پس کسب نمود جهالتها را از جهال روزگار و ضلالتها را از گمراهان نابکار، و نصب نمود از جهه فریفتن مردم دامهای حیلها را از ریسمانهای فریب و از گفتار دروغ، بتحقیق که حمل کرده کتاب مجید را بر رأیهای باطل خود، و میل داده حق را بر آرزوهای عاطل خود، أیمن می گرداند مردم را از گناهان عظیم و آسان می گرداند جرمهای بزرک را. می گوید که وقوف میکنم و باز می ایستم از شبهه ها و حال آنکه در آنها افتاده، و می گوید که اعتزال میکنم و کناره جوئی می نمایم از بدعتها و حال آنکه در میان آنها خواب کرده، پس صورت آن مثل صورت انسان است و قلب آن مثل قلب حیوان، پس نمی شناسد باب هدایت را تا پیروی کند آن را، و نه باب ضلالت را پس باز ایستد از آن، پس این شخص کذائی مردۀ زنده است چه متّصف است بجهل ابدی که موت است در صوره حیاه.

الفصل الثالث

اشاره

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، و أَنّی تُؤفَكُونَ، وَ الْأَعْلامُ قائِمَةٌ، وَ الْآياتُ

۱- (۱) قال تعالی أ تأمرون الناس بالبرّ و تنسون أنفسکم منه

۲- (۲) اقتباس من الآیه.

واضحه، و المنار منصوبه، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون، و بينكم عتره نبيّكم، و هم أزمّه الحقّ، و أعلام الدّين، و ألسنه الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، و ردوهم ورود الهيم العطاش، أيّها النّاس خذوها عن خاتم النّبيّين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّه يموت من مات منّا و ليس بميّت، و يبلى من بلى منّا و ليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، و أعذروا من لا حجّه لكم عليه، و أنا هو، ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر، و أترك فيكم الثّقل الأصغر، و ركزت فيكم رايه الإيمان، و وقّفتكم على حدود الحلال و الحرام، و ألبستكم العافيه من عدلى، و فرشتكم المعروف من قولى و فعلى، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسى، فلا تستعملوا الرّأى فيما لا يدرك قعره البصر، و لا يتغلغل إليه الفكر.

اللغه

(أفك) افكا كذب و افكه عنه صرفه و قلبه أو قلب رأيه و (المنار) العلم المنصوب فى الطريق ليهتدى به الضّال و الموضع المرتفع الذى يوقد فى أعلاه النّار و (تاه) تيها و تيهانا ضلّ و تحيّروتاه فى الأرض ذهب متحيّرا و منه قوله تعالى:

«يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ».

أى يحارون و يضلّون و (عمه) فى طغيانه عمها من باب تعب إذا تردّد متحيّرا قال سبحانه:

«فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ ».

و رجل عمه و عامه أی متحیّر حایر عن الطریق و (ورد) البعیر و غیره الماء وردا و ورودا بلغه و وافاه من غیر دخول و قد یحصل دخول فیه و (الهیم) بالکسر الابل العطاش و (بلی) الثوب یبلی من باب رضی بلیً بالکسر و القصر و بلاء بالضمّ و المدّ و (الثقل الأکبر) فی بعض نسخ الکتاب بکسر الثّاء و سکون القاف و (الثقل الأصغر) بالتحریک قال بعض شراح الحدیث فی شرح قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إنّی تارک فیکم الثّقلین کتاب اللّه و عترتی: إنه من الثقیل سمّیا بذلک لکون العمل بهما ثقیلا و الأکثر علی أنّه من الثّقل محرّکه قال فی القاموس و الثقل محرّکه متاع المسافر و حشمه و کلّ شیء نفیس مصون، و منه الحدیث إنّی تارک فیکم الثّقلین آه و (رکزت الرمح) و نحوه رکزا من باب قتل أثبته بالأرض فارتکز و (فرشت) البساط و غیره فرشا من باب قتل و ضرب بسطته و (تغلغل) تغلغلا أسرع.

الاعراب

أین اسم استفهام سؤال عن المکان، و أنّی تؤفکون بمعنی کیف کما فسّر به قوله «فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنّی شِئْتُمْ ».

و المقصود بالاستفهام التوبیخ، و الواو فی قوله علیه السّلام: و الأعلام قائمه للحال، و کذلک فی قوله و بینکم، و الفاء فی قوله فأنزلوهم فصیحه، و الضمیر فی قوله خذوها راجع إلی ما یفهم من المقام من الفایده و الرّوایه و نحوهما علی حدّ قوله: تورات بالحجاب و قوله أ لم أعمل إمّا استفهام تقریریّ لما بعد النّفی أو إنکار إبطالیّ و هو الأظهر، و جمله أنه یموت آه بدل من مفعول خذوها، فانّ المشهور جواز إبدال الظاهر من الضمیر إذا کان غایبا.

المعنی

اشاره

اعلم أنّه علیه السّلام لما شرح فی الفصلین السّابقین حال المتّقین و الفاسقین

و ذكر فى بيان صفات الفسّاق انهم أخذ و الجهاله و الضّلاله من الجهّال و الضّلال عقّب ذلك بالأمر بملازمه أئمّه الدّين و أعلام اليقين لكونهم القاده الهداه أدّلاء على طريق النّجاه و كون لزومهم باعثا على التّقوى و محصّلا للقربى و وبّخ المخاطبين أوّلا بصدّهم عن الحقّ و ميلهم إلى الباطل و عدولهم عن أئمه الأنام عليهم الصّلاه و السّلام بقوله:(فأين تذهبون) أى أىّ طريق تسلكون أبين من طريق الحقّ و هذه الجمله مأخوذه من قوله سبحانه فى سوره التكوير:

«وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ».

روى علىّ بن إبراهيم فى تفسير هذه الآيه عن جعفر بن محمّد عليه السّلام قال: حدّثنا عبد اللّه بن موسى عن الحسن بن علىّ بن أبى حمزه عن أبيه عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت: قوله:

«وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ » قال: يعنى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ما هو بمجنون فى نصبه أمير المؤمنين عليه السّلام علما للنّاس قلت قوله:

«وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ » قال ما هو تبارك و تعالى على نبيّه بغيبه بضنين عليه قلت:

«وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ » قال: كهنه الّذين كانوا فى قريش فنسب كلامهم إلى كلام الشّيطان الّذين كانوا معهم يتكلّمون على ألسنتهم فقال: و ما هو بقول شيطان رجيم مثل أولئك قلت.

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ »

قال علیه السّلام أین تذهبون فی علیّ یعنی ولایته أین تفرّون منها إن هو إلاّ ذکر للعالمین أخذ اللّه میثاقه علی ولایته قلت قوله:

«لِمَنْ شاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ ».

قال فی طاعه علیّ و الأئمه علیه السّلام من بعده (و أنّی تؤفکون) أی تصرفون عن عباده اللّه إلی عباده غیره و تقلبون عن طریق الهدی إلی سمت الضلاله و الرّدی کما قال تعالی فی سوره الأنعام:

«إِنَّ اللّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللّهُ فَأَنّی تُؤْفَکُونَ » و فی سوره الملائکه:

«یا أَیُّهَا النّاسُ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَیْکُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَیْرُ اللّهِ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ فَأَنّی تُؤْفَکُونَ » و فی سوره المؤمن:

«ذلِکُمُ اللّهُ رَبُّکُمْ خالِقُ کُلِّ شَیْ ءٍ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ فَأَنّی تُؤْفَکُونَ کَذلِکَ یُؤْفَکُ الَّذِینَ کانُوا بِآیاتِ اللّهِ یَجْحَدُونَ ».

قال الطبرسیّ فی تفسیر هذه الآیه أی الّذی أظهر هذه الدّلالات و أنعم بهذه النّعم هو اللّه خالقکم و مالککم خالق کلّ شیء من السّماوات و الأرض و ما بینهما لا یستحقّ العباده سواه فکیف تصرفون عن عبادته إلی عباده غیره مع وضوح الدّلاله علی توحیده هذا.

و لا یخفی علیک أنّ ما ذکرته فی شرح هذه الفقره إنّما هو أخذا بظاهر کلامه علیه السّلام و لکنّ الأظهر بمقتضی السّیاق أنّه علیه السّلام أراد بها توبیخ المخاطبین علی العدول عنه فیکون معنی قوله: أنّی تؤفکون أنّی تقلبون عنّی و عن ولایتی و ملازمتی.

ص:۱۹۲

و مثل ذلک قوله علیه السّلام (و الأعلام قائمه و الآیات واضحه و المنار منصوبه) فانه یجوز أن یراد به أعلام القدره و آیات المقدره و آثار التوحید و منار التفرید و أدلّه الوجود من المهاد الموضوع و السّماء المرفوع و اختلاف اللّیل و النّهار و الفلک الجاری فی البحر الزخّار و المطر النّازل من السحاب الذی أحیی به الأرض بعد موتها و بثّ فیها من الدّواب إلی غیر هذه من دلایل التوحید و الجلال و علائم الکمال و الجمال.

إلاّ أنّ الأظهر أنّ المراد بها هو أعلام الدّین و آیات الیقین و منار الهدی و أئمه الوری، و یشهد بذلک ما ورد فی حدیث وصفهم علیه السّلام: جعلتهم أعلاما لعبادک و منارا فی بلادک أی هداه یهتدی بهم.

و یدلّ علیه الأخبار الوارده فی أنّهم علیه السّلام آیات اللّه و بیّناته، مثل ما فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم مسندا عن أبی حمزه قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا صُمٌّ وَ بُکْمٌ فِی الظُّلُماتِ مَنْ یَشَأِ اللّهُ یُضْلِلْهُ وَ مَنْ یَشَأْ یَجْعَلْهُ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ ».

قال أبو جعفر علیه السّلام: نزلت فی الذین کذّبوا فی أوصیائهم صمّ و بکم کما قال اللّه فی الظّلمات من کان من ولد إبلیس فانّه لا یصدق بالأوصیاء و لا یؤمن بهم أبدا، و هم الذین أضلّهم اللّه و من کان من ولد آدم علیه السّلام آمن بالأوصیاء و هم علی صراط مستقیم قال: و سمعته یقول: کذبوا بآیاتنا کلّها فی بطن القرآن ان کذّبوا بالأوصیاء کلّهم، و منه فی قوله:

«وَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ آیاتِنا غافِلُونَ ».

قال: أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمه صلوات اللّه علیهم، و الدّلیل علی ذلک قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: ما للّه آیه أکبر منّی.

و منه باسناده عن داود بن کثیر الرّقی قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه:

«وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ ».

قال علیه السّلام: الآیات الأئمه و النّذر الأنبیاء علیه السّلام.

و منه عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن هشام عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله:

«إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ آیَهً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِینَ » قال تخضع رقابهم یعنی بنی أمیّه، و هی الصّیحه من السّماء باسم صاحب الأمر علیه السّلام إلی غیر ذلک مما ورد عنهم علیهم السّلام فی تفسیر الآیات القرآنیّه مما لا نطیل بروایتها، فقد ظهر بذلک کلّه أنهم المراد بالآیات الواضحه فیکون إطلاقها علیهم باعتبار أنهم علامات جلیله واضحه لعظمه اللّه و قدرته و علمه و لطفه و رحمته.

فما آیه للّه أکبر منهم فهم آیه من دونهم کلّ آیه

سری سرّهم فی الکائنات جمیعها فمن سرّهم لم یخل مثقال ذرّه

هذا و قوله (فأین یتاه بکم بل کیف تعمهون) تأکید لقوله فأین تذهبون و أنّی تؤفکون، فانّه لمّا سألهم عن إفکهم و ذهابهم و وبّخهم علیه أکّده بذلک مشیرا به إلی أنّ الافک و الذّهاب موجب لتیههم و تحیّرهم و عمههم و ضلالتهم.

و أکّد الجمله الحالیه السّابقه أعنی قوله: و الأعلام قائمه إلخ بقوله (و بینکم عتره نبیّکم) مشیرا به إلی أنّهم المراد بالأعلام و الآیات، و المراد بعتره النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الأئمه علیهم السّلام.

و یدلّ علیه ما فی البحار من العیون و معانی الأخبار عن الهمدانی عن علیّ عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن غیاث بن إبراهیم عن الصّادق عن آبائه علیهم السّلام قال: سئل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن معنی قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّی مخلف فیکم الثقلین کتاب اللّه و عترتی من العتره؟ فقال: أنا و الحسن و الحسین و الأئمه التسعه من ولد الحسین علیهم السّلام تاسعهم مهدیهم و قائمهم لا یفارقون کتاب اللّه و لا یفارقهم حتّی یردوا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حوضه.

و سيأتى فى شرح الخطبه الثّالثه و التسعين مزيد تحقيق فى معنى العتره إنشاء اللّه (و هم أزمّه الحقّ و ألسنه الصدق) يعنى أنّهم عليهم السّلام القائدون يقودون الخلق إلى الحقّ كما تقاد النّاقه بالزمام إلى الطريق، و هم تراجمه الوحى كما أنّ اللّسان ترجمان النفس و يدلّ على الأوّل وصفهم فى فقرات الزياره الجامعه بقوله:

و قاده الأمم، يعنى أنهم عليهم السّلام قاده الأمم إلى معرفه اللّه و دينه يقودونهم بدعائهم و تعريفهم و أمرهم و ترغيبهم إلى المعرفه و الدّين، فمن أجاب قادوه إلى الجنه و من أناب ساقوه إلى النّار كما قال عليه السّلام: أنا قسيم الجنّه و النّار، و هو نعمه اللّه على الأبرار و نقمته على الفجّار.

و يدلّ على الثانى وصفهم عليهم السّلام فى فقرات الزياره المذكوره بقوله: و تراجمه لوحيه، يعنى أنّهم المؤدّون من الحقّ إلى الخلق فلا يخفى ما بين القرينتين فى كلامه عليه السّلام من الحسن و اللّطف حيث إنّ محصّل معناهما أنهم عليهم السّلام دلائل للخلق على الحقّ و وسايط للحقّ إلى الخلق هذا.

و يجوز أن يكون المراد بقوله: و هم أزمّه الحقّ أنّ زمام الحقّ بيدهم عليهم السّلام فيكون مساقه مساق قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحقّ مع علىّ و هو مع الحقّ أينما دار.

و من طرق الخاصه متواترا عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه صلوات اللّه و سلامه عليه و عليهم: الحقّ مع الأئمه الاثنى عشر، و فى فقرات الزياره الجامعه: و الحقّ معكم و فيكم و منكم و إليكم و أنتم أهله و معدنه.

و أن يكون المراد بقوله عليه السّلام و ألسنه الصدق أنهم لا يقولون إلاّ صدقا و حقّا فيكون تصديقا لدعاء إبراهيم حيث إنّه دعا ربّه بما حكاه اللّه عنه بقوله فى سوره الشعراء:

«وَ اجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي اَلْآخِرِينَ ».

أى اجعل صادقا من ذرّيتى يجدد أصل دينى و يدعو النّاس إلى ما كنت أدعوهم إليه، فاستجاب اللّه دعوته و اصطفى من ذرّيّته محمّدا و آله صلوات اللّه و سلامه عليه

ص:١٩٥

و علیهم و جعلهم لسان صدق له.

و یؤیّد ذلک ما فی تفسیر القمّی عند قوله:

«وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ ».

قال: هو أمیر المؤمنین علیه السّلام و فی مجمع البیان فی تفسیر قوله تعالی:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ کُونُوا مَعَ الصّادِقِینَ » قال الطّبرسیّ أی اتّقوا معاصی اللّه و اجتنبوا و کونو مع الصّادقین الذین یصدقون فی أخبارهم و لا یکذبون، و معناه کونوا علی مذهب من یستعمل الصدق فی أقواله و أفعاله و صاحبوهم و رافقوهم و قد وصف اللّه الصّادقین فی سوره البقره بقوله:

«وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ » إلی قوله: «أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ».

فأمر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء، و قیل: المراد بالصّادقین هم الّذین ذکرهم اللّه فی کتابه و هو قوله:

«رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَیْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ ».

یعنی حمزه بن عبد المطلب و جعفر بن أبی طالب.

«وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ » یعنی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام.

و روی الکلینیّ عن أبی صالح عن ابن عبّاس قال: کونوا مع الصّادقین مع علیّ علیه السّلام و أصحابه.

و روی جابر عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله و کونوا مع الصّادقین، قال: مع آل محمّد سلام اللّه علیهم.

ثمّ إنّه علیه السّلام بعد توصیف العتره الطّاهره بأنّهم أزمّه الحقّ و ألسنه الصدق أمر بتعظیمهم و إجلالهم بقوله (فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن) قال الشّارح المعتزلی فی شرحه إنّه علیه السّلام أمر المکلّفین أن یحروا العتره فی إجلالها و إعظامها

ص:۱۹۶

و الانقیاد و الطّاعه لأوامرها مجری القرآن.

و قال الشّارح البحرانی: اعلم أنّ للقرآن منازل: الاولی القلب و هو فیه بمنزلتین: إحداهما منزله الاکرام و التّعظیم، و الثانیه منزله التصوّر فقط، الثالثه منزلته فی الوجود اللّسانی بالتلاوه، الرابعه منزلته فی الدفاتر و الکتب، و أحسن منازله هی الأولی فالمراد إذن الوصیه باکرامهم و محبّتهم و تعظیمهم کما یکرم القرآن بالمحبّه و التّعظیم.

أقول: فعلی ما ذکراه یکون معنی کلامه علیه السّلام أنزلوهم بأحسن المنازل التی کانت للقرآن، و الأظهر عندی أنّ معناه أنزلوهم بأحسن المنازل التی أثبتها القرآن لهم، فانّ المنازل الثابته لهم علیهم السّلام بالآیات القرآنیّه متفاوته مختلفه فی العلوّ و الرفعه فأمر علیه السّلام بانزالهم بأحسن المنازل و أسنی المراتب، و هو بأن یستمسکوا بأظهر الآیات دلاله علی رفعه شأنهم و علوّ مقامهم مثل قوله سبحانه:

«إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ هُمْ راکِعُونَ » الدّال علی خلافتهم و ولایتهم (علیهم السلام) و قوله:

«إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً » الدّال علی عصمتهم و طهارتهم و قوله: «قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی » الدّال علی ملازمتهم و مودّتهم روی الطّبرسیّ فی مجمع البیان فی تفسیر الآیه الأخیره من کتاب شواهد التنزیل مرفوعا إلی أبی أمامه الباهلی قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنّ اللّه خلق الأنبیاء من أشجار شتّی و خلقت أنا و علیّ من شجره واحده فأنا أصلها و علیّ فرعها

ص:۱۹۷

و الحسن و الحسين ثمارها و شيعتنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، و من زاغ هوى، و لو أنّ عبدا عبد اللّه بين الصّفا و المروه ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالى ثمّ لم يدرك محبّتنا أكبّه اللّه على منخريه فى النّار ثمّ تلا:

«قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ».

قال الطبرسىّ و روى زاذان عن علىّ عليه السّلام قال: فينا فى ال حم آيه لا يحفظ مودّتنا إلاّ كلّ مؤمن ثمّ قرء هذه الآيه و إلى هذا أشار الكميت فى قوله:

وجدنا لكم فى آل حم آيه تأوّلها منّا تقىّ و معرب

و فى البحار ذكر أبو حمزه الثّمالى فى تفسيره حدّثنى عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين قدم المدينه و استحكم الاسلام قالت الأنصار فيما بينهم: نأتى رسول اللّه فنقول له إنه تعروك امور فهذه أموالنا فاحكم فيها غير حرج و لا محظور عليك، فأتوه فى ذلك فنزل:

«قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى » فقرأها عليهم فقال تودّون قرابتى من بعدى، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله، فقال المنافقون: إنّ هذا الشىء افتراه فى مجلسه أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً ».

فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا و اشتدّ عليهم فأنزل اللّه:

«وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبادِهِ » الآيه.

فأرسل فى أثرهم فبشّرهم و قال: و يستجيب اللّه الّذين آمنوا و هم الّذين سلّموا لقوله ثمّ قال سبحانه:

«وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً ».

أی من فعل طاعه نزد له فی تلک الطاعه حسنا بأن نوجب له الثواب.

و ذکر أبو حمزه الثمالی عن السّدی أنّه قال: اقتراف الحسنه المودّه لآل محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و صحّ عن الحسن بن علیّ علیه السّلام أنّه خطب النّاس فقال فی خطبته: أنا من أهل البیت الذین افترض اللّه مودّتهم علی کلّ مسلم فقال:

«قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً ».

فاقتراف الحسنه مودّتنا أهل البیت.

و روی اسماعیل بن عبد الخالق عن أبی عبد اللّه علیه السّلام انه قال: إنّها نزلت فینا أهل البیت أصحاب الکساء انتهی کلامه رفع مقامه.

و قال الفخر الرّازی فی التفسیر الکبیر نقل صاحب الکشاف عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال: من مات علی حبّ آل محمّد مات شهیدا، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد مات مغفورا له، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد مات تائبا، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد مات مؤمنا مستکمل الایمان، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد بشّره ملک الموت بالجنّه ثمّ منکر و نکیر، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد یزفّ إلی الجنّه کما یزفّ العروس إلی بیت زوجها، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد فتح له فی قبره بابان إلی الجنه، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد جعل اللّه قبره مزار ملائکه الرّحمه، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد مات علی السنّه و الجماعه.

ألا و من مات علی بغض آل محمّد جاء یوم القیامه مکتوبا بین عینیه آیس من رحمه اللّه، ألا و من مات علی بغض آل محمّد مات کافرا، ألا و من مات علی بغض آل محمّد لم یشمّ رایحه الجنّه، قال: هذا هو الذی رواه صاحب الکشّاف.

ص:۱۹۹

و أنا أقول: آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هم الـذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل و لا شكّ أنّ فاطمه و عليّا و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم و بين رسول اللّه أشدّ التّعلّقات، و هذا كالمعلوم بالنّقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، و أيضا اختلف النّاس فى الآل فقيل هم الأقارب، و قيل هم امّته فان حملناه على القرابه فهم الآل و إن حملناه على الامّه الـذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل و أمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه.

قال: و روى صاحب الكشاف أنّه لمّا نزلت هذه الآيه قيل يا رسول اللّه من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليّ و فاطمه و ابناهما، فثبت أنّ هؤلاء الأربعه أقارب النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التّعظيم و يدلّ عليه وجوه: الأوّل قوله تعالى «إلاّ المودّه فى القربى» و الثّانى لا شكّ أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يحبّ فاطمه عليها السلام قال صلّى اللّه عليه و آله: فاطمه بضعه منّى يؤذينى ما يؤذيها، و ثبت بالنّقل المتواتر من محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه كان يحبّ عليّا و الحسن و الحسين، و إذا ثبت ذلك وجب على كلّ الامّه مثله لقوله:

«وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » و لقوله: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ » و لقوله: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّهُ » و لقوله سبحانه: «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ ».

الثّالث أنّ الدعاء للآل منصب عظيم و لذلك جعل هذا الدّعاء خاتمه التشهّد فى الصّلاه و هو قوله: اللّهمّ صلّ على محمّد و على آل محمّد و ارحم محمّدا و آل محمّد، و هذا التّعظيم لم يوجد فى حقّ غير الآل فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمّد واجب، و قال الشّافعى:

يا راكبا قف بالمحصّب من منى و اهتف بساكن خيفها و النّاهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كما نظم الفرات الفائض

إن كان رفضا حبّ آل محمّد فليشهد الثّقلان أنّى رافضى

انتهى كلام الرازى خذله اللّه اقول: و لا يكاد ينقضى عجبى من هذا النّاصب أنّه مع نقله تلك الأخبار المستفيضه المتفق عليها بين الفريقين و اقراره بهذه الفضايل للآل كيف يتعصّب فى حقّ أئمته و يرضى بخلافتهم و يذعن بامامتهم مع أنّ دلاله هذه الأخبار على كفرهم و شقاوتهم غير خفيّه إذ بغضهم لأهل بيت الرّسول فى حياته و بعد وفاته ظاهر، و أذاهم لبضعته فى إحراق بابها و إسقاط جنينها و غصب فدك منها واضح، و تسليطهم بنى اميّه و بنى أبى معيط على رقاب أهل البيت و ما جرى من الظلم و الجور بسبب ذلك عليهم عليهم السّلام غنى عن البيان، و إنما أنطق اللّه لسانه على الحقّ إتماما للحجّه و إكمالا للبيّنه لئلا يقول يوم القيامه:

«إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ » «وَ «مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلا هادِىَ لَهُ » «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ ».

ثمّ إنّ الشّارح المعتزلى قال فى شرح هذه الفقره أعنى قوله عليه السّلام: فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن بعد كلامه الذى قدّمنا ذكره:

فان قلت: فهذا القول منه عليه السّلام يشعر بأنّ العتره معصومه فما قول أصحابكم فى ذلك؟ قلت: نصّ أبو محمّد بن متنويه فى كتاب الكفايه على أنّ عليّا عليه السّلام معصوم و إن لم يكن واجب العصمه و لا العصمه شرط فى الامامه لكن أدلّه النّصوص قد دلّت على عصمته و القطع على باطنه و نفسه و إنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصّحابه، و الفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و بين قولنا زيد واجب العصمه، لأنّه امام و من شرط الامام أن يكون معصوما فالاعتبار الأوّل مذهبنا و الاعتبار الثّانى

مذهب الامامیّه انتهی کلامه هبط مقامه.

و فیه أنّک قد عرفت فی مقدّمات شرح الخطبه الشقشقیّه بما لا مزید علیه و فی غیرها أیضا أنّ العصمه شرط فی الامامه، و محصّل ما قلناه هناک: أنّ غیر المعصوم لا یؤمن منه الخطأ و الضّلال فکیف یأمنه النّاس فی ضلالته و خطائه، و إن شئت زیاده الاستبصار فارجع ثمّه.

و أمّاقوله علیه السّلام(و ردوهم ورود الهیم العطاش)فأشار به إلی اقتباس العلوم و اکتساب الأنوار منهم، فانهم (علیهم السلام) لما کانوا ینابیع العلوم و کان علمهم بمنزله العذب الفرات و کان الخلق محتاجین إلیهم فی ذلک حسن منه علیه السّلام أن یأمرهم بورودهم و یشبّه ورودهم بورود الابل الظّمآن علی الماء و هو نظیر قوله سبحانه.

«فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ».

قال الحارث سألت أمیر المؤمنین علیه السّلام عن هذه الآیه قال: و اللّه إنّا لنحن أهل الذّکر نحن أهل العلم نحن معدن التأویل و التنزیل.

ثمّ إنّه علیه السّلام لما ذکر فضایل الآل و مناقبهم عقّب ذلک و أکّده بذکر منقبه أخری و فضیله عظمی رواها عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال (أیّها الناس خذوها عن خاتم النّبیّین) و سیّد المرسلین (صلّی اللّه علیه و آله) أجمعین (أنّه یموت من مات منّا و لیس بمیّت و یبلی من بلی منّا و لیس ببال) اعلم أنّ هذا الحدیث من مشکلات الأحادیث و متشابهاتها و قد اختلف فی توجیهه أنظار الشّراح و تأوّله کلّ بما یقتضیه سلیقته و مذاقه، و أعظمهم خبطا و أشدّهم و هما الشارح البحرانی مع فضله و ذکائه و براعته فی علم الحکمه حسبما تطلع علیه و لا غرو فیه فانّ الحکمه بعیده عن مذاق الأخبار و حاجبه من اقتباس الأنوار و الأسرار المودعه فی کنوز أحادیث الأئمه الأطهار.

و أنا أتمسّک فی شرح المقام بحبل العنایه الأزلیّه و أستمدّ من الحضره الالهیّه و أستمسک بذیل أهل بیت العصمه و الطّهاره، و أبیّن أوّلا جهه الاشکال و هو

ص:۲۰۲

أنّ كلامه عليه السّلام بظاهره متناقض حيث إنّه نفى الموت و البلا عنهم بعد إثباتها عليهم و الايجاب يناقض السلب و السّلب للايجاب، و أيضا أنهم عليهم الصّلاه و السّلام هل يحكم بموتهم و بلاهم فى الواقع و نفس الأمر على ما هو مقتضى الشطر الايجابىّ من القضيّتين أولا يحكم بشىء منهما فى حقّهم على ما يقتضيه الجزء السّلبىّ منهما، فأقول و باللّه التوفيق: إنّ حلّ الاشكال فى المقام موقوف على تحقيق الكلام فى كلّ من القضيّتين و به يرتفع التناقض من البين.

فأمّا القضيّه الأولى فمحصّل القول فيها أنّ النّبىّ و الأئمه صلوات اللّه و سلامه عليه و عليهم إلاّ الحجّه المنتظر عجّل اللّه فرجه قد انتقلوا من دار الدّنيا إلى دار الآخره و خرجت أرواحهم من أبدانهم و جرى الموت عليهم حقيقه كما هو نصّ الجزء الايجابى من هذه القضيّه، و نفى الموت عنهم إنما هو من مفتريات عبد اللّه ابن سبا و من حذا حذوه من الغلاه مخالف لاجماع الامه و لنصّ الكتاب و السنّه و قد قال سبحانه:

«إِنَّکَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » و قال: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِکُمْ ».

و أمّا سلب الموت عنهم عليهم السّلام فى الجزء الثّانى من القضيّه فهو محمول على حياتهم بأجسادهم المثاليه كما هو مذهب جمع من أصحابنا على ما حكى عنهم الطّبرسىّ فى مجمع البيان فى تفسير قوله:

«وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لکِنْ لا تَشْعُرُونَ ».

و إليه ذهب المحدّث المجلسىّ فى كتاب حقّ اليقين و نسبه فيه على ما ببالى إلى المفيد (ره).

و قال فى البحار فى المجلّد الرابع عشر منه: و نحن لا ننكر الأجساد المثاليه

و تعلّق الأرواح بها بعد الموت بل نثبتها لـدلاله الأحاديث المعتبره عليها، بل لا يبعد عنـدى وجودها قبل الموت أيضا فتتعلّق بها الأرواح فى حال النوم و شبهه من الأحوال لضعف تعلّقها بالأجساد الأصليه فيسير بها فى عوالم الملك و الملكوت و لا أستبعد فى الأرواح القويّه تعلّقها بالأجساد المثاليه الكثيره، و تصرّفها فى جميعها فى حاله فلا يستبعد حضورهم عليهم السّلام فى آن واحد عند جمع كثير من المحتضرين و غيرهم.

و قال (ره) فى المجلّد التاسع منه بعد نقله روايه البرسى فى مشارق الأنوار استقبال أمير المؤمنين و حضوره جنازه نفسه فى ظهر الكوفه عند تشييع الحسنين عليهما السّلام لها:

و لا أردّ هذه الرّوايه لورود الأخبار الكثيره الدالّه على ظهورهم عليهم السّلام بعد موتهم فى أجسادهم المثاليه كما نقلنا عنه فى شرح الكلام التاسع و الستّين، و لا بعد فى ذلك أى فى ثبوت الأجساد المثاليه لهم، فقد ثبت ذلك فى حقّ المؤمنين الّذينهم من فاضل طينتهم و أشعّه أنوارهم فكيف و هو عليه السّلام أمير المؤمنين و هو و أولاده المعصومون سادات أهل الايمان و اليقين بهم سعد من سعدو بولايتهم فاز من فاز و كلّ الكمالات فيهم و منهم و بهم و إليهم.

روى الكلينىّ فى الكافى باسناده عن القاسم بن محمّد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فقال: ما يقول النّاس فى أرواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون تكون فى حواصل طيور خضر فى قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: سبحان اللّه المؤمن أكرم على اللّه من أن يجعل روحه فى حوصله طير، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الملائكه المقرّبون عليهم السّلام فاذا قبضه اللّه عزّ و جلّ صيّر تلك الروح فى قالب كقالبه فى الدّنيا فيأكلون و يشربون، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصّوره الّتى كانت فى الدّنيا.

و رواه فى مجمع البيان عن تهذيب الأحكام للشيخ عن القاسم بن محمّد نحوه.

و فى الكافى باسناده عن أبى بصير قال قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: إنّا نتحدّث عن أرواح

المؤمنين أنّها فی حواصل طیور خضر ترعی فی الجنّه و تأوی إلی قنادیل تحت العرش فقال علیه السّلام: لا- إذن ما هی فی حواصل طیر، قلت: فأین هی؟ فقال علیه السّلام فی روضه کهیئه الأجساد فی الجنه.

و فی مجمع البیان و الصافی من التهذیب عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن أرواح المؤمنین، فقال: فی الجنّه علی صور أبدانهم لو رأیته لقلت فلان.

و کیف کان فلا غبار علی ذلک، و إطباق المشایخ علی القدح فی یونس بن ظبیان و نسبتهم له إلی الغلوّ و الکذب مع مدح بعضهم له و تلقّی جمع منهم روایته هذه بالقبول و بنائهم علی مضمونها مع اعتضادها بالرّوایات الاخر لا یقدح فی روایته هذه و العمل علیها، هذا هو الذی یقتضیه النظر الجلیل فی توجیه سلب الموت عنهم (علیهم السلام).

و أمّا الذی یقتضیه النظر الدقیق فهو أن یقال بحیاتهم بعد موتهم بأجسادهم الأصلیه التی کانت فی الدّنیا، و لا غرو فیه بعد دلاله الأخبار المعتبره علیه.

مثل ما فی الوسائل فی باب کراهه الاشراف علی قبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من فوق عن الکلینیّ عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد البرقی عن جعفر بن المثنی الخطیب قال: کنت بالمدینه و سقف المسجد الذی یشرف علی القبر قد سقط، و الفعله یصعدون و ینزلون و نحن جماعه، فقلت لأصحابنا: من منکم له موعد یدخل علی أبی عبد اللّه علیه السّلام اللیله؟ فقال مهران بن أبی نصر: أنا، و قال إسماعیل بن عمّار الصّیرفی: أنا فقلنا: سلاه عن الصّعود لنشرف علی قبر النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلما کان من الغد لقیناهما فاجتمعنا جمیعا، فقال اسماعیل: قد سألناه لکم عمّا ذکرتم فقال:

ما أحبّ لأحد منهم أن یعلوه فوقه و لا آمنه أن یری منه شیئا یذهب منه بصره أو یراه قائما یصلّی أو یراه مع بعض أزواجه.

و فی البحار من المناقب لابن شهر آشوب عن عبد اللّه بن سلیمان و زیاد بن المنذر و الحسن العباس بن حریش کلّهم عن أبی جعفر علیه السّلام و أبان بن تغلب و معاویه ابن عمّار و أبو سعید المکاری کلّهم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام لقی الأوّل فاحتجّ علیه ثمّ قال: أترضی برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بینی و بینک؟ فقال:

و كيف بذلك؟ فأخذ بيده فأتى به مسجد قبا فاذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه فقضى له على الأوّل.

و فيه من إرشاد القلوب عن الصّادق عليه السّلام فى حديث طويل ذكر فيه احتجاج أمير المؤمنين عليه السّلام على أبى بكر بحديث الغدير و غيره فقال أبو بكر: لقد ذكرتنى يا أمير المؤمنين أمرا لو يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاهدا فأسمعه منه، فقال أمير المؤمنين:

اللّه و رسوله عليك من الشّاهدين يا أبا بكر إذا رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حيّا و يقول لك إنّك ظالم لى فى أخذ حقّى الّذى جعله اللّه لى و لرسوله دونك و دون المسلمين أ تسلّم هذا الأمر إلىّ و تخلع نفسك منه؟ فقال أبو بكر: يا أبا الحسن و هذا يكون أرى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حيّا بعد موته يقول لى ذلك. فقال أمير المؤمنين: نعم يا أبا بكر، قال: فأرنى ذلك إن كان حقّا، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: اللّه و رسوله عليك من الشّاهدين إنّك تفى بما قلت؟ قال أبو بكر: نعم فضرب أمير المؤمنين عليه السّلام على يده و قال: تسعى معى نحو مسجد قبا فلمّا ورداه تقدّم أمير المؤمنين عليه السّلام فدخل المسجد و أبو بكر من ورائه فاذا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قبله المسجد، فلمّا رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمغشىّ عليه فناداه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ارفع رأسك أيّها الضّليل المفتون، فرفع أبو بكر رأسه و قال: لبّيك يا رسول اللّه أحياه بعد الموت يا رسول اللّه؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ويلك يا أبا بكر «إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ» الحديث و نحوها أخبار اخر.

و أنت بعد ذلك لو سنحت بخاطرك سوانح الشبهات و خالجتك الشّكوك و احتملت تأويل هذه الأخبار بالأجساد المثاليه و أردت أن يطمئن قلبك بجواز الحياه على الأجساد الأصليه فراجع إلى ما رواه فى البحار من المناقب عن أبان بن تغلب و الحسين بن معاويه و سليمان الجعفرى و إسماعيل بن عبد اللّه بن جعفر كلّهم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام

ص:۲۰۶

قال: لمّا حضر رسول اللّه المماه دخل عليه عليّ عليه السّلام فأدخل رأسه معه ثمّ قال:

يا على إذا أنا متّ فغسّلنى و كفنّى ثمّ اقعدنى و سائلنى و اكتب و من تهذيب الأحكام فخذ بمجامع كفنى ثمّ اسألنى عما شئت فو اللّه لا تسألنى عن شىء إلاّ أجبتك.

و رواه فيه من البصاير و الكافى و الخرائج عن البزنطى عن فضيل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام مثله، و فيه و فى روايه أبى عوانه باسناده قال عليّ عليه السّلام ففعلت فأنبأنى بما هو كائن إلى يوم القيامه.

و فى البحار أيضا من الخرائج عن إسماعيل بن عبد اللّه بن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال: قال عليّ بن أبى طالب عليه السّلام: أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا توفّى أن استسقى سبع قرب من بئر غرس فأغسله بها، فاذا غسلته و فرغت من غسله أخرجت من فى البيت قال: فاذا اخرجتهم فضع فاك على فيّ ثمّ سلنى عمّا هو كائن إلى أن تقوم الساعه من أمر الفتن، قال عليّ عليه السّلام: ففعلت ذلك فأنبأنى بما يكون إلى أن تقوم الساعه، و ما من فئه تكون إلاّ و أنا أعرف أهل ضلالها من أهل حقّها.

و من الخرائج أيضا عن حفص بن البخترى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأمير المؤمنين: إذا أنا متّ فغسّلنى و كفّنّى و ما املى عليك فاكتب قلت:

ففعل؟ قال: نعم.

و يزيد توضيحا لذلك الأخبار الوارده فى كتب المقاتل من أنّ الرّأس الأطيب الأطهر الأنور للسيّد الشّهداء روحى و جسمى له الفداء كان ينظر و يتحرّك و يتكلّم بعد قتله عليه السّلام فيكبر تاره و يحوقل أخرى و يقرأ من القرآن آيه الكهف و غيرها على السّنان و يخبر عن ما سنح بخاطر ابن وكيده بالكوفه، إلى غير هذه ممّا شوهدت منه من المعجزات و الكرامات، أ فيمكن لك أن تقول إنّ ذلك لم يكن رأسه الأصلى و إنّما كان رأسه المثالى؟ فاذا جاز الحياه على الرأس الذى هو جزء من البدن الشريف سلام اللّه عليه فكيف بالبدن تمامه.

و قد روى غير واحد من أرباب المقاتل المعتبره جلوس الجسد المذبوح عند وداع أهل بيته عليه السّلام له و معانقته لبنته الصغيره و وصيّته إليها بأن يقول لشيعته:

شعتى ما إن شربتم ماء عذب فاذكرونى أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبونى

إلى آخر الأبيات الّتى خرجت من الحلقوم الشّريف لعن اللّه قاتليه و ظالميه أبد الآبدين و دهر الداهرين.

فحاصل الكلام و فذلكه المرام أنّى لا أمنع من تصرّفات أرواحهم الكلّيه فى أجسادهم الأصليّه كتصرّفها فى الأجساد المثاليّه على ما عليه أساطين العلماء باقدار من اللّه سبحانه و إفاضه منه الحياه عليهم بعد موتهم إظهارا لشرفهم و رفعتهم و كرامتهم و إتماما للحجّه فى بعض المقامات «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ ».

و لا أرى مانعا من ذلك إلّا ما فى المجلس التّاسع عشر من كتاب أسرار الشّهادات من أنّ القول بتعلّق الأرواح بالأجساد الدّنيويّه الأصليّه قبل قيام الساعه أو قبل الرّجعه ممّا قام الاجماع على بطلانه و لكنّك خبير بما فيه إذ المسأله غير معنونه فى كلام الأصحاب فكيف يمكن دعوى الاجماع و بعد الغضّ عن ذلك غايته أنّه إجماع منقول بخبر الواحد و هو على القول بحجّيته لا يكافؤ الأخبار المستفيضه الدّالّه على خلافه.

و يؤيّد ما ذكرته و يقرّبه ما فى مجمع البيان فى تفسير الآيه السّابقه أعنى قوله:

«وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ » فانّه بعد ما اشكل فى حياه الشهداء بقوله: فان قيل: فنحن نرى جثّه الشهداء مطروحه على الأرض لا تنصرف و لا يرى فيه شيء من علامات الأحياء، قال (ره) ما نصّ عبارته:

فالجواب أمّا على مذهب من يقول من أصحابنا أنّ الانسان هو النّفس إنّ اللّه يجعل لهم أجساما كأجسامهم فى دار الدّنيا يتنعّمون فيها دون أجسامهم التى فى القبور فانّ النّعيم و العذاب إنما يحصل عنده إلى النّفس التى هى الانسان المكلّف

عنده دون الجثه إلى أن قال: فأمّا على مذهب من قال من أصحابنا إنّ الانسان هذه الجمل المشاهده و إنّ الرّوح هو النّفس المتردّد فى مخارق الحيوان و هو أجزاء الجوّ فالقول أنه يلطف أجزاء من الانسان لا يمكن أن يكون الحيّ حيّا بأقلّ مما يوصل إليها النّعيم و إن لم تكن تلك الجمله بكمالها، لأنّه لا يعتبر الأطراف و أجزاء السّمن فى كون الحيّ حيّا، فانّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّا.

و ربّما قيل: بأنّ الجثّه يجوز ان يكون مطروحه فى الصوره و لا يكون ميته فتصل إليها اللّذات كما أنّ النّائم حيّ و تصل إليه اللّذات مع أنه لا يحسّ و لا يشعر بشيء من ذلك، فيرى فى النوم ما يجد به السّرور و الالتذاذ حتّى يودّ أن يطول نومه فلا ينتبه.

و قد جاء فى الحديث أنّه يفسح له مدّ بصره و يقال له نم نومه العروس، و قريب منه ما فى التّفسير الكبير للفخر الرّازى حيث قال:

فان قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميته فى القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟ قلنا: أما عندنا فالبنيه ليست شرطا فى الحياه و لا امتناع فى أن يعيد اللّه الحياه إلى كلّ واحد من تلك الذّرات و الأجزاء الصّغيره من غير حاجه إلى التركيب و التأليف، و أمّا عند المعتزله فلا يبعد أن يعيد اللّه إلى الأجزاء التى لا بدّ منها فى ماهيه الحيّ و لا يعتبر بالأطراف و يحتمل أيضا ان يحييهم إذا لم يشاهدوا.

و بالجمله فقد تقرّر ممّا ذكرنا جواز الحياه على الأبدان الأصليه فى الجمله و ارتفع بعد ذلك فى نظرك بما نسبه الطبرسيّ إلى جمع من أصحابنا و الفخر الرّازى إلى المعتزله مع أنه لا يعبؤ باستبعاد العقول بعد دلاله نصّ الآيه و قيام الأخبار المستفيضه عليه هذا.

و أمّا القضيه الثانيه أعنى قوله: و يبلى من بلى منّا و ليس ببال، فقد ظهر تحقيق الكلام فيها مما سبق إذ بعد القول بحياه الأبدان على الوجه الذى قلناه

ص:۲۰۹

لا يتصوّر البلى لمنافاتها له، نعم لا ينافيها على الوجه الذى اختاره الأشاعره و الوجه الذى ذهب إليه المعتزله و جمع من أصحابنا على ما عرفت فى نقل كلامهم.

و يدلّ على ذلك أى على عدم البلى ظواهر الأخبار السّابقه مضافه إلى ما فى الكافى عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن علىّ بن الحكم عن زياد بن أبى الجلال عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما من نبىّ و لا وصىّ نبىّ يبقى فى الأرض أكثر من ثلاثه أيّام حتّى ترفع روحه و عظمه إلى السّماء و إنما يؤتى مواضع آثارهم و يبلغونهم من بعيد السّلام و يسمعونهم فى مواضع آثارهم من قريب.

و فى الوسائل عن الشيخ باسناده عن محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر قال:

دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت له: إنّى اشتاق إلى الغرّى فقال: ما شوقك إليه؟ فقلت: له إنّى أحبّ أن أزور أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال عليه السّلام: هل تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا- إلاّ- أن تعرّفنى، فقال عليه السّلام: إذا زرت أمير المؤمنين عليه السّلام فاعلم أنّك زائر عظام آدم و بدن نوح و جسم علىّ بن أبى طالب عليه السّلام الحديث.

و ما فى شرح المعتزلى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله أنّ الأرض لم تسلّط علىّ و أنها لا تأكل لى لحما و لا تشرب لى دما.

و فى الفقيه عن الصّادق عليه السّلام إنّ اللّه عزّ و جلّ حرّم عظامنا على الأرض و حرّم لحومنا على الدّود أن يطعم منها شيئا.

و قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حياتى خير لكم و مماتى خير لكم، قالوا: يا رسول اللّه و كيف ذلك؟ قال عليه السّلام: أما حياتى فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول: و ما كان اللّه ليعذّبهم و أنت فيهم، و أمّا مفارقتى إيّاكم فانّ أعمالكم تعرض علىّ كلّ يوم فما كان من حسن استزدت اللّه لكم و ما كان من قبيح استغفرت اللّه لكم، قالوا: و قد رحمت يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يعنون صرت رميما فقال عليه السّلام: كلاّ إنّ اللّه تبارك و تعالى حرّم لحومنا على الأرض أن يطعم منها شيئا، هذا.

و مقتضى الجمع بين هذه الأخبار و الأخبار الدالّه على نقل عظام آدم عليه السّلام

إلى الغرىّ و عظام يوسف إلى الأرض المقدّسه هو اختصاص حكم عدم البلى بهذه الشجره المباركه أعنى خاتم النبيّين و أوصيائه المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين.

فان قلت: فاذا قلت بعدم البلى على ما يقتضيه قوله عليه السّلام ليس ببال فكيف التوفيق بينه و بين قوله و يبلى من بلى منّا المقتضى لثبوت البلى؟ قلت: ذلك محمول على زعم أغلب الخلق فانّ اسراء عالم الحواسّ من الناس لمّا زعموا أنّ الموت ملازم للبلى و قاسوا أولياء اللّه و عباده المصطفين بساير الخلق و لم يعرفوا أنّهم لا يقاس بهم أحد فأثبتوا البلى فى حقّهم و لذلك عقّب عليه السّلام الايجاب بالسّلب كما أنّ اللّه سبحانه ردّ حسبان الخلق و زعمهم لكون القتل مستلزما للموت فى سوره البقره بقوله:

«وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ » و فى سوره آل عمران بقوله: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » فان قوله: «وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ ».

فى الآيه الاولى دليل على أنهم لم يكن لهم شعور بحياتهم فاذا لم يكن لهم شعور بذلك فلا يكون لهم شعور بعدم البلى البته من حيث الملازمه بينه و بين الموت فى نظرهم كملازمه الموت للقتل عندهم، هذا.

و أما حمل البلى على بلى الأكفان فبعيد، و أبعد منه حمله على بلى الأبدان و حمل عدم البلى على عدمه للأرواح كما يظهر من شرح البحرانى حيث قال فى شرح هاتين الفقرتين ما نصّ عبارته: و إشاره النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بهذه الكلمه تقرير لقوله تعالى:

«وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ » الآيه.

لما اتفقت عليه كلمه العلماء و نطقت به البراهين العقليه أنّ أولياء اللّه لا

يموتون و لا يبلون و إن بليت أجسادهم.

قال بعض الخائضين فيما لا يعنيه: قوله: و يبلى من بلى منّا، نصّ جلّى على أنّ أجساد الأولياء تبلى، و ذلك يخالف ما يعتقده النّاس من أنّ أجسادهم باقيه إلى يوم القيامه.

قلت: الاعتقاد المذكور لبعض الناس إنّما نشأ من قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قتلى بدر: زمّلوهم بكلومهم و دمائهم فانهم يحشرون يوم القيامه و أوداجهم تشخب دما، و قوله تعالى: و لا تحسبنّ الّذين قتلوا، الآيه و ليس و لا واحد منهما بدال على أن الأجساد لا تموت و لا تبلى.

أمّا الخبر فليس مقتضاه أنها تبقى صحيحه تشخب دما إلى يوم القيامه، بل ذلك ممّا يشهد ببطلانه الحسّ، بل يحمل على أنّها كما تعاد يوم القيامه تعاد مجروحه تشخب جراحها دما كهيئتها يوم موتها.

و أمّا الآيه فالذى أجمع عليه علماء المفسّرين أنّ الحياه المذكوره فيها هى حياه النّفوس، و هو ظاهر فى سبب نزولها عن ابن عباس (رض) قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لما اصيبت إخوانكم باحد جعل اللّه أرواحهم فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنّه و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب معلّقه فى ظلّ العرش، فلمّا وجد و اطيب مأكلهم و مشربهم و مقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنّا أنّا فى الجنّه نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد و لا يتكلّموا عند الحرب؟ فقال اللّه عزّ و جلّ: أنا ابلّغهم عنكم فنزلت: و لا تحسبنّ الّذين قتلوا، الآيه.

فاذن لا منافاه بين كلامه عليه السّلام و ما ورد فى القرآن و الخبر، و مقصوده عليه السّلام بهذه الكلمه تقرير فضيلتهم و أنّهم أولياء باقون عند ربّهم فى ظلّ كرامته انتهى كلامه.

و قد تحصّل منه أنه (ره) يحمل الموت و البلى فى كلامه عليه السّلام على بلى الأجساد و موتها و يحمل عدم الموت و البلى فيه على حياه النفوس و الأرواح و بقائها و أنت

خبیر بما فیه.

أمّا أوّلا فلأنّ القول ببلی أجساد الأئمه و موتها خلاف ما هو المستفاد من الأخبار المستفیضه السّابقه.

و ثانیا أنّ الامام علیه السّلام إنّما أتی بالحدیث النّبویّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إظهارا للرفعه و الکرامه و مقصوده علیه السّلام به المفاخره و بیان فضیله و منقبه مختصّه بهم علیه السّلام، و من المعلوم أنّ بقاء الأرواح مع بلی الأجساد لیس فضیله مخصوصه بأهل بیت الرساله بل هی جاریه فی حقّ سایر النّاس من المؤمنین و الکفّار، و قد مرّ فی شرح الخطبه الثّانیه و الثمانین أنّ أرواح المؤمنین فی وادی السّلام و أرواح الکفّار فی البرهوت، فأیّ معنی لحمل عدم البلی فیه علی عدم بلی الأرواح، مع أنّ استعمال لفظ البلی و عدم البلی إنّما هو مصطلح فی الأجساد و الأجسام دون الأنفس و الأرواح و هو واضح لا یخفی، بل الأرواح لا یتصوّر فی حقّها البلی فلا معنی لنفی البلی عنها إلاّ علی وجه السالبه بانتفاء الموضوع و ثالثا قوله ره: قلت: الاعتقاد المذکور إنّما نشأ من قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم آه فیه أنّ سند الاعتقاد المذکور لیس منحصرا فیما ذکره بل قد دلّ علیه ما قدّمناه من الأدلّه.

و رابعا أنّ دعوی اتّفاق المفسّرین علی کون الحیاه المذکوره فی الآیه هی حیاه النفوس ممنوعه، لما عرفت سابقا اختلاف المفسّرین فیها، فمنهم من یحملها علی الحیاه بالأجساد المثالیه، و منهم من یحملها علی الحیاه بالأبدان الأصلیّه، و منهم من یحملها علی حیاه النفوس فکیف یمکن مع هذا الخلاف دعوی الاتفاق، و ما أبعد ما بین هذه الدّعوی و بین إنکار البعض حدیث الأرواح مستدّلا بکون الروح عرضا لا یتنعّم، فانّ دعوی الشارح للاتفاق واقع فی طرف الافراط کما أنّ انکار هذا البعض فی جانب التفریط من حیث أنّ الروح جسم لطیف هوائیّ حسّاسه فعّاله و لیس عرضا کما توهّمه فیجوز أن یتنعّم و یلتذّ.

ص:۲۱۳

و خامسا أنّ الحديث الذى نقله عن ابن عباس فى مقام الاستظهار به قد عرفت ردّ الصادق عليه السّلام له فى روايتى يونس بن ظبيان و أبى بصير المتقدّمتين، و اللّه العالم بحقايق الامور، و المحصّل لما فى الصدور و انّما أطنبت الكلام فى المقام لكونه من مزالق الأقدام محتاجا إلى كشف الحجاب عن المرام و قد وضح لك فيه ما اقتضت الأدلّه من الكتاب و السّنه و من اللّه سبحانه أسأل العصمه و السداد من الخطاء فى القول و الاعتقاد بمحمد و آله الأطهار الأمجاد.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا ذكر مناقب آل العباء و من خصّه اللّه بالولايه و الولاء و أكّده بحديث سلب الموت و البلى و كان ذلك بعيدا عن مذاق العوام و أمرا عجيبا عند العقول و الأوهام و مظنه للردّ و الانكار لا جرم أردفه بقوله (و لا تقولوا بما لا تعرفون فانّ أكثر الحقّ فيما تنكرون) و هو نهى لهم عن القول فى حقّ العتره بما لا يعرفون و عن التسرّع إلى ردّ ما يستعجبون معلّلا بأنّ أكثر الحقّ فيما ينكرون و المقصود به أنّ صاحب الولايه لا يقاس بالنّاس إذ شئونات الولايه المطلقه بعيده عن الوهم و القياس و إدراكات الخلق أغلبها مقصوره على عالم الحواس، و الجاهل ربما ينكر بداء جهالته الحقّ إذا خالف طبعه أو عجز عن إدراكه فهمه أو سبق إليه اعتقاده ضدّه بشبهه أو تقليد أو بما انقدح فى وهمه من شكّ و ترديد، فلا يجوز الخوض فى اللّجاج و العناد بمجرّد الاستغراب و الاستبعاد.

و قوله:(و اعذروا من لا حجّه لكم عليه و أنا هو)، إمّا من الاعذار بمعنى الانصاف من أعذر الرّجل إذا أنصف، أو من الاعذار بمعنى إثبات العذر و هو الانسب الأظهر، فالمقصود به على ذلك أنّه عليه السّلام كان مأمورا من اللّه سبحانه و من رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالابلاغ و التذكير و الانذار و التحذير، و قد بلّغ و ذكّر و أنذر و حذّر، فكان له الحجّه على المخاطبين و ثبت له العذر فى مقام السئوال كما أنّ للّه و كذلك لرسوله الحجّه على جميع الخلايق حيث احتجّ بما نهج و أعذر بما أنذر، و هذا بخلاف ما لو فرّط عليه السّلام و قصّر فى الابلاغ و التذكار فيكون حينئذ لهم الحجّه عليه و يثبت لهم العذر فيما يلحقهم من العذاب بأن يقولوا:

(رَبَّنا «إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ » و به جاهلين، فلا يجوز لك أن تؤاخذنا بما لم نعلم و تعذّبنا بما لم نفهم، فطلب عليه السّلام منهم أن يثبتوا له العذر فيما يلحقهم من العذاب و نكال العقاب لا لأنفسهم حيث أوضح لهم المحجّه البيضاء و دلّهم على الطريقه الوسطى و هداهم إلى الشريعه الغرّاء.

كما أفصح عليه السّلام عن ذلك بقوله (أ لم أعمل فيكم بالثقل الأكبر و أترك فيكم الثقل الأصغر) و هو استفهام تقريرىّ يقول عليه السّلام إنّى قد عملت فيكم بكتاب اللّه و بما فيه من الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام، و تركت فيكم عتره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حفظت وصيّته بالاعزاز و الاكرام، و عبّر عنهما بالثقلين تبعا للحديث النبوىّ صلّى اللّه عليه و آله المعروف بين الفريقين.

و إنما سمّيا بذلك إمّا لعظم خطرهما و جلاله قدرهما من الثقل و هو المتاع النفيس، و إمّا لكون العمل بهما ثقيلا(۱) و إمّا لأجل أنّ الثقل متاع المسافر و حشمه فكانّه عليه السّلام لما شارف الانتقال إلى جوار ربّه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذى ينتقل من منزل إلى منزل و جعل الكتاب و العتره كمتاعه و حشمه، لأنّهما أخصّ الأشياء به، قاله الشارح المعتزلى.

و الأظهر ما قلناه إذ متاع المسافر و حشمه يكونان معه و لا يخلفان بعده، هذا.

و أمّا تسميه القرآن بالأكبر و العتره بالأصغر مع كون العتره أفضل من القرآن عندنا و كونهم قيّمين له فقد قال الشارح البحرانى: أشار بكونه أكبر إلى أنّه الأصل المتّبع المقتدى به.

أقول: و ليس بشىء إذ العتره أيضا أصل متّبع مقتدى، و يحتمل أن يكون وصفه به من جهه أنّه لما كان معجزا للرساله و سندا لها و الولايه و أساسا للدّين و سنادا للشرع المبين و لولاه لم يثبت رساله و لا شريعه و لا ولايه و لا دين و لا ايمان

۱- (۱) اى كان من الثقيل

لا جرم وصفه به.

و یمکن استظهار ذلک ممّا رواه أبو سعید الخدری قال: قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّی تارک فیکم الثّقلین أحدهما أکبر من الآخر کتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلی الأرض، و عترتی أهل بیتی لن یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض.

و أظهر منه ما فی روایه أبی جعفر علیه السّلام عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یا أیّها النّاس إنّی تارک فیکم الثقلین: الثقل الأکبر و الثقل الأصغر إن تمسکتم بهما لن تضلّوا و لن تبدّلوا، فانّی سألت اللّه اللّطیف الخبیر لا یفترقان حتّی یردا علیّ الحوض فاعطیت، فقیل: فما الثقل الأکبر و ما الثقل الأصغر؟ فقال: الثقل الأکبر کتاب اللّه عزّ و جلّ سبب طرفه بید اللّه عزّ و جلّ و طرف بأیدیکم و الثقل الأصغر عترتی أهل بیتی.

و یمکن أن یقال: إنّ کتاب اللّه لما کان حجّه علی عموم الخلق من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمه علیه السّلام و امّتهم، و حجّیه العتره کانت مخصوصه بالامّه فقط جعله أکبر لذلک هذا.

و فی قوله علیه السّلام ألم أعمل فیکم آه تعریض و إشعار بعدم عمل غیره به و هو کذلک.

و یوضحه ما فی غایه المرام من تفسیر علیّ بن إبراهیم قال حدّثنی أبی عن صفوان بن یحیی عن أبی الجارود عن عمران بن میثم عن مالک بن ضمره عن أبی ذر (ره) قال: لما نزلت هذه الآیه:

«یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ » قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ترد علیّ امتی یوم القیامه علی خمس رایات:

فرایه مع عجل هذه الأمه فأسألهم ما فعلتم بالثقلین من بعدی: فیقولون:

أمّا الأکبر فحرّفناه و نبذناه وراء ظهورنا، و أمّا الأصغر فعادیناه و أبغضناه و ظلمناه فأقول: ردّوا إلی النّار ظمأ مظمئین مسودّه وجوهکم.

ثمّ ترد علىّ رايه مع فرعون هذه الامّه فأقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه و مزّقناه و خالفناه، و أمّا الأصغر فعاديناه و قاتلناه، فأقول: ردّوا إلى النّار ظمأ مظمئين مسودّه وجوهكم.

ثمّ ترد علىّ رايه هى مع سامرىّ هذه الأمّه فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أمّا الأكبر فعصيناه و تركناه، و أما الأصغر فخذلناه و ضيّعناه فأقول: ردّوا إلى النّار ظمأ مظمئين مسودّه وجوهكم.

ثمّ ترد علىّ رايه ذى الثديه مع أوّل الخوارج و آخرهم و أسألهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزّقناه و برئنا منه و أمّا الأصغر فقاتلناه و قتلناه فأقول: ردّوا إلى النّار ظمأ مظمئين مسوّده وجوهكم.

ثمّ ترد علىّ رايه مع إمام المتّقين و سيّد المسلمين و قائد الغرّ المحجّلين و وصىّ رسول ربّ العالمين فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتّبعناه و أطعناه، و أمّا الأصغر فأحببناه و واليناه و زرناه و نصرناه حتّى اهريقت فيهم دمائنا، فأقول: ردّوا إلى الجنّه رواء مرويّين مبيضّه وجوهكم ثمّ تلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ».

و قد أخذ السيّد إسماعيل الحميرىّ مضمون هذا الحديث فى أبيات من قصيدته المعروفه و هى هذه الأبيات:

و النّاس يوم الحشر راياتهم خمس فمنها هالك أربع

فرايه العجل و فرعونها و سامرىّ الأمّه المشنع

و رايه يقدمها أبكم عبد لئيم لكّع أكوع

ص:۲۱۷

و رایه یقدمها نعثل لا برّد اللّه له مضجع

و رایه یقدمها حبتر للزّور و البهتان قد أبدع

و رایه یقدمها حیدر و وجهه کالشمس اذ تطلع

مولی له الجنّه معموره و النّار من إجلاله یفزع

إمام صدق و له شیعه یرووا من الحوض و لم یمنعوا

بذاک جاء الوحی من ربّنا یا شیعه الحقّ فلا تجزعوا

ثمّ قال علیه السّلام(و رکزت فیکم رایه الایمان)شبّه علیه السّلام الایمان بالرایه لأنه یهتدی به إلی سلوک سبیل الحقّ کما یهتدی بالرایه أمام الجیش و نحوها، و ذکر الرکز ترشیح للتشبیه و المقصود أنی أثبت فیکم الایمان (و وقّفتکم علی حدود الحلال و الحرام) أی جعلتکم واقفین علیهما مطلعین علی جماتهما(و ألبستکم العافیه من عدلی)أراد بالعافیه السلامه من الظلم و من أذی الظالمین و استعار لفظ اللّباس لها (و فرشتکم المعروف من قولی و فعلی) المعروف اسم لکلّ ما عرف من طاعه اللّه و التّقرب إلیه و الاحسان إلی النّاس و کلّ ما یندب إلیه الشرع من المحسّنات و المقبّحات، و إن شئت قلت: المعروف اسم لکل فعل یعرف حسنه بالشرع و العقل یقول علیه السّلام: بسطت لکم بساط المعروف بالأقوال و الأفعال (و أریتکم کرایم الأخلاق من نفسی) أی أوضحتها لکم و شاهدتموها منی متکرّره.

و قد سئل الصّادق علیه السّلام عن مکارم الأخلاق فقال علیه السّلام العفو عمّن ظلمک، وصله من قطعک، و إعطاء من حرمک، و قول الحقّ و لو علی نفسک.

و فی حدیث آخر فی الکافی عن الصّادق علیه السّلام قال إنّ اللّه عزّ و جلّ خصّ رسله بمکارم الأخلاق فامتحنوا أنفسکم فان کانت فیکم فاحمدوا اللّه و اعلموا أنّ ذلک من خیر و إلاّ تکن فیکم فاسألوا اللّه و ارغبوا إلیه فیها فذکرها عشره: الیقین و القناعه، و الصبر، و الشکر، و الحلم، و حسن الخلق، و السخاء، و الغیره، و الشجاعه، و المروه و فی الدّیوان المنسوب إلیه علیه السّلام

إنّ المکارم أخلاق مطهّرهفالدّین أوّلها و العقل ثانیها

و العلم ثالثها و الحلم رابعها و الجود خامسها و الفضل سادسها

و البرّ سابعها و الصّبر ثامنها و الشكر تاسعها و اللين باقيها

و النفس تعلم أنّى لا أصادقها و لست أرشد إلّا حين أعصيها

و كيف كان فكونه عليه السّلام مبدء مكارم الأخلاق و منشأ محاسن الآداب مما لا ريب فيه بل ذلك غنىّ عن البيان، و لا بأس بالاشاره إلى بعض ما ورد فى حسن خلقه و بشره و حلمه و عفوه و إشفاقه و عطفه صلوات اللّه عليه تيّمنا و توضيحا.

ففى البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن مختار التّمار عن أبى مطر البصرى أنّ أمير المؤمنين مرّ بأصحاب التّمر فاذا هو بجاريه تبكى فقال: يا جاريه ما يبكيك؟ فقالت:

بعثنى مولاى بدرهم فابتعت من هذا تمرا فأتيتهم به فلم يرضوه فلمّا أتيته به أبى أن يقبله، قال عليه السّلام: يا عبد اللّه انّها خادم ليس لها أمر فاردد إليها درهمها و خذ التمر، فقام إليه الرّجل فلكزه فقال النّاس هذا أمير المؤمنين عليه السّلام فربا الرّجل و اصفرّ و أخذ التمر و ردّ إليها درهمها، ثمّ قال يا أمير المؤمنين ارض عنى فقال: ما أرضانى عنك أن أصلحت أمرك.

و فى فضايل أحمد إذا وفيت النّاس حقوقهم(۱) و دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال عليه السّلام: ما حملك على ترك إجابتى؟ قال: كسلت اجابتك و أمنت عقوبتك، فقال عليه السّلام الحمد للّه الذى جعلنى ممّن تأمنه خلقه امض فأنت حرّ لوجه اللّه.

و جاءه أبو هريره و كان تكلّم فيه و أسمعه فى اليوم الماضى و سأله حوائجه فقضيها فعاتبه أصحابه على ذلك فقال عليه السّلام: إنّى لأستحيى أن يغلب جهله علمى و ذنبه عفوى و مسألته جودى.

و لما ادرك عمرو بن عبدود لم يضربه فوقعوا فى علىّ فردّ عنه حذيفه فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: مه يا حذيفه فانّ عليّا سيذكر سبب وقفته ثمّ إنّه ضربه فلما جاء سأله النّبىّ عن ذلك فقال عليه السّلام: قد كان شتم بى و تفل فى وجهى فخشيت أن أضربه بحظّ نفسى فتركته حتّى سكن ما بى ثمّ قتلته فى اللّه.

۱- (۱) - كذا فى الاصل و لعل قوله: اذا وفيت الناس حقوقهم، من تتمه الخبر السابق المصحح «»

و کـان علیه السّـلام بشـره دایم و ثغره بـاسم غیث لمن رغب و غیـاث لمن ذهب مآل الآمل و ثمال الأرامل یتعطف علی رعیته و یتصرّف علی مشیته و یکفّه بحجّته و تکفیه بمهجته.

و نظر إلی امرئه علی کتفهـا قربه مـاء فأخـذ منهـا القربه فحملهـا إلی موضـعها و سألهـا عن حالهـا فقالت بعث علیّ بن أبی طالب زوجی إلی بعض الثغور فقتل و ترک علیّ صبیانا یتامی و لیس عنـدی شـیء فقد ألجأتنی الضّـروره إلی خدمه النّاس، فانصـرف علیه السّـلام و بات لیلته قلقا فلما اصـبح حمل زنبیلا فیه طعام فقال بعضـهم: أعطنی أحمله عنک، فقال علیه السّـلام: من یحمل و زری عنّی یوم القیـامه فـأتی و قرع البـاب فقـالت من هـذا؟ قـال: أنا ذلک العبـد الـذی حمل معک القربه فافتحی فانّ معی شـیئا للصّبیان فقالت: رضـی اللّه عنک و حکم بینی و بین علیّ بن أبی طالب، فـدخل و قال: إنّی أحببت اکتساب الثواب فاختاری بین أن تعجنین و تخبزین و بین أن تعلّلین الصبیان لأخبز أنا فقالت أنا بالخبز أبصـر و علیه أقدر و لکن شأنک و الصّبیان فعلّلهم حتّی أفرغ من الخبز.

قال: فعمـدت إلی الـدّقیق فعجنه و عمـد علیّ علیه السّـلام إلی اللّحم فطبخه و جعل یلقم الصبیان من اللّحم و التمر و غیره، فکلّما ناول الصبیان من ذلک شیئا قال له: یا بنیّ اجعل علیّ بن أبی طالب فی حلّ ممّا أمر فی أمرک فلما اختمر العجین قالت:

یا عبد اللّـه اسـجر التنّور، فبادر علیه السّـلام بسـجره فلما أشـعله و لقح فی وجهه یقول: ذق یا علیّ هذا جزاء من ضـیّع الأرامل و الیتامی، فرأته امرأه تعرفه علیه السّلام، فقالت:

ویحک هـذا أمیر المؤمنین علیه السّـلام، قال: فبادرت المرأه و هی تقول و احیائی منک یا أمیر المؤمنین، فقال علیه السّـلام بل و احیائی منک یا أمه اللّه فیما قصرت فی أمرک.

ثمّ إنّه علیه السّـلام بعـد مـا أشـار إلی جمله من فضایله و مناقبه أردفه بقوله:(فلا تسـتعملوا الرّأی فیما لا یـدرک قعره البصـر و لا یتغلغل) ای لا یسـرع و لا یـدخل (إلیه الفکر) و المقصود بـذلک النهی عن اسـتعمال الرأی فیما ذکره علیه السّـلام من خصایص العتره الطّاهره و عجایب ما خصّهم اللّه به من الأنوار الباهره.

ص:۲۲۰

يقول علیه السّلام إنّ أمرنا صعب لا یهتدی إلیه العقول و الأنظار، و لا تدرک قعره الأبصار، و لا تغلغل فیه الأفکار، فلا یجوز المبادره إلی ردّ ما تأبی عنه العقول و الأفهام فی حقّهم علیهم السّلام، فانّ حدیثهم صعب مستصعب لا یحتمله إلاّ ملک مقرّب أو نبیّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للایمان.

تنبیه

لما کان هذا الفصل من کلامه علیه السّلام مسوقا لاظهار مناقب الآل و مشتملا علی فضایل العتره الطّاهرین سلام اللّه علیهم أجمعین أحببت أن أورد هنا شطرا من کراماتهم و معجزاتهم و عجائب شئوناتهم المرویّه بالأسانید الغریبه.

فمنها

ما فی المجلّد التاسع من البحار

وجاده فی بعض الکتب قال: حدّثنا محمّد بن زکریا العلا قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصّفار المعروف بابن المعافا عن وکیع عن زاذان عن سلمان الفارسی رضی اللّه عنه قال:

کنا مع مولانا أمیر المؤمنین فقلت یا أمیر المؤمنین أحبّ أن أری من معجزاتک شیئا، قال صلوات اللّه علیه: أفعل إن شاء اللّه عزّ و جلّ، ثمّ قام و دخل منزله و خرج إلیّ و تحته فرس أدهم و علیه قباء أبیض و قلنسوه بیضاء، ثمّ نادی یا قنبر اخرج إلیّ ذلک الفرس فأخرج فرس آخر أدهم فقال علیه السّلام ارکب یا با عبد اللّه.

قال سلمان: فرکبته فاذا له جناحان ملتصقان إلی جنبه قال: فصاح به الامام صلوات اللّه علیه فتعلّق فی الهواء و کنت أسمع خفیف أجنحه الملائکه و تسبیحها تحت العرش، ثمّ خطونا علی ساحل بحر عجاج مغطمط (۱) الأمواج فنظر إلیه الامام شزرا فسکن البحر من غلیانه فقلت له: یا مولای سکن البحر من غلیانه من نظرک إلیه، فقال صلوات اللّه علیه: یا سلمان خشی أن آمر فیه بأمر.

ثمّ قبض علی یدی و سار علی وجه الماء و الفرسان تتبعان لا یقودهما أحد، فو اللّه ما ابتلّت أقدامنا و لا حوافر الخیل.

۱- (۱) الغطمطه اضطراب موج البحر

قال سلمان: فعبرنا ذلک البحر فدفعنا إلی جزیره کثیره الأشجار و الأثمار و الأطیار و الأنهار، و إذا شجره عظیمه بلا صدع و لا زهر فهزّها صلوات اللّه علیه بقضیب کان فی یده فانشقّت و خرج منها ناقه طولها ثمانون ذراعا و عرضها أربعون ذراعا و خلفها قلوص فقال صلوات اللّه علیه: ادن منها و اشرب من لبنها.

قال سلمان: فدنوت منها و شربت حتی رویت و کان لبنها أعذب من الشهد و ألین من الزّبد و قد اکتفیت قال صلوات اللّه علیه: هذا حسن یا سلمان، فقلت:

مولای حسن؛ فقال: صلوات اللّه علیه ترید أن اریک ما هو أحسن منه؟ قلت: نعم یا أمیر المؤمنین.

قال سلمان: فنادی مولای أمیر المؤمنین اخرجی یا حسناء قال: فخرجت ناقه طولها عشرون و مائه ذراع و عرضها ستّون ذراعا و رأسها من الیاقوت الأحمر و صدرها من العنبر الأشهب و قوائمها من الزبرجد الأخضر و زمامها من الیاقوت الأصفر و جنبها الأیمن من الذّهب و جنبها الأیسر من الفضّه و عرفها من اللّؤلؤ الرطب فقال صلوات اللّه علیه یا سلمان اشرب من لبنها.

قال سلمان: فالتقمت الضّرع فاذا هی تحلب عسلا صافیا مخلصا، فقلت یا سیّدی هذه لمن؟ قال علیه السّلام: لک و لک و لسایر الشیعه من أولیائی، ثمّ قال ارجعی إلی الصّخره و رجعت من الوقت و ساربی فی تلک الجزیره حتّی ورد بی إلی شجره عظیمه علیها طعام یفوح منه رایحه المسک فاذا بطایر فی صوره النسر العظیم.

قال سلمان رضی اللّه عنه: فوثب ذلک الطّایر فسلّم علیه صلوات اللّه علیه و رجع إلی موضعه فقلت: یا أمیر المؤمنین ما هذه المائده؟ فقال علیه السّلام: هذه منصوبه فی هذا المکان للشیعه من موالیّ إلی یوم القیامه فقلت: ما هذا الطّایر؟ قال صلوات اللّه علیه: ملک موکّل بها إلی یوم القیامه فقلت: وحده یا سیّدی، فقال علیه السّلام:

یجتاز به الخضر علیه السّلام فی کلّ یوم مرّه.

ثمّ قبض علیه السّلام علی یدی و سار إلی بحرثان فعبرنا و إذا جزیره عظیمه فیها

قصر لبنه من ذهب و لبنه من فضه بيضاء شرفها من عقيق أصفر و على كلّ ركن من القصر سبعون صفا من الملائكه فأتوا و سلّموا، ثمّ اذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم.

قال سلمان رحمه اللّه تعالى: ثمّ دخل أمير المؤمنين عليه السّلام القصر فاذا أشجار و أثمار و أنهار و أطيار و ألوان النبات فجعل الامام عليه السّلام يمشى فيه حتّى وصل إلى آخره فوقف عليه السّلام على بركه كانت فى البستان ثمّ صعد إلى قصر فاذا كرسىّ من الذّهب الأحمر فجلس عليه صلوات اللّه عليه و أشرفنا على القصر فاذا بحر أسود يغطمط أمواجه كالجبال الرّاسيات، فنظر صلوات اللّه عليه شزرا فسكن من غليانه حتّى كان كالمذنب.

فقلت: يا سيّدى سكن البحر من غليانه لما نظرت إليه فقال عليه السّلام خشى أن آمر فيه بأمر أ تدرى يا سلمان أىّ بحر هذا؟ فقلت: لا يا سيّدى، فقال:

هذا الذى غرق فيه فرعون و ملائه المذنبه حملها جناح جبرئيل عليه السّلام ثمّ زجّها فى هذا البحر فهو يهوى لا يبلغ قراره إلى يوم القيامه.

فقلت يا أمير المؤمنين هل سرنا فرسخين؟ فقال عليه السّلام: يا سلمان سرت خمسين ألف فرسخ و درت حول الدّنيا عشر مرّات.

فقلت: يا سيّدى و كيف هذا؟ قال عليه السّلام إذا كان ذو القرنين طاف شرقها و غربها و بلغ إلى سدّ يأجوج و مأجوج فأنا يتعذر علىّ و أنا أمير المؤمنين و خليفه ربّ العالمين، يا سلمان أما قرأت قول اللّه عزّ و جلّ حيث يقول:

«عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ » فقلت: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السّلام: أنا ذلك المرتضى من الرسول الذى أظهره اللّه عزّ و جلّ على غيبه أنا العالم الرّبانىّ أنا الذى هوّن اللّه له الشّدايد فطوى له البعيد.

قال سلمان رضى اللّه عنه: فسمعت صائحا يصيح فى السّماء أسمع الصوت و لا أرى الشخص و هو يقول: صدقت صدقت أنت الصّادق المصدّق صلوات اللّه عليك.

قـال: ثمّ نهض صـلوات اللّه عليه فركب الفرس و ركبت معه و صـاح بهما فطارا فى الهواء ثمّ خطونا على باب الكوفه هـذا كلّه و قد مضى من اللّيل ثلاث ساعات.

فقال صـلوات اللّه عليه لى: يا سـلمان الويل كلّ الويل لمن لا يعرفنا حقّ معرفتنا و أنكر ولايتنا أيّما أفضل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أم سليمان عليه السّلام؟ قلت: بل محمّد صلّى اللّه عليه و آله ثمّ قال عليه السّلام: فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فـارس بطرفه و عنـده علم من الكتاب و لا أفعل أنا ذلک و عنـدى مأئه کتاب و أربعه و عشـرون كتابا أنزل اللّه تعـالى على شـيث بن آدم عليه السّـلام خمسـين صـحيفه، و على إدريس النّبى عليه السّـلام ثلاـثين صـحيفه، و على إبراهيم عليه السّلام عشرين صحيفه، و التوراه، و الانجيل، و الزّبور و الفرقان.

فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين هكذا يكون الامام صـلوات اللّه عليه، فقال عليه السّـلام إنّ الشّاک فى أمورنا و علومنا كالممترى فى معرفتنا و حقوقنا، قد فرض اللّه عزّ و جلّ فى كتابه فى غير موضع، و بيّن فيه ما وجب العمل به، و هو غير مكشوف.

و منها

ما فيه أيضا من الكتاب المذكور

قـال: روى الاصـبغ بن نبـاته قـال: كنت يومـا مع مولانا أمير المؤمنين عليه السّـلام إذ دخل عليه نفر من أصـحابه منهم أبو موسـى الأشـعرى و عبـد اللّه بن مسـعود و أنس بن مالـک و أبو هريره و المغيره بن شـعبه و حـذيفه ابن اليمـان و غيرهـم، فقـالوا: يا أمير المؤمنين أرنا شيئا من معجزاتک الّتى خصّک اللّه بها.

فقـال عليه السّـلام: مـا أنتم و ذلـک و مـا سؤالكم عمّا لا ترضون به؟ و اللّه تعالى يقول و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى إنّى لا اعـذّب أحـدا من خلقى إلاّـ بحجّه و برهـان و علم و بيـان، لأنّ رحمتى سـبقت غضبى و كتبت الرّحمه علىّ فأنا الرّاحم الرّحيم و الـودود العلىّ، و أنـا المنّـان العظيـم، و أنـا العزيز الكريم، فـاذا أرسـلت رسولاـ أعطيته برهانـا و أنزلت عليه كتابا فمن آمن بى و برسولى فأولئک هم المفلحون الفائزون

و من كفر بى و برسولى فأولئك هم الحاسرون الّذين استحقّوا عذابى؛ فقالوا:

يا أمير المؤمنين نحن آمنّا باللّه و برسوله و توكّلنا عليه.

فقال علىّ عليه السّلام اللّهم اشهد على ما يقولون و أنا العليم الخبير بما يفعلون، ثمّ قال: قوموا على اسم اللّه و بركاته، قال: فقمنا معه حتّى أتى بالجبانه و لم يكن فى ذلك الموضع ماء قال: فنظرنا فاذا روضه خضراء ذات ماء، و إذا فى الروضه غدران و فى الغدران حيتان، فقلنا و اللّه إنّها لدلاله الامامه فأرنا غيرها يا أمير المؤمنين و إلّا قد أدركنا بعض ما أردنا.

فقال عليه السّلام: حسبى اللّه و نعم الوكيل ثمّ أشار عليه السّلام بيده العليا نحو الجبّانه فاذا قصور كثيره مكلّله بالدّرّ و الياقوت و الجواهر و أبوابها من الزّبرجد الأخضر و إذا فى القصور حور و غلمان و أنهار و أشجار و طيور و نبات كثير، فبقينا متحيّرين متعجّبين و إذا وصايف و جوارى و ولدان و غلمان كاللّؤلؤ المكنون فقالوا: يا أمير المؤمنين لقد اشتدّ شوقنا إليك و إلى شيعتك و أوليائك، فأومأ إليهم بالسّكون.

ثمّ ركض الأرض برجله عليه السّلام فانفلقت الأرض من منبر من ياقوت أحمر فارتقى إليه فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على نبيّه صلّى اللّه عليه و آله.

ثمّ قال عليه السّلام: غمّضوا أعينكم فغمضنا أعيننا فسمعنا حفيف أجنحه الملائكه بالتّسبيح و التّهليل و التحميد و التعظيم و التقديس، ثمّ قاموا بين يديه قالوا: مرنا بأمرك يا أمير المؤمنين و خليفه ربّ العالمين صلوات اللّه عليك.

فقال عليه السّلام يا ملائكه ربّى ائتونى بابليس الأبالسه و فرعون الفراعنه قال: فو اللّه ما كان بأسرع من طرفه عين حتّى أحضروه عنده فقال عليه السّلام: ارفعوا أعينكم، قال: فرفعنا أعيننا و نحن لا نستطيع أن ننظر إليه من شعاع نور الملائكه، فقلنا: يا أمير المؤمنين اللّه اللّه فى أبصارنا فما ننظر شيئا البته و سمعنا صلصله السّلاسل و اصطكاك الاغلال و هبّت ريح عظيمه فقالت الملائكه يا خليفه اللّه زد الملعون لعنه و ضاعف عليه العذاب فقلنا يا أمير المؤمنين اللّه اللّه فى أبصارنا و مسامعنا فو اللّه ما نقدر على احتمال هذا السّر و القدر قال: فلمّا

جرّه بين يديه قام و قال واويلاه من ظلم آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اويلاه من اجترائى عليهم ثمّ قال: يا سيّدى ارحمنى فانّى لا أحتمل هذا العذاب فقال عليه السّلام: لا رحمك اللّه و لا غفر لك أيّها الرّجس النّجس الخبيث المخبث الشّيطان.

ثمّ التفت عليه السّلام إلينا و قال: تعرفون هذا باسمه و حسبه؟ قلنا: نعم يا أمير المؤمنين فقال: سلوه حتّى يخبركم من هو، فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا إبليس الأبالسه و فرعون هذه الأمه، أنا الّذى جحدت سيّدى و مولاى أمير المؤمنين و خليفه ربّ العالمين و أنكرت آياته و معجزاته.

ثمّ قال أمير المؤمنين: غمّضوا أعينكم فغمضنا، فتكلّم عليه السّلام بكلام أخفى فاذا نحن فى الموضع الذى كنا فيه لا قصور و لا ماء و لا غدران و لا أشجار.

قال الاصبغ بن نباته رضى اللّه عنه: و الّذى أكرمنى بما رأيت من تلك الدلايل و المعجزات ما تفرّق القوم حتّى ارتابوا و شكّوا و قال بعضهم: سحر و كهانه و افك فقال أمير المؤمنين: إنّ بنى إسرائيل لم يعاقبوا و لم يمسخوا إلّا بعد ما سألوا الآيات و الدّلالات فقد حلّت عقوبه اللّه بهم و الآن حلّت لعنته فيكم و عقوبته عليكم، قال الأصبغ بن نباته رضى اللّه عنه: إنّى أيقنت أنّ العقوبه حلّت بتكذيبهم الدّلالات و المعجزات.

و منها

ما فى المجلد السّابع من البحار

من كتاب الاختصاص عن ابن أبى الخطاب عن موسى بن سعدان عن حفص الأبيض التّمار قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام أيّام قتل المعلّى بن خنيس و صلبه (ره) فقال عليه السّلام: يا حفص إنّى أمرت لمعلّى بن خنيس بأمر فخالفنى فابتلى بالحديد:

إنّى نظرت إليه يوما و هو كئيب حزين فقلت مالك يا معلّى كأنّك ذكرت أهلك و مالك و عيالك؟ فقال: أجل فقلت: ادن منّى فدنى منّى فمسحت وجهه فقلت: أين تراك؟ فقال: أرانى فى بيتى هذا زوجتى و هؤلاء ولدى فتركته حتّى تملاء منهم و استترت منه حتّى نال ما ينال الرّجل من أهله.

ص:۲۲۶

ثمّ قلت له: ادن منى، فمسحت وجهه فقلت أين تراك؟ فقال: أرانى معک بالمدينه و هذا بيتک فقلت له: يا معلّى إنّ لنا حديثا من حفظه علينا حفظه اللّه عليه دينه و دنياه، يا معلّى لا تكونوا اسراء فى أيدى النّاس بحديثنا إن شاءوا منّوا عليكم و إن شاءوا قتلوكم، يا معلّى إنّ من كتم الصّعب من حديثنا جعله اللّه نورا بين عينيه و رزقه اللّه العزّه فى النّاس، و من أذاع الصّعب من حديثنا لم يمت حتّى يعضّه السّلاح أو يموت بخيل، يا معلّى فأنت مقتول فاستعدّ.

و منها

ما فيه من الخرائج

قال: روى أبو القاسم بن قولويه عن محمّد بن يعقوب عن محمّد بن إدريس عن محمّد بن حسان عن علىّ بن خالد قال: كنت بالعسكر فبلغنى أنّ هناک رجلا محبوسا أتى من ناحيه الشام مكبولا و قالوا: إنّه تنبّأ، فأتيت الباب و داريت البوّابين حتّى وصلت إليه فاذا رجل له فهم و عقل فقلت له: ما قصّتک؟ قال:

إنّى كنت بالشّام أعبد اللّه فى الموضع الذى يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين عليه السّلام، فبينما أنا ذات ليله فى موضعى مقبل على المحراب أذكر اللّه إذ نظرت شخصا بين يدى فنظرت إليه، فقال لى: قم، فقمت معه فمشى بى قليلا فاذا أنا فى مسجد الكوفه قال: أتعرف هذا المسجد؟ قلت: نعم هذا مسجد الكوفه فصلّى و صلّيت معه ثمّ خرج و خرجت معه فمشى بى قليلا و إذا نحن بمسجد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فسلّم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سلّمت و صلّى و صلّيت معه، ثمّ خرج و خرجت معه فمشى بى قليلا و إذا نحن بمكّه و طاف بالبيت فطفت معه فخرج و مشى بى قليلا فاذا أنا فى موضعى الذى كنت أعبد اللّه فيه بالشّام و غاب الشخص عن عينى فتعجّبت ممّا رأيت.

فلمّا كان فى العام المقبل رأيت ذلک الشخص فاستبشرت به و دعانى فأجبته و فعل كما فعل فى العام الأوّل فلمّا أراد مفارقتى بالشام قلت: سألتک بالّذى أقدرک على ما رأيت من أنت؟ قال:

أنا محمّد بن علىّ بن موسى بن جعفر، فحدّثت من كان يصير إلىّ بخبره

فرقی ذلک إلی محمّد بن عبد الملک الزّیات فبعث إلیّ فاجلدنی و کبّلنی فی الحدید و حملنی إلی العراق و حبست کما تری و ادّعی علیّ المحال فقلت: أرفع عنک القصه إلیه؟ قال: ارفع فکتبت عنه قصّته شرحت امره فیها و دفعتها إلی الزّیات فوقّع فی ظهرها: قل للّذی أخرجک من الشّام فی لیله إلی الکوفه إلی المدینه إلی مکه أن یخرجک من حبسی.

قال علیّ بن خالد: فغمّنی ذلک من أمره و رققت له و انصرفت محزونا فلمّا أصبحت باکرت الحبس لاعلمه بالحال و آمره بالصّبر و العزاء فوجدت الجند و الحراس و صاحب السجن و خلقا کثیرا من النّاس یهرعون، فسألت عنهم و عن الحال فقیل إنّ المحمول من الشام المتنبّی فقد البارحه من الحبس فلا یدری خسف به الأرض أو اختطفته الطیر و کان هذا المرسل أعنی علیّ بن خالد زیدیّا فقال بالامامه، و حسن اعتقاده.

و منها

حدیث البساط المعروف

و رویته من نسخه قدیمه عندی قال الرّاوی: خبر من خزانه مولانا مفترض الطاعه علی الخلق أجمعین أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام.

حدّثنا أبو عبد اللّه بن زکریّا عن ابن جوهر بن الأسود عن محمّد بن سابغ یرفعه إلی سلمان الفارسی (رض) أنّه قال:

کنا جلوسا عند مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام ذات یوم أنا و ولدیه الحسن و الحسین علیهما السّلام و محمّد بن حنفیه و محمّد بن أبی بکر و عمّار بن یاسر و مقداد بن أسود الکندی فاذا التفت إلیه الحسن علیه السّلام و قال: یا أمیر المؤمنین إنّ سلیمان بن داود قال: فهب لی من لدنک ملکا لا ینبغی لأحد من النّاس و أعطاه اللّه تعالی ذلک، فهل ملکت شیئا من ملک سلیمان؟ فقال له أمیر المؤمنین: و الّذی فلق الحبّه و برء النّسمه لقد ملک أبوک ملکا لا یملک أحد قبله و لا بعده، فقال الحسن علیه السّلام: إنّا نحبّ أن ننظر مما ملّکه اللّه إیّاک من الملکوت لیزداد النّاس إیمانهم.

فقال علیه السّلام: نعم و کرامه و قام و صلّی رکعتین ثمّ ذهب إلی صحن داره و نحن نراه، فمدّیده نحو المغرب حتّی بان لنا من کفّه سحابه و هو یمدّها حتّی أوقفها علی الدّار، و إلی جانب تلک السحابه سحابه أخری، ثمّ أشار إلی ریح و قال اهبطی الینا أیّتها الرّیح فو اللّه العظیم لقد رأینا السّحاب و الرّیح قد هبطا یقولان:

نشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له و نشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله و نشهد أنّک وصیّ رسول کریم محمّد رسول اللّه و أنت ولیّه، من شکّ فیک فقد هلک و من تمسّک بک فقد سلک سبیل النّجاه.

ثمّ تطاطات السّحابتان حتّی صارتا کأنهما بساطان و رائحتهما کالمسک الأذفر فقال لنا أمیر المؤمنین علیه السّلام: اجلسوا علی الغمام فجلسنا و أخذنا مواضعنا.

ثمّ قال سلمان: إنّ أمیر المؤمنین قال: أیّتها الرّیح ارفعینا، فرفعتنا رفعا رفیعا فاذا نحن و أمیر المؤمنین فی تلک علی کرسیّ من نور و علیه ثوبان أصفران و علی رأسه تاج من یاقوته صفراء و فی رجلیه شراک من یاقوت یتلألأ و فی یده خاتم من درّه بیضاء یکاد نور وجهه یذهب الأبصار.

فقال له: یا أبتاه إنّ سلیمان بن داود کان یطاع بخاتمه و أمیر المؤمنین علیه السّلام بما ذا یطاع؟ فقال علیه السّلام یا ولدی أنا وجه اللّه، و عین اللّه، و لسان اللّه، و أنا ولیّ اللّه، و أنا نور اللّه، و أنا کنز اللّه فی الأرض، و أنا القدره المقدّره، و أنا الجنّه و النّار، و أنا سیّد الفریقین.

یا ولدی أتحبّ أن اریک خاتم سلیمان بن داود؟ قال: نعم، فأدخل یده تحت ثیابه و استخرج خاتما علیه فصّ من یاقوت مکتوب علیها أربعه أسطر، و قال:

هذا و اللّه خاتم سلیمان بن داود.

قال سلمان: فبقینا متعجّبا من ذلک فقال علیه السّلام من أیّ تعجبون و ما هذا العجب إنّی لأریناکم الیوم ما لم یره أحد قبلی إلی بعدی.

فقال الحسن علیه السّلام: یا أمیر المؤمنین إنّا نحبّ أن ترینا یأجوج و مأجوج و السّد فقال علیه السّلام: للرّیح سیری، فقال سلمان: فو اللّه لمّا سمعت الریح قوله دخلت تلک

السّحاب و رفعنا إلى الهواء حتّى أتينا إلى جبل شامخ فى الهواء و عليه شجره جافه و تساقط أوراقها فقلنا: ما بال هذه الشجره قد جفّت و ماتت، قال: سلوها فانها تخبركم فقال الحسن عليه السّلام: ما بالك أيّتها الشجره قد حلّ بك ما نراه منك؟ فما أجابت، فقال لها أمير المؤمنين: بحقّى عليك أيّتها الشجره أجبهم.

قال سلمان: فو اللّه لقد سمعناها و هى تقول لبّيك لبّيك يا وصىّ رسول اللّه و خليفته من بعده حقّا، فقال للحسن: يا با محمّد إنّ أباك أمير المؤمنين يجيئنى فى كلّ ليله و يسبّح عندى للّه عزّ و جلّ و يستظلّ بى فاذا فرغ من تسبيحه جائته غمامه بيضاء تفوح منها مسك و عليها كرسىّ فيجلس عليها ثمّ يسير به فلا أراه إلى وقته ذلك، و كان يتعاهدنى كلّ ليله و كنت أعيش من رائحته فقطعنى منذ أربعين ليله لم أعرف له خبرا و الذى تراه منّى ممّا أنكرته من فقده و الغمّ و الحزن فاسأله يا سيدى حتّى يتعاهدنى بجلوسه عندى فقد عشت من رائحته فى هذا الوقت و بنظرى إليه، قال: فبقينا متعجّبا من ذلك فقام عليه السّلام و مسح يده المباركه عليها قال سلمان: و اللّه الذى نفسى بيده لقد سمعت لها أنينا و أنا أراه و هى تخضر حتّى أنبتت ورقا و أثمرت بقدره اللّه عزّ و جلّ و ببركاته عليه السّلام، فأكلنا فكانت أحلى من السّكر، فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا عجب فقال عليه السّلام الّذى ترون بعدها أعجب ثمّ عاد عليه السّلام إلى موضعه و قال للرّيح: سيرى بنا، فدخلت الريح تحت السّحابه و رفعنا حتى رأينا الدّنيا بمثل دور الرأس و رأينا فى الهواء ملكا رأسه تحت الشمس و رجلاه فى قعر البحور و يده فى المغرب و الأخرى فى المشرق فلما خبرنا به قال: لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله و أنّك وصيّه حقّا لا شكّ فيك و من شكّ فيك فهو كافر.

فقلنا: يا أمير المؤمنين من هذا الملك و ما بال يده فى المغرب و أخرى فى المشرق؟ فقال عليه السّلام أنا أقمته باذن اللّه ههنا و وكلته بظلمات الليل و ضوء النّهار و لا يزال كذلك إلى يوم القيامه و إنّى أدبّر أمر الدّنيا و أصنع ما أريد باذن اللّه و أمره و اعمال الخلايق إلىّ و أنا أدفعها إلى اللّه عزّ و جل.

ص: ٢٣٠

ثمّ سار بنا حتى وقفنا على يأجوج و مأجوج؛ فقال عليه السّلام للريح اهبطى تحت هذا الجبل و أشار بيده إلى جبل شامخ إلى قرب السّد ارتفاعه مدّ البصر و إذا به سواد كانه قطعه ليله يفور منه دخان فقال عليه السّلام: يا با محمّد أنا صاحب هذا السّد على هؤلاء العبد.

فقال سلمان: فرأيتهم ثلاثه أصناف: صنف طوله مأئه و عشرون ذراعا من عرض ستّين ذراعا، و الصّنف الثانى طوله مأئه و سبعون ذراعا من عرض ثمانين ذراعا، و الصّنف الثالث أحدهم يفرش اذنه تحته و الأخرى فوقه.

ثمّ قال للريح: سيرى بنا إلى قاف فسارت بنا إلى جبل من ياقوته خضراء و هو محيط بالدّنيا و عليه ملك فى صوره بنى آدم و هذا الموكل بقاف فلما نزل الملك إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قال تريد أن تسألنى أن آذن لك فقد أذنت فأسرع الملك و قال: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ثمّ طار.

قال سلمان و طفنا فى ذلك حتى انتهينا إلى شجره جافه من الشجره الأولى فقلنا: يا أمير المؤمنين ما بال هذه الشّجره قد ماتت؟ فقال سلوها قال الحسن عليه السّلام: و قمت و دنوت أنا و أبى عليه السّلام و قلت لها اقسمت عليك بحقّ أمير المؤمنين أن تخبرينا ما بالك و أنت فى هذا المكان قال سلمان: فكلّمت بلسان طلق و هى تقول:

يا با محمّد إنّى كنت أفتخر على الأشجار فصارت الأشجار تفتخر علىّ و ذلك أنّ أباك كان يجيئنى فى كلّ ليله عند الثلث الأوّل من اللّيل يستظلّ بى ساعه ثمّ يأتيه فرس أدهم فيركبه و يمضى فلا أراه إلى وقته و كنت أعيش من رائحته و أفتخر به فقطعنى منذ أربعين ليله فغمّنى ذلك فصرت كما ترى.

فقلنا: يا أمير المؤمنين اسأل اللّه فى ردّها كما كانت فمسح يده المباركه ثمّ قال: يا شاه شاهان فسمعنا لها أنينا و هى تقول أشهد أنّك أمين هذه الأمّه و وصىّ رسول اللّه من تمسّك بك فقد نجا و من خالفك فقد غوى، ثمّ اخضرّت و اورقت فجلسنا تحتها و هى خضره نضره.

فقلنا اين ذهب هذا الملك الموكّل بقاف؟ قال عليه السّلام: إلى زياره الملك الموكل

على ظلمات اللّيل و ضوء النّهار فقلنا يا أمير المؤمنين ما يزالون عن مواضعهم إلّا باذنك؟ فقال عليه السّلام: و الذى رفع السّماء بغير عمد ما أظنّ أحدا يزول عن موضعه بغير إذنى إلّا احترق.

فقلنا: يا أمير المؤمنين كنت معنا جالسا فى منزلك فأىّ وقت كنت فى قاف؟ فقال عليه السّلام لنا: غمّضوا أعينكم فغمضناها ثمّ قال عليه السّلام: افتحوها، ففتحناها فاذا نحن قد بلغنا مكّه، فقال عليه السّلام: لقد بلغنا و لم يشعر أحد فكذلك كنت بقاف و لم يشعر أحد منكم.

فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا العجب من وصىّ رسول اللّه فقال: و اللّه إنّى أملك من الملكوت ما لو عاينتموه لقلتم أنت أنت، و أنا أنا و أنا عبد اللّه مخلوق من الخلايق آكل و أشرب.

ثمّ أتينا إلى روضه نضره كأنّها من رياض الجنّه فاذا نحن بشاب يصلّى بين قبرين، فقلنا يا أمير المؤمنين من هذا الشّاب؟ فقال أخى صالح و هذان قبر أبويه يعبد اللّه بينهما، فلمّا نظر إلينا صالح أتى إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يبكى، فلمّا فرغ من بكائه فقلنا ممّا تبكى؟ فقال: إنّ أمير المؤمنين كان يمرّ بى كلّ يوم عند الصّبح و كنت آنس به و أزداد فى العباده فقطعنى منذ أربعين يوما فأهمّنى ذلك و لم أملك من شدّه شوقى إليه و أصابنى ما تراه، فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا هو العجب من كلّ ما رأينا أنت معنا فى كلّ يوم و تأتى إلى هذا الفتى.

فقال عليه السّلام: أتحبّون أن ارينكم سليمان بن داود؟ فقلنا: نعم، فقام عليه السّلام و قمنا معه فمشينا حتى دخلنا إلى بستان لم نر قطّ مثله و فيه من جميع الفاكهه و الأنهار تجرى و الأطيار تتغنّى، فلما نظرت الأطيار إلى أمير المؤمنين عليه السّلام جعلت تظلّ على رأسه.

فاذا نحن بسرير عليه شابّ ملقى على ظهره و ليس فى يده خاتم و عند رأسه ثعبان و عند رجليه ثعبان فلمّا نظرا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام انكبّا على قدميه يمرغان وجوههما على التراب ثمّ صارا كالتّراب فقلنا:

يا أمير المؤمنين هذا هو سليمان؟ قال: نعم و هذا خاتمه ثمّ اخرج من يده الخاتم و جعله فى يد سليمان ثمّ قال: قم يا سليمان باذن من يحيى العظام و هى رميم و هو اللّه الذى لا إله إلاّ هو الحىّ القيّوم القهّار ربّ السّماوات و الأرضين ربّى و ربّ آبائنا الأوّلين.

قال سلمان: فسمعنا سليمان يقول: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه و لو كره المشركون، و أشهد أنّك وصىّ رسول اللّه الأمين الهادى، و إنّى سألت ربّى عزّ و جلّ أن أكون من شيعتك و لو لا ذلك ما ملكت شيئا.

قال سلمان: فلما سمعت ذلك و ثبت و قبّلت أقدام أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ نام سليمان و قمنا ندور فى قاف فسألته ما وراء قاف؟ فقال عليه السّلام وراءه أربعين دنيا كلّ دنيا مثل الدّنيا التى جئنا أربعين مرّه، فقلت له: يا أمير المؤمنين كيف علمك بذلك؟ قال عليه السّلام: كعلمى بهذه الدّنيا و من فيها و بطرف السّماوات و الأرضين.

يا سلمان كتبت على اللّيل فأظلم، و على النهار فأضاء، أنا المحنه الواقعه على الأعداء الطامّه الكبرى، أسماؤنا كتبت على العرش حتّى استند، و على السّماوات فقامت، و كتبت على الأرض فسكنت، و على الرّياح فذرت، و على البرق فلمع، و على النّور فسطع، و على الرّعد فخشع، و أسماؤنا مكتوبه على جبهه اسرافيل الّذى جناحه فى المشرق و المغرب و هو يقول: سبّوح قدّوس ربّ الملائكه و الرّوح.

ثمّ قال عليه السّلام لمّا اغمضوا أعينكم فغمضنا ثمّ قال عليه السّلام: افتحوها ففتحنا فاذا نحن بمدينه لم نر أكبر منها و إذا الأسواق بايره و أهلها قوم لم نر أطول منهم خلقا كلّ واحد كالنخله، فقلنا من هؤلاء القوم فما رأينا أعظم منهم خلقا؟ قال عليه السّلام:

هؤلاء قوم عاد و هم كفّار لا يؤمنون بيوم الميعاد و بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فأحببت أن ارينكم إيّاهم فى هذا الموضع و لقد مضيت بقدره اللّه تعالى، و اقتلعت مدينتهم و هى مداين الشّرق و أتيتكم بها و أنتم لا تشعرون، و أحببت أن أقاتل بين يديكم.

ص:٢٣٣

ثمّ دنا منهم فدعاهم إلى الايمان فأبوا فحمل عليه السّلام عليهم و حملوا عليه و نحن نراهم و لا يرونا فتباعد عنهم و دنا منا فمسح يده عليه السّلام على أبداننا و قلوبنا و قال:

ثبتوا على الايمان ثمّ مشى إليهم و دعاهم ثانيه إلى الايمان و نحن نراهم فأبوا ثمّ زعق زعقه.

قال سلمان: فو الّذى نفسى بيده لقد ظننت أنّ الأرض قد انقلبت و الجبال قد تدكدكت و رأيتهم صرعى كأعجاز نخل خاويه قال: لا اضعف ايمانكم.

قال لنا أتحبّون أن ارينكم ما هو أعجب من هذا؛ فقلنا: يا أمير المؤمنين مالنا قوّه و الحمد للّه الذى هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدى لو لا أن هدانا اللّه، فعلى من لا يؤمن بك لعنه اللّه و لعنه الملائكه و النّاس أجمعين.

ثمّ صاح عليه السّلام بالغمامه فاذا هى قد أقبلت فقال اجلسوا على السحابه فجلسنا و جلس هو على الأخرى ثمّ تكلّم بما لم نفهمه فما استتمّ كلامه حتّى طارت بنا فى الهواء، ثمّ رفعتنا حتى رأينا الدّنيا مثل دور الدراهم ثمّ حططنا دار أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى أقلّ من طرفه عين و أنزلنا و المؤذّن يؤذّن للظّهر و كنا مضينا عند طلوع الشمس، فقلنا هذا هو العجب كنّا فى قاف و قطعنا و رجعنا فى خمس ساعات، فقال أمير المؤمنين لو أردت أطوف بكم الدّنيا و جميع السماوات و الأرض فى أقلّ من مدّ البصر لفعلت بقدره اللّه تعالى و جلاله و بركه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنا وصيّه و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون.

فقال سلمان: قلنا: لعن اللّه من جحدك و غصب حقّك و ضاعف عليهم العذاب الأليم و جعلنا ممّن لا يفارق منك ساعه فى الدّنيا و الآخره بمحمّد و آله عليهم السّلام.

أقول: و رواه المحدّث العلّامه المجلسى طاب ثراه فى المجلّد السابع من البحار من كتاب المحتضر للشيخ حسن بن سليمان من كتاب منهج التحقيق إلى سوء الطريق لبعض علماء الاماميه باسناده عن سلمان الفارسى نحو ما رويناه و قال بعد ما أورده:

أقول: هذا خبر غريب لم نره فى الاصول التى عندنا و لا نردّها و نردّ علمها إليهم عليهم السّلام،

و منها

ما فى المجلّد الثّامن من البحار

من كتاب المحتضر عن بعض العلماء فى كتابه عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى قال: إنّ أمير المؤمنين كان يخرج فى كلّ جمعه ظاهر المدينه و لا يعلم أحد أين يمضى، قال فبقى على ذلک برهه من الزّمان، فلما كان فى بعض الليالى قال عمر بن الخطاب: لا بدّ من أن أخرج و ابصر أين يمضى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

قال: فقعد له عند باب المدينه حتى خرج و مضى على عادته فتبعه عمر و كان كلّما وضع علىّ عليه السّلام قدمه فى موضع وضع عمر رجله مكانها، فما كان إلّا قليلا حتى وصل إلى بلده عظيمه ذات نخل و شجر و مياه غزيره ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام دخل إلى حديقه بها ماء جار فتوضّأ و وقف بين النخل يصلّى إلى أن مضى من اللّيل أكثره.

و أمّا عمر فانّه نام فلما قضى أمير المؤمنين عليه السّلام وطره من الصّلاه عاد و رجع إلى المدينه حتى وقف خلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صلّى معه الفجر فانتبه عمر فلم يجد أمير المؤمنين فى موضعه فلما أصبح رأى موضعا لا يعرفه و قوما لا يعرفهم و لا يعرفونه فوقف على رجل منهم.

فقال له الرجل: من أنت و من أين أنت؟ فقال عمر: من يثرب مدينه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال له الرّجل: يا شيخ تأمل أمرک و ابصر ما تقول فقال: هذا الذى أقوله لک قال الرّجل: متى خرجت من المدينه؟ قال: البارحه قال له: اسكت لا يسمع الناس منک فتقتل أو يقولون هذا مجنون، فقال: الّذى أقول حقّ.

فقال له الرّجل: حدّثنى كيف حالک و مجيئک إلى ههنا؟ فقال عمر:

كان علىّ بن أبى طالب فى كلّ ليله جمعه يخرج من المدينه و لا نعلم أين يمضى فلمّا كان فى هذه اللّيله تبعته و قلت اريد أن أبصر أين يمضى فوصلنا إلى ههنا فوقف

ص:۲۳۵

يصلى و نمت و لا أدرى ما صنع.

فقال له الرّجل: ادخل هـذه المـدينه و أبصـر الناس و اقطع أيامك إلى ليله الجمعه فما لك أن يحملك إلى الموضع الّذى جئت منه إلّا الرّجل الـذى جاء بك، فبيننا و بين المدينه أزيد من مسيره سـنتين فاذا رأينا من يرى المدينه و رأى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم تتبرّك به و نزوره و فى بعض الاحيان نرى من أتى بك فتقول أنت قد جئتك فى بعض ليله من المدينه.

فـدخل عمر إلى المـدينه فرأى النّاس كلّهم يلعنون ظالمى أهل بيت محمّـد صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و يسمّونهم بأسـمائهم واحدا واحدا و كلّ صاحب صـناعه يقول ذلك و هو على صـناعته، فلما سمع عمر ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت و طالت عليه الأيّام.

حتّى جاء ليله الجمعه فمضـى إلى ذلـك المكان فوصل أمير المؤمنين عليه السّـلام إليه على عادته فكان عمر يترقّبه حتى مضـى معظم اللّيل و فرغ من صـلاته و همّ بالرّجوع فتبعه عمر حتّى و صـلا الفجر المـدينه، فدخل أمير المؤمنين عليه السّـلام المسـجد و صلّى خلف رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و صـلّى عمر أيضا ثمّ التفت النّبىّ إلى عمر فقال: يا عمر أين كنت اسبوعا لا نراك عنـدنا فقال عمر: يا رسول اللّه كان من شأنى كذا و كذا و قصّ عليه ما جرى له فقال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لا تنس ما شاهدت بنظرك فلمّا سأله من سأله عن ذلك فقال نفذ فىّ سحر بنى هاشم.

قال المجلسى (ره) أقول: هذا حديث غريب لم أره إلّا فى الكتاب المذكور، هذا.

و غرايب شـئوناتهم عليهم السّلام متجاوزه عن حدّ الاحصاء و لو أردت ذكر يسير من كثير لصار كتابا كبير الحجم و فيما أوردته كفايه للمستبصر و هدايه للمهتدى، و اللّه العالم الخبير بمقامات حججه و أوليائه الكرام عليهم الصّلاه و السّلام.

الترجمه

پس كـدام راه مى رويـد اى مردمان گمراه، و كجا بازگردانيده مى شويد اى خلق تباه، و حال آنكه علامات هدايت برپا است، و آيـات قـدرت روشن و هويـداست و مغارهـاى بلنـد پـايه بجهت هـدايت مركوز و منصوبست، پس كجا حيران گردانيـده مى شويد در تباهى، بلكه چگونه متردّد مى باشيد در گمراهى و حال آنكه در ميان

ص:۲۳۶

شما است اهل بیت پیغمبر شما و ایشان زمامهای حق اند و زبانهای صدق، پس نازل نمائید ایشان را در نیکوترین منزلهای قرآن، و وارد شوید بایشان مثل وارد شدن شتران عطشان بآب فرات و روان.

ای مردمان اخذ نمائید این روایت را از حضرت خاتم الأنبیاء علیه التحیه و الثّناء، بدرستی که می میرد کسی که مرد از ما و حال آنکه مرده نیست بحقیقت و می پوسد آنکه پوسیده از ما و حال آنکه پوسیده نیست در واقع، پس قائل نشوید بچیزی که معرفت ندارید بآن زیرا که أکثر حق در آن چیزیست که شما انکار می نمائید آنرا و معذور دارید شخصی را که حجت نیست شما را بر او و منم آن شخص.

آیا عمل نکردم در میان شما ببار گران بزرگتر که عبارت است از قرآن، و آیا نگذاشتم در میان شما بار گران کوچکتر که عبارتست از عترت سیّد البشر، و مرکوز ساختم در میان شما رایت ایمان و اسلام را، و واقف گردانیدم شما را بحدود حلال و حرام، و پوشانیدم بشما لباس عافیت را از عدل و انصاف خود، و گسترانیدم از برای شما بساط امر معروفرا از گفتار و کردار خود، و بنمودم بشما خلقهای پسندیده از نفس خود، پس استعمال نکنید رأی های خود را در آنچه که درک نمی نماید نهایت آنرا بصر، و سرعت نمی تواند کند بسوی آن فکرهای ارباب فکر و نظر، و آن عبارتست از مقامات نورانیّه ائمه أنام علیهم الصلاه و السّلام.

الفصل الرابع

اشاره

منها حتّی یظنّ الظّانّ إنّ الدّنیا معقوله علی بنی أمیّه، تمنحهم درّها، و توردهم صفوها، و لا یرفع عن هذه الامّه سوطها و لا سیفها، و کذب الظّانّ لذلک، بل هی مجّه من لذیذ العیش یتطعّمونها برهه، ثمّ یلفظونها جمله.

ص:۲۳۷

اللغه

(عقلت) البعير عقلا من باب ضرب حبسته بعقال و (منح) زيد عمرا يمنح من باب منع أعطاه و منه المنحه بالكسر و هی الشاه أو النّاقه المعاده للبنها و (الدّر) فی الأصل اللّبن ثمّ استعمل فی كلّ خیر و نفع و منه قولهم: للّه درّه و (مجّ) الشّراب من فیه محبّا قذفه و رماه و انمجّت نقطه من القلم ترششت، و المجّه فی النسخ بفتح المیم و الأنسب أن یكون بالضّم و هو علی ما فی القاموس نقط العسل علی الحجاره و (البرهه) مدّه من الزّمان لها طول.

الاعراب

حتّی لانتهاء الغایه و قد حذف المغیّا و ترک ذکره فی الكتاب، و الواو فی قوله: و كذب الظّان حالیه، و جمله یتطعّمونها فی محلّ الرفع صفه لمجّه.

المعنی

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعتزلی أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طویله حذف السیّد منها كثیرا و لم أعثر بعد علی تمامها، و هذا الفصل من جمله أخباره الغیبیّه مسوق لبیان حال بنی أمیّه لعنهم اللّه و ابتلاء الخلق بهم، و لعلّ ما قبل هذا الفصل انّه:

یلیكم ولاه سوء یتمادون فی الطّغیان و الغفله، و یكون النّاس بهم فی طول عناء و شدّه (حتّی یظنّ الظانّ أنّ الدّنیا معقوله علی بنی أمیّه) أی محبوسه فی أیدیهم لا تتجاوز عنهم إلی غیرهم كالناقه المحبوسه بالعقال (تمنحهم درّها و توردهم صفوها) أی تعطیهم منفعتها و تبذلهم صافی فوایدها كما أنّ المنحه تعطی لبنها لحالبها و تبذله له (و لا یرفع عن هذه الامه سوطها و لا سیفها) أی لا یرفع عن الامّه عذاب الدّنیا بهم و تجوّز بلفظ السوط و السّیف عن القتل و الاستیصال و العذاب لكونهما آلتین لهما (و كذب الظّانّ لذلک) فی ظنّه و زعمه (بل هی مجّه من

لذیـذ العیش) ای حقیره قلیله کـالریقه التی تمـجّ من الفم (یتطعّمونهـا برهه) من الزمـان و یلتـذّون بها مـدّه ملکهم و امارتهم(ثمّ یلفظونها جمله)أی یرمونها بکلّیتها و هو کنایه عن زوالها عنهم بالمرّه.

أقول: و قـد کان الأمر علی ما أخبر به الامام علیه السّـلام فانّ بنی امیّه قـد تسـلّطوا علی العباد، و تملّکوا البلاد، و نهبوا الأموال، و قتلوا الرّجـال، و أراقوا دماء الشّـیعه بکلّ بلـده، و قطعوا الأیـدی و الأرجل علی الظّنه، و لم یخرج علیهم خارج إلاّ و ظفروا علیه و قهروه، و لم یقم لازاله ملکهم قائم إلاّ و غلبوا علیه و قتلوه، حتّی ظنّ الناس أنّ الـدّنیا معقوله علیهم، و سلطنتها دائمه فی حقّهم، فأذن اللّه فی هلاکهم و أراد زوال ملکهم فاختلفت کلمتهم و تضعضع أمرهم فزالت دولتهم:

«کَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّیحُ فِی یَوْمٍ عاصِفٍ » و قد کانت مدّه ملک السّلطنه ألف شهر علی ما أخبر اللّه به نبیّه صلّی اللّه علیه و آله.

کما قال الصّادق علیه السّـلام فی روایه الکافی: أری رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی منامه أنّ بنی أمیّه یصعدون علی منبره من بعده و یضـلّون النّاس عن الصراط القهقری فأصبح کئیبا حزینا قال علیه السّلام: فهبط علیه جبرئیل فقال: یا رسول اللّه ما لی أراک کئیبـا حزینـا قـال: یا جبرئیل إنّی رأیت بنی أمیّه فی لیلتی هـذه یصـعدون منبری یضـلّون الناس عن الصّـراط القهقری، فقال: و الّذی بعثک بالحقّ نبیّا إنی ما اطلعت فعرج إلی السّماء فلم یلبث أن نزل علیه بآی من القرآن یونسه بها:

قـالَ «أَ فَرَأَیْتَ إِنْ مَتَّعْنـاهُمْ سِـنِینَ ثُمَّ جـاءَهُمْ مـا کـانُوا یُوعَـدُونَ مـا أَغْنی عَنْهُمْ ما کانُوا یُمَتَّعُونَ » و أنزل علیه: «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْراکَ ما لَیْلَهُ الْقَدْرِ لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ».

ملک بنی امیّه و بمعناه أخبار اخر.

الترجمه

این فصل متضمن اخبار از ابتلاء اهل روزگار به بنی امیّه کجرفتار و زوال ملک از آن طایفهٔ بدکردار است می فرماید:

تا این که گمان میکنـد گمان کننـده این که دنیا محبوس است و مربوط به بنی أمیه در حالتی که نشان می دهد بایشان منفعت خود را، و وارد میکنـد ایشـان را بـآب صافی خود، و رفع نمی شود از این امت تازیانـهٔ دنیا و نه شمشـیر آن و حال آنکه دروغ گفت گمـان برنـده آن یعنی ظن او بـدوام دولت بنی أمیّه فاسـد است بلکه آن دولت ایشـان چیز قلیـل و حقیری است از لـذت زنـدگانی بمنزلـهٔ آبی که از دهن می اندازند، ملتذ میشوند با آن زمانی پس بیندازند آنرا بالمرّه چون انداختن لقمه از دهان، و این کنایه است از زوال ملک ایشان بالکلّیه.

و من خطبه له علیه السّلام و هی السّابعه و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و هی مرویّه فی کتـاب الرّوضه من الکـافی باختلاـف کـثیر تطلع علیه إنشـاء اللّه بعـد الفراغ من شـرح مـا أورده السـید (ره) فی الکتاب و هو قوله علیه السّلام:

أمّا بعد فإنّ اللّه سبحانه لم یقصم جبّاری دهر قطُّ إلّا بعد تمهیل و رخاء، و لم یجبر عظم أحد من الامم إلّا بعد أزل و بلاء، و فی دون ما استقبلتم من عتب، و استدبرتم من خطب معتبر، و ما کلّ ذی قلب بلبیب، و لا کلّ ذی سمع بسمیع، و لا کلّ ذی ناظر

ببصير، فيا عجبا و ما لى لا أعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها، لا يقتصّون أثر نبىّ، و لا يقتدون بعمل وصى، لا يؤمنون بغيب، و لا يعفون عن عيب، يعملون فى الشّبهات، و يسيرون فى الشّهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، و المنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم فى المعضلات إلى أنفسهم، و تعويلهم فى المبهمات على آرائهم، كأنّ كلّ امرىء منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى و ثقات و أسباب محكمات.

اللغه

(قصمه) يقصمه من باب ضرب كسره و ابانه أو كسره و ان لم يبن و (الجبار) كلّ عات و (مهّله) تمهيلا أجّله و (رخى) العيش و رخو بالياء و الواو رخاوه من باب تعب و قرب إذا اتّسع فهو رخىّ على وزن فعيل و الرّخا اسم منه، و فى بعض النسخ الارجاء بالجيم من باب الافعال و هو التّأخير فيكون عطفه على التّمهيل من باب التوضيح و التّفسير و (جبرت) العظم جبرا من باب قتل أصلحته و (الأزل) الضّيق و الشّده و (العتب) بالسّكون الموجده و يروى بفتح التّاء و هو الشدّه و الأمر الكريه و (الخطب) الأمر المعظم كما فى قوله: فما خطبك يا سامرىّ، و يروى من خصب بالصاد المهمله و هو السّعه و رخاء العيش.

و فى بعض النّسخ استقبلتم من خطب و استدبرتم من عتب، و فى بعض النسخ فيا عجبى بالاضافه إلى ياء المتكلّم (يقتصّون) و ما بعده من الأفعال فى بعض النسخ بصيغه المذكر باعتبار المعنى و فى بعضها بصيغه التأنيث باعتبار ملاحظه لفظ الفرقه و عود الضمير فيها إليها و (عفّ) يعفّ من باب ضرب عفّا و عفافا و عفافه بفتحهنّ

و عفّه بالكسر فهو عفّ و عفيف كفّ عما لا يحلّ و امتنع عنه.

و فى بعض النسخ يعفون بسكون العين و التخفيف من العفو و هو الفصح و ترك عقوبه المستحق و (المعضلات) فى النسخ بفتح الضاد و كذلك فى الخطبه السابقه و المضبوط فى القاموس و الأوقيانوس بصيغه الفاعل و هى الشدائد من أعضل الأمر إذا اشتدّو (العرى) جمع العروه كمديه و مدى و هو ما يستمسك به الشيء و منه عروه الكوز لمقبضه و اذنه و(السبب)الحبل و ما يتوصّل به إلى الاستعلاء «الغير ظ» ثمّ استعير لكلّ شيء يتوصّل به الى أمر من الأمور.

الاعراب

قطّ من ظروف الزّمان و معناه الوقت الماضى عموما و لا يستعمل إلّا بمعنى أبدا و الغالب استعماله فى الماضى المنفىّ و قد يستعمل بدون النّفى لفظا و معنى، نحو كنت أراه قطّ أى دائما و قد استعمل بدونه لفظا لا معنى، نحو هل رأيت الذّئب قطّ و هو مبنىّ لأنّ بعض لغاته على وضع الحروف و بنائه على الضمّ حملا على أخيه عوض لأنّ عوض للمستقبل المنفىّ و هو للماضى المنفىّ و بنى عوض على الضمّ لانقطاعه عن الاضافه كقبل و بعد قال الرّضى: الأولى أن يقال بنى لتضمّنه لام الاستغراق لزوما لاستغراقه جميع الماضى بخلاف أبدا فليس الاستغراق لازما لمعناه، ألا ترى إلى قولهم: طال الأبد على أبد، و دون ظرف مبنىّ على الفتح يقال هذا دون ذلك أى أقرب منه، و منه المثل دونه خرط القتاد، و عجبا إما منصوب على النّداء و التنوين عوض عن المضاف إليه أى يا عجبى احضر، أو منتصب على المصدر أى يا نفس أعجب عجبا، و ما استفهاميه و من خطاء إما متعلّق بعجبا أو أعجب على سبيل التنازع، و على اختلاف إما بمعنى اللّام كما فى قوله:

«وَ لِتُكَبِّرُوا اللّهَ عَلى ما هَداكُمْ ».

فتكون علّه للخطاء، و إمّا بمعنى مع كما فى قوله تعالى:

ص:۲۴۲

«وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ ».

بناء على عود الضّمير فی حبّه إلی الطعام دون اللّه سبحانه، و یحتمل أن یکون للاستعلاء المجازی و المتعلّق محذوف و التقدیر من خطاء هذه الفرق مبتیا علی اختلاف حججها، و فی دینها متعلّق بالخطاء، و جمله لا یقتصّون استیناف بیانیّ مسوق لبیان جهه الخطاء أو جهه الاختلاف علی سبیل منع الخلوّ فافهم جیّدا، و تحتمل الحالیه و الأوّل أظهر، و کانّ کلّ امرء من حروف المشبّهه و فی بعض النّسخ بحذفها و اسقاطها، قال الشّارح المعتزلی و هو حسن أقول: بل اثباتها أحسن و یظهر وجهه بالتّامّل.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ مقصوده علیه السّلام بهذه الخطبه توبیخ النّاس و ذمّهم علی اختلافهم فی الدّین و عدولهم عن الامام المبین و استبدادهم بالآراء و اعتمادهم علی الأهواء فمهّد علیه السّلام أوّلا مقدّمه متضمّنه للتّخویف و التّحذیر و التّنبیه و التّذکیر و قال:

(أمّا بعد) حمد اللّه و الثّناء علیه و الصلاه علی رسوله و آله (فانّ) عاده (اللّه سبحانه) قد جرت فی القرون الخالیه و الامم الماضیه علی أنّه (لم یقصم جبّاری دهر قط) و لم یکسر عظام أحد منهم و لم یهلکهم (إلّا بعد تمهیل و رخاء) أفلم تر أولاد سبا فلقد آتاهم اللّه سوابغ الآلاء و روافغ النّعماء و کان لهم فی مسکنهم جنتان.

«کُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّکُمْ وَ اشْکُرُوا لَهُ بَلْدَهٌ طَیِّبَهٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا ».

فأرسل علیهم سیل العرم و مزّقهم بما کفروا کلّ ممزّق.

«إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبّارٍ شَکُورٍ ».

أ و لم تر إلی شدّاد بن عاد کیف بنی:

«إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ اَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ »... «وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ » الـذى طغى فى البلاد و من حـذا حـذوهما ممّن ملك الرّقاب و تسلّط على العباد فأكثر فيهم الفساد.

«فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ » «إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ ».

و مقصوده عليه السّلام بهذا الكلام إنذار من قصده بالافهام من أهل زمانه و تحذيرهم من الانغماس فى الغفله و الافتتان بالرخاء و الدّعه و الاغترار ببضاضه الشّباب و غضاره الصّحه كيلا يلحقهم ما لحق من قبلهم و لا يأخذهم ربّهم بسوء فعلهم فيكونوا عبره لمن بعدهم (و لم يجبر عظم أحد من الامم) و لم يظهرهم على عدوّهم (إلّا بعد أزل و بلاء) و ضيق و عنا.

و تصديق ذلك فى الامم الماضيه بما وقع لبنى اسرائيل من فرعون حيث جعلهم فى الأرض شيعا يذبّح أبنائهم و يستحيى نسائهم و فيه بلاء مبين فلما تمّت البليّه و عظمت الرزيه جبر اللّه كسرهم و شدّ أزرهم و أغرق فرعون و جنوده أجمعين و منّ على الّذين استضعفوا فى الأرض و جعلهم أئمّه و جعلهم الوارثين.

و فى الأمه المرحومه بما وقع يوم الأحزاب عند اجتماع العرب الأتراب إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا و قالوا هذا ما وعدنا اللّه و رسوله و صدق اللّه و رسوله و ما زادهم إلّا إيمانا و تسليما و قال المنافقون ما وعدنا اللّه و رسوله إلّا غرورا فلما ابتلوا بذاك و أيقنوا بالقتل و الهلاك أنعم اللّه عليهم و أعانهم بريح و جنود لم يروها و كان اللّه قويّا عزيزا.

و فى هذا الكلام تنبيه على الثبات و الصبر و رجاء الظّفر و النّصر و عدم اليأس من روح اللّه و القنوط من رحمه اللّه عند ضيق المسالك و التقحّم فى المهالك، هذا.

و يحتمل أن يكون مقصوده عليه السّلام بالفقره الأولى أعنى قوله: لم يقصم جبّارى

ص:۲۴۴

دهراه الاشاره إلى مآل حال معاويه و أمثاله من جبابره دهره عليه السّلام و الباغين عليه من طلحه و الزّبير و من حذا حذوهما من العتاه، و التنبيه على أنّ اللّه يقصم ظهرهم و يكسر صولتهم و يسلبهم ملكهم و دولتهم و إن طالت مدّتهم و شوكتهم كما قال تعالى:

«أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ ».

و بالفقره الثانيه أعنى قوله و لم يجبر عظم أحداه تسلّى همّ أصحابه و كأبتهم بالوهن و الضعف و الضّنك و الضّيق الذى أصابهم من المتخلّفين و معاويه و أصحابه و حثّهم على الاتفاق و الايتلاف و تحذيرهم من التّفرق و الاختلاف، إذ فى الاجتماع رجاء النّصره و الاختلاف مظنه المغلوبيه.

و يؤيد هذا الاحتمال فى الفقرتين و يعاضده التّأمل فى ساير فقرات الخطبه على روايه الرّوضه الآتيه (و فى دون ما استقبلتم من عتب و استدبرتم من خطب معتبر) يحتمل أن يكون المراد بالعتب الذى استقبلوه عتابه عليه السّلام و موجدته عليهم بتشتّت الآراء و تفرّق الأهواء، و هو على روايه العتب بسكون التّاء، و بالخطب الذى استدبروه الامور المعظمه و الملاحم التى وقعت بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم السّقيفه و يوم الشورى و يوم الدّار و أن يكون المراد بالعتب الشدائد و الكرايه التى أصابتهم من المتخلّفين و هو على روايه العتب بفتح التّاء و بالخطب الأهوال التى كانوا يرونها من المشركين فى بدء الاسلام حيث كانوا قليلين و كان المشركون كثيرين فأيّدهم اللّه بنصره بالتأليف بين قلوب المؤمنين و أظهرهم على الكافرين.

(و) كيف كان فهو عليه السّلام يقول: إنّ فيما استقبلتم و استدبرتم من الامور المفيده للاتّعاظ و الاعتبار لعبره لأولى الفهم و العقل و الذكاء، و موعظه لذوى الأبصار و الأسماع، و إنّما يتذكر اولو الألباب، و يعتبر السّميع البصير المميّز للقشر من اللّباب، لأنّهم

المنتفعون بالعبر و الحائزون قصب السّبق فی مضمار الاعتبار بصحیح النّظر إذ (ما کلّ ذی قلب بلبیب و لا کلّ ذی سمع بسمیع و لا کلّ ذی ناظر ببصیر) فربّ قوم لهم أرجل لا یمشون بها، و لهم أید لا یبطشون بها، و لهم عقول لا یفقهون بها، و لهم آذان لا یسمعون بها، و لهم أعین لا یبصرون بها، و فی ذلک تحریص علی الاتّعاظ و الاعتبار و ترغیب فی الازدجار و الادّکار (فیا عجبا و ما لی لا أعجب من خطاء هذه الفرق علی اختلاف حججها) و أدلّتها (فی دینها) تعجّب علیه السّلام من اختلاف الفرق و خطائهم فی الدّین و افتراقهم فی شرع سیّد المرسلین اعتمادا منهم علی أدلّتهم المتشتّته و حججهم المختلفه، و اتّکالا علی اصولهم الّتی أصّلوها و قواعدهم التی فصّلوها، و استبدادا منهم بعقولهم الفاسده و آرائهم الکاسده.

و بیّن علیه السّلام جهه الخطاء و الاختلاف بأنّهم (لا یقتصّون أثر نبیّ) لأنّهم لو اقتصّوه و اتّبعوه لما اختلفوا إذ ما جاء به النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم واحد و شرعه واحد و کتابه واحد فلو اقتفوه لا تّفقوا و أصابوا حسبما مرّ توضیحه فی الکلام الثّامن عشر و شرحه (و لا یقتدون بعمل وصیّ) إذ الوصیّ مقتد فی عمله بالنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلو اقتدوا به لکانوا مقتدین بالنّبیّ و به مهتدین و لم یکن هناک اختلاف و خطاء حسبما عرفت آنفا و حیث اختلفوا علم أنّهم کانوا تارکین اثره غیر مقتدین عمله و یوضح ذلک ما فی غایه المرام من أمالی الشّیخ مسندا عن المجاشعی عن الرّضا عن آبائه علیه السّلام قال: سمعت علیّا علیه السّلام یقول لرأس الیهود: علی کم افترقتم؟ فقال: علی کذا و کذا فرقه، فقال علیّ علیه السّلام: کذبت، ثمّ أقبل علی الناس و قال: و اللّه لو ثنّیت لی الوساده لقضیت بین أهل التوراه بتوراتهم و بین أهل الانجیل بإنجیلهم و بین أهل القرآن بقرآنهم، افترقت الیهود علی أحد و سبعین فرقه سبعون منها فی النّار و واحده ناجیه فی الجنه و هی التی اتّبعت یوشع بن نون وصیّ موسی، و افترقت النّصاری علی اثنتین و سبعین فرقه إحدی و سبعون فرقه فی النّار و واحده فی الجنه و هی التی اتّبعت شمعون وصیّ عیسی (علیه السلام)، و تفترق هذه الامّه علی ثلاث

و سبعين اثنتان و سبعون فرقه فى النار و واحده فى الجنّه و هى الّتى اتّبعت وصىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ضرب بيده على صدره ثمّ قال عليه السّلام ثلاث عشره فرقه من الثلاث و سبعين فرقه كلّها تنتحل مودّتى و حبّى واحده منها فى الجنّه و هم النمط الأوسط و اثنتا عشره فى النّار.

و (لا يؤمنون بغيب) المراد بالغيب إمّا القرآن الّذى يصدّق بعضه بعضا.

«وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً » و إمّا مطلق ما غاب من الحواسّ من توحيد اللّه و نبوّه الأنبياء و ولايه الأوصياء و الرجعه و البعث و الحساب و الجنّه و النّار و ساير الأمور التى يلزم الإيمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهده و إنّما يعرف بالبراهين و الأدلّه الّتى نصبها اللّه عليه، و على أىّ تقدير فانتفاء الايمان بالغيب أيضا من أسباب اختلاف الفرق و جهات خطائها فى المذاهب إذ لو كانوا يؤمنون بالغيب و به مذعنين لكانوا مهتدين إلى الحقّ و الصّواب فى كلّ باب فان:

«هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ » و «ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ».

(و لا يعفون عن عيب) إذ ملكه العفاف و الوقوف عند المحرّمات و الشّبهات مانعه عن الاستبداد بالآراء التى نشأت منها الفرقه و الاختلاف موجبه للفحص عن الحقّ و الاهتداء إلى صوب الصّواب، و حيث لم يكن لهم عفاف و حايطه فى الدّين لم يبالوا فى أىّ واد يهيمون، و على روايه لا يعفون بالتخفيف فالمراد به عدم العفو عن عيوب النّاس، و على هذه الرّوايه فهو من فروعات الخطاء فى الدّين إذ العفو عن عيوب المذنبين من صفات المتّقين و المصيبين من المؤمنين كما شهد به الكتاب المبين:

«وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ »

ص:۲۴۷

«أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرّاءِ وَ الضَّرّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النّاسِ وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ».

(يعملون فى الشّبهات) أى لا يقفون فى ما اشتبه عليهم أمره و لا يبحثون عن وجه الحقّ فيه بل يعملون فيه بما أدىّ هواهم إليه و إليه الاشاره فى قوله تعالى:

«وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَهٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهٌ ما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ » و فى قوله: «هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ».

روى فى الوسائل من تفسير علىّ بن إبراهيم عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى تفسير الآيه الأولى قال عليه السّلام: هؤلاء أهل البدع و الشّبهات و الشّهوات يسوّد اللّه وجوههم يوم يلقونه.

و عنه عن أبى جعفر عليه السّلام فى تفسير الآيه الثّانيه قال: هم النّصارى و القسّيسون و الرّهبان و أهل الشّبهات و الأهواء من أهل القبله و الحروريّه و أهل البدع.

(و يسيرون فى الشّهوات) لما لاحظ عليه السّلام ميل طباعهم إلى اللّذات الدّنيويه و انهماكهم فى الشّهوات النفسانيه قاطعين مراحل الأوقات بالتّلذّذ بتلك اللّذات و الشّهوات لا جرم جعل الشّهوات بمنزله طرق مسلوكه و جعل اشتغالهم بها بمنزله السّير فى تلك الطرق (المعروف فيهم ما عرفو) ه بعقولهم الفاسده و إن لم يكن معروفا فى الشريعه (و المنكر عندهم ما أنكروا) ه بآرائهم الكاسده و إن لم يكن منكرا فى الحقيقه (مفزعهم فى المعضلات إلى أنفسهم) دون الأئمّه الذين يهدون بالحقّ و به يعدلون (و تعويلهم فى المبهمات على آرائهم) دون أهل الذكر الذين أمر بسؤالهم بقوله:

«فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ » (كان كلّ امرىء منهم امام نفسه) و كأنّ دليل كلّ واحد منهم رأيه و هواه (قد أخذ منها فيما يرى) و يظنّ (بعرى و ثقات) لا انفصام لها (و اسباب محكمات) لا يضلّ من تمسّك بها و إنّما مثلهم فى ذلك:

«كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ »

تكلمه

هذه الخطبه مرويّه فى كتاب الرّوضه من الكافى باختلاف كثير عن أحمد بن محمّد الكوفى عن جعفر بن عبد اللّه المحمّدى عن أبى روح فرج بن قره عن جعفر بن عبد اللّه عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السّلام بالمدينه فحمد اللّه فأثنى عليه و صلّى على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله ثمّ قال عليه السّلام:

أمّا بعد فانّ اللّه تبارك و تعالى لم يقصم جبّارى دهر إلاّ من بعد تمهيل و رخاء، و لم يجبر كسر عظم من الامم إلاّ بعد أزل و بلاء، أيّها النّاس فى دون ما استقبلتم من خطب و استدبرتم من خطب معتبر، و ما كلّ ذى قلب بلبيب، و لا كلّ ذى سمع بسميع، و لا كلّ ذى ناظر عين ببصير.

عباد اللّه أحسنوا فيما يعنيكم النّظر فيه ثمّ انظروا إلى عرصات من قد أفاده اللّه بعلمه كانوا على سنّه من آل فرعون أهل جنّات و عيون و زروع و مقام كريم، ثمّ انظروا بما ختم اللّه لهم من النّضره و السّرور و الأمر و النّهى و لمن صبر منكم العاقبه فى الجنان و اللّه مخلّدون و للّه عاقبه الأمور.

فيا عجبا و ما لى لا أعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها لا يقتفون أثر نبىّ و لا يقتدون بعمل وصىّ و لا يؤمنون بغيب و لا يعفون عن عيب، المعروف فيهم ما عرفوا، و المنكر عندهم ما أنكروا، و كلّ امرء منهم امام نفسه و اخذ منها فيما يرى بعرى وثيقات و أسباب محكمات فلا يزالون بجور و لم «لن - خ ل»

يزدادوا إلّا خطاء لا ينالون تقرّبا و لن يزدادوا إلّا بعدا من اللّه عزّ و جلّ انس بعضهم ببعض و تصديق بعضهم لبعض، كلّ ذلک وحشه مما ورّث النّبيّ الأمّى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نفورا ممّا أدّى إليهم من أخبار فاطر السّماوات و الأرض.

أهل حسرات و كهوف شبهات، و أهل عشوات و ضلاله و ريبه، من وكله اللّه إلى نفسه و رأيه فهو مأمون عند من يجهله غير المتّهم عند من لا يعرفه، فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها.

و وا أسفا من فعلات شيعتى من بعد قرب مودّتها اليوم كيف يستذلّ بعدى بعضها بعضا، و كيف يقتل بعضها بعضا، المتشتّته غدا عن الأصل النّازله بالفرع المؤمّله الفتح من غير جهه، كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه.

إنّ اللّه و له الحمد سيجمع هؤلاء لشرّ يوم لبنى أميّه كما يجمع قزع الخريف يؤلّف بينهم ثمّ يجعلهم ركاما كركام السّحاب، ثمّ يفتح لهم أبوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين سيل العرم، حيث بعث عليهم فاره فلم يثبت عليه اكمّه و لم يردّ سننه رضّ طود يذعذهم اللّه فى بطون أوديه ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، و يمكّن من قوم لديار قوم، تشريدا لبنى اميّه، و لكيلا يغتصبوا ما غصبوا، يضعضع اللّه بهم ركنا و ينقض اللّه بهم طىّ الجنادل من ارم و يملاء منهم بطنان الزّيتون.

فو الذى فلق الحبّه و برء النسمه ليكوننّ ذلک و كأنّى أسمع صهيل خيلهم و طمطمه رجالهم و أيم اللّه ليذوبنّ ما فى أيديهم بعد العلوّ و التّمكين فى البلاد كما تذوب الاليه على النّار، من مات منهم مات ضالاّ و اللّه عزّ و جلّ يقضى منهم من درج و يتوب اللّه عزّ و جلّ على من تاب، و لعلّ اللّه يجمع شيعتى بعد التّشتت لشرّ يوم لهؤلاء، و ليس لأحد على اللّه عزّ ذكره الخيره بل للّه الخيره و الأمر جميعا أيّها النّاس إنّ المنتحلين للامامه من غير أهلها كثير و لو لم تتخاذلوا عن مرّ

ص:۲۵۰

الحقّ و لم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم، و لم يقومن قوى عليكم على هضم الطاعه و ازوائها عن أهلها، لكن تهتم كما تاهت بنو اسرائيل على عهد موسى عليه السّلام، و لعمرى ليضاعفنّ عليكم البتّه بعدى أضعاف ما تاهت بنو اسرائيل و لعمرى أن لو قد استكملتم من بعدى مدّه سلطان بنى اميّه لقد اجتمعتم على سلطان الداعى إلى الضّلاله و أحييتم الباطل و خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم، و قطعتم الأدنى من أهل بدر و وصلتم الأ بعد من أبناء الحرب لرسول اللّه.

و لعمرى أن لو قد ذاب ما فى أيديهم لدنا التمحيص للجزاء و قرب الوعد و انقضت المدّه و بدا لكم النجم ذو الذّنب من قبل المشرق، و لاح لكم القمر المنير، فاذا كان ذلك فراجعوا التّوبه و اعلموا أنّكم ان اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فتداويتم من العمى و الصّمم و البكم، و كفيتم مؤنه الطلب و التعسّف و نبذتم الثقل الفادح من الأعناق، و لا يبعد اللّه إلاّ من أبى و ظلم و اعتسف و أخذ ما ليس له «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ». هذا.

و رواها المفيد فى الارشاد عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام إلى قوله بل للّه الخيره و الأمر جميعا باختلاف كثير و زيادات كثيره على روايه الروضه، و روى قوله عليه السّلام لو لم تتخاذلوا عن نصره الحقّ إلى آخر روايه الروضه فى ضمن خطبه اخرى رواها عن مسعده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال انه خطبها بالكوفه و بينها و بين روايه الروضه أيضا اختلاف كثير من أراد الاطلاع فليراجع الارشاد.

توضيح

«العرصات» جمع العرصه و هى كلّ بقعه من الدّور واسعه ليس فيها بناء «أفاده اللّه بعلمه» فى بعض النسخ بالفاء من أفدت المال أعطيته و فى بعضها بالقاف

ص:٢٥١

من أفاده خيلا أعطاه ليقودها و لعلّ المعنى أنه أعطاه اللّه زينه الحياه الدنيا مع علمه بحاله بحسب اقتضاء حكمته و مقتضى عدالته كما قال فى سوره هود عليه السّلام:

«مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النّارُ » الآيه.

و المراد بمن أفاده اللّه هو المتخلّفون الغاصبون للخلافه، و فى روايه الارشاد أباده بدل أفاده و هو الأنسب و عليه فالضّمير فى بعلمه راجع إلى من اى كان علمه سببا للهلاكه «و السنّه» الطريقه أى كانوا على طريقه من طرايق آل فرعون و «أهل جنات» بالكسر عطف بيان لآل فرعون.

و قوله «فى الجنان» متعلّق بقوله مخلّدون، و القسم معترض بين الظرف و متعلّقه «فلا يزالون بجور» الباء إمّا بمعنى فى أو للمصاحبه و الملابسه «كلّ ذلك» بالنّصب مفعول به للفعل المحذوف و «وحشةً» مفعول له أى ارتكبوا كلّ ذلك وحشه.

و المراد بما ورث النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما ورثه آله المعصومين من الخلافه و الولايه «و الفاطر» المخترع «أهل حسرات» خبر محذوف المبتدأ أى هم أهل حسرات فى الآخره و «الكهوف» جمع كهف و هو الغار الواسع فى الجبل، و فى بعض النسخ كفوف شبهات و هو جمع كف و الكلام جار على الاستعاره و النّاقه «العشواء» لا تبصر امامها و «من وكله اللّه» مبتدا و خبره «فهو مأمون» و وكله إلى نفسه تركه إليها، و فى هذا كلّه تعريض على الخلفاء كما لا يخفى «و الرّعا» بكسر الرّاء جمع الرّاعى و «الفعلات» جمع الفعله و هى العاده «المتشتّته» إما بالجرّ صفه لشيعتى و إمّا بالرّفع على أنّه خبر حذف مبتدئه أى هم المتشتّته.

و لعلّ المراد بتشتّتهم عن الأصل و بنزولهم بالفرع ما صدر من بعض الشيعه كالزّيديه و الافطحيه و الاسماعيليه و نحوهم حيث عدلوا عن الامام الأصل و تعلّقوا بالفرع و أملوا الفتح من غير جهه فأخطئوا و «القزع» محركه قطع من السحاب

ص:۲۵۲

و الواحده قزعه و «الرّكام» الأوّل بالضّم من الرّكم و هو جمع شيء فوق آخر، و الثّانى بالفتح و هو السحاب المتراكم و «المستثار» محل الاستثاره من الثور و هو الهيجان و الوثوب و نهوض القطا و الجراد.

و «سيل العرم» جمع عرمه كفرحه و هو سدّ يعترض به الوادى جمع عرم او هو جمع بلا واحدا و هو الاحباس تبنى فى البادية الأوديه و الجرذ الذكر و المطر الشّديد و واد و بكلّ فسر قوله تعالى سيل العرم و «الاكمه» كالقصبه التلّ الصّغير و «لم يردّ سننه» من سنّ الماء صبّها أو من سنّ الطّريقه سارها و «الرض» هنا الحجاره و «الطّود» الجبل أو عظيمه و «ذعذع» المال و غيره فرقّه و بدّده و «ضعضعه» هدمه حتّى الأرض و «ينقض اللّه» من النقض بالضاد المعجمه.

و لعلّه عليه السّلام كنّى ب «طىّ الجنادل من ارم» القصور و البساتين المشرفه المطوّيه بالحجارات المسنّده التى كانت لبنى اميّه و «بطنان الزيتون» كنايه عن الشّام كما فى قوله تعالى و التّين و الزّيتون و «الطمطمه» العجمه فى اللّسان و «درج» يدرج من باب قعد و سمع درجا و دروجا مشى و «المنتحلين للامامه» المدّعين لها لنفسه و هو لغيره و «من غير أهلها» بيان للمنتحلين و «ازوائها عن أهلها» اى صرفها وطيّها عنه و «التمحيص» بالصاد المهمله الابتلاء.

و اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه متضمّنه لجمله من الأخبار الغيبيّه و فقراتها الأخيره من قبيل المتشابهات و علمها موكول إليهم عليهم السّلام إذ أهل البيت أدرى بما فيه إلاّ أنا نورد فى تفسيرها على سبيل الاحتمال ما أورده الخليل القزوينى فى شرحه على الروضه بتغيير يسير منّا، فأقول:

لعلّ مراده عليه السّلام بقوله مع أنّ اللّه و له الحمد - اه أنّه سبحانه يجمع هذه الفرق المختلفه على اختلافهم لاستيصال بنى اميّه و هو شرّ يوم لهم و قد كان ذلك فى سنه اثنتين و ثلاثين و مأئه حسبما أخبر عليه السّلام به حيث انقرضت سلطنه بنى اميّه لعنهم اللّه لظهور دوله العبّاسيّه و اجتماع الجنود من خراسان على أبى مسلم المروزىّ لكن

دفعوا الفاسد بالأفسد.

و شبّه عليه السّلام اجتماعهم باجتماع سحاب الخريف المتراكم يقول عليه السّلام:

إنّ اللّه يفتح لهم بعد اجتماعهم أبوابا يهيجون من مكانهم، كسيل الجنّتين اللّتين كانتا لأولاد سبا، و هو سيل العرم حيث بعث اللّه الجرذ و هو الفاره الكبيره على السّد الذى كان لهم فقلع الصّخر منهم و خرب السّد فسال الماء و غشيهم السّيل و خرب دور اولاد سبا و قصورهم و بساتينهم و لم يثبت عليه التّلال و لم يردّه أحجار الجبال.

و كذلك هؤلاء يخرجون على كثرتهم و احتشامهم لاستيصال بنى اميه و تخريب الدور و القصور منهم من مستثارهم و هو خراسان و قد وقع ذلك على ما أخبر عليه السّلام حيث اجتمع الجيش و اتفقوا على أبى مسلم المروزى و جعلوه أميرا لهم و توجّهوا نحو مروان الحمار و هو آخر خلفاء بنى اميّه.

و قوله عليه السّلام يذعذعهم اللّه - اه إشاره إلى تفرّقهم فى الأوديه و كونهم كتائب مختلفه يسلكون فيها سلوك الينابيع فى الأرض و جريانها فيها.

يأخذ بهم من قوم حقوق قوم - اه أى يأخذ اللّه ببنى العبّاس من بنى اميّه حقوق بنى هاشم و يقاصّ بهم منهم و يجزيهم بهم جزاء ما ظلموا فى حق آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و إن لم يصل الحقّ إليهم و يمكّن بهم عليهم السّلام لقوم من بنى العباس فى ديار قوم من بنى اميّه كلّ ذلك طردا لبنى اميّه و ابعادا لهم، و لكيلا يغتصبوا ما غصبوا من بنى هاشم و بنى عباس و غيرهم يهدم اللّه بهم أركان بنى اميه و يكسر بهم قصور هم المسنّده المطويّه بالأحجار التى كانت بالشّام و يملاء من جيوشهم بلاد الشّام.

فو اللّه الفالق البارى انّ ذلك لكائن لا محاله و كأنّى أسمع أصوات خيولهم و طمطمه رجالهم، أى كلماتهم العجميه و ذلك أنّ لسانهم كان لسان العجم.

و قوله عليه السّلام: و أيم اللّه ليذوبنّ اه بيان لحال بنى العبّاس بعد القهر و الغلبه يقول عليه السّلام: إنّهم بعد العلوّ و التمكّن فى البلاد و قوام الأمر و تمام السلطنه ينقرضون و يفنون كما تفنى و تذوب الاليه على النّار، و قد كان ذلك فى سنه

خمسين و ستمائه حيث قتل المستعصم و هو آخر خلفاء العباسيّه على يدهلا كو و يحتمل أن يكون إشاره إلى حال بنى اميه.

و قوله عليه السّلام: و اللّه عزّ و جلّ يفضى منهم من درج، فى النسخ بالفاء و الظاهر أن يكون تحريفا و يكون بالقاف أى اللّه يميت من سعى من بنى اميه فيكون كنايه عن أنّ من أراد الخروج منهم يقتله اللّه، و فى بعض النّسخ و إلى اللّه يقضى و هو الصحيح أى و إلى اللّه ينتهى منهم من درج فيكون كنايه عن ما ذكرنا و إشاره إلى أنّ من تاب منهم تاب ضالا و أمره إلى اللّه يعذّبه كيف يشاء و يتوب على من تاب كمعاويه بن يزيد و نحوه من بنى اميّه.

و لعلّ اللّه يجمع شيعتى بعد التشتّت، لعلّه إشاره إلى ظهور دوله الحقّه القائميّه و لا يلزم اتّصالها بملكهم.

و ليس لأحدّ إلى قوله - جميعا إشاره إلى كون هذه الأمور سهلا بيد اللّه سبحانه إذ هو القاهر القادر فوق عباده و هو المختار الفعّال لما يشاء ليس لأحد معه الاختيار و هو على كلّ شىء قدير.

و قوله عليه السّلام أيّها النّاس اه إشاره إلى اغتصاب الخلافه و توبيخ لهم على التثاقل و التخاذل يقول عليه السّلام: إنّ المدّعين للخلافه من الّذين لم يكونوا أهلا لها كثير و لو لم يكن منكم التّخاذل يوم السّقيفه و الشورى عن إقامه الحقّ و الوهن عن توهين الباطل لم يجسر عليكم أحد و لم يقدر على غلبه الطّاعه و صرفها عن أهلها و لكنكم تحيّرتم بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما تحيّرت بنو إسرائيل على عهد موسى بن عمران عليه السّلام و ليكوننّ تحيّركم بعدى أضعاف ما تحيّرت بنو إسرائيل.

و قوله: لقد اجتمعتم على سلطان الدّاعى إلى الضّلاله، أراد به اجتماعهم على بنى العبّاس و دعائهم إلى الضّلاله لترويجهم مذهب الزنادقه.

و قطعتم الادنى من أهل بدر، أراد به أولاده المعصومين عليهم السّلام حيث إنّ الظّفر

فی بدر لم یکن إلاّ بأبیهم سلام اللّه علیه و کان أقرب النّاس إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کذلک أولاده علیهم السّلام.

و وصلتم الأ بعد من أبناء الحرب - اه أراد به بنی العباس حیث أنّ أباهم کان من جمله المحاربین لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی غزوه بدر ثمّ تاب و أسلم و المراد بقطع الأوّلین و وصل الآخرین أخذهم بنی العباس خلفاء لهم دون الأئمه علیهم السّلام.

ثمّ قال: و لعمری أن لو قد ذاب ما فی أیدیهم، أی أیدی بنی امیّه و هو الشام و ما والاها و أشار علیه السّلام بذوبانها إلی قتل ولید بن یزید بن عبد الملک بن مروان لعنهم اللّه و اختلاف أهل الشام و اضطراب دوله بنی امیّه و قد کان ذلک فی السّنه ست و عشرین و مأئه و امتدّت سلطنتهم بعد ذلک إلی ستّ سنین بمنتهی التزلزل و الاضطراب و لذلک قال علیه السّلام لدنی التمحیص للجزاء، أی قرب ابتلائهم بجزاء أعمالهم و ذلک بقتل الاحیاء منهم و إخراج الأموات منهم من القبور کما هو فی السّیر مشهور و فی الکتب مسطور.

و انقضت المدّه، أراد به المدّه المقدّره لبنی امیه و کانت ألف شهر.

و بدا لکم النجم ذو الذّنب، أراد به أبا مسلم المروزی حیث خرج من خراسان و هو من بلاد المشرق مع جنوده نحو الشّام و تسمیته بالنجم لکونه کالنجم یرمی به الشیاطین من بنی امیّه و توصیفه بذی الذنب لکون ظهوره لانتصار بنی العباس دون آل محمّد سلام اللّه علیهم.

و لاح لکم القمر المنیر، أراد به أبا الحسن علیّ بن موسی الرّضا علیه و علی آبائه آلاف التّحیّه و الثّناء فقد طلع فی المشرق و انتشر أنوار علمه فی الآفاق ثمّ غاب هناک بغدر المأمون الملعون.

فاذا کان ذلک، أی ذوبان ما فی أیدیهم أو انقضاء المدّه أو طلوع القمر المنیر، فراجعوا التوبه.

ثمّ قال علیه السّلام: و اعلموا أنّکم إن اتّبعتم طالع المشرق، أراد به القمر المنیر

ص:۲۵۶

سلک بکم منهج الطّریقه البیضاء و الصّراط المستقیم، فتداویتم من الضّلاله و الغوایه و کفیتم مؤنه طلب العلم من غیر مظانه، و سلمتم من التعسّف و الأخذ علی غیر الطریق المستقیم، و نبذتم ثقل استنباط التکالیف الشّرعیه. من اعناقکم حیث انّکم تأخذونها من أهلها فیکفیکم مؤنتها و لا یبعد اللّه من رحمته إلاّ من أبی من قبول الحقّ و ظلم أهل الحقّ و أخذ علی غیر الطریق و انتحل ما لیس له بحقّ.

«وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ » هذا.

و بنحو ما قلناه فی شرح هذا الحدیث الشریف فسّره المحدّث العلامّه المجلسی ره فی البحار إلاّ أنّه خالفنا فی شرح الفقرات الأخیره حیث قال: قوله علیه السّلام: لو قد ذاب ما فی أیدیهم أی ذهب ملک بنی العبّاس، لدنی التمحیص للجزاء أی قرب قیام القائم علیه السّلام و فیه التّمحیص و الابتلاء لیجزی الکافرین و یعذّبهم فی الدّنیا، و قرب الوعد أی وعد الفرج، و انقضت المدّه أی قرب انقضاء مدّه أهل الباطل، و النجم ذو الذنب من علامات ظهور القائم علیه السّلام، و المراد بالقمر المنیر القائم علیه السّلام، و کذا طالع المشرق إذ مکه شرقیه بالنسبه إلی المدینه، أو لأنّ اجتماع العساکر إلیه علیه السّلام و توجّهه إلی فتح البلاد من الکوفه و هی کالشرقیه بالنسبه إلی الحرمین و لا یبعد أن یکون ذکر القمر ترشیحا للاستعاره أی القمر الطّالع من مشرقه.

و الثقل الفادح الدّیون المثقله و المظالم أو بیعه أهل الجور و طاعتهم و ظلمهم إلاّ من أبی أی من طاعه القائم علیه السّلام أو الرّب تعالی، و اعتسف أی مال عن طریق الحقّ إلی غیره أو ظلم علی غیره انتهی کلامه فیکون هذه الفقرات علی ما ذکره أیضا إشاره إلی ظهور دوله الحقّه و اللّه العالم.

الترجمه

این خطبهٔ شریفه متضمن توبیخ و مذمت خلق است بجهت اختلاف ایشان در

دین و تشتّت آراءشان در احکام شرع مبین و عدول ایشان از تمسک حبل المنین که عبارتست از امام زمان و زمین می فرماید:

أمّا بعد از حمد و ثنای الهی و صلوات بر حضرت. رسالت پناهی پس بدرستی که خداوند تعالی نشکست هرگز گردنکشان روزگار را مگر بعد از مهلت و وسعت در حیات، و اصلاح نفرموده است استخوان شکسته احدی را از امّتهای پیغمبران مگر بعد از شدّت و تنگی و امتحان، و در نزد آنچه استقبال نمودید از ملامت و عتاب من و استدبار کردید از أهوال و کارهای بزرک زمن عبرتست صاحب عبرت و بصیرت را، و نیست هر صاحب قلب عاقل و دانا، و نه هر صاحب گوش سمیع و شنوا و نه هر صاحب نظر بصیر و بینا.

پس ای نفس تعجب کن و چیست مرا که تعجب نکنم از خطای این فرقهای بی ادب بر اختلاف حجّتهای ایشان در دین و مذهب که متابعت نمی کنند بر اثر خیر البشر، و اقتدا نمی نمایند بر عمل وصیّ پیغمبر، ایمان نمی آورند بغیب، و عفت نمی ورزند از گناه و عیب، عمل میکنند در شبهها، و سیر می نمایند در شهوتها، معروف در میان ایشان چیزی است که خود شناخته اند او را بمیل طبیعت، و منکر نزد ایشان چیزیست که خود انکار کرده اند آنرا نه بمقتضای شریعت.

مرجع ایشان در شداید بنفس خودشان است نه بر أئمه، و اعتماد ایشان در مبهمات برأی خودشان است نه بعترت خیر البشر، گویا هر مردی از ایشان امام و مقتدای خودش هست در دین، بتحقیق که تمسک نموده است از نفس خود در چیزی که ظن میکند به بندهای استوار و ریسمانهای محکم تابدار، یعنی اعتقادش اینست آنچه اخذ نموده است آنرا از نفس خود در احکام در استحکام مانند حکم الهی است.

و من خطبه له عليه السّلام و هى الثامنه و الثمانون

اشاره

من المختار فى باب الخطب

و أوّل فقراتها مرويّه فى الكافى و فى ديباجه تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى أيضا باختلاف تطلع عليه.

أرسله على حين فتره من الرّسل، و طول هجعه من الامم، و اعتزام من الفتن، و انتشار من الامور، و تلظّ من الحروب، و الدّنيا كاسفه النّور، ظاهره الغرور، على حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و اغورار من مائِها، قد درست منار الهدى، و ظهرت أعلام الرّدى، فهى متهجّمه لأهلها، عابسه فى وجه طالبها، ثمرتها الفتنه، و طعامها الجيفه، و شعارها الخوف، و دثارها السّيف، فاعتبروا عباد اللّه و اذكروا تيك الّتى آباؤكم و إخوانكم بها مرتهنون، و عليها محاسبون، و لعمرى ما تقادمت بكم و لا بهم العهود، و لا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب و القرون، و ما أنتم اليوم من يوم كنتم فى أصلابهم ببعيد، و اللّه ما أسمعهم الرّسول شيئا إلّا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه، و ما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس، و لا شقّت لهم الأبصار، و لا جعلت لهم الأفئده فى ذلك الأوان إلّا و قد أعطيتم مثلها فى هذا الزّمان، و و اللّه ما بصرّتم بعدهم شيئا جهلوه، و لا أصفيتم به و حرموه، و لقد نزلت بكم البليّه جائلا خطامها، رخوا بطانها،

فلا يغرّنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود.

اللغه

(الفتره) ما بين الرّسولين من رسل اللّه و (الهجعه) بفتح الها و سكون الجيم النومه ليلا من الهجوع بالضّم كالجلسه من الجلوس و (الاعتزام) العزم من اعتزمه و عليه و تعزم أراد فعله و قطع عليه و يروى و اعترام بالراء المهمله من عرام الجيش بالضمّ كغراب حدّتهم و شدّتهم و كثرتهم و العرام من الرّجل الشراسه و الاذى و (التّلظى) التلهب و (كسف) الشمس و القمر كسو فاذهب نورهما و احتجبا و (اغورّ) الماء اغورارا كاحمرّ و تغوّر ذهب فى الأرض و اغورّت الشمس غابت قال سبحانه:

«قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ ».

أى صار مائكم غايرا (فهى متهجّمه) من هجم عليه هجوما انتهى إليه بغته و هجم البيت انهدم و فى بعض النّسخ متجهّمه بتقديم الجيم على الهاء من تجهّمه فلان استقبله بوجه كريه، و بهما روى بيت الصّديقه الطّاهره سلام اللّه عليها و على أبيها و بعلها و بينيها عند غصب فدك:

تهجّمتنا رجال و استخفّ بنا لمّا فقدت و كلّ الأرض مغتصب

و (الأحقاب) جمع حقب بضمّ الحاء و القاف و بسكون القاف أيضا ثمانون سنه أو أكثر و قيل الدّهر و قيل السّنه و قيل السنون و (القرون) جمع القرن قال الفيروز آبادى أربعون سنه أو عشره أو عشرون أو ثلاثون أو خمسون أو ستّون أو سبعون أو ثمانون أو مأئه أو مأئه و عشرون (و لا أصفيتم) على البناء للمفعول من باب الافعال، قال سبحانه:

«أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ».

أى آثركم و (جائلا خطامها) أى مضطربا غير مستقرّ من الجولان و الخطام من الدّابه بالخاء المعجمه و الطاء المهمله مقدم أنفها و فمها، و يطلق على الزمام، و هو المراد هنا باعتبار أنه يقع على الفم أو الأنف و ما يليه، و منه الحديث كان خطام جمله عليه السّلام ليف و (البطان) حزام القتب يقال أبطن البعير أى سدّ بطانه.

الاعراب

على حين فتره للاستعلاء المجازى، و جمله و الدّنيا كاسفه النّور، منصوبه المحلّ على الحاليّه من ضمير أرسله، و على حين اصفرار ظرف مستقرّ خبر ثان للدّنيا و يحتمل الحال أيضا و جمله قد درست حال أيضا، و لعمرى جمله قسميّه، و قوله و ما أنتم اليوم ما حجازيّه عامله عمل ليس، و أنتم اسمها و ببعيد خبرها زيد فيه الباء كما تزاد فى خبر ليس مطّردا، و اليوم متعلّق به، و كذلك من يوم و جمله جهلوه صفه لشيئا.

و جمله و حرموه حال من ضمير به و فيه دليل على عدم لزوم قد فى الجمله الحاليه الماضويه المثبته كما عليه جمهور علماء الأدبيه، اللّهمّ إلاّ أن يقال: إنّ الجمله فى معنى النفى إذ مقصوده عليه السّلام نفى الاصفاء عن المخاطبين و المحرومين عن الغائبين معا و لذلك جيء بالواو و الضمير، و الفاء فى قوله فلا يغرّنّكم فصيحه

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده عليه السّلام بهذه الخطبه هو التذكير و الموعظه و التّنبيه عن نوم الغفله و التحذير من الغرور و الفتنه، و مهّد أوّلا مقدّمه متضمّنه للاشاره إلى حاله النّاس حين البعثه و أيّام الفتره و أنّه سبحانه أرسل إليهم رسولا يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمه و آثرهم بتلك النّعمه العظيمه و الموهبه الجسيمه بعد ما كانوا فى شدّه الابتلاء و المحنه و منتهى الاضطراب و الخشيه و سوء الحال و الكابه، ليتذكّر السّامعون بتلك النّعمه العظمى و المنحه الكبرى فيشكروا للّه و يلازموا طاعه اللّه و يسلكوا سبيل اللّه سبحانه فقال عليه السّلام:

(أرسله) أى محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (على حين فتره من الرّسل) أى على حين سكون

و انقطاع من الرّسل و ذلک أنّ الرسل إلی وقت رفع عیسی کانت متواتره و بعد رفعه (علیه السلام) انقطع الوحی و الرّساله خمسمائه سنه علی ما فی بعض روایات أصحابنا أو ستّمأه سنه کما عن البخاری عن سلمان، و الأوّل أشهر و أقوی و یأتی حدیث آخر فی ذلک إنشاء اللّه فی شرح الفصل السّادس من الخطبه المأه و الحادیه و التسعین و هی الخطبه المعروفه بالقاصعه ثمّ بعث اللّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و إنّما قیّد علیه السّلام نعمه الإرسال و الانزال بتلک الحال و ما یتلوها من الأحوال بیانا للواقع و إظهارا لجلاله تلک النعمه و جزاله تلک الموهبه حسبما أشرنا إلیه فانّ النعمه یتزاید قدرها بحسب تزاید منافعها، و لا ریب أنّ خلوّ الزمان عن الرّسول یستلزم ظهور الفساد و الشّرور و انتشار البغی و الفجور و کثره الهرج و المرج، و تلک أحوال مذمومه و أفعال مشئومه توجب تبدّل النّظام و اختلال الأحکام و الانهماک فی الجهالات و التورّط فی الضّلالات و لحوق الذّم بهم بمقدار ما یلحقهم من المدح فی حال الطاعه و القیام بوظایف العباده المتفرّعه علی وجود الدلیل و بعث الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم (و طول هجعه من الامم)استعار لفظ الهجعه التی هی عباره من النّوم فی اللّیل لانغماسهم فی ظلمه الجهاله و الضّلاله، و رشحها بذکر الطول الذی هو من ملایمات المستعار منه علی حدّ قوله:

«أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلالَهَ بِالْهُدی فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ ».

(و اعتزام من الفتن) نسبه الاعتزام إلی الفتن مجاز کنّی به عن وقوعها بینهم کأنّها قاصده لهم مریده إیّاهم و علی روایه الاعترام بالرّاء المهمله فالمراد کثرتها و شدّتها و تأذّی الناس بها (و انتشار من الأمور) أی تفرّق امور الخلق فی معاشهم و عدم جریانها علی قانون منتظم(و تلظّ من الحروب)شبّه الحرب بالنّار فی الافساد و الاهلاک و أسند إلیها التّلظّی الذی هو الاشتعال و الالتهاب علی سبیل الاستعاره و کنّی به عن هیجانها و ثورانها أیّام الفتره ففی الکلام استعاره مکنیّه و تخییلیّه

(و الدّنيا كاسفه النّور) استعار النور للعلم المقتبس من الأنبياء و الحجج بشباهه أنّ كلاّ منهما سبب لهدايه الأنام فى الضّلاله و الظلام، و رشّحها بذكر الكسف الذى من ملايمات النّور و أراد به عدم وجود هذا النّور فى ذلك الزمان (ظاهره الغرور) أراد ظهور اغترار النّاس بها و شيوع افتتانهم بشهواتها و لذاتها (على حين اصفرار من ورقها و اياس من ثمرها و اغورار من مائها)شبّه عليه السّلام الدنيا بشجره مثمره مورقه فى اشتمالها على ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين على سبيل الاستعاره بالكنايه و ذكر الورق و الثمر و الماء تخييل. و إثبات الاصفرار و الاياس و الاغورار ترشيح، و أراد بتلك الترشيحات بيان خلوّ الدنيا يومئذ عن آثار العلم و الهدايه و ما يوجب السعاده فى البدايه و النهايه.

و يمكن جعله مركّبا من استعارات متعدّده و يكون المراد بيان خلوّ الدنيا حينئذ من الأمن و الرّفاهيه و المنافع الدّنيويه ليكون ما يذكر بعده تأسيسا.

و توضيح ذلك الوجه ما ذكره الشارح البحرانى حيث قال استعار لفظ الثمره و الورق لمتاعها و زينتها و لفظ الاصفرار لتغيّر تلك الزينه عن العرب فى ذلك الوقت و عدم طراوه عيشهم اذا و خشونه مطاعمهم كما يذهب حسن الشّجره باصفرار ورقها فلا يلتذّ بالنّظر إليها، و عنيبالاياس من ثمرها انقطاع مآل العرب اذا من الملك و الدّوله و ما يستلزمه من الحصول على طيبات الدّنيا.

و كذلك استعار لفظ الماء لموادّ متاع الدّنيا و طرق لذّاتها و لفظ الاغورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارات و المكاسب و عدم التملّك للأمصار و كلّ ذلك لعدم النظام العدلى بينهم و كلّها استعارات بالكنايه و وجه الاستعاره الاولى أنّ الورق كما أنّه زينه الشّجر و به كماله كذلك لذّات الدّنيا و زينتها، و وجه الثّانيه أنّ الثمر كما أنّه مقصود الشجره غالبا و غايتها كذلك متاع الدّنيا و الانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لأكثر الخلق، و وجه الثّالثه أنّ الماء كما أنّه مادّه الشجره و به حياتها و قيامها فى الوجود

ص:٢۶٣

كذلك موادّ تلك اللّذّات هى المكاسب و التجارات و الصّناعات، و قد كانت العرب خاليه من ذلك و وجوه باقى الاستعارات ظاهره.

(قد درست منار الهدى) كنايه عن فقدان حجج الدّين و انتفاء أدلّه الحقّ (و ظهرت أعلام الرّدى)كنايه عن غلبه أدلّه الباطل و ظهور أئمّه الضّلال (فهى متهجّمه لأهلها) أى داخله عليهم عنفا لكونها غير موافقه لرضاهم أو منهدمه عليهم غير باقيه فى حقّهم أو ملاقيه لهم بوجه كريه و هو على روايه متجهّمه بتقديم الجيم على الهاء (عابسه فى وجه طالبها) أراد به عدم حصول بغيه الطالبين منها كما لا تحصل من الرّجل المنقبض الوجه الذى يلوى بشرته قال سبحانه:

«عَبَسَ وَ تَوَلّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى ».

(ثمرتها الفتنه) أى الضّلال عن طريق الحقّ و التيه فى ظلمه الباطل و فيه استعاره مكنيه و تخييليّه حيث شبّه الدنيا بشجره مثمره و أثبت الثّمره لها و جعل ثمرتها الفتنه إمّا من باب التهكم أو من حيث إنّ الثمره كما أنّها الغايه المقصوده من الشجره فكذلك غايه الدّنيا عند أهلها هى الفتنه و الضّلال (و طعامها الجيفه) يحتمل أن يكون المراد بالجيفه الميته و الحيوان الغير المزكى ممّا كان العرب يأكلها فى أيّام الفتره حتى حرّمتها الآيه الشريفه أعنى قوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَهُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَهُ وَ الْمَوْقُوذَهُ ».

أى المضروبه بالخشب حتى تموت و يبقى الدّم فيها فيكون أطيب كما زعمه المجوس «وَ الْمُتَرَدِّيَهُ» أى التى تردّت من علوّ فماتت و قد مرّ فى شرح الخطبه السّادسه و العشرين أنّ أكثر طعام العرب كان الخشب و الخبائث، و يجوز أن يراد بالجيفه الاعمّ من ذلك أعنى مطلق ما لا يحلّ فى الشريعه المطهّره سواء كان من قبيل الخبائث و الميتات أو من قبيل الأموال المغصوبه المأخوذه بالنّهب

ص:۲۶۴

و الغـاره و السّرقه و نحوها على ما جرت عليه عاده العرب و كانت دابا لهم (و شـعارها الخوف و دثارها السّيف) الشّعار ما يلى شعر الجسد من الثّياب و الدّثار ما فوق الشّعار من الأثواب و مناسبه الخوف بالشّعار و السّيف بالدّثار غير خفيّه على ذوى الأنظار.

ثمّ إنّه بعـد ما مهّد المقدّمه الشـريفه و فرغ من بيان حاله العرب فى أيّام الفتره شـرع فى الموعظه و النّصـيحه بقوله:(فاعتبروا عباد اللّه) بمـا كـانت عليه الاـخوان و الآبـاء و الأـقران و الأقربـاء (و اذكروا تيك) الأعمال القبيحه و الأحوال الـذميمه (التى آبائكم و اخوانكم بها مرتهنون) و محبوسون و عليها محاسبون و مأخوذون.

ثمّ اشـار عليه السّلام إلى تقـارب الأزمـان و تشـابه الأـحوال بين الماضـين و الغـابرين بقوله:(و لعمرى مـا تقادمت بكم و لا بهم العهود) حتّى تغفلوا (و لاـ خلت فيمـا بينكم و بينهم الأحقاب و القرون) حتّى تـذهلوا (و ما أنتم اليوم من يوم كنتم فى أصـلابهم ببعيد) حتّى تنسوا و لا تعتبروا فلكم اليوم بالقوم اعتبار و فيما جرت عليهم تبصره و تذكار.

(و اللّه ما أسـمعهم الرّسول شـيئا إلّا و ها أنا ذا مسـمعكموه) فليس لكم علىّ حجّه بعدم الابلاغ و الاسـماع (و ما إسـماعكم اليوم بـدون إسـماعهم بالأـمس) فليس لكم معـذره بـالوقر فى الآـذان و الأسـماع (و لا شـقت لهم الأبصار) المبصـره (و لا جعلت لهم الأفئـده) المتدبّره (فى ذلك الأوان إلّا و قد أعطيتم مثلها فى هذا الزّمان) فلا يمكن لكم أن تقولوا إنّا كنّا فى عمى من هذا و كنّا به جاهلين، و لا أن تعتذروا بأنّه لم يجعل لنا أفئده و كنّا منه غافلين.

(و واللّه ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه) بل علّموا ما علّمتم (و لا اصفيتم) و اوثرتم (به و حرموه) بل منحوا ما بذلتم فلم يبق بينكم و بينهم فرق فى شىء من الحالات و كنتم مثلهم فى جميع الجهات فإذا انتفى الفارق فما بالكم لا تسمعون و لا تبصرون

و لا تفهمون و لا تذكّرون، و قد اسمع اسلافكم فسمعوا، و بصّروا فتبصّروا و ذكّروا فتذكّروا و عمّروا فنعموا، و علّموا ففهموا.

ثمّ حذرهم و أنذرهم بإشراف الابتلاء و المحنه و نزول البليه بقوله (و لقد نزلت بكم البليّه) لعلّه أراد بها فتنه معاويه و دوله بنى أميّه(جائلا- خطامها رخواً بطانها)استعاره بالكنايه عن خطرها و صعوبه حال من يعتمد عليها و يركن إليها كما أنّ من ركن إلى النّاقه التى جال خطامها و لم تستقرّ فى وجهها و انفها و ارتخى حزامها فركبها كان فى معرض السّقوط و الهلاك.

ثمّ أردف ذلك بالنّهى عن الاغترار بالدّنيا فقال (و لا- يغرنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور) من الاغترار بزخارفها و لذّاتها و الانهماك فى شهواتها و طيّباتها بظنّ دوامها و ثباتها (فانّما هو ظلّ ممدود إلى أجل) محدود (معدود) بينا ترونه سابغا حتّى قلص و زيداً حتّى نقص.

تكمله

قد اشرنا سابقا إلى أنّ أوّل فقرات هذه الخطبه مرويّه فى الكافى باختلاف لما هنا فأحببت أن اوردها على ما هود يدننا فى الشّرح فأقول:

روى الكلينىّ عن محمّد بن يحيى عن بعض أصحابه عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام أيّها النّاس إنّ اللّه تبارك و تعالى أرسل إليكم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أنزل عليه الكتاب و أنتم اميّون عن الكتاب و من أنزله و عن الرّسول و من أرسله على حين فتره من الرّسل، و طول هجعه من الأمم، و انبساط من الجهل، و اعتراض من الفتنه، و انتقاض عن المبرم، و عمى عن الحقّ، و اعتساف من الجور، و امتحاق من الدّين، و تلظّ من الحروب، على حين اصفرار من رياض جنّات الدّنيا، و يبس من اغصانها، و انتشار من ورقها، و اياس من ثمرها، و اغورار من مائها.

قد درست أعلام الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فالدّنيا متهجّمه «متجهّمه ح» فى وجوه أهلها؛ مكفهرّه مدبره غير مقبله، ثمرتها الفتنه، و طعماها الجيفه،

و ثمارها الخوف، و دثارها السّيف، و مزّقتم كلّ ممزّق، و قد أعمت عيون أهلها، و أظلمت عليها أيّامها، قد قطعوا أرحامهم، و سفكوا دمائهم، و دفنوا فی التّراب الموؤده بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش و رفاهيه خفوض الدّنيا، لا يرجون من اللّه ثوابا، و لا يخافون و اللّه منه عقابا.

حيّهم أعمى نجس، و ميّتهم فی النّار مبلس، فجاءهم صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بنسخه ما فی الصحف الأولی و تصديق الذی بين يديه و تفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلک القرآن فاستنطقوه و لن ينطق لكم اخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضی و علم ما يأتی إلی يوم القيامه و حكم ما بينكم و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتمونی عنه لعلّمتكم.

و رواه علیّ بن إبراهيم القمی أيضا فی ديباجه تفسيره نحوه و لقلّه موارد الاختلاف لم نطل بروايتها.

بيان

قال فی النهايه: إنّا امّه اميّه لا نكتب و لا نحسب أراد أنّهم علی أصل ولاده امّهم لم يتعلّموا الكتاب و الحساب فهم علی جبلّتهم الأولی، و قيل: الأمّی الذی لا يكتب و منه الحديث بعثت إلی أمّه أميّه قيل للعرب: أميّون لأنّ الكتابه كانت فيهم عزيزه أو عديمه انتهی.

قال بعض شراح الحديث و لعلّ المراد هنا من لا يعرف الكتابه و الخط و العلم و المعارف و ضمن معنی ما يعدی كالنّوم و الغفله، و قوله: و اعتراض من الفتنه يحتمل أن يكون عروضها و انتشارها فی الآفاق، قوله: و انتقاض عن المبرم المبرم المحكم و قد أشار به إلی ما كان الخلق علی من استحكام أمورهم بمتابعه الأنبياء و أراد بانتقاضه فساده.

و المكفهرّ من الوجوه من اكفهرّ علی وزن اقشعرّ القليل اللّحم العليظ الذی لا يستحيی و المتعبّس، قوله: مزّقتم كلّ ممزّق التفات من الغيبه إلی الخطاب و الممزّق مصدر بمعنی التمزيق و هو التفريق و التّقطيع، و المراد به تفرّقهم فی

البلـدان للخوف أو تفرّقهم فى الأديان و الآراء، و الموءوده البنت المـدفونه حيّه و كانوا يفعلون ذلك فى الجاهليّه ببناتهم لخوف الاملاق أو العار كما قال سبحانه:

«وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ».

يجتـاز دونهم طيب العيش و رفـاهيّه خوفض الـدّنيا، يجتـاز بالجيم و الزاء المعجمه من الاجتياز و هو المرور و التجاوز، و الرفاهيه السـعه فى المعاش، و الخفوض جمع الخفض و هى الـدعه و الرّاحه أى يمرّ طيب العيش و الرّفاهيه التى هى خفض الـدّنيا أو فى خفوضـها متجاوزا عنهم من غير تلبّث عنـدهم، قوله: أعمى نجس بالنّون و الجيم و فى بعض النسخ بالحاء المهمله من النّحوسه و المبلس من الابلاس و هو الاياس من رحمه اللّه و منه سمّى ابليس، قوله: بما فى الصّحف الاولى أى التوراه و الانجيل و الزبور و غيرها من الكتب المنزّله و هو المراد بالذى بين يديه كما قال تعالى:

وَ «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراهِ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ ».

و قوله: فاستنطقوه الأمر للتعجير، و ساير الفقرات واضحه ممّا قدّمنا.

الترجمه

از جمله خطب شـريفه آن حضـرتست كه متضـمّن ميباشد بعثت حضـرت خاتم رسالت را در ايّام فترت و بيان حالت خلق را در ايّام جاهليت و مشتمل است به موعظه و نصيحت و تنبيه از نوم غفلت و جهالت مى فرمايد:

فرسـتاد حق سبحانه و تعالى پيغمبر آخر الزّمان را در حين فتور و انقطاع از پيغمبران، و در زمان درازى خواب غفلت از امّتان، و در هنگام عزم از فتنه ها، و در وقت انتشار از كارها، و در حين اشتعال از نائرۀ حروب و كارزارها، و در حالتى كه دنيا منكسف بود نور او، ظاهر بود غرور او، ثابت بود بر زردى برك خود، و مأيوسـى از ثمر خود، و فرو رفتن آب خود، بتحقيق كه مندرس شده بود علم هاى هدايت، و ظاهر گشته بود نشانهاى ضلالت.

پس دنیا هجوم آورنده بود بر أهل خود، و عبوس بود در روی طالبان خود، میوهٔ او فتنه بود، و طعام او جیفهٔ، و پوشش او ترس بود از دشمنان، و لباس بیرونی او شمشیر برّان، پس عبرت بردارید ای بندگان خدا و یاد آورید آن حالت را که بود پدران شما و برادران شما بسبب آن حالت مرهون و محبوس، و بجهت آن محاسب و مأخوذ، و قسم بزندگانی خود که دیر نشده است بشما و نه بایشان عهدها و زمانها، و نگذشته است در ما بین شما و ایشان روزگارها و قرنها، و بنستید شما امروز از روزی که بودید در پشت های ایشان دور، یعنی مدتی نیست که شما در اصلاب آباء خود بودید ایشان با سایر خویشان از شما مفارقت کردند و شما هم در اندک زمانی بایشان ملحق خواهید شد.

بخدا سوگند که نشنوانید بشما رسول خدا علیه التّحیه و الثناء چیزی را مگر این که من شنواننده ام بشما آنرا، و نیست سمعهای شما امروز کم از سمع های ایشان دیروز، و شکافته نشد ایشان را دیده ها، و گردانیده نشد ایشان را قلبها در آن زمان مگر این که عطا شدید شما مثل آنرا در این زمان.

و بخدا قسم که نموده نشدید شما بعد از ایشان چیزی را که ایشان جاهل آن بوده باشند، و برگزیده نشدید بچیزی در حالتی که ایشان محروم بوده باشند از او، و بتحقیق که فرود آمد بشما بلاها در حالتی که جولان کننده است مهار آن، سست بی ثبات است تنگ آن، پس مغرور نسازد شما را آنچه که صباح کرد در آن اهل غرور و ارباب شرور، پس اینست و جز این نیست که آن دنیا سایه ایست کشیده شده تا مدت شمرده شده، مشحون بانواع قصور و محتوی بکمال ضعف و فتور.

و من خطبه له علیه السّلام و هی التاسعه و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

الحمد للّه المعروف من غیر رؤیه، و الخالق من غیر رویّه الّذی،

لم يزل قائما دائما، إذ لا سماء ذات أبراج، و لا حجب ذات أرتاج، و لا ليل داج، و لا بحر ساج، و لا جبل ذو فجاج، و لا فجّ ذو اعوجاج، و لا أرض ذات مهاد، و لا خلق ذو اعتماد، ذلك مبتدع الخلق و وارثه، و إله الخلق و رازقه، و الشّمس و القمر دائبان فی مرضاته، يبليان كلّ جديد، و يقرّبان كل بعيد، قسّم أرزاقهم، و أحصى آثارهم و أعمالهم و عدد أنفاسهم و خائنه أعينهم و ما تخفی صدورهم من الضّمير، و مستقرّهم و مستودعهم من الأرحام و الظّهور، إلی أن تتناهى بهم الغايات، هو الّذی اشتدّت نقمته علی أعدائه فی سعه رحمته، و اتّسعت رحمته لأوليائه فی شدّه نقمته، قاهر من عازّه، و مدمّر من شاقّه، و مذلّ من ناواه، و غالب من عاداه، من توكّل عليه كفاه، و من سأله أعطاه، و من أقرضه قضاه، و من شكره جزاه، عباد اللّه زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا، و تنفّسوا قبل ضيق الخناق، و انقادوا قبل عنف السّياق، و اعلموا أنّه من لم يعن علی نفسه حتّی يكون له منها واعظ و زاجر، لم يكن له من غيرها زاجر و لا واعظ.

اللغه

(الرّويه) من روات فی الأمر أی تفكّرت فيه و أصلها رؤيته و استعمالها فی لسان العرب بغير همز و مثلها بريه و (الأبراج) جمع البرج كالأركان و الرّكن لفظا و معنی و (الارتاج) إما مصدر باب الأفعال من ارتج الباب أغلقه أو جمع الرّتج محرّكه

ص:۲۷۰

كالاسباب و السّبب و هو الباب العظيم(۱).

قال الشّارح المعتزلی: و یبعد روایه من رواه ذات ارتاج لأنّ فعالا قلّ أن یجمع علی أفعال «انتهی» و أراد به أن أرتاج علی تقدیر جمعیّته واحده رتاج و جمعه علیه قلیل، و فیه أنه یرتفع الاستبعاد بجعله جمعا للرتج حسبما قلنا و هو کثیر.

و (دجی) اللّیل دجّوا و دجوا أظلم فهو داج و لیله داجیه و (سجی) البحر سجوا سکن و (الفجاج) جمع الفجّ فهو الطریق الواسع بین جبلین و (المهاد) الفراش و (عازه) معازه غالبه قال سبحانه: و عزّنی فی الخطاب أی غلبنی و (دمّره) تدمیرا أهلکه و (شاقّه) مشاقّه و شقاقا خالفه و عاداه و(ناواه)أی عاداه و اللفظه مهموزه و إنما لینها لملاحظه السّجع و أصلها من النواء و هو النّهوض لأنّ کلّ المتعادیین ینهض إلی قتال الآخر و (العسف) بالضمّ ضدّ الرفق.

الاعراب

قوله: إذ لا سماء إذ ظرف للزمان الماضی و ملازم للاضافه إلی الجمل، و لا بمعنی لیس، و سماء اسمها و خبرها محذوف منصوبا علی الاعمال کما هو مذهب أهل الحجاز، أو سماء مرفوع علی الابتداء و خبره موجود بالرّفع علی الاهمال و هو مذهب بنی تمیم و الأوّل أقوی، و جمله و الشّمس و القمراه مستأنفه، و جمله یبلیان فی محلّ النّصب علی الحال من ضمیر دائبان، و عدد أنفاسهم فی بعض النسخ بجرّ أنفاسهم علی إضافه العدد إلیها و کونه اسما فیکون عطفا علی آثارهم و فی بعضها بنصبها علی کونه مفعولا لعدد و جعله فعلا مجرّدا من باب قتل أو مزیدا من باب التفعیل أی أحصی أنفاسهم و علی هذا فتکون الجمله معطوفه علی الجمله السّابقه، و خائنه بالنّصب عطف علی آثارهم أو أنفاسهم علی الاحتمال الثّانی أو عدد علی الاحتمال الأوّل، و کذلک مستقرّهم و مستودعهم، و من الأرحام و الظّهور متعلّق بالمستقرّ و المستودع علی إراده التّکرار و قوله: حتّی یکون قید للمنفیّ أعنی یعن دون النفی.

۱- (۱) الرتاج ککتاب و هو الباب المغلق و علیه باب صغیر، ق.

المعنی

اشاره

اعلم أنّه علیه السّلام صدّر هذه الخطبه الشّریفه بجمله من الصّفات الجمالیه و الجلالیه الالهیه، و ذیّلها بالموعظه و النّصیحه و الحثّ علی التزوّد و الاستعداد للآخره فقال علیه السّلام:(الحمد للّه المعروف من غیر رؤیه) یعنی أنّه سبحانه معروف بدلائل الملک و الملکوت و آثار القدره و الجبروت و مدرک بحقایق الایمان من غیر رؤیه و مشاهده بالعیان، لکونها من لواحق الامکان کما مرّ توضیحا و تحقیقا فی شرح الخطبه التاسعه و الأربعین (و الخالق من غیر رویه) أراد أنّه تعالی خالق للأشیاء بنفس قدرته التّامه الکامله غیر محتاج فی خلقها إلی رویّه و فکره کما یحتاج إلیها نوع الانسان فی إیجاد شیء، و ذلک انّ فایده القوّه المفکّره تحصیل المطالب المجهوله من المبادی المعلومه و الجهل محال علی اللّه سبحانه (الذی لم یزل قائما دائما) أمّا دوامه سبحانه فلأنّ وجوب الوجود یستحیل علیه العدم فی الأزل و الأبد، و أمّا قیامه فالمراد به إما الدّوام و البقاء و إمّا القیام بأمور العالم و القیمومه علی کلّ شیء بمراعاه حاله و درجه کماله و الحافظ لکلّ شیء و المدبّر لأمره أو الرّقیب علی کلّ شیء و الحافظ علیه و به فسرّ قوله سبحانه:

«أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلی کُلِّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ » و الأوّل أنسب بقوله (إذ لا سماء ذات أبراج) لأنّ القیمومه بالمعنی الأوّل من صفات الذّات و بالمعنی الثانی من صفات الفعل و بعد السّماء و وجود العالم لأنّه إذا لم یکن العالم مخلوقا بعد لم یصدق علیه أنه قائم بأمره إلّا بالقوّه لا بالفعل فافهم و المراد بالابراج إمّا الأرکان کما هی معناها فی اللغه و إمّا ما فسّر به قوله تعالی:

«وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ ».

و لهم فی تفسیره ثلاثه أقوال: أحدها أنها هی البروج الاثنا عشر التی فیها عجیب الحکمه إذ سیر الشّمس فیها و مصالح العالم السّفلی مرتبطه بسیر الشّمس

و ثانيها أن البروج هى منازل القمر و ثالثها أنّها هى عظام الكواكب سميّت بروجا لظهورها و سيأتى تفصيل الكلام فى ذلك فى شرح الفصل الرابع من الخطبه الآتيه (و لا حجب ذات ارتاج) أى ذات أبواب أو ذات أغلاق.

و اعلم أنّه قد كثر فى الأخبار العاميّه و الخاصيّه ذكر الحجب و السّرادقات و تظافرت الأخبار فى وجودها و من جمله تلك الرّوايات روايه الحسن البكرى التى تقدّمت فى التذييل الأوّل من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبه الأولى.

و منها ما فى البحار من الدّر المنثور للسيوطى عن سهل بن سعد و عبد اللّه بن عمر قالا: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: دون اللّه سبعون ألف حجاب من نور و ظلمه ما يسمع من نفس من حسن تلك الحجب إلاّ زهقت نفسه.

و منها ما فيه عن شرح النهج للكيدرى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث المعراج قال: فخرجت من سدره المنتهى حتّى وصلت إلى حجاب من حجب العزّه ثمّ إلى حجاب آخر حتّى قطعت سبعين حجابا و أنا على البراق و بين كلّ حجاب و حجاب مسيره خمسمائه سنه إلى أن قال: و رأيت فى علّيّين بحارا و أنوارا و حجبا غيرها لو لا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش.

قال: و فى الحديث أنّ جبرئيل عليه السّلام: قال: للّه دون العرش سبعون حجابا لو دنونا من أحدها لاحترقتنا سبحات وجه ربّنا.

أقول: قال النّووىّ فى المحكىّ عن شرح صحيح مسلم: سبحات بضم السّين و الباء أى نوره و أراد بالوجه الذّات، و قال فى البحار: سبحات اللّه جلاله و عظمته و هى فى الأصل جمع سبحه، و قيل: أضواء وجهه، و قيل: سبحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان اللّه هذا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره روى شطرا منها فى البحار و قال بعد روايتها:

و التحقيق أنّ لتلك الأخبار ظهرا و بطنا و كلاهما حقّ.

فأما ظهرها فانّه سبحانه كما خلق العرش و الكرسى مع عدم احتياجه إليهما كذلك

خلق عندهما حجبا و أستارا و سرادقات، و حشاها من أنواره الغريبه المخلوقه له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكه و بعض النّبيّين و لمن يسمعها من غيرهم عظمه قدرته و جلال هيبته وسعه فيضه و رحمته، و لعلّ اختلاف الأعداد باعتبار أنّ في بعض الاطلاقات اعتبرت الأنواع، و في بعضها الأصناف و الأشخاص أو ضمّ بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات أو اكتفى بذكر بعضها في بعض الرّوايات.

و أمّا بطنها فلأنّ الحجب المانعه عن وصول الخلق إلى معرفه كنه ذاته و صفاته سبحانه امور كثيره:

منها ما يرجع إلى نقص المخلوق و قواه و مداركه بسبب الامكان و الافتقار و الاحتياج و الحدوث و ما يتبع ذلك من جهات النّقص و العجز و هي الحجب الظلمانيه.

و منها ما يرجع إلى نوريّته و تجرّده و تقدّسه و وجوب وجوده و كمال عظمته و جلاله و ساير ما يتبع ذلك و هي الحجب النورانيه و ارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء، أو المراد بكشفها رفعها في الجمله بالتخلّي عن الصفات الشهوانيه و الأخلاق الحيوانيّه و التخلّق بالأخلاق الرّبانيه بكثره العبادات و الرّياضات و المجاهدات و ممارسه العلوم الحقّه، فترتفع الحجب بينه و بين اللّه سبحانه في الجمله فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم و إراداتهم و شهواتهم فيرون بعين اليقين كما له سبحانه و نقصهم، و بقائه و فنائهم، و عزّه، و ذلّهم، و غناه و افتقارهم، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدما، و قدرتهم الناقصه في جنب قدرته الكامله عجزا بل يتخلّون عن إرادتهم و علمهم و قدرتهم فيتصرّف فيهم إرادته و قدرته و علمه سبحانه، فلا يشاءون إلّا أن يشاء اللّه، و لا يريدون سوى ما أراد اللّه، و يتصرّفون في الأشياء بقدره اللّه، فيحيون الموتى و يردّون الشمس و يشقّون القمر كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما قلعت باب خيبر بقوّه جسمانيّه بل بقوّه ربانيّه، و المعنى الذى يمكن فهمه و لا ينافي أصول الدّين من الفناء في اللّه و البقاء باللّه هو هذا المعنى.

و بعباره اخرى الحجب النّورانيه الموانع التى للعبد عن الوصول إلى قربه و غايه ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهه العبادات كالرّياء و العجب و السّمعه و أشباهها و الظلمانيه ما يحجبه من المعاصى عن الوصول إليه، فاذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى اللّه له فى قلبه و أحرق محبّته ما سواه حتّى نفسه عن نفسه، و كلّ ذلك لا يوجب عدم الايمان بظواهرها، إلاّ بمعارضه نصوص صحيحه صريحه صارفه عنها، و أوّل الالحاد سلوك التأويل من غير دليل و اللّه الهادى إلى سواء السّبيل، انتهى كلامه رفع مقامه هذا.

و الأشبه أن يراد بقوله عليه السّلام: و لا حجب ذات ارتاج المعانى الظاهره لها و إن أمكن إراده معانيها الباطنه فى الجمله، و أما احتمال أن يراد بالحجب السّماوات كما فى شرحى المعتزلى و البحرانى فبعيد مع سبق قوله عليه السّلام إذ لا سماء ذات ابراج (و لا ليل داج) اى مظلم (و لا بحر ساج) اى ساكن (و لا جبل ذو فجاج و لا فجّ ذو اعوجاج) و هو مأخوذ من قوله سبحانه:

«وَ اللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً » أى طرقا واسعه، و قيل: طرقا مختلفه عن ابن عبّاس، و قيل: سبلا فى الصّحارى و فجاجا فى الجبال (و لا أرض ذات مهاد) و هو ماخوذ من قوله سبحانه:

«وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ » أى مهّدناها ليستقرّوا عليها فنعم الماهدون نحن، و فى سوره النّباء.

«أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً » أى وطا و قرارا و مهيئا للتصرّف فيه من غير أذيّه، و المصدر بمعنى المفعول أو الحمل على المبالغه أو المعنى ذات مهاد (و لا خلق ذو اعتماد) أى صاحب قوّه و بطش.

(ذلك) المتّصف بالصّفات الأزليّه و الموصوف بأوصاف السّر مديّه (مبتدع

ص:۲۷۵

الخلق) و مخترعه على غير مثال سبق أو موجده من العدم المحض (و وارثه) الباقى بعد فنائه (و إله الخلق) و معبوده (و رازقه) بجميل آلائه و جزيل نعمائه (و الشمس و القمر دائبان فى مرضاته) هو مأخوذ من قوله سبحانه:

«وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ » و أصل الدئب هو مرور الشىء فى العمل على عاده مطّرده أراد عليه السّلام أنّ الشّمس و القمر يدأبان فى سيرهما و إنارتهما و تأثيرهما فى إزاله الظلمه و فى إصلاح النبات و الحيوان على ما فيه رضاؤه سبحانه و يقتضيه حكمته البالغه و يرتضيه تدبيره التام الكامل (يبليان كلّ جديد و يقرّبان كلّ بعيد) نسبه إبلاء الجديد و تقريب البعيد إليهما باعتبار كون حركاتهما من الأسباب المعدّه لحدوث الحوادث فى هذا العالم و فيهما تنبيه على وجوب التّجافى عن الدّنيا و الاستعداد للآخره، و إشاره إلى أنّ ما يتجدّد و يحدث من لذات الدنيا و زخارفها فهو فى معرض البلى و الزّوال و أنّ ما يستبعده أهل الغفله من الموت و الفناء قريب إليه و إن كان بعيدا فى نظره (قسّم أرزاقهم) بينهم على وفق ما جرى عليه قلم التقدير و كتبه يد التّدبير فى الكتاب المكنون و اللّوح المحفوظ كما قال سبحانه:

«نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ».

(و أحصى آثارهم و أعمالهم) و إحصائهما كنايه عن العلم بهما كما قال سبحانه:

«وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ » أى ما قدّموا من الأعمال و ما سنّوه بعدهم حسنه كانت أو قبيحه و منه:

«عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ » و قيل آثارهم أى أقدامهم فى الأرض و أراد مشيهم إلى العباده و خطاهم إلى المساجد (و عدد أنفاسهم و خائنه أعينهم و ما تخفى صدورهم من الضمير) و هو اقتباس من قوله تعالى:

«يَعْلَمُ خـائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مـا تُخْفِي الصُّدُورُ » قال فى مجمع البيان: أى خيانتها و هى مسارقه النظر إلى ما لا يحلّ النّظر إليه و الخائنه مصـدر كمـا أنّ الكاذبه و اللاغيه بمعنى الكـذب و اللّغو و قيل إنّ تقـديره يعلم الأعين الخائنه، و قيل هو الرمز بالعين و فيه أقوال اخر (و مستقرّهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور) و فيه ملامحه إلى قوله سبحانه:

«وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ ».

أى يعلم موضع قرارها و الموضع الذى أودعها فيه من أرحام الأمّهات و أصـلاب الآباء و ظهورهم، و يعلم كلّ أحوالهم من حين ابتـدائهم (إلى أن تتناهى بهم الغايات) و يقف كلّ عنـد غايته المكتوبه من خير أو شـرّ (هو الـذى اشـتدّت نقمته على أعدائه فى سعه رحمته و اتّسعت رحمته لأوليائه فى شدّه نقمته) لا يخفى ما فى هذه القرينه من حسن المقابله.

قال الشارح البحرانى: و أشار بذلك إلى كمال ذاته بالنّسبه إلى ملوک الدنيا مثلا، فانّ أحدهم فى حاله غضبه على عدوّه لا يتّسع لرحمه و لاـ رحمه غيره، و كـذلک فى رحمته لأوليـائه لا يجتمع معها غضـبه عليهم؛ و لمّا ثبت أنه تعالى هو الغنّى المطلق المنزّه عـن صـفات المخلـوقين و أنّـه المعطى لكـلّ قابـل مـا يستحقّه مـن غير توقّف فى وجـوده على أمر من ذاته، و كـان أعـداء اللّه مسـتعدّون ببعدهم عنه لقبول سـخطه و شدّه نقمته فى الآخره، لا جرم أولاهم ذلک و ان كانوا فى الدّنيا فى سعه رحمته و شمول نعمته، و كـذلک أوليـاؤه لما اسـتعدّ و القبول رحمته و شـمول نعمته أفاضـها عليهم فهم فى حظيره قـدسه على غايه من البهجه و السّـعاده و ضروب الكرامه و إن كانوا بأجسادهم فى ضروب من العذاب و شقاوه الفقر و الضنک فى الدّنيا، و ذلک لا يملكه إلاّ حليم لا يشغله غضب عن رحمته، عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن انزال

عقوبته سبحانه ليس إلّا هو.

(قاهر من عازه) أى غالبه و عتى عن أمره كفرعون إذ قال أنا ربّكم الأعلى فأخذه اللّه نكال الآخره و الأولى و غيره من العتاه و الطغاه، حيث قصم اللّه سبحانه ظهرهم و كسر عظمهم و قهرهم بالموت و الاذلال، و أنزل عليهم شديد النكال (و مدمرّ من شاقه) أى مهلكك من كان مشاقا له و منحرفا عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى (و مذلّ من ناواه) يجعله محتاجا إلى غيره (و غالب من عاداه) أى المستولى عليه بقهره (من توكّل عليه كفاه) كما قال فى كتابه العزيز:

«وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » أى الكافى له يكفيه أمر دنياه و آخرته (و من سأله أعطاه) إذ لا تفنى خزائنه السؤال، و لا تدخل عليها نقص و لا زوال.

و فى الحديث القدسى: يا عبادى لو أنّ أوّلكم و آخركم و انسكم و جنّكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك ممّا عندى شيئا إلّا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر.

أى لا ينقص شيئا و إنما ضرب المثل بالمخيط و البحر لأنّه و إن كان يرجع شىء قليل محسوس لكن لقلّته بالنّسبه إلى أعظم المرئيات عيانا لا يرى و لا يعدّ شيئا فكأنّه لم ينقص منه شىء.

(و من أقرضه قضاه) أى من أنفق ماله فى سبيله و طاعته أعطاه اللّه عوض ما انفق و إنّما سمّى الانفاق قرضا تلطفا للدّعاء إلى فعله و تأكيدا للجزاء عليه، فانّ القرض يوجب الجزاء و هو مأخوذ من قوله سبحانه فى سوره البقره:

«مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَ اللّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ».

روى الطبرسىّ عن الصادق عليه السّلام أنه قال: لما نزلت هذه الآيه:

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها ».

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ربّ زدنى فأنزل اللّه:

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها » فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: زدنى فأنزل اللّه سبحانه:

«مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَهً ».

و الكثير عند اللّه لا يحصى.

قال الكلبى فى سبب نزول هذه الآيه: إنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: من تصدّق بصدقه فله مثلاها فى الجنّه، فقال أبو الدحداح الأنصارى و اسمه عمرو بن الدحداح: يا رسول اللّه إنّ لى حديقتين إن تصدقت باحديهما فانّ لى مثليها فى الجنّه: قال: نعم، قال: و أمّ الدّحداح معى؟ قال: نعم، قال: و الصبيه معى؟ قال: نعم، فتصدّق بأفضل حديقته فدفعها إلى رسول اللّه فنزلت الآيه فضاعف اللّه له صدقته ألفى ألف، و ذلك قوله أضعافا كثيره قال: فرجع أبو الدحداح فوجد أمّ الدّحداح و الصّبيه فى الحديقه التى جعلها صدقه فقام على باب الحديقه و تحرّج أن يدخلها فنادى يا أمّ الدّحداح، قالت: لبيك يا أبا الدّحداح، قال إنّى جعلت حديقتى هذه صدقه و اشتريت مثليها فى الجنّه و أمّ الدّحداح معى و الصّبيه معى قالت: بارك اللّه لك فيما شريت و فيما اشتريت فخرجوا منها و أسلموا الحديقه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال النبىّ: كم من نخله متدلّ عذوقها لأبى الدحداح فى الجنّه.

و فى منهج الصادقين قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كم من عذق(۱) رواح و دار فياح فى الجنّه لأبى الدّحداح.

(و من شكره جزاه) أى من اعترف بنعمته سبحانه و فعل ما يجب فعله من الطاعه و ترك ما يجب تركه من المعصيه أعطاه اللّه سبحانه بشكره الجزاء الجميل

ص:۲۷۹

۱- (۱) العذق بالفتحه النخله بحملها و رواح الشجر العظيم بورق و دار الفياح أى دار السعه منه.

و الثواب الجزيل.

ثمّ إنه بعد ما ذكر جمله من النعوت الجلاليه و الصفات الجماليه للّه سبحانه أردف ذلك بالعظه و النصيحه فقال:(عباد اللّه زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا) أى زنوها فى الدنيا قبل الوزن فى الآخره فأما الوزن فى الدّنيا فهو اعتبار الأعمال و ضبطها بميزان العدل أى مراعاه الاستقامه على حاقّ الوسط المصون من طرفى التفريط و الافراط، فانّ اليمين و الشمال مضلّه و الطريق الوسطى هى الجادّه، و أمّا الوزن الأخروى فقد أشير إليه فى قوله سبحانه:

«وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ ».

قال الطبرسىّ فى معناه قيل: إنّ الوزن عباره عن العدل فى الآخره و أنه لا ظلم فيها و قيل: إنّ اللّه ينصب ميزانا له لسان و كفّتان يوم القيامه فيوزن به أعمال العباد الحسنات و السيئات، ثمّ اختلفوا فى كيفيّه الوزن لأنّ الأعمال أعراض لا يجوز وزنها فقيل: توزن صحايف الأعمال، و قيل: يظهر علامات الحسنات و السّيئآت فى الكفّتين فيراها الانسان، و قيل: تظهر الحسنات فى صوره حسنه و السيّئآت فى صوره سيئه، و قيل: توزن نفس المؤمن و نفس الكافر، و قيل: المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن فى العظم و مقدار الكافر فى الذلّه كما قال سبحانه:

«فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَزْناً ».

(و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا) أى حاسبوها فى الدّنيا قبل المحاسبه فى الآخره أما المحاسبه الاخرويه فقد مرّ فى شرح الكلام الحادى و الثمانين تحقيق الكلام فيها و أما المحاسبه الدّنيويه فهى عباره عن ضبط الانسان على نفسه أعمالها الخيريه و الشّريه ليزكّيها بما ينبغى لها و يعاقبها على فعل ما لا ينبغى و ستطلع على مزيد

توضیح لها فی ضمن الأخبار الآتیه(و تنفّسوا قبل ضیق الخناق)و هو استعاره لانتهاز الفرصه للعمل قبل تعذّره بطول الأجل و تعلّق حبائل الموت و انشاب أظفار المنیّه و الفوت (و انقادوا) لأوامر اللّه سبحانه و نواهیه (قبل عنف السیاق) أی قبل السّوق العنیف و هو سوق ملک الموت بالجذبه المکربه التی تقدّمت الاشاره إلیها فی شرح الفصل السّابع من فصول الخطبه الثّانیه و الثمانین.

(و اعلموا أنّه من لم یعن علی نفسه حتی یکون له منها واعظ و زاجر لم یکن له من غیرها زاجر و لا واعظ) یعنی من لم یعنه اللّه سبحانه علی نفسه حتّی یجعل له منها واعظا و زاجرا لم ینفعه الزّجر و الوعظ من غیرها.

و المراد باعانه اللّه له أن یعدّ نفسه النّاطقه لقبول الخیرات و یؤیّدها علی نفسه الأمّاره بالسّوء حتی تکون مقهوره عندها فیحصل له الاستعداد لقبول المواعظ و الزواجر و یکمل له الانتفاع بها.

روی فی الوسائل عن محمّد بن إدریس فی السّرائر نقلا من کتاب المشیخه للحسن بن محبوب عن أبی حمزه الثمالی قال: کان علیّ بن الحسین علیهما السّلام یقول:

ابن آدم إنّک لا تزال بخیر ما کان لک واعظ من نفسک، و ما کانت المحاسبه من همّتک، و ما کان الخوف لک شعارا و الحزن لک دثارا، ابن آدم إنّک میّت و مبعوث و موقوف بین یدی اللّه عزّ و جلّ فأعدّ جوابا.

ایقاظ فی ذکر نبذ من الاخبار الوارده فی محاسبه النفس

و بیان کیفیه المحاسبه فأقول:

روی فی الوسائل من الکافی باسناده عن إبراهیم بن عمر الیمانی عن أبی الحسن الماضی علیه السّلام قال: لیس منّا من لم یحاسب نفسه فی کلّ یوم، فان عمل حسنا استزاد اللّه و إن عمل سیّئا استغفر اللّه منه و تاب إلیه.

و من الخصال و معانی الأخبار للصدوق مسندا عن عطا عن أبی ذر «ره» فی حدیث قال: قلت: یا رسول اللّه فما کانت صحف إبراهیم؟ قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: کانت أمثالا کلّها أیها الملک المبتلی المغرور إنّی لم ابعثک لتجمع الدّنیا بعضها علی بعض،

و لكن بعثتك لتردّ عنّى دعوه المظلوم فانّى لا أردّها و إن كانت من كافر، و على العاقل ما لم يكن مغلوبا أن تكون له ساعات: ساعه يناجى فيها ربّه، و ساعه يحاسب فيها نفسه، و ساعه يتفكّر فيها صنع اللّه إليه، و ساعه يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال فانّ هذه الساعه عون لتلك السّاعات و استجمام للقلوب و تفريغ لها.

و من مجالس الشيخ باسناده عن أبى ذر «ره» فى وصيّه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال:

يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فانّه أهون لحاسبك غدا، وزن نفسك قبل أن توزن، و تجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على اللّه خافيه إلى أن قال:

يا أبا ذر لا يكون الرّجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبه الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه و من أين مشربه و من أين ملبسه من حلال أو من حرام، يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال اللّه من أين أدخله النّار.

و من تفسير العسكرى عن آبائه عن علىّ عن النّبىّ سلام اللّه عليه و عليهم قال عليه السّلام: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه و عمل لما بعد الموت، فقال رجل يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه؟ قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه و قال: يا نفس إنّ هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبدا و اللّه يسألك عنه بما أفنيته فما الذى عملت فيه أذكرت اللّه أم حمدته أقضيت حوائج مؤمن فيه أنفسّت عنه كربه أحفظته بظهر الغيب فى أهله و ولده أحفظته بعد الموت فى مخلفيه أكففت عن غيبه أخ مؤمن أعنت مسلما ما الذى صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه فان ذكر أنه جرى منه خير حمد اللّه و كبّره على توفيقه، و إن ذكر معصيه أو تقصيرا استغفر اللّه و عزم على ترك معاودته.

و عن علىّ بن موسى بن طاوس فى كتاب محاسبه النّفس قال: و رأيت فى كتاب مسعده بن زياد من اصول الشيعه فيما رواه عن الصّادق عليه السّلام عن أبيه قال:

اللّيل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلايق إلاّ الثقلين يابن آدم إنّى خلق جديد إنّى على ما فىّ شهيد فخذ منّى فانّى لو طلعت الشّمس لم أرجع إلى الدّنيا و لم تزدد فىّ من حسنه و لم تستعتب فىّ من سيئه، و كذلك يقول النّهار إذا أدبر اللّيل، و باللّه التّوفيق.

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن امام أنام است علیه الصّلاه و السّلام که فاتحه اش متضمّن است بعض صفات کمالیه الهیّه را و خاتمه اش مشتمل است بر موعظه و نصیحت می فرماید:

حمد و ثنا خداوند معبود بحقی را سزاست که شناخته شده است بی حسّ و بصر، و خلق نموده بی فکر و نظر، آن چنان پروردگاری که دایم است با لذات و متصف است ببقا و ثبات در وقتی که نبود هیچ آسمان صاحب برجها، و نه حجابهای صاحب درها، و نه شب تاریک، و نه بحر ساکن غیر متحرك، و نه کوهی که صاحب راههای فراخ است، و نه راههای فراخ که متصف است باعوجاج و کجی، و نه زمینی که صاحب فرش است و قرار، و نه خلقی که صاحب قوّتست و اقتدار.

این ذات موصوف بصفات کمالات آفریننده خلایق است و وارث ایشان، و معبود مخلوقاتست و رزق دهنده ایشان، و آفتاب تابنده و ماه درخشنده حرکت کننده اند بعادت مستمره بر طبق رضای او در حالتی که فانی میکنند هر جدید را، و نزدیک می نمایند هر بعید را، قسمت فرموده است روزی های خلق را، و شمرده است اثرها و عملهای ایشان را، و تعداد نموده نفسهای ایشان را، و عالم است بخیانت چشمهای ایشان و به آن چه پنهان میکند سینه های ایشان از آنچه که در دل می گیرند از قصد عصیان و غیر آن، و دانا است بقرارگاه و محلّ ودیعهٔ ایشان از ارحام ما دران و أصلاب پدران تا آنکه بنهایت می رسد ایشان را غایتها، یعنی خبیر است بجمیع احوال و اعمال ایشان از ابتداء تا انتهاء.

آن خداوندی که شدید است عقوبت او بر اعداء خود در وسعت رحمت او، و وسعت دارد رحمت او بر اولیاء خود در شدّت عقوبت او، قهر کنندهٔ کسیست که غلبگی جوید بر او، و هلاك کنندهٔ کسیست که نزاع کند با او، و ذلیل کننده کسی است که عناد ورزد با او، و غلبه کنندهٔ کسیست که عداوت نماید او را، هر که توکل

ص:۲۸۳

کرد بر او کفایت نمود او را، و هر کس سؤال کرد از او عطا فرمود او را، و هر که قرض داد باو و مال خود را در راه او صرف نمود عوض داد باو، و هر که شکرانهٔ نعمت او را بجا آورد جزای خیر داد باو.

ای بندگان خدا بسنجید نفسهای خود را بمیزان عدل در دنیا پیش از آنکه سنجیده شوید بمیزان عمل در آخرت، و محاسبه کنید با نفسهای خود پیش از آنکه بمقام محاسبه آورده شوید در قیامت، و نفس زنید و فرصت غنیمت شمارید پیش از تنگ شدن گلو، و مطیع و منقاد باشید پیش از رانده شدن با مشقت بسوی آخرت.

و بدانید آن کسی که اعانت فرموده نشده بر نفس خود تا آنکه باشد او را از آن نفس پند دهنده، و زجر کننده نیست او را از غیر نفس او زجر کننده و نه پند دهنده، یعنی کسی که اعانت نفرموده باشد خداوند او را بر غلبهٔ نفس أمّاره او تا این که مستعد و قابل شود بر قبول موعظه و نصیحت از پیش خود، ثمری نمی بخشد او را موعظه و نصیحت دیگران، و اللّه أعلم.

و من خطبه له علیه السّلام تعرف بخطبه الاشباح و هی

اشاره

التسعون من المختار فی باب الخطب

و هی من خطبه المشهوره روی بعض فقراتها المحدّث العلاّمه المجلسی (ره) فی البحار من کتاب مطالب السّؤول لمحمّد بن طلحه الشّافعی، و رواها الصّدوق فی التّوحید مسندا باختصار و اختلاف کثیر لما أورده السّید (ره) فی الکتاب.

قال: حدّثنی علیّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدّقاق ره، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبد اللّه الکوفی، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعیل البرمکیّ، قال: حدّثنی علیّ بن العبّاس، قال: حدّثنی إسماعیل بن مهران الکوفیّ عن إسماعیل بن إسحاق الجهنی عن فرج بن فروه عن مسعده بن صدقه قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: بینا أمیر المؤمنین علیه السّلام یخطب علی المنبر بالکوفه إذ قام إلیه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین صف لنا ربّک تبارک و تعالی لنزداد له حبّا و به معرفه، فغضب أمیر المؤمنین و نادی:

الصّلاه(۱) جـامعه فاجتمع النّاس حتّی غصّ المسـجد بأهله ثمّ قام متغیّر اللّون فقال: الحمـد للّه إلی آخر ما رواه هـذا، و شـرح ما أورده السیّد ره هنا فی ضمن فصول:

الفصل الاول

اشاره

قـال السـیّد ره: و هی من جلایـل خطبه علیه السّـلام و کـان سأله سائل أن یصف اللّه له حتّی کأنّه یره عیانا، فغضب علیه السّـلام لذلک:

الحمـد للّه الّـذی لا یفره المنع و الجمود، و لا یکدیه الإعطاء و الجود. إذ کلّ معط منتقص سواه، و کلّ مانع مذموم ما خلاه، هو المنّان بفوائد النّعم، و عوائد المزید و القسم، عیاله الخلق، ضـمن أرزاقهم، و قدّر أقواتهم و نهج سبیل الرّاغبین إلیه، و الطّالبین ما لـدیه، و لیس بما سـئل بأجود منه بما لم یسـئل، الأوّل الّـذی لم یکن له قبل فیکون شـیء قبله، و الآخر الّذی لیس له بعد فیکون شیء بعـده، و الرّادع أناسـیّ الأبصـار عن أن تنـاله أو تـدرکه، ما اختلف علیه دهر فیختلف منه الحال، و لا کان فی مکان فیجوز علیه الانتقـال، و لو وهب مـا تنفّست عنه معادن الجبال، و ضـحکت عنه أصـداف البحار من فلزّ اللّجین و العقیان، و نثاره الـدّرّ و حصید المرجان، ما أثّر ذلک فی جوده، و لا أنفد سعه ما عنده، و لکان عنده من ذخایر الأنعام، ما لا تنفده مطالب الأنام،

۱- (۱) منصوب بفعل المضمر ای احضروا الصلاه و جامعه حال و غصّ المسجد ای امتلاء فهو غاصّ بأهله، منه

لأنّه الجواد الّذى لا يغيضه سؤال السّائلين، و لا يبخله إلحاح الملحّين.

اللغه

(الأشباح) جمع الشّبح و هو الشّخص كالأسباب و السبب و (وفر) الشىء يفر من باب وعد وفورا تمّ و كمل، و وفرته وفرا من باب وعد أيضا أتممته و أكملته يتعدّى و لا يتعدّى و المصدر فارق و (أكدى) الرّجل إذا بخل أو قلّ خيره أو قلل عطائه قال سبحانه:

«وَ أَعْطى قَلِيلاً وَ أَكْدى ».

و أصله كدى كرمى و منه أرض كادئه بطيئه الانبات و (الأناسى) جمع الانسان و هو المثال الذى يرى فى سواد العين و (الأصداف) جمع الصدف بالتّحريك و هو غشاء الدّر و (الفلز) بكسر الفاء و اللام و تشديد الزاء و كعتلّ قال فى القاموس: نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغه أو خبث الحديد أو الحجاره أو جواهر الأرض كلّها أو ما ينفيه الكير من كلّ ما يذاب منها و (العقيان) الذّهب الخالص و يقال هو ما ينبت نباتا و ليس ممّا يحصل من الحجاره و (نثاره) الدّر ما تناثر منه.

قال الشّارح المعتزلى: و تأتى فعاله تاره للجيّد المختار و تاره للسّاقط المتروك فالأوّل نحو الخلاصه و الثانى نحو القلامه و (الدّر) جمع الدّره و هى اللّؤلؤه العظيمه و (غاض) الماء نقص و غاضه اللّه كأغاضه أنقصه يتعدّى بنفسه و بالهمز و (أبخلته) وجدته بخيلا.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و كلّ مانع مذموم ما خلاه الأصل فى خلا أنه لازم يتعدّى إلى المفعول بمن نحو خلت الدار من الانيس، و قد تضمن معنى جاوز فيتعدّى بنفسه كقولهم افعل هذا و خلاك ذمّ أى جاوزك.

قال الرّضى: و الزموها هذا التضمن فى باب الاستثناء فيكون ما بعدها فى صوره المستثنى بالّا التى هى أمّ الباب و لهذا الغرض التزموا إضمار فاعله إلى أن

قال: و فاعل خلا عند النحاه بعضهم، و فيه نظر لأنّ المقصود فی جائنی القوم خلا زیدا أنّ زیدا لم یکن معهم أصلا و لا یلزم من مجاوزه بعض القوم إیاه و خلوّ بعضهم منه مجاوزه الکلّ و خلوّ الکلّ، و الأولی أن یضمر فیه ضمیر راجعا إلی مصدر الفعل المتقدّم أی جائنی القوم خلا مجیئهم زیدا، کقوله تعالی:

«اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی ».

فیکون مفسر الضمیر سیاق القول هذا.

و ما فیه مصدریه و لذلک التزم انتصاب ما بعده لأنّ ماء المصدریه تدخل علی الفعلیه غالبا، و الاسمیه قلیلا و لیس بعدها اسمیه فتعین الفعلیه فتعین أن یکون فعلا فوجب النصب و المضاف محذوف أی وقت ما خلا مجیئهم زیدا، و ذلک انّ الحین کثیرا ما یحذف مع ماء المصدریه نحو: ما ذرّ شارق و نحوه ذکر ذلک کلّه نجم الأئمه الرضیّ (ره).

قال: و جوّز الجرمی الجرّ بعد ما خلا و ما عدا علی أنّ ما زایده، و لم یثبت انتهی.

أقول: حمل ما علی الزیاده فی کلام الامام علیه السّلام علی تقدیر ثبوته أقرب إلی المعنی کما لا یخفی، و حملها علی المصدریه محتاج إلی التکلّف کما هو غیر خفیّ علی الفطن العارف، و اضافه الفوائد إلی النعم بیانیه، و فی قوله و عوائد المزید من قبیل إضافه الموصوف إلی الصفه، و القسم عطف علی العوائد، و جمله ضمن فی محل النصب علی الحالیه من ضمیر عیاله

المعنی

اعلم أنّ هذه الخطبه الشریفه کما ذکره السید (ره) من جلائل خطبه علیه السّلام و مشاهرها و تسمی بخطبه الأشباح لاشتمالها علی ذکر الأشباح و الأشخاص من الملائکه و کیفیه خلقهم و بیان أقسامهم، و لعلّ غضبه علیه السّلام علی السائل من أجل أنّ غرض السائل کان وصفه تعالی بصفات الأجسام و زعمه جواز معرفته سبحانه

بالاکتناه کما یشهد به قوله: کأنه یراه عیانا، فغضب علیه السّلام لذلک و تغیّر لونه لأجل ذلک و وصفه بأوصاف العزّ و الکمال و صفات الجبروت و الجلال فقال:

(الحمد للّه الذی لا یفره المنع و الجمود) أی لا یوجب وفور ماله المنع و الامساک (و لا یکدیه الاعطاء و الجود) أی لا یقلل اعطائه البذل و الاحسان یقول علیه السّلام إنه سبحانه لیس کملوک الدنیا یتزید بالامساک و ینتقص بالانفاق إذ مقدوراته سبحانه غیر متناهیه و ما عنده لا یدخله نقص و لا فناء، بل یدخلان الفانی المحدود و یشهد به ما مرّ فی شرح الخطبه السابقه من الحدیث القدسی: یا عبادی لو أنّ أولکم و آخرکم و انسکم و جنکم قاموا فی صعید واحد فسألونی فأعطیت کلّ انسان مسألته ما نقص ذلک مما عندی شیئا إلاّ کما ینقص المخیط إذا دخل البحر أی لا ینقص شیئا.

و إلی ما ذکرنا أشار علیه السّلام بقوله:(إذ کلّ معط منتقص سواه) و بحار فضله لا ینقص بالافضال، و خزائن کرمه لا تقلّ بالانعام و النوال.

و لما نبّه علیه السّلام علی عدم إمکان دخول النقصان فی بحر فضله وجوده أردف ذلک بنفی لحوق الذّم بمنعه علی وجوده بقوله:(و کلّ مانع مذموم ما خلاه) و ذلک لأنّ کلّ مانع غیره إنما یمنع لخوف الضیق و المسکنه و خشیه الفقر و الفاقه أو بخل نفسه الاماره، فحریّ أن یلحقه المذمّه و الملامه و أمّا اللّه القدّوس السبحان فلما کان منزها عن صفات النقصان؛ و محالا أن یلحقه طواری الامکان، فلیس منعه لضیق أو بخل، و إنما یمنع بمقتضا حکمه بالغه و داعی مصلحه خفیه أو ظاهره، فمنعه فی الحقیقه عین الفضل و الاحسان و العطاء و الامتنان.

کما ورد فی الحدیث القدسی: إنّ من عبادی من لا یصلحه إلاّ الفقر و لو أغنیته لأفسده ذلک و فی حدیث آخر: و إنّ من عبادی المؤمنین لعبادا لا یصلح لهم أمر دینهم إلاّ بالفاقه و المسکنه و القسم فی أبدانهم فأبلوهم بالفاقه و المسکنه و القسم فصلح

إليهم أمر دينهم و أنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادى المؤمنين (هو المنان بفوائد النعم) أى كثير الانعام على العباد و المعطى لهم ابتداء من غير سبق سؤال، و به فسّره الفيروز آبادى.

و يدلّ عليه ما رواه الطريحى قال: و فى حديث علىّ عليه السّلام و قد سئل عن الحنّان و المنّان فقال: الحنّان هو الذى يقبل على من أعرض عنه، و المنّان هو الذى يبدء بالنّوال قبل السؤال.

و بذلك ظهر أنّ جعل المنّان مبالغه فى المنّه و إظهار الاصطناع كما فى شرح البحرانى ممّا لا وجه له بل هو تفسير بالرأى فى مقابله النصّ، و لا بأس بذكر كلامه لتوضيح مرامه.

قال فى شرح هذه الفقره: المنه تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته و التطاول عليه بها كقوله تعالى:

«يا بَنِى إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » فى غير موضع من كتابه و هى صفه مدح للحقّ سبحانه و إن كان صفه ذمّ لخلقه.

و السّبب الفارق أنّ كلّ منعم سواه يحتمل أن يتوقّع لنعمته جزاء و يستفيد كمالا يعود إليه ممّا أفاده، و أيسره توقّع الذكر و يقبح ممّن يعامل بنعمته و يتوقّع جزاء أن يمنّ بها لما يستلزمه المن من التّطاول و الكبر و توقّع الجزاء و الحاجه إليه مع التّطاول و الكبر مما لا يجتمعان فى العرف، إذ التّطاول و الكبر إنما يليقان بالغنى عن ثمره ما تطاول به إلى آخر ما ذكره.

أقول: أمّا قبح الامتنان من المخلوق فممّا لا ريب فيه، لكونه ناشئا من خسّه النّفس و دنائه الهمّه و لذلك مدح اللّه سبحانه عباده المتّقين بما حكى عنهم بقوله:

«إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً » كما أنه لا ريب فى جوازه على اللّه سبحانه، و يدلّ عليه صريح الكتاب و السنّه، و أما جعل المنّان من أسمائه سبحانه بذلك المعنى فلا دليل عليه، بل الدليل قائم على

خلافه حسبما عرفت، مع أنّ إراده هذا المعنى فی هذا المقام أعنی کلام الامام علیه السّلام علی فرض ثبوت أصله ممّا یأبی عنه الذوق السّلیم و الطبع المستقیم إذ المعنی الذی ذکرنا أولی بالتمدّح منه کما لا یخفی، هذا.

و ما أبعد ما بین ما ذکره الشّارح و ما ذهب إلیه السیّد علیخان شارح الصحیفه السّجادیه من نفی جواز المنه علی اللّه رأسا کعدم جوازه علی الخلق حیث قال فی شرح دعاء طلب الحوائج عند شرح قوله علیه السّلام: یا من لا یبیع نعمه بالأثمان، و یا من لا یکدّر عطایاه بالامتنان: الامتنان افتعال من المنّ و هو إظهار الاصطناع و اعتداد الصنائع کان تقول: ألم أعطک کذا، ألم أحسن إلیک، ألم أعنک؟ و هو تعبیر یکدّر المعروف و ینغصه فلهذا نهی الشّارع عنه بقوله:

«لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذی ».

و من هنا قیل: سیّان من منح النائل و منّ، و من منع السّائل و ضنّ، و المراد بنفی تکدیره تعالی عطایاه بالامتنان نفی الامتنان عنه رأسا فهو من باب نفی الشیء بلازمه أی لا امتنان فلا تکدیر.

ثمّ لما کان الامتنان بالمعنی المذکور ذیله ناشئه عن دنائه النّفس و صغر الهمه و استعظام النعمه و الاحسان کان تعالی منزّه عن الامتنان، لأنّ کلّ نعمه من نعمه تعالی و إن عظمت و کلّ عطیّه من عطایاه و إن جلّت بالنّسبه إلی العبد المعطی و المنعم علیه فهی حقیره بالنّسبه إلی عظمته جلّت قدرته، و شأنه تعالی أجلّ من أن یکون لها عنده موقع فیمنّ بها و یعتدّ بها علی من أعطاه و أنعم علیه، و قول بعض العلماء إنّ المنّه بالمعنی المذکور صفه مدح للحقّ سبحانه و إن کان صفه ذمّ للمخلوق لیس بشیء و عباره الدّعاء تشهد ببطلانه، انتهی.

أقول: و الانصاف أنّ نفی الامتنان عنه سبحانه رأسا لا وجه له مع نصّ الآیه الشّریفه أعنی قوله:

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ » بخلافه(١) و دلاله الآيات الوارده فی مقام الامتنان علیه بل المنفیّ عنه هو الامتنان المتصوّر فی الخلایق.

بیان ذلک أنّ الامتنان من المنعم علی المنعم علیه تاره یکون لاراده مکافاه الأنعام و طلب العوض من الثّواب الآجل و الثناء العاجل، و بعباره أخری لتوقّع منفعه عایده علی المنعم بانعامه، و أخری إراده تذکّر المنعم علیه للنّعمه و استعداده بذلک لقبول نعمه اخری و تحصیل منفعه ثانیه من دون أن یکون للمنعم فیه تحصیل فایده و اکتساب منفعه لنفسه أصلا.

فالامتنان علی الوجه الأوّل هو القبیح و إلیه یعود منّه الخلایق، و أمّا الثانی فلا قبح فیه أصلا بل هو حسن یشهد به الوجدان فلا غبار علی جوازه علی اللّه سبحانه و علی ما حقّقته فمعنی قوله علیه السّلام: یا من لا یکدّر عطایاه بالامتنان: أنّ امتنانه لا یوجب التکدّر کما یوجبه امتنان غیره إذ غرضه تعالی منه لیس إلاّ محض التّفضل و التّطول و إیصال نعمه أخری إلی الممتنّ علیه، و غرض غیره منه تحصیل منفعه لنفسه فمنّته یکشف عن عدم خلوص إحسانه و کونه مشوبا بالاغراض النّفسانیه، و علی ذلک فالمنفیّ فی کلام الامام علیه السّلام هو التکدیر لا أصل الامتنان و إلاّ امتنع الجمع بینه و بین الادلّه الدالّه علی الامتنان و یکون مناقضا صریحا لها، فافهم و اغتنم، و اللّه العالم.

و قوله (و عوائد المزید و القسم) قال البحرانیّ: أی معتادهما، و هو سهو إذ العوائد جمع العایده لا العاده حتّی یکون بمعنی المعتاد، و العائده کما فی القاموس المعروف و الصّله و العطف و المنفعه، و المزید مصدر إما بمعنی الفاعل أو المفعول

١- (١) متعلق بقوله: نصّ.

و إضافه العایـده إلیه من باب إضافه الموصوف إلی صـفته لا بالعکس کما هو لازم ما فسّـره البحرانی، و المراد أنّه سـبحانه منّان علی العباد بصلاته و عطوفاته الزائده أو المزید و قسمه المقدره.

(عیـاله الخلق ضـمن أرزاقهم و قـدّر أقواتهم) لمـا کـان عیـال الرّجـل عبـاره عمن یمونه و ینفق علیه و یصـلح حـاله اسـتعار لفظه للخلایق بالنّسبه إلی ربّهم لخلقه لهم و تربیته فی حقّهم و إصلاحه حالهم فی المعاش و المعاد.

قال البحرانی: و اسـتعار لفظ الضّـمان لما وجب فی الحکمه الالهیّه من وجود ما لا بدّ منه فی تدبیر إصـلاح حالهم من الأقوات و الأرزاق و تقدیر أقواتهم إعطاء کلّ ما کتب له فی اللّوح المحفوظ من زائد و ناقص، انتهی، و هذا هو المشار إلیه بقوله سبحانه:

«نَحْنُ قَسَمْنا بَیْنَهُمْ مَعِیشَتَهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا ».

و اعلم أنّ الرزق فی اللّغه هـو العطـاء و یطلق علی النصـیب المعطی، و أمّـا فی العرف فقـالت الأشـاعره هو مطلق مـا ینتفع به حیّ مباحـا کـان أو حرامـا بالتغـذّی أو بغیره، و ذهب أصـحابنا کالمعتزله إلی أنه ما صـحّ انتفاع الحیوان به و لیس لأحـد منعه منه فلا یکون الحرام رزقا، لأنّ اللّه سبحانه منع من الانتفاع به و أمر بالزّجر عنه و لا بأس بذکر أدلّه الظرفین لیتّضح الحقّ من البین.

فـأقول: اسـتدلّ الأشـاعره بمـا رووه عن صـفوان بن امیّه قال: کنّا عنـد رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم إذ جاء عمر بن قرّه فقال: یا رسول اللّه إنّ اللّه کتب علیّ الشّـقوه فلا أرانی أرزق إلّا من دفّی(۱) بکفّی فأذن لی فی الغناء، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا آذن لک و لا کرامه و لا نعمه کذبت أی عدوّ اللّه و اللّه لقد رزقک اللّه حلالا طیبا، فاخترت ما حرّم اللّه علیک مکان ما أحلّ اللّه لک من حلاله، و بقوله تعالی:

۱- (۱) الدف آله اللهو.

«وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّ عَلَی اللّهِ رِزْقُها ».

تقریب الاستدلال ما ذکره الفخر الرّازی فی التفسیر الکبیر حیث قال: تعلّق أصحابنا بهذه الآیه فی إثبات أنّ الرّزق قد یکون حراما قالوا: لأنّه ثبت أنّ إیصال الرّزق إلی کلّ حیوان واجب علی اللّه تعالی بحسب الوعد و بحسب الاستحقاق، و اللّه تعالی لا یخلّ بالواجب، ثمّ قد نری انسانا لا- یأکل من الحلال طول عمره فلو لم یکن الحرام رزقا لکان اللّه تعالی ما أوصل رزقه إلیه فیکون تعالی قد أخلّ بالواجب و ذلک محال، فعلمنا أنّ الحرام قد یکون رزقا.

و اجیب عن الأوّل تاره بالطّعن فی السّند، و أخری بأنّه علی تقدیر صحّته لا- بدّ من تأویله بأنّ إطلاق الرّزق علی الحرام فیه لمشاکله قوله فلا- أرانی ارزق، علی حدّ قوله: و مکروا و مکر اللّه، و باب المشاکله و إن کان نوعا من المجاز لکنه واسع کثیر الورود فی الکتاب و السنه معروف الاستعمال فی نظم البلغاء و نثرهم فلا بدّ من المصیر إلیه جمعا بین الأدلّه.

و عن الثّانی بمنع وجود مادّه النقض إذ لا نسلّم وجود حیوان لا یرزق إلاّ بالحرام مدّه عمره، أمّا غیر الانسان فواضح إذ لا یتصوّر بالنّسبه إلیه حلّ و لا حرمه.

أمّا الانسان فلأنّه فی أیّام الصّبا و عدم التّکلیف لا یتّصف ما یأکله بالحرمه کعدم اتصافه بالاباحه، بل هو کالحیوان فی عدم اتصاف أفعاله بشیء من الأحکام الخمسه.

و أمّا بعد البلوغ فلأنّه بعد ما کان الرّزق أعمّ من الغذاء باتفاق المعتزله و الأشاعره یشمل التنفّس فی الهوا و معلوم أنه مباح فی حقّه قطعا فلم یوجد حیوان لا یرزق إلاّ بالحرام طول عمره، و یوضحه أنّه لو مات انسان قبل أن یأکل شیئا حلالا أو حراما لزم أن یکون غیر مرزوق فما هو جواب الأشاعره فهو جوابنا.

ص:۲۹۳

و استدلّ المعتزله على المذهب المختار بقوله سبحانه:

«وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ » حيث مدحهم بانفاقهم من رزقه فلا بدّ أن يكون الرّزق حلالا إذ الانفاق من الحرام بمعزل عن إيجاب المدح.

أقول: و لا يخفى ما فيه: إذ يجوز جعل من تبعيضيّه فيكون معنى الآيه أنّهم ينفقون بعض ما رزقهم اللّه، و مدحهم بذلك يستلزم أن يكون ما أنفقوه حلالا و لا يستلزم أن يكون جميع ما رزقهم اللّه حلالا، و هو واضح.

و استدلّ بعض أصحابنا بما رواها العامه و الخاصّه من خطبته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حجّه الوداع و هى صريحه غير قابله للتّأويل. و رواها الكلينىّ باسناده إلى الامام أبى جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حجّه الوداع: ألّا إنّ الرّوح الأمين نفث فى روعى أنه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتّقوا اللّه و أجملوا فى الطلب و لا يحملنكم استبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوه بشيء من معصيه اللّه، فانّ اللّه تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا و لم يقسّمها حراما، فمن اتّقى اللّه و صبر أتاه رزقه من حلّه، و من هتك حجاب ستر اللّه و عجّل و أخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامه، هذا.

و بقى الكلام فى أنّ الرزق هل يقبل الزياده و النّقصان بالسّعى و عدمه ظاهر بعض الأخبار العدم، و هو ما رواه فى الكافى باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال:

ايّها النّاس اعلموا أنّ كمال الدّين طلب العلم و العمل به ألا و إنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إنّ المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم و ضمنه و سيفى لكم، و العلم مخزون عند أهله و قد امرتم بطلبه من أهله فاطلبوه.

و فى دعاء الصّحيفه السجاديه على صاحبها آلاف الصّلاه و السّلام و التّحيه جعل لكلّ روح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه لا ينقص من زاده ناقص و لا يزيد من نقص منهم زائد، يعنى أنّ من زاد اللّه رزقه منهم لا ينقصه ناقص، و من نقصه سبحانه

لا ـ يزيده زايد، و تقديم المفعول فى الفقرتين لمزيد الاعتناء ببيان فعله من الزياده و النقصان و هو نصّ فى أنّ غيره تعالى لا يستطيع أن يتصرّف فى الرزق المقسوم بالزياده و النّقص.

و فى روايه اخرى: إنّ أرزاقكم تطلبكم كما تطلبكم آجالكم فلن تفوتوا الأرزاق كما لم تفوتوا الآجال.

و المستفاد من الأدلّه الاخر مدخليه الطلب و السّعى فيها، مثل ما رواه فى الوسائل من كنز الفوائد للكراجكى قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: الدّنيا دول فاطلب حظك منها بأجمل الطلب.

و فيه عن شيخنا الطوسى قدّس اللّه روحه باسناده عن علىّ بن عبد العزيز قال:

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل على العباده و ترك التجاره، فقال: ويحه أما علم أنّ تارك الطلب لا يستجاب له دعوه، إنّ قوما من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما نزلت:

«وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ».

اغلقوا الأبواب و أقبلوا على العباده و قالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأرسل اليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول اللّه تكفّل اللّه لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العباده، فقال: إنّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب.

و عن الكلينىّ باسناده عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيته و أغلق بابه أ كان يسقط عليه شىء من السّماء؟ و عن أحمد بن فهد فى عدّه الدّاعى عن عمر بن يزيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

إنى لأركب فى الحاجه التى كفانيها اللّه، ما أركب فيها إلاّ لالتماس أن يرانى اللّه اضحى فى طلب الحلال أما تسمع قول اللّه عزّ و جلّ:

«فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاهُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ »

أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيتا و طين عليه بابه و قال: رزقى ينزل علىّ كاين يكون هذا أما أنّه يكون أحد الثّلاثه الذين لا يستجاب لهم دعوه، قلت: من هؤلاء؟ قال عليه السّلام: رجل عنده المرأه فيدعو عليها فلا يستجاب له، لأنّ عصمتها فى يده و لو شاء أن يخلّى سبيلها، و الرّجل يكون له الحقّ على الرجل فلا يشهد عليه فيجحد حقّه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنّه ترك ما امر به، و الرجل يكون عنده الشّىء فيجلس فى بيته فلا ينتشر و لا يطلب و لا يلتمس الرّزق حتّى يأكله فيدعو فلا يستجاب له، و بمعناها روايات اخر.

و يمكن الجمع بينها و بين الأخبار السّابقه بجعل الرزق على قسمين:

أحدهما ما ليس للطلب و السعى مدخليه فيه، و الثانى ما لا ينال إلّا بالطلب فيحمل الأخبار السّابقه على القسم الأوّل، و الأدلّه الأخيره على القسم الثّانى.

و يشهد على هذا الجمع ما رواه فى الوسائل من مقنعه المفيد قال: قال الصادق عليه السّلام: الرزق مقسوم على ضربين: أحدهما و اصل إلى صاحبه و إن لم يطلبه، و الآخر معلّق بطلبه فالذى قسّم للعبد على كلّ حال آتيه و إن لم يسع له و الذى قسّم له بالسّعى فينبغى أن يلتمسه من وجوهه و هو ما أحلّه اللّه دون غيره، فان طلبه من جهه الحرام فوجده حسب عليه برزقه و حوسب به.

(و نهج سبيل الراغبين إليه و الطالبين ما لديه) كما قال سبحانه:

«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً ».

أراد أنّه تعالى أوضح السّبيل للراغبين إلى النظر إلى وجهه الكريم، و الطالبين لما عنده من الفوز العظيم بما وضعه لهم من الشرع القويم و الدين المستقيم (و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل) تنزيه له سبحانه عن صفات الخلق فانّهم يتحركون بالسؤال و تهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألوا، لكونه أسهل عندهم و أقرب إلى الانجاح، إذ السائل لا يسأل ما ليس فى وسع المسئول عنه و ما هو أعزّ عنده و لذلك كانوا بما سئلوا أجود، و أما اللّه تبارك و تعالى

فلیس فی عموم جوده و خزانه کرمه تفاوت بین المسئول و غیر المسئول.

بیان ذلک علی ما حقّقه الشّارح البحرانی (ره) أنّ فیضان ما صدر عنه سبحانه له اعتبار ان:

أحدهما بالنظر إلی جوده، و هو من تلک الجهه غیر مختلف فی جمیع الموجودات بل نسبتها إلیه علی سواء بذلک الاعتبار فلا یقال: هو بکذا أجود منه بکذا و إلّا لاستلزم ذلک أن یکون ببعض الأشیاء أبخل أو الیها أحوج فیلزمه النقصان تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا.

الثّانی بالنظر إلی الممکن نفسه، و الاختلاف الواقع فی القرب و البعد إلی جوده إنّما هو من تلک الجهه فکلّ ممکن کان أتمّ استعدادا و أقبل للوجود و أقلّ شرطا و معاندا کان أقرب إلی جوده.

إذا عرفت ذلک ظهر لک أنّ السّائل إن حصل له ما سأله من اللّه دون ما لم یسأل فلیس حرمانه مما لم یسأل لعزّته عند اللّه، و لیس بینه و بین المسئول بالنسبه إلی جوده تفاوت، بل إنّما خصّ بالمسئول لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم یسأله و لو سأل ما لم یسأله و استحقّ وجوده لما کان فی الجود الالهی بخل به و لا منع فی حقه، و ان عظم خطره و جلّ قدره و لم یکن له أثر نقصان فی خزائن ملکه و عموم جوده.

(الأوّل الذی لم یکن له قبل فیکون شیء قبله، و الآخر الذی لیس له بعد فیکون شیء بعده) قد سبق فی شرح الخطبه الرابعه و الستین معنی أولیّته و آخریته تعالی و ظهر لک هناک أن أولیّته لا ینافی آخریّته، و آخریّته لا ینافی أولیّته و نزید هنا بیانا و نقول: إنّ الأشیاء فی سلسله الوجود بدایه و نهایه منتهیه إلیه سبحانه، فهو أوّل الأشیاء و آخرها لیس شیء قبله و لا شیء بعده.

قال النیسابوری فی تفسیره: معنی الأول و الآخر أنه أوّل فی ترتیب الوجود و آخر إذا عکس الترتیب، فانه ینطبق علی السلسله المترتبه من العلل إلی المعلولات و من الأشرف إلی الأخسّ و علی الاخذ من الوحده إلی الکثره مما یلی الأزل

إلى ما يلى الأبد و مما يلى المحيط إلى ما يقرب من المركز، فهو تعالى أوّل بالترتيب الطبيعى و آخر بالترتيب المنعكس، انتهى.

و مراده بالترتيب المنعكس أنّ الأشياء إذا نسبت إلى أسبابها وقفت عنده، و ذلك انّك إذا نظرت إلى وجود شيء و فتّشت عن سببه ثمّ عن سبب سببه و هكذا فتنتهى بالأخره إليه تعالى، لأنّه آخر ما ينحلّ إليه اجتماع أسباب الشّىء، فظهر بذلك أن كونه أوّلا ـ و آخرا إنّما هو بالنّظر إلى ذاته المقدّس لا ـ باعتبار تقدّمه زمانا و تأخّره زمانا، لكون الزمان متأخّرا عنه تعالى إذ هو من لواحق الحركه المتأخّره عن الجسم المتأخّر عن علّته، فلا يلحقه القبليّه و البعديّه الزمانيه فضلا أن تسبق عليه أو تلحق به، فلم يكن شيء قبله و لا بعده لا من الزمانيات و لا من غيرها.

و ذكر الشّارح المعتزلى فى المقام وجها آخر و هو أن يكون المراد أنه الذى لم يكن محدثا أى موجودا قد سبقه عدم فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء اما المؤثر فيه او الزمان المقدّم عليه و أنه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيما لا يزال فيقال إنه ينقضى و ينصرف فيكون بعده شيء من الأشياء الزمان أو غيره.

(و الرادع اناسىّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه) أراد به امتناع رؤيته سبحانه لكونه تعالى منزها عن الجهه و المكان، و الباصره لا تتعلّق إلّا بما كان فيهما و قد تقدّم تفصيل ذلك و تحقيقه بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين و هذا اللّفظ و إن كان بظاهره يعطى مذهب الأشاعره من أنّ اللّه يجوز إداركه و رؤيته و لكنه خلق فى الأبصار مانعا عن إدراكه، إلّا أنّه لا بدّ من تأويله و حمله على ما ذكرنا بعد قيام الأدلّه القاطعه من العقل و النقل على استحاله إدراكه من حيث ذاته.

(ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال) أراد بذلك كونه منزّها عن لحوق الزمان و عن التغيّرات الجاريه على الزّمانيات فانّ مبدء التّغيرات و الاختلاف فى الأحوال هو الزمان، فلما كان متعاليا عن الزمان كان منزّها عن اختلاف الحالات الذى هو من لواحق الامكان.

ص:۲۹۸

و یوضح ذلک ما رواه فی الکافی باسناده عن ابن أبی یعفور قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ ».

و قلت: أمّا الأوّل فقد عرفناه، و أمّا الآخر فبیّن لنا تفسیره، فقال: إنه لیس شیء إلاّ یبید أو یتغیّر أو یدخله التغیّر و الزوال أو ینتقل من لون إلی لون و من هیئه إلی هیئه و من صفه إلی صفه و من زیاده إلی نقصان و من نقصان إلی زیاده إلاّ ربّ العالمین فانّه لم یزل و لا یزال بحاله واحده، هو الأوّل قبل کلّ شیء و هو الآخر علی ما لم یزل، و لا یختلف علیه الصفات و الأسماء کما تختلف علی غیره مثل الانسان الذی یکون ترابا مرّه، و مرّه لحما و دما و مرّه رفاتا و رمیما، و کالبسر الذی یکون مرّه بلحا(۱) ، و مرّه بسرا، و مرّه تمرا، فتتبدّل علیه الأسماء و الصّفات و اللّه عزّ و جلّ بخلاف ذلک.

(و لا کان فی مکان فیجوز علیه الانتقال) أراد بذلک تنزیهه عن الکون فی المکان لاستلزامه الافتقار الذی هو من صفات الامکان و إذا لم یکن فی مکان فلا یجوز علیه الانتقال منه إلی غیره، إذ جواز الانتقال انما هو من شأن ذی المکان بل:

«هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ ».

و نسبه جمیع الأمکنه إلیه تعالی علی سواء:

وَ هُوَ «یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ » «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ ».

و قد مرّ تحقیق ذلک فی شرح الفصل الخامس و السّادس من فصول الخطبه الأولی فتذکر.

(و لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال و ضحکت عنه أصداف البحار من

۱- (۱) البلح بالتحریک قبل البسر منه.

فلزّ اللّجين و العقيان و نثاره الدّر و حصيد المرجان ما أثّر ذلك فی جوده) أشار علیه السّلام بذلک إلی سعه جوده سبحانه و عموم کرمه و کمال قدرته و عدم تناهی مقدوراته، و لا یخفی ما فیه من فخامه اللفظ مع عظم المعنی، حیث إنه علیه السّلام شبّه المعادن بحیوان یتنفّس فیخرج من جوفه الهواء، و کذلک المعادن یخرج من بطونها الفلزات، ثمّ شبّه الأصداف بانسان یضحک و أثبت لها الضّحک بملاحظه أنّ الصّدف أوّل ما ینشقّ و ینفتح و یبدو منه اللؤلؤ یشبه بفم الانسان الضاحک و اللؤلؤ فیه یشبه بالاسنان و اللّحمه فیه تشبه اللّسان فی رقّه طرفه و لطافته.

و لما ذکر ما یخرج من المعادن و الأصداف مجملا فصّل بقوله: من فلزّ اللّجین و العقیان، و هو تفسیر لما یخرج من معادن الجبال و إنما خصّهما بالذکر مع عدم الاختصاص لأنّهما أعظم ما یتنافس فیه المتنافسون و یغتنمه أبناء الزمان، و لا عبره بالنحاس و الرّصاص و نحوهما فی جنبهما.

وبقوله:و نثاره الدّر و حصید المرجان،و هو بیان لما یخرج من الأصداف و الدّر کبار اللؤلؤ و المرجان صغاره و لصغره شبهه علیه السّلام بالحبّ الحصید و ربما یطلق المرجان علی الخرز الأحمر المعروف قال الشاعر:

أدمی لها المرجان صفحه خدّه و بکی علیها اللّؤلؤ المکنون

هو خرز یخرج من البحر أیضا، و ربما فسّر به قوله:

«مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ »... «یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ ».

و لکنه لیس مرادا فی کلام الامام علیه السّلام و لا یمکن حمله علیه کما هو ظاهر.

و کیف کان فالمقصود أنه سبحانه لو بذل جمیع ما فی الأرض من الکنوز و المعادن البرّیه و البحریه لأحد لم یؤثر ذلک فی جوده (و لا أنفد سعه ما عنده) من خزائن کرمه (و لکان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام) و ذلک لعدم إمکان إحصاء ما عنده بعدّ، و عدم وقوفه و انتهائه إلی حدّ (لأنه الجواد الذی

لاـ يغيضه سؤال السّائلين و لاـ يبخله الحاح الملحّين) يعنى لاـ يوجب سؤال السّائلين على كثرته نقصانا فى جوده و لاـ إصرار المصرّين بخلاـ فى كرمه، لأنّ البخل و النقصان من توابع المزاج و لو احق الامكان، و هو منزّه عن ذلك بالضروره و العيان، بل عنده نيل السؤلات و إنجاح الحاجات، و ما يسأله السائلون على كثرته يسير فى جوده، و ما يستوهبه الطالبون على خطره حقير فى وسعه و كرمه لا يضيق عن سؤال أحد، و يده بالعطاء أعلى من كلّ يد.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست كه معروف است بخطبهٔ اشباح، و اين از خطبه هاى جليله او است و بود سؤال نمود سائلى از او اين كه وصف كند پروردگار عالم را از براى او باندازه كه گويا آنرا آشكارا مى بيند پس غضب كرد آن حضرت از اين جهه و فرمود:

حمد و ثنا خدائى را سزاست كه بسيار نمى گرداند مال او را منع و امساك نمودن، و كم نمى گرداند عطاء او را بذل و بخشش كردن از جهت اين كه هر عطا كننده كم كننده است مال خود را سوى او، و هر منع نماينده مذموم است غير از حضرت او سبحانه.

او است بسيار احسان كننده بفوايد نعمتها و بمنفعتهاى زايده و قسمتهاى مقدره، عيال او است مخلوقات، ضامن شده است بروزيهاى ايشان و مقدر فرموده است قوتهاى ايشان را، واضح نموده است راه راغبان را بسوى خود و راه طالبان را به آن چه نزد او است، و نيست او به آن چه كه سؤال كرده شده با جودتر از او به آن چه كه درخواسته نشده.

أوّلى است كه نيست او را پيش تا اين كه باشد چيزى قبل از او، و آخرى است كه نيست او را بعد تا اين كه شود چيزى پس از آن، منع كننده است مردمك هاى ديده ها را از اين كه برسد بذات او يا درك نمايد او را، مختلف نشده است بر او روزگار پس مختلف شود از او حال، و نبوده است در مكان تا جايز باشد بر

او انتقال.

و اگر ببخشد آنچه که نفس کشیده است از او معدنهای کوهها و خندیده است از او صدفهای دریاها که عبارت باشد از گداخته نقره و طلا ـ و از پاشیده درّ در دیدهٔ مرجان، اثر نمی کند این همه در جود واجب الوجود، و تمام نمی سازد وسعت آنچه را که نزد او است، و هر آینه هست نزد او از ذخیرهای نعمت ها آن قدری که بپایان نمی رساند آنرا مطلوبهای خلایق از جهت آنکه او است جواد و بخشنده که ناقص نمی نماید جود او را سؤال سؤال کننده ها، و بخیل نمی سازد او را اصرار و مبالغه نمودن مبالغه کننده ها.

الفصل الثانی

اشاره

فانظر أیّها السّائل فما دلّک القرآن علیه من صفته فائتمَّ به، و استضیء بنور هدایته، و ما کلّفک الشّیطان علمه ممّا لیس فی الکتاب علیک فرضه، و لا فی سنّه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أئمّه الهدی أثره، فکل علمه إلی اللّه سبحانه، فإنّ ذلک منتهی حقّ اللّه علیک، و اعلم أنّ الرّاسخین فی العلم هم الّذین أغناهم عن اقتحام السّدد المضروبه دون الغیوب، الإقرار بجمله ما جهلوا تفسیره من الغیب المحجوب، فمدح اللّه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم یحیطوا به علما، و سمّی ترکهم التعمّق فیما لم یکلّفهم البحث عن کنهه رسوخا، فاقتصر علی ذلک، و لا تقدّر عظمه اللّه سبحانه علی قدر عقلک، فتکون من الهالکین.

ص:۳۰۲

هو القادر الّذی إذا ارتمت الأوهام لتدرک منقطع قدرته، و حاول الفكر المبرّء من خطرات الوساوس أن يقع عليه فی عميقات غيوب ملكوته، و تولّهت القلوب إليه لتجری فی كيفيّه صفاته، و غمضت مداخل العقول فی حيث لا- تبلغه الصّفات لتنال علم ذاته، ردعها و هی تجوب مهاوی سدف الغيوب، متخلّصه إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفه بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، و لا تخطر ببال أولی الرّويّات خاطره من تقدير جلال عزّته، الّذی ابتدع الخلق علی غير مثال امتثله، و لا مقدار احتذی عليه، من خالق معبود كان قبله، و أرانا من ملكوت قدرته و عجايب ما نطقت به آثار حكمته و اعتراف الحاجه من الخلق إلی أن يقيمها بمساک قوّته، ما دلّنا باضطرار قيام الحجّه له علی معرفته، و ظهرت فی البدائع الّتی أحدثها آثار صنعته، و أعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجّه له، و دليلا عليه، و إن كان خلقا صامتا فحجّته بالتّدبير ناطقه، و دلالته علی المبدع قائمه. و أشهد أنّ من شبّهک بتباين أعضاء خلقک، و تلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبه لتدبير حكمتک، لم يعقد غيب ضميره علی معرفتک، و لم يباشر قلبه اليمين «اليقين خ» بأنّه لا ندّ لک، و كأنّه لم يسمع تبرّء التّابعين

ص:٣٠٣

من المتبوعين، إذ يقولون: «تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِی ضَ لالٍ مُبِینٍ إِذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ » کذب العادلون بک إذ شبّهوک بأصنامهم، و نحلوک حلیه المخلوقین بأوهامهم، و جزّأوک تجزئه المجسّمات بخواطرهم، و قدّروک علی الخلقه المختلفه القوی بقرائح عقولهم، و أشهد أنّ من ساواک بشیء من خلقک فقد عدل بک، و العادل بک کافر بما تنزّلت به محکمات آیاتک، و نطقت عنه شواهد حجج بیّناتک، و أنّک أنت اللّه الّذی لم تتناه فی العقول فتکون فی مهبّ فکرها مکیفا، و لا فی رویّات خواطرها فتکون محدودا مصرّفا.

اللغه

(رسخ) فی العلم یرسخ من باب منع رسوخا إذا ثبت فیه و (الاقتحام) الدّخول فی الشّیء مغالبه و بشدّه من غیر رویّه و (السّدد) جمع السدّه کغرف و غرفه و هی کالسّقیفه فوق باب الدار لیقیها من المطر، و قیل: هی الباب نفسه و منه حدیث أمّ سلمه أنّها قالت لعایشه لما أرادت الخروج إلی البصره إنّک سدّه بین رسول اللّه و بین امّته فمتی اصیب ذلک الباب شیء فقد دخل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حریمه.

و (التعمّق) فی الأمر المبالغه لطلب أقصی غایته و (ارتمی) القوم بالنّبل ای تراموا و (خطرات الوساوس) ما تقع فی البال و فی بعض النسخ خطر الوساوس و هو بسکون الطاء الهاجس(۱) کالخاطر و (تولّهت) القلوب إلیه أصابها الوله

۱- (۱) - هجس الشی فی صدره خطر بباله أو هو أن یحدث نفسه فی صدره مثل الوسواس.

و هو بالتحريك التحيّر أو ذهاب العقل و (غمض) الحق غموضا من باب قعد خفى مأخذه و غمض بالضم لغه و (علم ذاته) قال الشّارح المعتزلى: أنكر قوم جواز إطلاق الذّات على اللّه سبحانه لأنّها لفظه تأنيث و البارى سبحانه منزّه عن الأسماء و الصّفات المؤنثه، و أجاز آخرون إطلاقها عليه و استعمالها فيه لوجهين: أحدهما أنها جاءت فى الشعر القديم قال جنيب الصخار عند صلبه:

و ذلك فى ذات الاله و ان يشاء يبارك على أوصال شلو(١) موزّع(٢)

و يروى ممزّغ أى مفرّق و قال النابغه:

محلّتهم ذات الاله و دينهم قديم فما يخشون غير العواقب

و الثّانى أنها لفظه اصطلاحيه لأنها على مؤنّث لكنها تستعمل ارتجالا ـ فى مسمّاها الذى عبّر عنه بها أرباب النّظر الالهى كما استعملوا لفظ الجوهر و العرض فى غير ما كان أهل اللّغه يستعملونها فيه.

و (جاب) الأرض يجوبها جوبا قطعها و (المهاوى) جمع المهواه و هى ما بين الجبلين و (السّدف) جمع السدفه و هى الظلمه و (جبهه) كمنعه ضرب جبهته و ردّها و (عسف) عن الطّريق مال و عدل كاعتسف و تعسّف أو خبط على غير هدايه و (المثال) المقدار يقال: هذا على مثاله أى على؟؟؟؟ اره و صفه الشىء يقال هذا على مثال ذاك أى على صفته و (امتثله) و تمثّل به أى اقتداه و اتّبعه يقال: امتثل طريقته إذا تبعها فلم يعدها و (حذا) النعل بالنعل أى قطعها و قدرها عليها و حذا حذو زيد إذا فعل فعله.

و (المساك) ما يمسك به و (التلاحم) كالالتحام التلائم و الالتئام لفظا و معنى يقال: تلاحم الجرح و التحم للبرء إذا التأم و (الحقاق) جمع حقه يقال: إنه لنزع الحقاق أى منازع فى صغار الأشياء مأخوذ من حقاق العرفط (٣) و هى صغاره

١- (١) الشلو العضو و الجسد من كلّشىء، ق

٢- (٢) موزّع اى مقسم

٣- (٣) بيشه زار.

و (المحتجبه) بصيغه المفعول المستتره أى المستوره و فى أكثر النسخ بصيغه الفاعل أى المتخذه لأنفسها حجابا ففائده الافتعال الاتحاد و (اليمين) إما بمعنى القوّه أو بمعنى القسم و فى بعض النسخ اليقين بدله و هو أظهر إلاّ أنّ الأوّل أبلغ كما تطلع عليه و (النّد) المثل و (العادلون بك) من العدل و هو المثل و النظير و منه: عدلوا باللّه، أى أشركوا و جعلوا له مثلا و (النحله) النسبه بالباطل و منه انتحال المبطلين و (الخلقه) بالكسر الفطره كالخلق.

الاعراب

الاقرار بالضمّ فاعل أغناهم، و علما منصوب على التميز، و رسوخا مفعول ثان لسمّى، و ردعها جواب اذا ارتمت، و جمله و هى تجوب فى محل النصب على الحال و العامل ردع، و متخلّصه حال أيضا إما من مفعول ردع أو فاعل تجوب، و معترفه حال من فاعل رجعت، و من خالق متعلّق بمقدّر صفه بمقدار أى صادر من خالق أو مأخوذ من خالق.

و جمله و أرانا عطف على ابتدع، و اعتراف بالجرّ عطف على عجائب، و إلى أن متعلّق بالحاجه، و ما دلّنا مفعول ثان لأرانا، و جمله و ظهرت عطف على ابتدع أيضا، و لم يعقد بالبناء على الفاعل خبران، و غيب ضميره بالنصب مفعوله، و فى بعض النسخ بالبناء على المفعول فيكون غيب ضميره بالرفع سادا مسدّ الفاعل و الباء فى قوله بما تنزّلت سببيه.

المعنى

اشاره

اعلم أنه عليه السّلام لما حمد اللّه سبحانه و أثنى عليه فى الفصل السّابق بما يليق ذاته تعالى من صفات الجمال و نعوت الجلال، عقّبه بهذا الفصل المتضمّن لتنبيه السّائل على خطائه فى سؤاله الناشى عن توهّمه جواز معرفه اللّه سبحانه على وجه تكون بمنزله الرّؤيه بالعيان، و لما كان ذلك محالا فى حقّ اللّه القدّوس السّبوح السّبحان أوجب ذلك السؤال غضبه و تغيّر لونه عليه السّلام كما تقدّم ذكره سابقا.

ص:۳۰۶

و هذا الفصل مشتمل على مقاصد ثلاثه.

المقصد الاول

متضـمّن لتأديب السّائل و لساير النّاس من الحاضـرين و الغائبين فى وصفهم للّه سبحانه و لتعليمهم كيفيه السلوك فى مدح اللّه و الثناء عليه بما هو أهله، و للنّهى عن التعمّق و الخوض فى ذات اللّه و صـفاته، و التّكلف فيها بما فوق الاسـتطاعه، و الخطاب فيه و إن كـان مخصوصـا بالسّائـل إلاّ أنّه عام لجميع النّاس، إذا لعبره بعموم الغرض لا بخصوص الخطاب و المخاطب و لـذلك نادى: الصّلاه جامعه و قصد اجتماع النّاس.

و كيف كـان و إلى مـا ذكرنا نبّه بقوله:(فانظر أيّها السّائل فما دلّك القرآن عليه من صـفته فائتمّ به و استضـيء بنور هـدايته) أمر عليه السّـلام بالرّجوع إلى القرآن الكريم و الكتاب الحكيم و الاقتـداء به و الاسـتضائه بأنوار هـدايته و الأخـذ بأوصاف القدس و الجلالـ و نعوت العظمه و الكمـال المـدرجه فيه، فانه أدلّ دليل و أوضـح سبيل و هو كلام الحقّ سـبحانه و هو أعلم بصـفاته من غيره فما وصف به فيه نفسه فهو الحقّ أحقّ أن يتّبع، و ما نزّه ذاته عنه فهو الباطل ينبغى تنزيهه منه.

«إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ ».

و قـد دلّت الآيـات الكريمه على أنّه تعـالى ربّ، رحمـان، رحيم، شـهيد، عليم، حكيم، قـادر، قـاهر، قـديم، خـالق، رازق، كريم، سميع، بصـير، خبير، غفور، شـكور، مجير، عزيز، متكبّر، جبـار، قوى، منتقم، قهـار، إلى غير هـذه ممّا فيها من الأسـماء الحسـنى و الأمثال العليا، و قد تضـمّنت مضافا إلى ذلك أنه «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ » «وَ «لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً » «وَ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ءٌ ».» فانّ هذه الآيات الثلاث نصّ فى عدم إمكان معرفته حقّ المعرفه و عدم جواز إدراكه

بالأبصار و بمشاهده العيان أما الايه الاولى فظاهره و أما الثانيه فلأنّ كلّ من أبصر شيئا فقد أحاط به علما لا خلاف لأحد فيه و أما الثالثه فلأنّ الابصار عباره عن حصول صوره الشيء فى حسّ البصر فما لا مثل له لا يمكن حصول صورته فى الحسّ و حيث إنه ليس كمثله شيء امتنع تعلّق الأبصار به فظهر من كلّ ذلك بطلان ما توهّمه السّائل.

و نظير إرشاده عليه السّلام للسّائل إلى الرجوع إلى القرآن و الائتمام به إرشاد أبى الحسن الرّضا عليه السّلام لأبى هاشم الجعفرى إلى الرجوع إليه و الأخذ به على ما رواه فى الكافى عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن أبى هاشم الجعفرى عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام قال: سألته عن اللّه هل يوصف؟ فقال عليه السّلام: أما تقرء القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرء قوله تعالى:

«لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ ».

قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هى؟ قلت: أبصار العيون قال عليه السّلام: إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا يدركه الأوهام و هو يدرك الأوهام.

فانّ السّائل لما استفهم عن جواز وصفه تعالى بالرّؤيه أراد عليه السّلام التنبيه و الارشاد له على نفى الرّؤيه مطلقا عنه تعالى بآيه القرآن، و لما ظهر من حال السّائل أنه قرء القرآن و قرء قوله تعالى: لا تدركه الأبصار، و لم يعرف من الأبصار إلّا أبصار العيون عرّفه عليه السّلام أنّ أوهام القلوب أكبر و أقوى فى باب الادراك من أبصار العيون، لسعه دائره الاولى و قصور دائره الثانيه من حيث إنّ الوهم رئيس الحواس الظّاهره و الباطنه و مستخدمها و مستعملها، كما أنّ القلب أعنى العقل رئيس الوهم و مخدومه، فالأولى أن يكون معنى الآيه لا تدركه الأوهام ليدلّ على نفى الادراك مطلقا إذ كلّ ما يدركه الوهم لا يدركه البصر بخلاف العكس.

و فى الكافى باسناده عن عبد الرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدى عبد الملك بن أعين إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام: إنّ قوما بالعراق يصفون اللّه تعالى

بالصوره و التخطيط، فان رأيت جعلنى اللّه فداك أن تكتب إلىّ بالمذهب الصحيح من التّوحيد؟ فكتب إلىّ: سألت رحمك اللّه عن التّوحيد و ما ذهب إليه من قبلك فتعالى اللّه الذى ليس كمثله شىء و هو السّميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبّهون للّه بخلقه المفترين على اللّه، فاعلم رحمك اللّه أنّ المذهب الصحيح فى التّوحيد ما نزل به القرآن من صفات اللّه تعالى، فانف عن اللّه تعالى البطلان و التشبيه فلا نفى و لا تشبيه هو اللّه الثابت الموجود تعالى اللّه عمّا يصفه الواصفون و لا تعدّوا القرآن فتضلّوا بعد البيان.

قال صدر المتألهين: فى شرح الحديث: قوله عليه السّلام: فانف عن اللّه البطلان و التشبيه أمر بنفى التعطيل و التشبيه فان جماعه ارادوا تنزيه اللّه عن مشابهه المخلوقات فوقعوا فى التعطيل و نفى الصفات رأسا و جماعه اخرى أرادوا أن يصفوه بصفاته العليا و أسمائه الحسنى فأثبتوا له صفات زايده على ذاته فشبّهوه بخلقه فأكثر النّاس إلاّ القليل النادر منهم بين المعطل و المشبّه.

قوله عليه السّلام: فلا نفى و لا تشبيه، أى يجب على المسلم أن لا يقول بنفى الصفات و لا باثباتها على وجه التشبيه، و قوله: هو اللّه الثابت الموجود، إشاره إلى نفى التعطيل و البطلان، و قوله تعالى عمّا يصفه الواصفون إشاره إلى نفى التشبيه، فانّ الواصفين هم الذين يصفون اللّه بصفات زايده و يقال لهم: الصّفاتيه و كلُ من أثبت للّه صفه زايده فهو مشبّه لا محاله.

و قوله عليه السّلام: فلا تعدّوا القرآن فتضلّوا بعد البيان، أى فلا تجاوزوا ما فى القرآن بأن تنفوا عن اللّه ما ورد فى القرآن حتّى تقعوا فى ضلاله التعطيل و اللّه يقول:

«لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » أو تثبتو اللّه من الصّفات ما يجب التنزيه عنها حتّى تقعوا فى زيغ التشبيه و اللّه يقول:

ص:۳۰۹

«سُبْحانَ رَبِّکَ رَبِّ الْعِزَّهِ عَمّا یَصِفُونَ » هذا.

و لما أمر علیه السّلام بالرجوع إلی القرآن و الاقتداء به و الاستضائه بأنواره و الأخذ بما ورد فیه من صفات الحقّ تعالی شأنه و تقدّس ذاته أردفه بقوله:(و ما کلّفک الشّیطان علمه ممّا لیس فی الکتاب علیک فرضه و لا فی سنّه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أئمه الهدی أثره فکل علمه إلی اللّه سبحانه فانّ ذلک منتهی حقّ اللّه علیک) و مراده علیه السّلام بذلک المنع من تکلّف ما لم یفرض علمه علی المکلّفین، و الرّدع عن الخوض فیما لم یثبت وجوب معرفته علی العباد فی الکتاب المبین، و لا فی سنّه النّبیّ الأمین و أئمه الدّین سلام اللّه علیهم أجمعین معلّلا بأنّ منتهی حقّ اللّه علی العباد أن یقولوا بما دلّ علیه القرآن، و یصفوه بالأوصاف الثّابته فی الفرقان، و ینتهوا عما رفع علمه عنهم و یکلوا علمه و یفوّضوه إلی اللّه السّبحان مشیرا إلی أن تکلّف ما یزید علی ذلک من تکلیفات الشّیطان اللّعین و تدلیساته و وساوسه لیضلّ به عن النهج القویم و الصّراط المستقیم.

و ان شئت توضیح ذلک فأقول: إنّ الکتاب الکریم قد دلّ علی أنّه سبحانه عالم و أنه بکلّ شیء محیط، فیجب لنا الاذعان بذلک و عقد القلب علیه، و أمّا البحث عن کیفیّه علمه و أنه علی أیّ نحو هو فلا یجب علینا، و ربما یؤدّی التعمق فیه إلی الضّلال کما ضلّ فیه کثیر من الحکماء.

فمنهم من تحیّر فی معرفته فنفاه رأسا، و منهم من ضاق به الخناق إلی الاطلاق فنفی علمه بالجزئیات، و منهم من قرّره علی وجه أوجب القول بکون الذّات فاعلا و قابلا و بکونه متّصفا بصفات غیر سلبیه و لا اضافیه إلی غیر ذلک من المفاسد التی نشأت من کثره البحث فیه علی ما مرّ تفصیلا فی تنبیه الفصل السّابع من فصول الخطبه الاولی.

و کذلک قد ورد فی القرآن أنّه تعالی خالق الأشیاء و مبدعها، فیجب لنا الاعتقاد به و لیس بفرض علینا أن نتکلّف البحث فی کیفیّه الخلقه حتّی نقع فی

ص:۳۱۰

الضلال البعيد كما وقع فيه الفلاسفه المثبته للعقولات العشره المبتنيه على ما ذهبوا إليه من أنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد، فانّهم لمّا ذهبوا إلى أنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد ألجأهم ذلك و اضطرّهم إلى القول بالعقولات مع أنه مخالف لاصول الشّريعه و لم يرد به كتاب و لا سنّه.

و هكذا البحث و التعمق فى ساير الصفات، و مثله البحث فى متشابهات الآيات مثل قوله سبحانه:

«اَلرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى » و قوله: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ » «وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ».

و غير ذلك، فالواجب فى كلّ ذلك و كول علمه إلى اللّه سبحانه و ردّه عليه كما أبان عنه الكتاب العزيز فى سوره آل عمران حيث قال:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

روى أبو بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: إنّ القرآن زاجر و آمر يأمر بالجنّه و يزجر عن النّار و فيه محكم و متشابه، فأمّا المحكم فيؤمن به و يعمل به و يدين به و أمّا المتشابه فيؤمن به و لا يعمل به و هو قول اللّه:

«فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ » الآيه هذا.

(و اعلم أنّ الرّاسخين فى العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السّدد المضروبه دون الغيوب الاقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب) يعنى أنّ

الرّاسخين فى العلم إذا وصلوا إلى المتشابهات و إلى ما جهلوا كشف القناع و الغطاء عنها وقفوا عندها و اعترفوا بها إجمالا كما حكى اللّه عنهم بقوله:

«يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ».

و لا يتعدّون عن ذلك حتى يقتحموا فى المهالك.

فان قلت: من المراد بالرّاسخين فى العلم و ما المراد بالغيب المحجوب و ما ذا أراد عليه السّلام بالسّدد المضروبه دون الغيوب؟ قلت: أما الرّاسخون فى العلم فهم الثابتون فيه و الضابطون له كأئمه الدّين و أولياء اليقين الحاملين لأسرار النّبوه و أعباء الولايه و بعض خواصّهم المقتبسين من أنوار الهدايه و المهتدين بنور الامامه.

و أمّا المراد بالغيب المحجوب فهو ما غاب عن الخلق علمه و خفى مأخذه إما لعدم الاستعداد و القابليّه و قصور الطبيعه عن الادراك كذات اللّه و صفاته الذّاتيه، و إمّا لاقتضاء الحكمه و المصلحه للاخفاء، كعلم السّاعه و ما فى الأرحام و نحوهما ممّا حجب اللّه علمه عن العباد، و من ذلك القبيل الآيات المتشابهه.

و أمّا المراد بالسّدد المضروبه فهى الحجب المانعه من الوصول إلى الغيب، و هى بالنسبه إلى الغيب المحجوب بها على قسمين:

احدهما ما هى قابله للارتفاع إمّا بالرّياضيات و المجاهدات كما يحصل للبعض فيعرف ضماير بعض العباد و يطلع على بعض المخبيات و يخبر عن بعض المغيبات، و إمّا بتعليم من اللّه سبحانه كما كان فى حق الأنبياء و الأولياء فانّ عمده معجزاتهم كانت من قبيل معرفتهم بالغيب و إخبارهم من المغيبات، و إليه الاشاره فى قوله تعالى:

«وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ ».

يعنى أنّه عالم بكلّ شىء من مبتدءات الامور و عواقبها، و أنّه الذى يفتح باب العلم و يرفع الحجاب عن الغيب لمن يريد من الأنبياء و الأولياء، لأنّه لا يعلم الغيب

سواه، و لا يقدر أحد أن يفتح باب العلم به للعباد الاّ اللّه، و قال سبحانه:

«عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ » أراد أنّ من ارتضاه و اختاره للنبوّه و الرّساله فانّه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحه.

و عن الخرائج عن الرّضا عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه فرسول اللّه عند اللّه مرتضى، و نحن ورثه ذلك الرّسول الذى اطلعه اللّه على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامه.

و من هذا الباب معرفتهم بالمتشابهات و علمهم بتأويلها بسبب تعليمه تعالى بوحى أو الهام، و لا منافاه بين إقرارهم بجمله ما جهلوا تفسيره منها من تلقاء نفسهم و وكول ذلك إلى ربّهم كما حكاه اللّه و حكاه عليه السّلام عن الرّاسخين و بين معرفتهم الحاصله بتعليمه سبحانه بل ربما يشير إليه قوله سبحانه:

«قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى إِلَيَّ » فافهم جيّدا.

القسم الثانى ما هى غير قابله للارتفاع كحجب النور المانعه من الوصول إليّ الحق و الاكتناه فى ذاته.

بيان ذلك: أنّ اللّه سبحانه متجلّ لذاته بذاته و محتجب عن مخلوقاته، و احتجابه ليس لخفاء ذاته بل لشدّه نوره و غايه ظهوره و كمال ذاته، فغايه ظهوره أوجب بطونه، و شدّه نوره أوجب اختفائه و احتجابه، من حيث قصور عقول البشر عن إدراكه كمثال نور الشّمس و بصر الخفاش على ما حقّقناه فى شرح الخطبه الرّابعه و السّتّين، و على هذا فلا سبيل إلى معرفه الحقّ سبحانه إلاّ بواسطه صفاته السّلبيه و الاضافيه، و لا نهايه لهذه الصّفات و لمراتبها، فالعبد لا يزال

يكون مترقّيا فيها فان وصل إلى درجه و بقى فيها كان استغراقه فى مشاهده تلك الدّرجه حجابا له عن الترقى إلى ما فوقها.

و لما كان لا نهايه لهذه الدّرجات كان العبد دائما فى السير و الانتقال بحسب قوّه عقله و استعداد ذاته إلى أن يبلغ إلى مقام عجز عن التّرقى إلى ما فوقه، و يقصر عن إدراكه، و هذا شأن الرّاسخين السّالكين فى مقام السّلوك بقدمى العرفان المترقين فى مقام المعرفه من مرتبه إلى مرتبه حتّى يقصروا عن الترقى إلى ما فوقها فيغنيهم حينئذ عن اقتحام السدد المضروبه اعترافهم بجمله ما جهلوا تفسيره على ما أشار إليه الامام عليه السّلام (فمدح اللّه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما و سمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخا).

عجز الواصفون عن صفتك اعتصام الورى بمغفرتك

تب علينا فانّنا بشر ما عرفناك حقّ معرفتك

(فاقتصر) أيّها السّائل (على ذلك) أى على ما دلّ عليه الكتاب العزيز من صفته (و لا تقدّر عظمه اللّه سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين) الذين اعتقدوا أنّ عقلهم قدّره سبحانه و أحاط به علما، و صغّروا عظمته سبحانه بحسب عقلهم الضعيف مع أنّ عظمته تعالى أجلّ و أعظم من أن يضبطها عقل بشرى، و إنما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم لمثليّه اللّه لمدركاته من الأجسام و الجسمانيات، و ذلك فى الحقيقه كفر لاعتقاد غير الصّانع صانعا، و ضلال عن طريق معرفه اللّه، مستلزم للهلاك الدّائم، و الخزى العظيم.

المقصد الثانى

متضمن للتنبيه على عجز العقول عن الاكتناه فى ذاته تعالى و عن معرفتها به حقّ المعرفه، و لبيان أنّ حقّها و حظّها الاستدلال عليه بآيات العظمه و آثار الصّنع و القدره و دلائل الملك و الملكوت.

اما الاول فهو قوله:(هو القادر الذى إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع

قدرته و حاول الفكر المبرء من خطرات الوسواس ان يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته و تولّهت القلوب إليه لتجرى فى كيفيّه صفاته و غمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصّفات لتنال علم ذاته ردعها) و هذه الجمله أعنى قوله عليه السّلام إذا ارتمت إلى الآخر شرطيه متصله متعدّده المقدم متّحده التّالى و هو ردعها، و هى بمنزله شرطيّات متعدّده.

و المقصود بذلك أنّ الأوهام إذا ترامت و استرسلت مجدّه فى التفتيش عن منتهى قدرته، نكصت عن ذلك، لأنّ قدرته تعالى متعلّق بجميع المقدورات لا نهايه له حتّى يبلغ الأوهام إلى غايته و منتهاه.

و إنّ الفكر الصافى الخالى عن وساوس الشّيطان و شوائب الأوهام إذا قصد أن يقع على ذاته و يستثبتها بكلّ ما ينبغى لها من الكمالات فى عميقات مغيبات عزّته و سلطانه و مملكته، كلّ و حسر لقصوره عن إدراك ما لا نهايه له.

و انّ القلوب إذا اشتدّ شوقها إليه و تولهت نحوه لتقف على كيفيّه صفاته عجزت، و ذلك لأنّ صفاته كذاته قديمه و الكيف مهيّه امكانيّه مفتقره إلى الجعل حادثه و هو سبحانه منزّه عن كونه محلّا للحوادث فليس لذاته و صفاته كيفيّه حتّى يقف عليها العقول و لذلك قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: و كيف أصفه بالكيف و هو الذى كيّف الكيف حتّى صار كيفا، فعرّف الكيف بما كيّف لنا من الكيف.

و أنّ العقول إذا غمضت مداخلها أى خفيت مواقع دخولها فى دقايق العلوم النّظريه الالهيه بحيث لا توصف لدقتها طالبه ان تعلم حقيقه ذاته انقطعت و أعيت لقصور العقول عن الوصول إلى حقيقه ما ليس بذى حدّ و لا تركيب.

و محصّل الكلام أنّ هذه القوى التى هى أعظم المشاعر الانسانيه لو حاولت التعمّق و الاستقصاء فى معرفه ذات اللّه الأعلى و صفاته الحسنى و أرادت الخوض فى بحار ملكه و ملكوته، وقفت خاسئه و رجعت حسيره، لقصورها عن إدراك هذه المطالب العظيمه و ردعها اللّه تعالى عن ذلك و منعها من أن تحوم حول ذلك.

(و هى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلّصه إليه سبحانه) أى تقطع مهاوى

ظلمات الغيوب حال كونها متوجّهه بكلّيتها إليه سبحانه فى طلب إدراكه تعالى (فرجعت إذ جبهت) و ردّت (معترفه) و مذعنه (بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته) أى لا ينال باعتساف المسافات التى بينها و بينه و بشدّه الجولان فى تلك المنازل إلى كنه معرفته سبحانه.

إذ بينه و بين خلقه منازل غير متناهيه، و معارج غير مستقصاه بعضها نورانيّه و بعضها ظلمانيّه لا بدّ للسّالك من قطع جميعها حتّى يصل إلى باب الرّبوبيه، و أنّى له بذلك و أين التراب من ربّ الأرباب فجور الاعتساف غير نافع فى تحصيل ما لا يمكن.

(و) لذلك اعترفت العقول بأنّه لا ينال بذلك كنه معرفته كما اعترفت بأنه (لا تخطر ببال اولى الرّويات خاطره من تقدير جلال عزّته) إذ كلّ ما يخطر ببال أرباب الفكر و كلّ ما يتصوّره اولو النظر فى حقّه سبحانه و إن كان جليلا عظيما فهو أجلّ و أعظم من ذلك، لأنّ ذلك صفه الواصفين لا صفه الرّب العظيم.

قال فضيل بن يسار فيما رواه عنه فى الكافى: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ اللّه لا يوصف و كيف يوصف و قد قال فى كتابه:

«وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ».

فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك.

و روى عن محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام أنّ كلّ ما تصوّره أحد فى عقله أو وهمه أو خياله فاللّه سبحانه غيره و ورائه، لأنّه مخلوق و المخلوق لا يكون من صفات الخالق.

(الذى ابتدع الخلق على غير مثال امتثله و لا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله) أراد بذلك التنبيه على كون ايجاده للعالم بمحض الابداع و الاختراع و عدم كونه مستفادا من الغير.

بيان ذلك أن الصّنايع البشريّه إنما تحصل بعد أن يرتسم فى القوّه المتخيله

صوره المصوع بل و كلّ فعل لا يصدر إلّا بعد تصوّر وصفه و كيفيته أولا.

و هـذه التصورات تـاره تحصل عن أمثله للمصـنوع و مقادير خارجيّه له يشاهـدها الصّانع و يحـذو حـذوها كما يفعل التلميـذ فى الصّباغه شيئا قد مثل له استاده هيئته و صورته فيفعل نظيره.

و تاره بمحض الالهام و الافاضه على قلبه كما يفاض على أذهان كثير من الأذكياء و المصوّرين صوره شكل لم يسبق إليه غيره، فيصوّره فى قلبه و يبرز صورته فى الخارج على طبق ما افيض على قلبه، و كيفيّه صنع اللّه سبحانه منزّهه عن كونها على أحد الوجهين.

اما الوجه الأوّل فلما مرّ فى شرح الفصل السّابق من أنه سبحانه قبل القبل بلا قبل فليس قبله خالق مثل مثالا فاتّبعه سبحانه، و لا قدر مقدارا فقطع على قدره و احتذى عليه تعالى شأنه.

و أما الوجه الثانى فلأنّ الصوره المفاضه و المثال الملهم مستندان إلى المفيض و الملهم مستفادان من الغير فعلان له، و ليس قبله تعالى غير حتّى يستفيد و يستفيض منه مضافا إلى استلزامه الافتقار تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا، هذا.

و اما الثانى أعنى بيان جواز الاستدلال عليه تعالى و إمكان معرفته بآيات القدره و أدله العظمه فهو قوله (و أرانا من ملكوت قدرته) أى من ملكها كما قال اللّه:

«فَسُبْحانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْ ءٍ ».

أى بقدرته و نسبته إلى القدره لكون القدره مبدء الوجود كلّه فهى مبدء المالكيّه (و عجائب ما نطقت به آثار حكمته) أى عجائب ما أفصحت عنه الأفعال و الأحكام الصادره عن وجه الحكمه و المصلحه على أحسن ترتيب و نظام، و تمام إتقان و انتظام.

(و اعتراف الحاجه من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوّته) الموجود فى النسخ التى رأيناها يقيمها بضمير التأنيث فلا بدّ من رجوعه إلى الخلق باعتبار ملاحظه المعنى، إذ المراد المخلوقات بجميعها، و يحتمل رجوعه إلى الحاجه على تكلّف،

ص:٣١٧

و المقصود اقرار الخلايق و اعترافهم بالاحتياج و الافتقار إلى أن يقيمهم و يجبر فاقتهم بقدرته و قوته الماسكه التى تمسك السّماء و الأرض أن تزولا، و اعتراف بعضهم بلسان الحال و بعضهم بلسان الحال و المقال.

(ما دلّنا باضطرار قيام الحجّه له على معرفته) أى أرانا من ملكوت القدره و آثار الحكمه و اعتراف الموجودات بالحاجه دليلا وافيا و برهانا كافيا دلّنا على معرفته سبحانه، بسبب قيام الحجّه له تعالى بالضّروره و البداهه.

و بعباره اخرى أرانا ممّا ذكر ما كان لنا دليلا على معرفته من أجل ضروريه الحجه القائمه له على الخلايق فى باب المعرفه و بداهتها (و ظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته و أعلام حكمته) أى ظهرت فى الحوادث البديعه المعجبه التى أحدثها و أوجدها آثار تدلّ على صانعيّته و علامات يستدلّ بها على حكمته (فصار كلّ ما خلق) فى الأنفس و الآفاق (حجّه له و دليلا عليه و إن كان خلقا صامتا) لأنّ افتقاره الذاتى دليل على حاجته إلى المؤثر المبدع و إن لم يكن مفصحا عنه بلسانه، إما لعدم كونه ذا لسان كالجماد و النبات؛ و إما لكفره و إلحاده كبعض أفراد الانسان.

(فحجّته بالتّدبير ناطقه و دلالته على المبدع قائمه) يحتمل رجوع الضمير فى حجّته و دلالته إلى الخلق الصامت، و يحتمل رجوعه إلى اللّه سبحانه، و الثانى أظهر، و المراد أنّ حجّته تعالى ناطقه بكونه مدبّرا، و دليله قائم على كونه مبدعا مؤثّرا.

فحاصل الكلام و فذلكه المرام أنّ فى ما أبدعه سبحانه فى عالم الكون و أحدثه فى الأنفس و الآفاق شواهد متظاهره و آيات متناصره ناطقه بلسان حالها مفصحه عن جلاله بارئها، معربه عن كمال حكمته و تدبيره فيها، مناديه لأرباب القلوب بنغماتها، قائله:

أ ما ترانى و ما ترى صورتى و تركيبى و صفاتى و منافعى و اختلاف أحوالى و كثره فوائدى، أ تظنّ أنى خلقت بنفسى أو خلقنى أحد من جنسى، و فعلت هذه الأفاعيل و ما يترتّب عليها من المنافع بطبعى و ذاتى؟

ص:۳۱۸

أو ما تستحيى تنظر إلى كلمه مرقومه فى ثلاثه أحرف فتقطع أنه صنعه آدمى عالم قادر مريد متكلّم ثمّ تنظر إلى عجائب هذه الخطوط المرقومه على وجه الانسان بالقلم الالهى الذى لا يدرك الابصار ذاته و لا حركته و لا اتصاله بمحلّ الخطّ ثمّ ينفكّ قلبك من جلاله صانعه؟ و كذلك النطفه التى كأنها قطره من الماء المتشابه الأجزاء يقول لمن له قلب أو ألقى السّمع و هو شهيد لا ـ الّذينهم عن السّمع لمعزولون: توهّمنى فى ظلمه الأحشاء مغموسا فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط و التصوير على وجهى، و قد نقش النقاش حدقتى و أجفانى و جبهتى و خدّى و شفتى، فترى النقوش يظهر شيئا فشيئا على التدريج و لا ترى داخل الرّحم و لا خارجه أحدا و لا خبر منها للآم و لا للأب و لا للنطفه و لا للرّحم فما هذا النقاش؟ أفلم يكن بأعجب ممّن يشاهده ينقش بقلمه صوره عجيبه لو نظر إليها مرّتين أو أكثر لتعلّمه فهل يقدر أن يتعلّم هذا الجنس من النقش الذى يعمّ ظاهر النطفه و باطنها و جميع أجزائها من غير ملامسه النطفه و من غير اتّصال بها لا من داخل و لا من خارج؟ فان كنت لا تتعجّب من هذه العجائب و لا تعلم أنّ الذى صوّر و نقش هذه النقوش و الأشكال و الصّور و الأمثال مما لا شبه له و لا ندّ و لا شريك له و لا ضدّ، كما أنّ صنعه و نقشه لا يساويه نقش و صنع و التباعد و المباينه بين الفاعلين كما بين الفعلين فعدم تعجّبك أعجب من كلّ عجيب، فانّ الذى أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح و منعك اليقين مع هذا البيان جدير بأن يتعجّب منه:

فَسُبْحانَ مَنْ «أَعْطى كُلَّ شَيْ ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى » و أضلّ و أغوى، و فتح بصائر أحبائه فشاهدوه و هم به مؤمنون و أعمى قلوب أعدائه فقال فيهم «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ » فله الخلق و الأمر لا معقّب لحكمه و لاراد لقضائه.

المقصد الثالث

متضمن للشهاده بالتنزيه و التقديس و أنه سبحانه تعالى شأنه عن مشابهه

ص:٣١٩

مصنوعاته و مجانسه مخلوقاته و هو قوله:

(و أشـهد أنّ من شـبّهک بتباين أعضاء خلقک و تلاحم حقاق مفاصـلهم المحتجبه لتـدبير حکمتک لم يعقد غيب ضـميره على معرفتک و لم يباشر قلبه اليمين بأنّه لا ندّ لک) و لا يخفى ما فيه من المحسّنات البيانيّه.

أوّلها أنّه عليه السّلام غيّر اسلوب الکلام و التفت من الغيبه إلى الخطاب على حدّ قوله تعالى: إيّاک نعبد، لأنّ الکلام إذا نقل من اسلوب إلى اسلوب آخر کان أحسن تطرئه لنشاط السّامع، و أکثر ايقاظا للاصغاء إلى ذلک الکلام.

و ثانيها أنّ التشبيه يعتمد على أرکان: المشـبّه، و المشـبّه، و المشـبّه به، فالمشبّه فى هذا المقام هو القايس له سبحانه على خلقه، و المشبّه هو اللّه العزيز المتعال، و المشبّه به فى الحقيقه هو الخلق المتباينه الأعضاء و المتلائمه حقاق المفاصل إلاّ أنه عليه السّلام جعـل المشـبّه به تبـاين الأعضـاء و تلاـحم الحقـاق تعريضا على ذمّ المشـبّه و توبيخه، و تنبيها على غلطه فى تشبيهه، و ذلک لأنّ تباين الأعضاء و تلاحمها من لوازم المشـبّه به، و هما مسـتلزمان للترکيب و اجتماع المفردات المستلزمين للافتقار إلى المرکب و الجامع، فمن کان ملزوما للحاجه و الافتقار کيف يجوز أن يشـبه به العزيز الغنى المتکبر الجبّار، فجعلها نفس المشبّه به تنبيها على کونهما بمنزله الوسط فى لزوم الترکيب للمشبّه به الحقيقى حتّى يظهر بذلک تقدّسه عن التّشبه به.

و ثالثها أنّه وصف المفاصـل بکونهـا محتجبه معلّلاـ احتجابهـا بـأنه من تـدبيرات حکمته تعالى و مقتضـياتها، و ذلک لأنها لو لم تحتجب و خلقت بـارزه عريّه عن الغطـاء و الغشـاء ليبست رباطاتهـا و قست فيعـذر تصـرّف الحيوان بهـا کمـا هو الآن مضافا إلى کونها معرضه للآفات المفسده لها و غير ذلک من خفىّ تدبيره و لطيف حکمته.

و رابعها أنه عليه السّـلام شهد فى حقّ المشبّهه بعدم عقد ضميرهم المکنون على معرفه اللّه سبحانه و عدم اعتقادهم و يقينهم بأنه لا مثل له تعالى، و إنّما عبّر عن عدم اليقين

بعـدم اليمين إشـعارا بـأنّ اللازم على العبـد فى مقام تنزيهه سـبحانه عن المثل و النّظير أن يكون تنزيهه له صادرا عن وجه كمال اليقين بحيث لو أراد الحلف بذلك أمكنه ذلك.

هـذا إن جعلنـا اليمين بمعنى القسم، و إن كان بمعنى القوّه فالمقصود الاشـعار بأن يكون تنزيهه صادرا عن قوّه القلب و لا يكون مضطربا فيه.

و لما شـهد عليه السّلام فى حقّ المشـبّه بأنّه لم يعقد قلبه على معرفه اللّه سبحانه و لم يتيقّن تنزيهه عن المثل أكّد ذلك بقوله (و كأنه) أى المشبّه للّه بخلقه (لم يسـمع تبرّء التّابعين) و هم عبده الأصـنام و الأوثان (من المتبوعين) أى من آلهتهم يوم القيامه (إذ يقولون) حين القوا «فى الْجَحِيم «فَكُبْكِبُوا فِيهـا هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ » ... «تَاللّهِ إِنْ كُنّا » أى قـد كنّا «لَفِى ضَـلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ وَ ما أَضَـلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَـدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » فانّ المشـبّهين لو سـمعوا ذلك و عرفوا بذلك أى بتبرّء التّابعين من المتبوعين و بما حكى اللّه عنهم فى الكتاب المبين، لعقدوا قلبهم على المعرفه، و نزّهوه سـبحانه عن المثل و الصـفه، كيلا يقعوا فى الضّلاله الـدّائمه و الحسـره الباقيه، كما وقع فيها التّابعون بتلك الجهه.

فانّهم شـهدوا على أنفسـهم بالقسم البارّ بأنّهم فى ضـلال مبين، و تحسّروا بأنهم ليس لهم من شافعين و لا صـديق حميم. و تمنّوا الرّجوع إلى الدّنيا ليكونوا من المؤمنين، كلّ ذلك من أجل تشبيههم الخالق بالخلايق و إبدائهم المساواه بين معبوداتهم الباطله و بين ربّ العالمين، و عدم كونهم بعلوّ شأنه سبحانه و جلاله قدره موقنين مذعنين

ص:۳۲۱

(كـذب العـادلون بک) أى الجاعلون لک عـديلا و مثلا (إذ شـبّهوک بأصـنامهم) الباطله (و نحلوک حليه المخلوقين بأوهامهم) الفاسـده (و جزّؤوک تجزئه المجسّـمات بخواطرهم) الكاسـده (و قـدّروک على الخلقه المختلفه القوى بقرائح عقولهم) الجامده أمّا كذبهم فى تشبيههم له سـبحانه بالأصـنام فواضح، حيث اعترفوا بأنّهم فى ضلال مبين من جهه تسويتهم الأصنام بربّ العالمين و أمّا كذبهم فى نحلتهم له حليه المخلوقين، و تجزيتهم له تجزئه المجسّـمات و تقديرهم له على الخلقه المختلفه القوى كقولهم: بـأنّه فى صوره غلام أمرد فى رجليه نعلان من ذهب، و قولهم: بـأنّه أجوف من فيه إلى صـدره و ما سوى ذلک فصـمت، و غير ذلک من هذياناتهم فأشدّ وضوحا إذ الأعضاء المختلفه إنّما تتولّد و تكمل بواسـطه قوى طبيعيّه و نباتيّه و حيوانيّه و غيرها، و هى قوى مختلفه بحقايقها متضـادّه فى أفعالها محتـاجه إلى المركّب و الجـامع، و الاحتياج مسـتحيل على واجب الوجود، تعالى عمّا يقول الظّالمون علوّا كبيرا (و أشـهد أنّ من ساواک بشـىء من خلقک فقـد عدل بک و العادل بک كافر بما تنزّلت به محكمات آياتک و نطقت عنه شواهد حجج بيّناتک) شهاده ثانيه على كفر المشبّهه متفرّعه على ما سبق.

وجهه كفرهم أنهم لمّا شـبّهوه بخلقه و سووه به حيث اعتقـدوا أنّ خالقهم و صانعهم هو ما توهّموه بأوهامهم الفاسـده و وصـفوه بعقولهم الكاسده مع عدم كونه خالقهم بل هو مخلوق لهم مصنـوع مثلهم لا جرم كانوا بذلک متّخذين غير الخالق خالقا جاعلين للّه سـبحانه ندّا و عديلا، و هو الكفر و الضّـلال كما شـهدت به محكمات الآيات و أفصحت عنه شواهد أدلّه البيّنات قال سبحانه فى سوره البقره:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ » إلى أن قال «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ »

«اِتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ » و فى سوره إبراهيم:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ وَ جَعَلُوا لِلّهِ أَنْداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ » و فى سوره الزّمر: «وَ جَعَلَ لِلّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ » و فى سوره فصّلت:

«قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ ».

إلى غير هذه من الآيات الباهره و الحجج القاهره (و) أشهد (أنّك أنت اللّه الذى لم تتناه فى العقول فتكون فى مهبّ فكرها مكيّفا، و لا فى رويّات خواطرها فتكون محدودا مصرّفا) و هى شهاده ثالثه على تنزّهه من إحاطه العقول البشريّه فنفاها بنفى ما يترتّب عليها من كونه تعالى ذا نهايه، إذ معنى الاحاطه بالشىء هو إدراكه بكنهه و معرفته بجميع جهاته و بلوغ العقل غايته و نهايته بحيث لا يكون وراء ما أدركه شىء آخر و نفى انتهائه بنفى ما يترتّب عليه من كونه ذا كيفيّه تكيّفه بها القوى المتخيّله لتثبته بها العقول، و كونه محدودا أى ذا حدّ و نهايه أو محدودا بحدّ يحدّه و يعرّفه إذ إدراك العقول للحقايق بكنهها إنّما هو من حدودها و معرّفاتها.

و هذا مبنىّ على كون المحدود مأخوذا من الحدّ الذى هو معرّف الشىء و القول الشارح له كما أنّ الاوّل مبنىّ على أخذه من الحدّ بمعنى النهايه، و هو بكلا المعنيين محال على اللّه سبحانه و كونه مصرّفا أى ذا تصريف و تقليب مأخوذ من تصريف الرّياح و هو تحويلها من وجه إلى وجه و من حال إلى حال لأنّه إذا

ص:۳۲۳

كان العقول و الفكر متعلّقه به لا بدّ أن يتصرّف فيه العقول و الأفكار، و تحوّله من وجه إلى وجه لتبلغ غايته و تعرفه بكنهه و هو معنى كونه مصرّفا و لما كان هذه اللوازم كلّها باطله مستحيله فى حقّه تعالى كان ملزومها و هو إحاطه العقول به و تناهيه فيها محالا أمّا بطلان اللّازم الأول فلأنّ الكيف حادث بالذات ممكن الوجود مفتقر إلى جاعل يوجده برىء الذات من الاتصاف به، أما حدوثه فلكونه عرضا قائما بالمحلّ فهو مفتقر إلى جاعل و ينتهى افتقاره بالأخره إلى الحقّ تعالى، و امّا برائه ذات المحدث من الاتصاف به فلأنّ موجد الشىء مقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيّف بالكسر أى موجد الكيف و جاعله مكيّفا أى منفعلاـ ذا كيفيّه و إلاّـ لزم تقدّم الشىء على نفسه و كون الشىء الواحد فاعلا قابلا و هو محال و أمّا بطلان الّلازم الثّانى و هو كونه محدودا إى ذا نهايه فلأنه لا غايه لوجوده و لا منتهى لذاته، لأنّ وجوده وراء ما لا يتناهى مدّه و عدّه بما لا يتناهى قوّه و شدّه و أمّا إن جعلنا الحدّ بالمعنى الثّانى الذى أشرنا إليه فلأنّ حدّ الشىء عباره عن معرّفه المركب من الجنس و الفصل و اللّه سبحانه بسيط الذّات لاـ جزء له و ما لا جزء له لا جنس له و ما ليس له جنس ليس له حدّ و قول شارح يعرّف به، و ما ليس له حدّ لا يكون محدودا و أمّا بطلان اللازم الثالث أعنى كونه مصرّفا فلاستحاله التغيّر و الانتقال من حال إلى حال على اللّه تعالى شأنه.

الترجمه

پس نظر كن أى سؤال كننده از صفات پروردگار پس آن چيزى كه دلالت دارد قرآن بر آن از صفت حضرت آفريدگار پس اقتدا كن بآن و طلب روشنائى كن بنور هدايت او، و آنچه كه تكليف كرده آنرا شيطان ملعون دانستن او را از چيزى كه نيست در قرآن بر تو فرض آن و نه در سنّت پيغمبر خدا صلّى اللّه عليه و آله و نه أئمهٔ هدى

ص:۳۲۴

علامت و نشانهٔ او پس واگذار دانستن آن را بخدای تعالی، پس بدرستی که این منتهای حق خداوند است بر تو و زیاده از این بر تو لازم نیست.

و بدان که جماعتی که رسوخ دارند در علم و استوارند در دانش، ایشان کسانی هستند که بی نیاز ساخته ایشان را از بی فکر داخل شدن حجاباتی که زده شده در پیش غیبها، اقرار و اعتراف ایشان بإجمال آنچه که جاهل شده اند بتفسیر و توضیح آن از غیبی که پوشیده است، پس مدح فرموده حق سبحانه و تعالی اعتراف بعجز کردن ایشان را از أخذ نمودن آنچه که احاطه نکرده اند بآن از حیثیت علم و نام نهاده ترک تعمّق و خوض کردن ایشان را در چیزی که تکلیف نکرده بر ایشان بحث نمودن از حقیقت آن را برسوخ.

پس قناعت کن ایسائل در باب معرفت باین مقدار و تقدیر مکن عظمت پروردگار را باندازهٔ عقل خود تا این که شوی از هالکین.

او سبحانه قادریست که اگر مجدّ شوند و همهاتا دریابند نهایه توانائی آنرا، و طلب کند فکری که مبرّاست از خطرات وساوس شیطانیّه آنکه واقع شود در اسرار عمیقه پادشاهی او، و واله و متحیّر باشند قلبها بسوی او تا این که جاری شوند در چگونگی صفتهای او، و غامض و خفی باشد محلّ دخول عقلها باندازه که خارج از وصف باشد بجهه طلب علم بذات او سبحانه ردع میکند و باز دارد خداوند تعالی آن عقول و اوهام را از معرفت بذات و صفات خود و حال آنکه قطع کند آن اوهام و عقول مواضع هلاک تاریکیهای غیبها را در حالتی که رهیده باشد از غیر و نزدیکی جویند بسوی حق سبحانه.

پس برگشتند زمانی که باز داشته شدند در حالتی که اعتراف کننده باشند باین که رسیده نمی شود بشده جولان در بیداء جلال و عزّت و حقیقت معرفت او، و باین که خطور نمی کند بدل صاحبان فکرها خطور کنندهٔ از اندازه کردن بزرگی عزّت او.

آن خداوندی که ایجاد کرد مخلوقات را بدون سبق مثالی که متابعت

کرده باشد بر آن، و بی تقدّم مقدار و اندازه که عمل کرده باشد بر وفق آن که صادر شده باشد آن مثال و مقدار از خالق معبودی که بوده باشد قبل از او، و بنمود ما را از پادشاهی قدرت خود و از عجایب آن چیزی که گویا شده است بآن نشانهای حکمت او و از اعتراف نمودن خلایق باحتیاج خودشان باین که اقامه نماید و بپا داشته باشد ایشان را بنگه داشته قوّه خود دلیل وافی و برهان شافی ما را بسبب ضروری و بدیهی بودن حجتی که قائم است مر او را بمعرفت او و ظاهر گردید در اشیاء بدیعه که ایجاد فرموده نشانهای صنعت أو و علامتهای حکمت او.

پس گردید هر چیزی که خلق فرموده برهان قاطع مرا الوهیت آن را، و دلیل ساطع بر وجوب وجود آن و اگر چه بوده باشد آن مخلوق خلق غیر ناطق و جماد ساکت، پس حجت حق تعالی بتدبیر حکمت او گویا است و دلیل او بر وجود مبدع برپا.

پس شهادت می دهم بر این که کسی که تشبیه کرده تو را باعضای متباینه مخلوقات تو، و خورده های بهم پیوستهٔ مفاصل ایشان که پوشیده شده است بتدبیر حکمت تو عقد ننموده فکر باطنی خود را بر معرفت تو، و مباشر نکرده بقلب خودش یقین را باین که نیست هیچ مثلی تو را.

و گویا که نشنیده آن تشبیه کننده بیزاری جستن تابعان را از متبوعان در روز قیامت، و زمان انداخته شدن ایشان بر آتش وقتی که گویند: قسم بخدا که هر آینه بودیم ما در ضلالت هویدا، در وقتی که برابر کردیم ما شما را با پروردگار عالمیان.

دروغ گفتند کسانی که بتو مثل و عدیل قرار دادند وقتی که تشبیه کردند تو را به بتهای خودشان و بخشیدند بتو صفات مخلوقات را بوهمهای خود، و تجزیه کردند تو را همچه مجزّا کردن أشیاء مجسّمه با خواطرهای خود، و اندازه کردند تو را بر هیکلی و شکلی که مختلف است قوتهای او با عقلهای خود.

پس شهادت می دهم بر این که هر کس که مساوی ساخت تو را با چیزی از

ص:۳۲۶

مخلوق تو پس بتحقیق که عـدیل قرار داد ترا و هر کس که عـدیل قرار داد بتو کافر است بحکم آن چیزی که نازل شده با آن آیات محکمات تو، و بحکم آن چیزی که ناطق شد از آن گواهان حجتهای واضحهٔ تو.

و شـهادت می دهم بر این که توئی معبود بحق که پایان نداری در عقلها تا این که باشی در محلّ ورزیدن اندیشهای آن عقول مکیّف با کیفیتی، و نه در اندیشهای خاطرهای آن عقول صاحب حدّ و نهایتی و موصوف بتغییر از حالت بحالتی

الفصل الثالث

اشاره

منهـا قـدّر ما خلق فأحكم تقـديره، و دبّره فألطف تـدبيره، و وجّهه لوجهته فلم يتعـدّ حـدود منزلته، و لم يقصـر دون الانتهاء إلى غايته، و لم يستصـعب إذ أمر بالمضـىّ على إرادته، و كيف؟ و إنّما صدرت الامور عن مشيّه المنشـىء أصـناف الأشياء بلا رويّه فكر آل إليهـا، و لاـ قريحه غريزه أضـمر عليهـا، و لاـ تجربه أفادهـا من حوادث الـدّهور، و لاـ شـريک أعانه على ابتـداع عجائب الامـور، فتمّ خلقه و أذعن لطاعته، و أجـاب إلى دعـوته، و لم يعـترض دونه ريث المبطى، و لاـ أنـاه المتلكّى، فأقـام من الأشـياء أودها، و نهـج حـدودها، و لائم بقـدرته بين متضادّها، و وصل أسـباب قرائنها، و فرّقها أجناسا مختلفات، فی الحـدود و الأقدار و الغرائز و الهيئات، بدايا (برايا خ ل) خلايق أحكم صنعها، و فطرها على ما أراد و ابتدعها.

ص:۳۲۷

اللغه

(التدبير) فى الامور النّظر إلى ما يؤل إليه عاقبتها و (وجهه) الشىء بالكسر جهه الشّىء يتوجّه اليها قال تعالى:

«وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها ».

و (قصر) السهم عن الهدف إذا لم يبلغه و قصرت عن الشىء أى عجزت عنه و (دون) الشّىء أى قريبا منه و قبل الوصول إليه و (آل) إليه رجع و (الغريزه) الطبيعه و (قريحه الغريزه) ما يستنبطه الذّهن.

قال الجوهرىّ: القريحه أوّل ما يستنبط من البئر و منه قولهم: لفلان قريحه جيّده يراد استنباط العلم بجوده الطبع و (أضمر عليها) أى بلغ الغايه و استقصى عليها من الاضمار بمعنى الاستقصاء، و قيل: من الاضمار بمعنى الاخفاء و ليس بشىء لتعدّيه بنفسه يقال أضمره و أخفاه و لا يقال: أخفى و أضمر عليه و (الافاده) الاستفاده و (اعترض) الشىء دون الشىء حال، و اعترض صار كالخشبه المعترضه فى النهر و (الريث) الابطاء و (الاناه) كقتاه: الحلم و الوقار مأخوذ من تأنّى فى الأمر أى تثبّت و (تلكّاء) عليه اعتلّ و عنه أبطأ و (الاود) محركه الاعوجاج و (قرائنها) جمع القرينه و هى الأنفس و يحتمل أن يراد بها مقارنات الأشياء كما تطلع عليه.

قال الشّارح المعتزلى: و (بدايا) ههنا جمع بديه و هى الحاله العجيبه بدأ الرّجل إذا جاء بالأمر البدىء أى المعجب و البديه أيضا الحاله المبتكره المبتدئه و منه قولهم فعله بادى بدىء على وزن فعل أى أوّل كلّ شىء.

الاعراب

قوله: و كيف استفهام على سبيل الانكار و إنما صدرت جمله حاليه و العامل محذوف أى كيف يستصعب و إنّما صدرت الامور، و جمله لم يعترض حال أيضا من فاعل المصدر أعنى دعوته، قوله: أجناسا حال من مفعول فرّق أو منصوب بنزع

ص:٣٢٨

الخافض أى فرّقها بأجناس أو على أجناس مختلفه، و قوله: بـدايا خلايق خبر لمبتـدأ محذوف أى هى بدايا خلايق، و اضافه بدايا إلى خلايق من باب اضافه الصّفه إلى موصوفها، قال الشّارح المعتزلى: و يجوز أن لا يكون بـدايا إضافه إليها بل يكون بـدلا من اجناسا.

أقول: فعلى هذا الاحتمال تكون بدايا صفه ثانيه لأجناسا و ما ذكرناه أظهر فتدبّر.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه متضمن لتنزيه اللّه سبحانه فى كيفيه ايجاده للأشياء و خلقه لها عن صفات المصنوعين، و فيه تنبيه على كون المخلوقين مذلّين لانقياد حكمه، مطيعين لأمره، ماضين على ارادته، غير متمرّدين عن طاعته كما قال عليه السّلام:(قدّر ما خلق فأحكم تقـديره) يعنى أنّ كلّ مخلوق قـدّره فى الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقـدار أو نقص منه لاختلّت مصلحه ذلك المقدّر و تغيّرت جهه المنفعه فيه (و دبّره فألطف تدبيره) يعنى أنّه أوجد الأشياء على وفق المصلحه و نظام الخير فتصرّف فيها تصرّفات كلّيه و جزئيه من غير شعور غيره ذلك.

(و وجّهه لوجهته فلم يتعـدّ حـدود منزلته و لم يقصـر دون الانتهـاء إلى غـايته) أراد أنّه سبحانه وجّه كـلّ ما خلق إلى الجهه التى وجّهه إليها، و ألهم كلّا و يسّره لما خلق له، كالسحاب للمطر و الحمار للحمل و النّحل للشمع و العسل و هكذا فلم يتجاوز شىء منهـا مرسوم تلـك المنزله المحـدوده له المعيّنه فى حقّه، و لم يقصـر دون الانتهاء إلى الغايه التى كتبت له فى اللّوح المحفوظ و إلّا لزم التّغيّر فى علمه و عدم النفاذ فى أمره و هما محالان.

(و لم يستصـعب إذ أمر بالمضـىّ على إرادته) أى لم يستصعب أحد من المخلوق التّوجّه إلى الجهه التى وجّهه إليها، و لم يمكنه التّخلّف من المضىّ اليها على وفق إرادته و حكمته بعد أمره له بذلك أمر تكوين لا تشريع.

ص:۳۲۹

(و كيف) يستصعب و يتخلّف (و إنّما صدرت الامور عن مشيّه المنشى أصناف الأشياء) يعنى أنّ جميع الآثار مستند إلى مشيّه إذ كلّ أثر فهو واجب عن مؤثّره و الكلّ منته فى سلسله الحاجه إلى إرادته فهو واجب عنها.

و يدلّ عليه ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن عمر بن اذينه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: خلق اللّه المشيّه بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيّه.

و سيأتى تحقيق الكلام فى ذلك بعد الفراغ من شرح الفصل، هذا و قوله عليه السّلام (بلا رويّه فكر آل إليها و لا قريحه غريزه أضمر عليها و لا تجربه أفادها من حوادث الدّهور و لا شريك أعانه على ابتداع عجائب الامور) إشاره إلى تنزّهه فى ايجاد المخلوقات عن الافتقار إلى هذه الامور، و أنّ ذاته بذاته مصدر جميع الامور و أنّ خلقه سبحانه لها غير موقوف على شيء منها.

أمّا رويّه الفكر فلأنها عباره عن حركه القوّه المفكّره فى تحصيل المطالب من المبادى و انتقالها منها إليها و هى محال على اللّه سبحانه: «أمّا أوّلا» فلكون القوّه المفكّره من خواصّ نوع الانسان «و أمّا ثانيا» فلأنّ فايدتها تحصيل المطالب المجهوله من المعلومات و الجهل محال فى حقه تعالى و أمّا قريحه الغريزه فلأنّها على ما عرفت عباره عن استنباط العلم بجوده الذهن، و استحالته على اللّه واضحه إذ العلم عين ذاته و هو تعالى غير فاقد له حتّى يكون محتاجا إلى التّعمق و الاستنباط و النظر فى موارده و مصادره و الاستقصاء عليه و بلوغ الغايه فيه و أمّا التجربه فلأنّها عباره عن حكم العقل بأمر على أمر بواسطه مشاهدات متكرّره معدّه لليقين بسبب انضمام قياس خفىّ إليها، و هو أنّه لو كان هذا الأمر اتفاقيّا لما كان دائما أو أكثريّا و استحالتها على اللّه من وجهين: أحدهما أنّها، مركبه من مقتضى الحسّ و العقل، و ذلك أنّ الحسّ يشاهد وقوع الاسهال مثلا

ص:٣٣٠

عقیب شرب الدّواء مرّه بعد مرّه فینتزع العقل من تلک المشاهده حکما کلّیا بأنّ ذلک الدّواء مسهل و معلوم أنّ اجتماع الحسّ و العقل من خصایص نوع الانسان و ثانیهما أنّ التّجربه إنما تفید علما لم یکن قبل فالمحتاج إلی التجربه لاستفاده العلم بها ناقص بذاته مستکمل بها و المستکمل بالغیر محتاج إلیه فیکون ممکنا و أمّا الشریک المعین فلانتفاء الشریک أوّلا کما مرّ فی شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الاولی، و لانتفاء مبدء الاستعانه ثانیا لأنّ مبدئها هو العجز من الفعل و العجز عباره عن تناهی القوّه و القدره، و قدس الحقّ منزّه عن ذلک.

فقد وضح و اتّضح بذلک کلّ الوضوح أنّ اللّه سبحانه غیر محتاج فی ابداع الخلایق و ایجادها إلی الفکر و الرّویه، و لا قریحه الطّبیعه و لا تجربه و لا مشارکه و إنّما مستند الایجاد نفس الاراده و المشیّه و أنّه سبحانه «إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ».

(فتمّ خلقه) بمشیّته (و أذعن) الکلّ (لطاعته) بمقتضا امکانه و حاجته (و أجاب) الجمیع (إلی دعوته) حیث دعاهم إلی بساط الوجود بمقتضا عموم الافاضه و الجود (و) الحال انّه (لم یعترض دونه ریث المبطئ و لا أناه المتلکّی) أی لم یحل دون نفاذ أمره إبطاء المبطئ و لا تثبّت المتوقّف المعتلّ بل انقاد له جمیع الأشیاء و أسرعوا إلی أمره عند الدّعاء من غیر تعلّل و لا إبطاء لکون الکلّ مقهورا تحت قدرته أذلّه تحت عزّته کما قال عزّ من قائل:

«بَدِیعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ ».

یعنی أنّه إذا أراد فعله و خلقه یقول له ذلک بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همه و لا تفکّر، فقوله کن اشاره إلی هبه ما ینبغی لذلک المأمور و بذل ما یعدّه لاجابه

أمره بـالكون فی الوجود، و قوله: فیکون إشـاره إلی وجوده، و الفـاء المقتضـیه للتعقیب بلا مهله دلیل علی اللّزوم و عـدم التأخّر، هذا.

و یحتمل أن یکون المراد بنفی اعتراض الرّیث و الاناه نفی اعتراضـهما بالنّظر إلی ذاته من حیث فاعلیته، فیکون المقصود بذلک تنزیهه من أن یعرض له شیء من هـذه الکیفیّات کما یعرض علی أحـدنا إذا أردنا فعل شـیء من حیث قصور قـدرتنا و ضـعف قوّتنا(فأقام من الأشیاء أودها)و اعوجاجها، و إقامتها کنایه عن اعداده ما ینبغی لها و إفاضته الکمال بالنسبه إلیها (و نهج حدودها) و غایاتها أراد به ایضاحه لکلّ شـیء وجهته و تیسـیرها له (و لائم بقدرته بین متضادّها) کما جمع بین العناصـر الأربعه علی تضادّ کیفیّتها فی مزاج واحد (و وصل أسباب قرائنها) و نفوسها بتعدیل أمزجتها لأنّ اعتدال المزاج سبب بقائها.

قـال الشـارح البحرانی: و یحتمل أن یکون معنی الوصول لأسـبابها هـدایتها إلی عبادته و ما هو الأولی بها فی معاشـها و معادها و سوقهـا إلی ذلـک، إذ المفهوم من قول القائل: وصل الملک أسـباب فلان إذا علّقه علیه و وصـله إلی برّه و انعامه، هـذا إن جعلنا القراین بمعنی الأـنفس و إن کانت بمعنی مقارنات الشـیء فهو إشاره إلی أنّ الموجودات لا تنفکّ عن أشـیاء یقترن بها من هیئه أو شـکل أو غریزه و نحوها، و اقتران الشـیئین لا محاله مسـتلزم لاقتران أسـبابهما، لاسـتحاله قیام الموجود بـدون أسـبابه، و ذلک الاقتران و الاتّصال مستند إلی کمال قدرته إذ هو مسبب الأسباب.

(و فرّقها أجناسا مختلفات فی الحـدود و الاقـدار و الغرایز و الهیئات) أی جعلها أقساما مختلفه النهایات و المقادیر متفاوته الطبایع و الصـفات، فجعل بعضـها طویلا و بعضـها قصـیرا و بعضـها صـغیرا و بعضـها کبیرا، و جعل سجیّه بعضها شجاعا و بعضها جبانا و بعضـها شـحیحه و بعضـها کریمه و هیئه بعضـها حسنه و بعضها قبیحه و هکذا، هذا ان کان الحدود فی کلامه علیه السّلام بمعنی النهایات قال الشارح البحرانیّ: و إن حملنا الحدود علی ما هو المتعارف کان حسنا،

ص:۳۳۲

فانّ حكمه الخالق سبحانه اقتضت تميّز بعض الموجودات عن بعض بحدودها و حقايقها، و بعضها بأشكالها و هيئاتها و مقاديرها و غرائزها و اخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود و أحكام الصّنع و حكم الاراده الالهيّه.

(بدايا خلايق أحكم صنعها و فطرها على ما أراد و ابتدعها) أى هى مخلوقات عجيبه أو مبتكره غير محتذى بها حذو خالق سابق، جعل صنعها محكما متقنا، و أوجدها على وفق ارادته و أبدعها من العدم المحض إلى الوجود من دون أن تكون لها مادّه أصلا لها كما زعمت الفلاسفه من أنّ الأجسام لها أصل أزلىّ هى المادّه فهو المخترع للممكنات بما فيها من المقادير و الأشكال و الهيآت، و المبتدع للموجودات بمالها من الحدود و الغايات و النّهايات بمحض القدره على وفق الاراده و مقتضى الحكمه.

تنبيه

اعلم أنّه لما جرى فى هذا الفصل ذكر حديث صدور الأشياء عن مشيّته سبحانه أحببت تنقيح ذلك المرام و عزمت على تحقيق الكلام فى هذا المقام لكونه من مزالّ الأقدام.

فأقول: و باللّه التكلان و هو المستعان إنّ الكلام فى هذا الباب يقع فى مقامات ثلاثه.

المقام الاول

فى معنى المشيّه، و قد فسّرها أهل اللغه بالاراده قال فى القاموس: شئته إشائه شيئا و مشيئه و مشائه و مشائيه أرادته، و فى مجمع البحرين: و المشيّه الاراده من شاء زيد يشاء من باب قال أراد، و فى المصباح شاء زيد الأمر يشائه شيئا من باب قال أراده، و المشيئه اسم منه بالهمز، و الادغام غير سايغ إلاّ على قياس من يحمل الأصلى على الزّايد لكنّه غير منقول و نحوها فى ساير كتب اللغه.

و أما فى الأخبار و أحاديث أئمّتنا الأبرار الأخيار فتاره اطلقتا على معنى

واحد مثل ما رواه الطريحى عن الرّضا عليه السّلام ان الابداع و المشيه و الاراده معناها واحد و الأسماء ثلاثه، و اخرى و هو الأكثر على معنيين مختلفين يجعل مرتبه المشيه متقدّمه على مرتبه الاراده و كون نسبتها إليها نسبه القوّه إلى الضعف.

و يدلّ عليه ما رواه المحدّث المجلسىّ من المحاسن للبرقى قال: حدثنى أبى عن يونس عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام قال: قلت: لا يكون إلاّ ما شاء اللّه و أراد و قضى؟ فقال عليه السّلام: لا يكون إلاّ ما شاء اللّه و قدّر و قضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال عليه السّلام: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدّر؟ قال:

تقدير الشيء من طوله و عرضه، قلت: فما معنى قضى؟ قال عليه السّلام: إذا قضى أمضاه فذلك الذى لا مردّ له.

و رواه فى الكافى مسندا عن علىّ بن إبراهيم الهاشمى عن أبى الحسن موسى ابن جعفر عليهما السّلام نحوه إلاّ أنّه ليس فيه قوله: قلت: فما معنى أراد قال الثبوت عليه، و لعلّه سقط من الكتاب و الظّاهر أنّ مراده منه هو ما ذكرنا كما فهمه شرّاح الحديث.

قال فى مرآت العقول: قوله عليه السّلام: ابتداء الفعل أى أوّل الكتابه فى اللّوح المحفوظ أو أوّل ما يحصل من جانب الفاعل و يصدر عنه ممّا يؤدّى إلى وجود المعلول و على ما فى المحاسن يدلّ على أنّ الاراده تأكّد المشيّه و فى اللّه سبحانه تكون عباره عن الكتابه فى الألواح و تسبيب أسباب وجوده، و قوله: تقدير الشىء، أى تعيين خصوصيّاته فى اللّوح أو تعيين بعض الأسباب المؤدّيه إلى تعيين المعلول و تحديده و خصوصيّاته إذا قضى أمضاه، أى إذا أوجبه باستكمال شرايط وجوده و جميع ما يتوقّف عليه المعلول أوجده، و ذلك الذى لا مردّ له لاستحاله تخلّف المعلول عن الموجب التّام.

و قال الصّالح المازندرانى فى شرحه على أصول الكافى: لما كان قوله عليه السّلام:

لا يكون شىء إلاّ ما شاء اللّه، دالاّ بحسب الظاهر على أنّ المعاصى تقع بمشيّته تعالى و إرادته و هذا لا يستقيم على المذهب الحقّ، سأل السائل عن معنى المشيّه حتى يظهر

له وجه الاستقامه، فأجاب عليه السّلام بأنّ المشيّه ابتداء الفعل و أوله، و لعلّ المراد بابتداء الفعل أنّ مشيّته تعالى أوّل فعل من الأفعال، و كلّ فعل غيرها يتوقّف عليها و يصدر بعدها كما يدلّ عليه ما عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: خلق اللّه المشيّه بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيّه، يعنى خلق أفعاله بها و كذا خلق أفعال عباده لكن بتوسط مشيّه جازمه صادره منهم، فاذا سلسله جميع الأفعال منتهيه إلى مشيّته تعالى، و المراد به أنّ مشيّته أوّل المشيئات، و كلّ مشيّه سواها تابعه لها، كما أنّه تعالى هو الفاعل الأوّل و كلّ فاعل بعدها فاعل ثانوى يسند فعله إليه بلا واسطه، و إلى الفاعل الأوّل بواسطه، و هذا معنى مشيّته تعالى لأفعال العباد و معنى اسناد فعلهم إلى مشيّته.

و فى محاسن البرقى بعد هذا السؤال و الجواب قلت: فما معنى أراد؟ قال:

الثبوت عليه، يعنى على ابتداء الفعل و من ههنا فسرّ بعضهم الاراده تاره بأنّها عزيمه على المشيّه، و تاره بأنها الاتمام لها، و تاره بأنّها الجدّ عليها.

و قال صدر المتألّهين: نسبه المشيّه إلى الاراده كنسبه الضعف إلى القوّه و نسبه الظنّ إلى الجزم، فانّك ربما تشاء أشياء و لا تريده، فظهر أنّ المشيّه ابتداء العزم على الفعل هذا.

و فى الكافى عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أبيه و محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد و محمّد بن خالد جميعا عن فضاله بن أيوب عن محمّد بن عماره عن حريز بن عبد اللّه و عبد اللّه بن مسكان جميعا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لا يكون شىء فى الأرض و لا فى السّماء إلاّ بهذه الخصال السّبع: بمشيّه، و إراده، و قدر، و قضاء، و اذن، و كتاب، و أجل، فمن زعم أنّه يقدر على نقص واحده فقد كفر.

قال فى مرآت العقول: يمكن حمل الخصال السبع على اختلاف مراتب التقدير فى الألواح السّماويّه، أو اختلاف مراتب تسبب الأسباب السّماويّه و الأرضيّه، أو يكون بعضها فى الامور التكوينيّه و بعضها فى الأحكام التكليفيّه، أو كلّها فى

الامور التكوينيّه.

فالمشيّه و هى العزم؛ و الاراده و هى تأكّدها فى الأمور التكوينيّه ظاهرتان و أمّا فى التكليفيّه فلعلّ عدم تعلّق الاراده الحتميّه بالترك عبّر عنه باراده الفعل مجازا.

و الحاصل أنّ الاراده متعلّقه بالأشياء كلّها لكن تعلّقها بها على وجوه مختلفه إذ تعلّقها بأفعال نفسه بمعنى ايجادها و الرضا بها و الأمر بها، و بالمباحاه بمعنى الرّخصه بها، و بالمعاصى إراده أن لا يمنع منها بالجبر لتحقّق الابتلاء و التكليف كما قال تعالى:

«وَ لَوْ شاءَ اللّهُ ما أَشْرَكُوا ».

أو يقال تعلّقها بأفعال العباد على سبيل التجوّز باعتبار ايجاد الآله و القدره عليها و عدم المنع منها فكانّه أرادها.

و بالقدر تقدير الموجودات طولا و عرضا و كيلا و وزنا و حدّا و وصفا و كمّا و كيفا، و بالقضاء الحكم عليها بالثواب و العقاب أو تسبيب أسبابه البعيده كما مرّ و المراد بالاذن إما العلم أو الأمر فى الطّاعات أو رفع الموانع، و بالكتاب الكتابه فى الألواح السّماويه أو الفرض و الايجاب كما قال تعالى: كتب عليكم الصّيام، و كتب على نفسه الرّحمه، و بالأجل الأمد المعيّن و الوقت المقدّر عنده تعالى.

و فى الكافى أيضا عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد قال: سئل العالم عليه السّلام كيف علم اللّه؟ قال: علم و شاء و أراد و قدّر و قضى و أمضى، فأمضى ما قضى و قضى ما قدّر و قدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيّه، و بمشيّته كانت الاراده، و بارادته كان التقدير، و بتقديره كان القضاء، و بقضائه كان الامضاء الحديث.

قال صدر المتألّهين فى شرحه: هذا السّائل سأله عليه السّلام عن كيفيّه علمه تعالى بالجزئيات الزّمانيّه و المكانيّه، فأجابه عليه السّلام عنها بما أفاده من المراتب السّته المرتّب بعضها على بعض.

أوّلها العلم، لأنه المبدأ الأوّل لجميع الأفعال الاختياريّه، فانّ الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلّا بعد القصد و الاراده، و لا يصدر عنه القصد و الاراده إلّا بعد تصوّر ما يدعوه إلى ذلك الميل و تلك الاراده و التّصديق به تصديقا جازما أو ظنا راجحا، فالعلم مبدء مبادى الأفعال الاختياريّه، و اعلم أنّ المراد بهذا العلم المقدّم على المشيّه و الاراده و ما بعدهما بحسب الاعتبار أو التحقّق هو العلم الأزليّ الذاتى الالهىّ أو القضائى المحفوظ عن التغيّر، فينبعث منه ما بعده و أشار إليه بقوله: علم، أى علم دائما عن غير زوال و تبدّل.

و ثانيها المشيّه، و المراد بها مطلق الاراده سواء بلغت حدّ العزم و الاجماع أم لا، و قد ينفكّ المشيّه فينا عن الاراده الجازمه كما نشتاق أو نشتهى شيئا و لا نعزم على فعله لمانع عقلىّ أو شرعىّ و إليها أشار بقوله: و شاء و ثالثها الاراده، و هى العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره و تصوّر غايه المترتبه عليه من خير أو نفع أو لذّه، لكنّ اللّه برىء عن أن يفعل لأجل غرض يعود إلى ذاته و إليها الاشاره بقوله: أراد.

و رابعها التقدير، فانّ الفاعل لفعل جزئىّ من أفعال طبيعه واحده مشتركه إذا عزم على تكوينه فى الخارج كما إذا عزم الانسان على بناء بيت فلا بدّ قبل الشروع أن يعيّن مكانه الذى يبنى عليه، و زمانه الذى يشرع فيه، و مقداره الذى يكوّنه عليه من كبر أو صغر أو طول أو عرض، و شكله و وصفه و لونه و غير ذلك من صفاته و أحواله، و هذه كلّها داخله فى التقدير.

و خامسها القضاء، و المراد هنا ايجاب الفعل و اقتضاء الفعل من القوّه الفاعله المباشره، فانّ الشىء ما لم يجب لم يوجد، و هذه القوّه الموجبه بوقوع الفعل منّا هى القوّه التى تقوم فى العضله و العصب من العضو الذى توقع القوّه الفاعله فيها قبضا و تشنّجا؛ أو بسطا و إرخاء أوّلا ـ فيتبعه حركه العضو فتتبعه صوره الفعل فى الخارج من كتابه أو بناء أو غيرهما، و الفرق بين هذا الايجاب و بين وجود الفعل فى العين كالفرق بين الميل الذى فى المتحرّك و بين حركته، و قد ينفكّ الميل كما تحسّ

یدک من الحجر المسکن بالید فی الهواء، و معنی هذا الایجاب و المیل من القوّه المحرّکه أنه لو لا هناک اتفاق مانع أو دافع من خارج لوقعت الحرکه ضروره إذ لم یبق من جانب الفاعل شیء منتظر فقوله علیه السّلام: و قضی، إشاره إلی هذا الاقتضاء و الایجاب الذی ذکرنا أنه لا بدّ من تحقّقه قبل الفعل قبلیّه بالذّات لا بالزّمان إلّا أن یدفعه دافع من خارج، و لیس المراد منه القضاء الأزلی لأنه نفس العلم، و مرتبه العلم قبل المشیّه و الاراده و التقدیر.

و سادسها نفس الایجاد و هو أیضا متقدّم علی وجود الشیء المقدّر فی الخارج و لهذا یعدّه أهل العلم و التحقیق من المراتب السّابقه علی الوجود الممکن فی الخارج فیقال أوجب فوجب. فأوجد فوجد.

فان قلت: ألیس الایجاد و الوجود و کذا الایجاب و الوجوب متضایفین و المتضایفان معان فی الوجود؟ قلت: المتضایفان و إن کانا من حیث مفهومیهما الاضافیّین و من حیث اتّصاف الذاتین بهما معا کما ذکرت، لکنّ المراد ههنا لیس حال المفهومین، فانّ کلاّ من الموجد بالفعل أو المقتضی أو المحرّک قد یراد به المعنی الاضافی و المفهوم النّسبی و حکمه کما ذکرت من کون تحقّقه مع تحقّق ما اضیف إلیه من حیث إنه اضیف إلیه، و قد یراد به کون الشیء بحیث یکون وجوده مستتبعا لوجود شیء آخر و هذا الکون لا محاله متقدّم علی کون شیء آخر هو تابعه و مقتضاه الموجود بسبب هذا الاقتضاء أو الایجاد.

کما فی تحریک الید بحرکتها للمفتاح، تقول: تحرّک الید فتحرّک المفتاح فانّ الفاء یدلّ علی الترتیب و إن کانا معا فی الزّمان و ربما یتقدّم المقتضی علی المقتضی زمانا فی عالم الاتفاقات إذا کان هناک مانع من خارج کما فی المثال الذی ذکرناه و کما فی اقتضاء الشمس لاضائه ما یحاذیها من وجه الأرض فحال بینهما حائل، فعدم استضاءه ذلک الموضع لیس لأجل فتور أو نقصان فی جانب المقتضی، لأنّ حاله فی الاقتضاء و الاضائه لم یتغیّر عما کان، و إنّما التخلّف فی الاستضائه

لأجل شیء من جانب القابل، فقوله علیه السّلام: فأمضی، اشاره إلی هذا الایجاد الذی بیّنا أنه قبل الوجود و الصدور.

المقام الثانی

فی تحقیق أنّ المشیه و الاراده من صفات الفعل لا من صفات الذات، و توضیح ذلک موقوف علی رسم مقدّمه متضمنه لقاعده کلّیه بها یعرف الفرق بین صفات الذات و صفات الفعل، و قد أشار إلیها ثقه الاسلام الکلینی عطّر اللّه مضجعه فی الکافی أیضا و هی:

أنّ الفرق بینهما من وجوه ثلاثه:

الأوّل أنّ کلّ صفه وجودیه لها مقابل وجودیّ فهی من صفات الفعل لا من صفات الذات، لأنّ صفاته الذاتیه کلّها عین ذاته و ذاته مما لا ضدّ له، فکذلک کلّما هو عین ذاته، مثال ذلک أنّک تقول: إنّ اللّه سبحانه رضی و سخط و أحبّ و أبغض و أحیی و أمات، و هکذا و لا یجوز أن تقول: علم و جهل و قدر و عجز و عزّ و ذلّ، فبذلک یعرف أنّ الحبّ و الاحیاء و الرّضا من صفات الفعل لأنّ البغض و الاماته و السّخط مقابلاتها ناقضات لها، فلو کانت من صفات الذّات لزم أن یکون مقابلاتها ناقضات للذّات الأحدیه و هو محال، لأنّه لا ضدّ له کما لا ندّ له فاتصاف ذاته بصفتین ذاتیّتین متقابلتین محال.

الثّانی أنّ کلّ صفه صحّ تعلّق القدره بها فهی من صفات الفعل و کلّما لا تصحّ تعلّقها بها فهی صفه الذات، و ذلک لأنّ القدره صفه ذاتیّه تتعلّق بالممکنات لا غیر، فلا تتعلّق بالواجب و لا بالممتنع، فکلّ ما هو صفه الذات فهو أزلیّ غیر مقدور و کلّما هو صفه الفعل فهو ممکن مقدور فیصح أن تقول: یقدر أن یخلق و أن لا یخلق و یقدر أن یمیت و یحیی و أن یثیب و یعاقب و هکذا، و لا یصحّ أن تقول: یقدر أن یعلم و أن لا یعلم، لأنّ علمه بالأشیاء ضروریّ واجب بالذّات، و عدم علمه بها محال ممتنع بالذات و مصحّح المقدوریّه هو الامکان، و مثله صفه الملک و العزّه و العظمه و الکبریاء و الجلال و الجمال و الجبروت و أمثالها.

الثّالث أنّ كلّ صفه صحّ تعلّق الاراده بها فهى صفه فعل، و ما لا يصحّ تعلّقها بها فهى صفه الذّات، و ذلک لأنّ الاراده من توابع القدره إذ هى عباره عن اختيار أحد طرفى المقدور و العزم عليه لأجل تحقّق الدّاعى، فما لا يكون مقدورا لا يكون مرادا، و أيضا الاراده صفه فعل حادثه و الحادث لا يؤثر فى القديم.

إذا عرفت هذه المقدّمه الشريفه فأقول:

إنّ الاراده كما حقّقه صدر المتألّهين فى شرح الكافى تطلق على معنيين:

أحدهما ما يفهمه الجمهور

، و هو الذى ضدّه الكراهه، و هى التى قد تحصل فينا عقيب تصوّر الشىء الملايم و عقيب التردّد حتى يترجّح عندنا الأمر الداعى إلى الفعل أو الترك فيصدر أحدهما منا، و هذا المعنى فينا من الصفات النفسانيه، و هى و الكراهه فينا كالشهوه و الغضب فينا، و هذا المعنى لا يجوز على اللّه سبحانه، بل ارادته نفس صدور الأفعال الحسنه منه من جهه علمه بوجه الخير و كراهته عدم صدور الفعل القبيح من جهه علمه بقبحه.

كما قال المفيد (ره): إنّ الاراده من اللّه جلّ اسمه نفس الفعل و من الخلق الضمير و أشباهه مما لا يجوز إلّا على ذوى الحاجه و النقص و ذلک لأنّ العقول شاهده بأنّ القصد لا يكون إلّا بقلب كما لا تكون الشهوه و المحبّه إلّا لذى قلب و لا تصحّ النيّه و الضمير و العزم إلّا على ذيخاطر يضطرّ معه فى الفعل الذى يقلب عليه إلى الاراده له و النّيه فيه و العزم و لما كان اللّه تعالى يجلّ عن الحاجات و يستحيل عليه الوصف بالجوارح و الأدوات و لا يجوز عليه الدّواعى و الخطرات، بطل أن يكون محتاجا فى الأفعال إلى القصود و العزمات، و ثبت أنّ وصفها بالاراده مخالف فى معناه لوصف العباد و أنها نفس فعله الأشياء و بذلک جاء الخبر عن أئمه الهدى.

ثمّ اورد روايه صفوان بن يحيى قال: قلت لأبى الحسن عليه السّلام: أخبرنى عن الاراده من اللّه و من الخلق؟ قال: فقال عليه السّلام: الاراده من الخلق الضمير(۱) و ما يبدو لهم بعد ذلک من الفعل، و أما من اللّه تعالى فارادته إحداثه لا غير ذلک، لأنّه تعالى

۱- (۱) الضمير أى تصور الشىء و توجّه الذهن اليه.

لا يروّى و لا يتفكّر و لا يهمّ و هذه الصّفات منتفيه عنه و هى صفات الخلق فاراده اللّه تعالى الفعل يقول له كن فيكون بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همه و لا تفكر و لا كيف لذلك كما لا كيف له تعالى.

المعنى الثانى للاراده

كون ذاته سبحانه بحيث يصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته، لا كاتباع الضؤ للمضىء و السخونه للمسخن، و لا كفعل الطبايع لا عن علم و شعور، و لا كفعل المجبورين و المسّخرين، و لا كفعل المختارين بقصد زايد أو اراده ظنّيه يحتمل الطرف المقابل.

و قد تحقّقت أنّ قيّوم الكلّ إنّما يفعل الكلّ عن علم هو نفس ذاته العليم الذى هو أتمّ العلوم، فاذا هو سبحانه فاعل للأشياء كلّها باراده ترجع إلى علمه بذاته المستتبع لعلمه بغيره المقتضى لوجود غيره فى الخارج لا لغرض زايد و جلب منفعه أو طلب محمده أو ثناء أو التخلّص من مذمّه، بل غايه فعله محبه ذاته فهذه الأشياء الصادره عنه كلّها مراده لأجل ذاته لأنها من توابع ذاته و علمه بذاته، فلو كنت تعشق شيئا لكان جميع ما يصدر عنه معشوقا لك لأجل ذلك الشّىء.

و إليه الاشاره بما ورد فى الحديث الالهى عن نفسه: كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف.

و إذا ظهر لك ذلك اتّضح عندك أنّ الاراده بالمعنى الثانى لا غبار على كونها من صفات الذّات لكونها عباره اخرى للعلم بالأصلح و النّظام الخير و العلم صفه ذات له سبحانه، و بالمعنى الأول هى صفه فعل و لذلك صحّ سلبها عنه سبحانه.

و يشهد به ما رواه فى الكافى باسناده عن عاصم بن حميد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

قلت: لم يزل اللّه مريدا قال: إنّ المريد لا يكون إلاّ المراد معه، لم يزل اللّه عالما قادرا ثم أراد.

فانّه كما ترى يدلّ على كونها من الصّفات الاضافيّه المتجدّده كخالقيّته تعالى و رازقيّته، و يشهد به أخبار اخر أيضا لا حاجه إلى إيرادها بعد وضوح المراد.

المقام الثالث

فی تحقیق الحدیث المعروف المرویّ فی الکافی عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن عمر بن اذینه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: خلق اللّه المشیّه بنفسها ثمّ خلق الأشیاء بالمشیّه.

و قد ذکروا فی تأویله وجوها أشار إلیها المحدّث العلاّمه المجلسیّ طاب رمسه فی مرآت العقول.

الأوّل أن لا یکون المراد بالمشیّه الاراده بل احدی مراتب التّقدیرات التی اقتضت الحکمه جعلها من أسباب وجود الشّیء، کالتّقدیر فی اللّوح مثلا و الاثبات فیه، فانّ اللّوح و ما أثبت فیه لم یحصل بتقدیر اخر فی لوح سوی ذلک اللّوح و إنما وجد سایر الأشیاء بما قدّر فی ذلک اللّوح و ربما یلوح هذا المعنی من بعض الأخبار، و علی هذا المعنی یحتمل أن یکون الخلق بمعنی التقدیر.

الثّانی أن یکون خلق المشیّه بنفسها کنایه عن کونها لازمه لذاته تعالی غیر متوقّفه علی تعلّق إراده اخری بها، فیکون نسبه الخلق إلیها مجازا عن تحقّقها بنفسها منتزعه عن ذاته تعالی بلا توقّف علی مشیّه اخری، أو أنه کنایه عن أنّه اقتضی علمه الکامل و حکمته الشّامله کون جمیع الأشیاء حاصله بالعلم بالأصلح، فالمعنی أنه لما اقتضی کمال ذاته أن لا یصدر عنه شیء إلاّ علی الوجه الأصلح و الأکمل فلذا لا یصدر شیء عنه تعالی إلاّ بارادته المقتضیه لذلک.

الثالث ما ذکره السیّد داماد قدّس اللّه روحه و هو: أنّ المراد بالمشیّه هنا مشیّه العباد لأفعالهم الاختیاریه، لتقدّسه تعالی عن مشیّه مخلوقه زایده علی ذاته عزّ و جلّ و بالأشیاء أفاعیلهم المترتّب وجودها علی تلک المشیّه، و بذلک تنحلّ شبهه ربما اوردت ههنا، و هی: أنه لو کانت أفعال العباد مسبوقه بارادتهم لکانت الاراده مسبوقه باراده اخری و تسلسلت الارادات لا إلی نهایه.

الرّابع ما ذکره بعض الأفاضل و هو: أنّ للمشیّه معنیین أحدهما متعلّق بالشّائی و هی صفه کمالیه قدیمه هی نفس ذاته سبحانه، و هی کون ذاته سبحانه

بحيث يختار ما هو الخير و الصّلاح و الاخر يتعلّق بالمشىء و هو حادث بحدوث المخلوقات لا تتخلّف المخلوقات عنه، و هو ايجاده سبحانه إيّاها بحسب اختياره، و ليست صفه زايده على ذاته عزّ و جلّ و على المخلوقات بل هى نسبه بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيّتها على المنتسبين معا فنقول إنه لما كان ههنا مظنّه شبهه هى: أنه إن كان اللّه عزّ و جلّ خلق الأشياء بالمشيّه فبم خلق المشيّه أبمشيّه اخرى فيلزم أن تكون قبل كلّ مشيّه مشيّه إلى ما لا نهايه له، فأفاد الامام عليه السّلام أنّ الأشياء مخلوقه بالمشيّه و أما المشيّه نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيّه اخرى، بل هى مخلوقه بنفسها لأنها إضافه و نسبه بين الشائى و المشىء تتحصّل بوجوديهما العينى و العلمى، و لذا أضاف خلقها إلى اللّه سبحانه لأنّ كلّ الوجودين له و فيه و منه، و فى قوله: بنفسها، دون أن يقول بنفسه إشاره لطيفه إلى ذلك، نظير ذلك ما يقال: إنّ الأشياء إنما توجد بالوجود و أما الوجود نفسه فلا يفتقر على وجود آخر بل إنما يوجد بنفسه.

الخامس ما ذكره بعض المحقّقين بعد ما حقّق: أنّ إراده اللّه المتحقّقه المتجدّده هى نفس أفعاله المتجدّده الكائنه الفاسده، فارادته لكلّ حادث بالمعنى الاضافى يرجع إلى ايجاده، و بمعنى المراديّه ترجع إلى وجوده.

قال: نحن إذا فعلنا شيئا بقدرتنا و اختيارنا فاردناه أوّلا ثمّ فعلناه بسبب الاراده فالاراده نشأت من أنفسنا بذاتها لا باراده اخرى و إلّا لتسلسل الأمر لا إلى نهايه فالاراده مراده لذاتها و الفعل مراد بالاراده، و كذا الشهوه فى الحيوان مشتهاه لذاتها لذيذه بنفسها و ساير الأشياء مرغوبه بالشهوه.

فعلى هذا المثال حال مشيّه اللّه المخلوقه و هى وجودات الأشياء، فانّ الوجود خير و مؤثر لذاته و مجعول بنفسه و الأشياء بالوجود موجوده و الوجود مشىء بالذات و الأشياء مشيئه بالوجود، و كما أنّ الوجود حقيقه واحده متفاوته بالشدّه و الضعف و الكمال و النقص، فكذا الخيريه و المشيئه، و ليس الخير المحض الذى لا يشوبه شرّ إلّا الوجود البحت الذى لا يمازجه عدم و نقص، و هو ذات البارى جلّ مجده فهو

المراد الحقیقی إلی آخر ما حقّقه.

قال المحدّث المجلسیّ (ره) بعد ایراد هذه الوجوه: و الأوفق بأصولنا هو الوجه الأوّل.

أقول: بل ما سوی الوجه الأخیر کلّها أوفق و إن کانت متفاوته بالقرب و البعد، و إنما الوجه الأخیر الذی مرجعه إلی القول بوحده الوجود مخالف للأخبار و اصول الأئمه الأطهار سلام اللّه علیهم ما تعاقب اللّیل و النّهار، و اللّه العالم بحقایق صفاته و المتعالی عن مجانسه مخلوقاته.

الترجمه

بعضی دیگر از آن خطبهٔ شریفه اینست که فرموده:

تقدیر کرده خداوند تعالی هر چیزی را که آفریده پس محکم گردانیده اندازه و تقدیر آنرا؛ و تدبیر نموده هر چیزی را که خلق فرموده، پس لطیف گردانیده تدبیر آنرا و توجیه نموده هر شیء را بسوی جهت خود، پس تجاوز ننمود آن شیء از حدّ و سدّ مکان خود، و قاصر نشد نزد منتهی نشدن بغایت خود، و صعب و دشوار نشمرد آنچه که ایجاد فرمود مضی بر وفق ارادهٔ او را وقتی که مأمور شد باین، و چه طور میباشد که دشوار شمارد و حال آنکه جمیع امور صادر شده از مشیّه قاهرهٔ خداوندی که انشاء و ایجاد فرموده أصناف و احساس اشیاء را بدون رویه و فکری که رجوع نماید بآن، و بدون استنباط طبیعتی که اضمار نماید و بغایت برسد در آن، و بدون تجربه که استفاده نموده باشد آن را از حوادثات روزگار و بیشتر یک و معاونی که اعانت و یاری نماید او را بر ایجاد عجائب امورات.

پس تمام شد مخلوق او سبحانه و گردن نهاد بفرمان برداری او، و اجابت نمود بسوی دعوت او در حالتی که حایل نشد نزد نفاذ امر او دیر کردن دیر کننده، و نه توقف نمودن توقف نماینده، پس راست فرمود از اشیاء کجی آن ها را، و روشن نمود حدود آنها را، و الفت داد با قدرت خویش در میان اضداد آنها، و متصل ساخت

اسباب نفوس آن ها را، و متفرّق نمود آن ها را بأقسام مختلفه گوناگون در نهایات و مقادیر و در طبیعتها و هیئتها، عجایب مخلوقاتی که محکم گردانید صنعت آن ها را و آفرید آنها را بر وجهی که اراده کرده، و ابداع فرموده آنها را از کتم عدم با قدرت کامله و حکمت شامله.

و الفصل الرابع

اشاره

منها فی صفّه السّماء: و نظم بلا تعلیق رهوات فرجها، و لاحم صدوع انفراجها، و وشّج بینها و بین أزواجها، و ذلّل للهابطین بأمره و الصّاعدین بأعمال خلقه حزونه معراجها، و نادیها بعد إذ هی دخان فالتحمت عری أشراجها، و فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها، و أقام رصدا من الشّهب الثّواقب علی نقابها، و أمسکها من أن تمور فی خرق الهواء بأیده، و أمرها أنْ تقف مستسلمه لأمره، و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها، و قمرها آیه ممحوّه من لیلها، و أجریهما فی مناقل مجریهما، و قدّر مسیرهما فی مدارج درجهما، لیمیّز بین اللّیل و النّهار بهما، و لیعلم عدد السّنین و الحساب بمقادیرهما، ثمّ علّق فی جوّها فلکها، و ناط بها زینتها من خفیّات درارّیها، و مصابیح کواکبها، و رمی مسترق السّمع بثواقب شهبها، و أجریها علی أذلال تسخیرها، من ثبات ثابتها، و مسیر سائرها، و هبوطها و صعودها، و نحوسها و سعودها.

(الرّهوات) جمع رهوه و هی المکان المرتفع و المنخفض أیضا یجتمع فیه ماء المطر، و هو من الأضداد، و عن النهایه تفسیرها بالمواضع المنفتحه، و هو مأخوذ من قولهم رها رجلیه رهوا أی فتح و (الفرج) جمع الفرجه و هی المکان الخالی و (لاحم) الصق و (الصدع) الشقّ و (وشّج) بتشدید الشین فالجیم المعجمه شبّک و (ذلل) البعیر جعله ذلولا و هو ضدّ الصّعب الذی لا ینقاد من الذلّ بالکسر و هو اللّین و (الحزونه) خلاف السّهوله و (المعراج) السّلّم و المصعد و (العروه) من الدّلو و الکوز المقبض و من الثوب اخت زرّه کالعری و یکسر و(الأشراج) جمع الشّرج محرّکه کالأسباب و السّبب، و هی العروه للعیبه و قیل و قد تطلق الاشراج علی حروف العیبه التی تخاط و هو الأنسب فی المقام.

قال الشارح المعتزلی: و تسمّی مجرّه السّماء شرجا تشبیها بشرج العیبه و اشراج الوادی ما انفسح منه و انشقّ و (فتق) الثوب فتقا شقّه و نقض خیاطته حتّی انفصل بعضه عن بعض و (الرتق) ضدّ الفتق و (صوامت) الأبواب مغلقاتها و (الرصد) جمع راصد کخدم و خادم او اسم جمع و یکون مصدرا کالرّصد بالفتح، و الرّاصد هو القاعد علی الطریق منتظرا لغیره للاستلاب أو المنع، و المرصاد الطریق و المکان یرصد فیه العدوّ و ارصدت له اعددت.

و (النقاب) بالکسر جمع نقب کسهام و سهم و هو الثقب و الخرق و الطریق فی الجبل و (المور) الموج و الاضطراب و الحرکه قال تعالی: یوم تمور السّماء مورا و (الخرق) یکون بمعنی الثقب فی الحائط و الشقّ فی الثوب و غیره، و هو فی الأصل مصدر خرقته إذا قطعته و مزقته، یکون بمعنی القفر و الأرض الواسعه تتخرّق فیها الرّیاح أی تهب و تشتدّ و (الهواء) یقال: للجسم الذی هو أحد العناصر و یقال: لکلّ خال قال سبحانه: و افئدتهم هواء، أی خالیه من العقل أو الخیر و (الأید) القوّه و (المنقل) فی الأصل الطریق فی الجبل و (المدارج) جمع المدرج و هو المسلک و (درج) الصّبی دروجا و درجانا مشی و درجهما بالتّحریک الطریق،

ص:۳۴۶

و فى بعض النسخ درجيهما بصيغه التثنيه، و فى نسخه الشارح البحرانى درجتهما بالتّاء الفوقانيه.

و (الجوّ) الهواء و (النياط) التعليق و (الدّرارى) الكواكب المضيئه جمع الدّرى بتثليث الدّال نسبت إلى الدّر لبياضها، و عن الفراء الكوكب الدّرى عند العرب عظيم المقدار، و قيل: هو أحد الكواكب الخمسه السياره، و لا يخفى أنّ وصفه عليه السّلام الدّرارى بالخفيات ينافى القولين ظاهرا و (مسترق السمع) المستمع مختفيا، و فى النسخ مسترقى السّمع بصيغه الجمع و (الأذلال) بفتح الالف و الذال المعجمه جمع الذلّ بالكسر يقال: امور اللّه جاريه أذلالها بالنصب و على اذلالها أى مجاريها و يقال: دعه على اذلاله أى حاله بلا واحد و جاء على اذلاله أى وجهه.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و ناداها بعد إذ هى دخان، قال الشارح المعتزلى: روى باضافه بعد إلى إذ، و روى بضمّ بعد أى و ناداها بعد ذلك إذ هى دخان و الأوّل أحسن و أصوب، لأنّها على الضّم تكون دخانا بعد فتور رهوات فروجها و ملائمه صدوعها و الحال تقتضى أنّ دخانيّتها قبل ذلك لا بعده اه.

و قوله: و أمسكها من أن تمور فى خرق الهواء بأيده الظرف الأوّل أعنى فى خرق الهواء يجوز تعلّقه بأمسك و يجوز تعلّقه بتمور، و أما الثانى فهو متعلّق بالامساك لا غير، و من فى قوله من ليلها إما لابتداء الغايه أو لبيان الجنس و تتعلّق بممحوّه أو بجعل، و قوله عليه السّلام ثمّ علّق فى جوّها فلكها، الظاهر كون ثمّ هنا للترتيب الذكرى، و من خفيات دراريها إما متعلّق بناط أو بيان للزينه.

المعنى

اعلم أنه عليه السّلام لما ذكر فى الفصل السّابق عظمه قدره اللّه سبحانه فى الخلق و التقدير و اللّطف و التدبير و كمال حكمته فى الفطر و الابداع و الايجاد و الاختراع على نحو الاجمال و الاطلاق، عقّبه بهذا الفصل المتضمّن لعجيب خلقه السماء و بديع

ما أودعه فيها لدلالتها المخصوصه على عظمه بارئها، و شهادتها المحسوسه على قدره صانعها و كفايتها للمستبصر و غنيتها للمستهدى، و قد مرّ فى تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبه الاولى ما فيه كفايه لشرح هذا المقام و درايه لذوى الأفهام إلاّ أنّا نعيد هنا بعض ما قدّمناه هناك و نزيد ههنا بعض ما لم نورده ثمه باقتضاء المقام و توضيحا لكلام الامام عليه السّلام فأقول:

قال:(و نظم بلا تعليق رهوات فرجها) اى جمع و ألف أجزاء السماء المنفرجه المتصفه بالارتفاع و الانخفاض فسوّاها بقدرته الكامله من غير أن يعلّق بعضها ببعض بخياطه و علاقه كما ينظم الانسان ثوبا بثوب أو نحوهما بالقيد و التعليق، و هو مناسب لما مرّ فى شرح الخطبه الاولى من أنّ مادّتها الدّخان المرتفع من الماء إذ مثل ذلك يكون قطعا ذات فرج.

و أما ما فى شرح البحرانى من تأويل ذلك بتباين أجزاء المركّب لو لا التركيب و التأليف، أو بالفواصل التى كانت بين أطباق السماوات فخلقها اللّه سبحانه اكرا متماسّه لا خلا بينها، فمبنيّ على قواعد الفلاسفه و تقليدهم (و لاحم صدوع انفراجها) هذا العطف بمنزله التفسير و التّوكيد للجمله السابقه أى الصق أجزائها ذوات الصدوع بعضها ببعض و اضافه الصّدوع إلى الانفراج من اضافه الخاصّ إلى العامّ (و وشّج بينها و بين أزواجها) أى شبّك بينهما.

قال الشارح البحرانى: أراد بأزواجها نفوسها التى هى الملائكه السّماويه بمعنى قرائنها و كلّ قرين زوج أى ربط ما بينها و بين نفوسها بقبول كلّ جرم سماوىّ لنفسه التى لا يقبلها غيره.

و أورد عليه المحدّث العلامه المجلسيّ (ره) بأنّ القول بكون السّماوات حيوانات ذات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الاسلام، بل نقل السيّد المرتضى رضى اللّه عنه اجماع المسلمين على أنّ الأفلاك لا شعور لها و لا إراده، بل هى أجسام جماديه يحرّكها خالقها.

ثمّ قال (ره): و يمكن أن يراد بالأزواج الملائكه الموكلون بها، أو القاطنون

فيها، أو المراد أشباهها من الكواكب و الأفلاك الجزئيه، و يمكن أن يكون المراد أشباهها فى الجسميه و الامكان من الأرضيات و يناسب ما جرى على الألسن من تشبيه العلويات بالآباء و السّفليّات بالامهات (و ذلّل لها بطين بأمره و الصاعدين بأعمال خلقه حزونه معراجها) أى ذلّل للملائكه النّازلين بأمره التّكوينىّ و التشريعى و للكرام الكاتبين الصّاعدين بأعمال خلقه حزونه المعراج إلى السماء و قد تقدّم شرح حال الفرقه الاولى أعنى المدبّرات أمرا فى شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الاولى و شرح حال الفرقه الثانيه فى شرح الفصل الأوّل من الخطبه الثانيه و العشرين فى المقام الثانى من تكمله ذلك الفصل، هذا.

و قال الشارح البحرانى فى شرح هذه الفقره:قد سبقت الاشاره إلى أنّ الملائكه ليست أجساما كساير الحيوان، فاذن ليس هبوطها و صعودها الهبوط و الصعود المحسوسين، و إلاّ لكان البارى جلّ قدسه عن أوهام المتوهّمين فى جهه إليه يصعد و عنه ينزل، فاذن هو استعاره لفظ النزول من الجهه المحسوسه إلى أسفل للنزول المعقول من سماء جود الالهى إلى أراضى الموادّ القابله للافاضات العاليه، و بذلك المعنى يكون هبوط الملائكه عباره عن ايصالها إلى كلّ ما دونها كماله متوسطه بينه و بين مبدعه و موجده و هم المرسلون من الملائكه بالوحى و غيره، و كذلك الصاعدون بأعمال الخلق هم الملائكه أيضا.

و أما معنى الصّعود بها فيعود إلى كونها منقوشه فى ذوات الصّاعدين بها، و قد لاح فيما سبق أنّ علمه تعالى بمعلولاته البعيده كالزمانيات و المعدومات التى من شأنها أن توجد فى وقت و تتعلّق بزمان يكون بارتسام صورها المعقوله فى تلك الألواح، و هو أيضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذى ذكرناه من أراضى النفوس إلى الألواح.

فامّا الانفراج الذى ذلل حزونته لهم و سهّل عليهم سلوكه فيعود إلى عدم حجبها و منعها لنفوذ علوم الملائكه بأعمال الخلايق و ما يجرى فى هذا العالم، و كما أنّ الجسم المتصدّع لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو متصدّع و الوصول

إلى مـا ورائه، كـذلك السّـماء لا تحجب علوم الملائكه أن تتعلّق بما فى هـذا العالم من الموجودات، فجرت مجرى المنفرج من الأجسـام فـاطلق عليه لفظ الانفراج و تـذليله لحزونه ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعه بوجه لجريان علوم الملائكه المقرّبين فى هذا العالم.

أقول: و أنت خبير بمـا فيه، فانّ ما ذكره كلّه تأويل لا داعى إليه موجب لطرح ظواهر الآيات المتوافره و نصوص الأخبار المتواتره المثبته للهبوط و الصـعود المحسوسـين للملائـكه، بعيـد عن لسـان الشـريعه، و إنمـا دعـاه إلى ذلـك استينـاسه بحكمه الفلاسـفه المخالفه للكتاب و السّنه.

(و ناداهـا بعـد إذ هى دخـان فالتحمت عرى أشـراجها) المراد بنـدائها حكمه و أمره التكوينى النافـذ فيها بالوجود و بالتحام عرى أشـراجها تمـام خلقهـا و فيضان الصور السـماويه عليها، و ذلك باعتبار تركيبها و انضـمام جزئها الصورى إلى جزئها المادّى كما يلتحم طرفا العيبه تبشريج عراها، و فيه تلميح إلى قوله سبحانه:

«ثُمَّ اسْـتَوى إِلَى السَّمـاءِ وَ هِيَ دُخـانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضاهُنَّ سَـبْعَ سَـماواتٍ » فقوله عليه السّلام: و ناداها إشاره إلى قوله: ائتيا طوعا أو كرها، و قوله عليه السّلام: بعد إذ هى دخان، موافق لقوله: و هى دخان، و قوله عليه السّلام: فالتحمت اه مساوق لقوله:

فقضيهنّ الآيه.

قال البيضاوى فى تفسيرها: قصـد نحو السـماء و هى دخان أمر ظلمانى، و لعلّه أراد به مادّتها و الاجزاء المتفرّقه التى ركبت منها، فقـال لها و للأَرض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير و التأثّر و ابراز ما أودعتكما من الأوضاع المختلفه و الكاينات المتنوّعه أو ائتيا فى الوجود أو اتيان السـماء حدوثها و إتيان الأرض أن تصـير مدحوّه، طوعا أو كرها شئتما ذلك أو أبيتما، و المراد إظهار قدرته و وجوب وقوع مراده لا إثبات الطلوع و الكره لهما، قالتا أتينا طائعين منقادين بالذات و الأظهر أنّ المراد تصوير

تأثير قـدرته فيهما و تأثّرهما بالذات عنها و تمثيلها بأمر المطاع و إجابه المطيع الطائع كقوله: كن فيكون، فقضـيهنّ سبع سـموات خلقهنّ حلقا إبداعيّا و أتقن أمرهنّ.

و قال الطبرسی فی مجمع البيان أی ثمّ قصد إلى خلق السماء و كانت السماء دخانا، و قال ابن عباس كانت بخار الأرض و أصل الاستواء الاستقامه، و القصد التدبير المستقيم تسويه له:

«فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ » قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس و القمر و النجوم، و أتت الأرض بما فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار و ليس هناك أمر بالقول على الحقيقه و لا جواب لذلك القول بل أخبر اللّه سبحانه عن اختراعه السّماوات و الأرض و إنشائه لهما من غير تعذّر و لا كلفه و لا مشقّه بمنزله ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبّث و لا توقّف فعبّر عن ذلك بالأمر و الطاعه و هو كقوله:

«إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ».

و إنما قال أتينا طائعين و لم يقل أتينا طائعتين لأنّ المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء و قيل إنه لما خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال:

«وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ».

(و فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها) و هو إما كنايه عن ايجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقا لا باب فيها، أو فتح الأبواب المخلوقه فيها حين ايجادها، و هذه الأبواب هی التی منها عروج الملائكه و هبوطها و صعود أعمال العباد و أدعيتهم و أرواحهم كما قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ » أو التی تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله:

«فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ » و يؤيّد الأخير ما رواه الطبرسىّ (ره) فى تفسير قوله سبحانه:

«أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما » عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام و عكرمه و عطيه و ابن زيد أنّ السماء كانت رتقا لا تمطر و الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر و الأرض بالنّبات، هذا.

و لا يخفى عليك أنه بعد دلاله كلام الامام عليه السّلام كغير واحد من الآيات و الأخبار على أنّ للسماء أبوابا لا يعبأ بما قاله الفلاسفه من استحاله الخرق و الالتيام على الفلك المبتنيه على قواعدهم الفاسده و عقولهم الكاسده.

و لعلّ الشارح البحرانى ألجأه التقليد بهم إلى تأويل كلامه عليه السّلام فى هذا المقام بما لا ينافى اصولهم حيث قال: و افتتاق صوامت أبوابها بعد الارتتاق هو جعلها أسبابا لنزول رحمته و مدبرات تنزل بواسطه حركاتها على هذا العالم أنواع رحمه اللّه فكانت حركاتها تشبه الأبواب إذ هى أبواب رحمته و مفاتيح جوده.

و مثله ما ذكره فى شرح قوله عليه السّلام:(و أقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها)حيث قال إنه استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلّق العلوم بما ورائها من الأجسام و المجرّدات، و أنت خبير بأنّ كلّ ذلك تكلّف لا داعى إليه و الأدلّه على امكان الخرق و وجود الأبواب فوق حدّ الاحصاء،و لعلّنا نشبع الكلام فى ذلك فى مقام مناسب، و المهمّ الآن شرح معنى كلامه عليه السّلام على مقتضى اسلوبنا و سليقتنا المفاده من الآيات و الأخبار فأقول: مراده عليه السّلام بنقابها طرائقها كما قال سبحانه:

«وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ » فالمقصود بذلك إقامه الشّهب و إرصادها على المرصاد لطرد الشياطين عن استراق

السّمع كما حكى اللّه ذلك فى سوره الجنّ بقوله:

«وَ أَنّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً وَ أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً ».

قال الطبرسيُّ: ثمّ حكى اللّه الجنّ و قولهم:

«وَ أَنّا لَمَسْنَا السَّماءَ » أى مسّناها، و قيل: طلبنا الصعود إلى السّماء فعبّر عن ذلك بالمسّ مجازا.

«فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً » أى حفظه من الملائكه شدادا «وَ شُهُباً » و التقدير ملئت السّماء من الحرس و الشهب و هو جمع شهاب و هو نور يمتدّ من السّماء كالنار.

«وَ أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ » أى لاستراق السّمع أى كان يتهيّأ لنا فيما قبل القعود فى مواضع الاستماع فنسمع صوت الملائكه و كلامهم:

«فَمَنْ يَسْتَمِعِ » منّا «اَلْآنَ » ذلك «يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً » يرمى به و يرصد له، و شهابا مفعول به و رصدا صفته قال معمّر: قلت للزّهرى أ كان يرمى بالنجوم فى الجاهليّه؟ قال: نعم قلت: أ فرأيت قوله:

«أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها » الآيه قال: غلّظ و شدّد أمرها حين بعث النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و أمسكها من أن تمور فى خرق الهواء بأيده) أى أمسكها بقدرته و قوّته من الحركه و الاضطراب فى الهواء الذى هو أحد العناصر إذ لا دليل على انحصاره فى الذى بين السماء و الأرض فى المكان

ص:۳۵۳

الخالی الموهوم أو الموجود طبعا أو قسرا، و المراد حرکه أجزائها فیما بین السماء و الأرض و یؤیّده قوله سبحانه:

«وَ یُمْسِکُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ » (و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره) أی أمرها بالوقوف و القیام و أراد منها ذلک منقاده لارادته کما قال تعالی:

«وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ » قال الطبرسیّ: بلا دعامه تدعمهما و لا علاقه تتعلّق بهما بأمره لهما بالقیام کقوله تعالی:

«إِنَّما قَوْلُنا لِشَیْ ءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ » و قیل بأمره أی بفعله و إمساکه إلاّ أنّ أفعال اللّه عزّ اسمه مضاف إلیه بلفظ الأمر لأنه أبلغ فی الاقتدار فانّ قول القائل أراد فکان أو أمر فکان أبلغ فی الدلاله علی الاقتدار من أن یقول فعل فکان، و معنی القیام الثبات و الدّوام (و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها، و قمرها آیه ممحوّه من لیلها) هو مأخوذ من قوله سبحانه فی سوره الاسری:

«وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَهَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّکُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ وَ کُلَّ شَیْ ءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِیلاً » و فیه قولان: أحدهما أن یراد أنّ اللّیل و النهار آیتان فی أنفسهما فتکون الاضافه فی آیه اللیل و آیه النهار للتّبیین کإضافه العدد إلی المعدود، أی فمحونا الآیه التی هی اللّیل فکانت مظلمه و جعلنا الآیه التی هی النهار مبصره و الثانی أن یراد:

و جعلنا آیتی اللّیل و النّهار أی نیّریهما آیتین، فیکون المراد بهما الشمس و القمر و ظاهر کلام الامام علیه السّلام ربما یشعر بهذا القول، و یدلّ علی القولین قوله سبحانه:

ص:۳۵۴

«وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ » أمّا كون الأوّلين آيتين فلأنّ كلّ واحد منهما مضاد للآخر معاند له، فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدّلائل على أنّهما غير موجودين بالذات بل لا بدّ لهما من فاعل يدبِّرهما و يقدّرهما بالمقادير المخصوصه، مضافا إلى أنّ مقتضى التّضادّ بين الشيئين أن يتفاسد الا أن يتعاونا على سبيل المصالح، و هما مع تضادّهما و تنافيهما متعاونان على تحصيل منافع الخلق و مصالحهم، فلو لا اللّيل لما حصل السكون و الراحه، و لو لا النهار لما أمكن الكسب و المعيشه، و لو لا الليل لفسدت الزراعات بالحراره، و لو لا النّهار لفسدت بالبروده، فهما من أقوى الآيات و أظهر البيّنات.

و أمّا كون الآخرين آيتين للصانع و دليلين على وجود القادر المختار فلأنّ الأجسام متماثله فاختصاصهما بالحركه الدّائمه دون السّكون لا بدّ له من مخصّص، و أيضا انّ كلّ واحده من تلك الحركات مختصّه بكيفيّه معيّنه من البطوء و السّرعه فلا بدّ له أيضا من مخصّص على أنّ تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصه على وجه تحصل عوداتها و دوراتها متساويه بحسب المدّه حاله عجيبه و صنعه بديعه لا بدّ لها من مدبّر مقدّر و مبدع مقتدر، هذا.

و أما المقصود بمحو آيه اللّيل فلهم فيه قولان:

أحدهما أنه هو ما يظهر فى القمر من الزّياده و النقصان فى النور فيبدو فى أوّل الأمر فى صوره الهلال ثمّ لا يزال يتزايد نوره حتّى يصير بدرا كاملا، ثمّ يأخذ فى الانتقاص قليلا قليلا و ذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق.

و الثانى أنه هو الكلف فى وجه القمر و كونه مطموس النّور، فانه بعد ما كان مساويا للشمس فى الضوء و النّور أرسل اللّه جبرئيل فأمرّ جناحه على وجهه فطمس عنه الضوء، و معنى المحو فى اللّغه إذهاب الأثر، و قد استظهرنا هذا القول فى التذييل

السادس من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبه الاولى ببعض الأخبار التى أوردناها هناك.

و ربما يستظهر القول الأوّل بقوله سبحانه:

«لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ » لأنّ المحو إنما يؤثّر فى ابتغاء فضل اللّه إذا حملناه على زياده نور القمر و نقصانه، فانّ أهل التجارب تبيّنوا أنّ اختلاف أحوال القمر فى مقادير النور له أثر عظيم فى أحوال هذا العالم و مصالحها، مثل أحوال البحار فى المدّ و الجزر و مثل أحوال البحرانات على ما يذكره الأطباء فى كتبهم و أيضا بسبب زياده نور القمر و نقصانه تحصل الشهور و بسبب معاوده الشهور تحصل السنون العربيه المبنيّه على رؤيه الأهلّه.

و أمّا المراد بجعل آيه النهار مبصرهففيه أيضا قولان:

أحدهما أنّ معنى كونها مبصره كونها مضيئه نيّره، قال الكسائى: العرب تقول: أبصر النّهار إذا أضاء أقول: و لعلّ ذلك من حيث إنّ الاضائه لما كان سببا للابصار فاطلق اسم الابصار على الاضائه إطلاقا لاسم المسبّب على السّبب.

و ثانيهما أنّ المبصره التى أهلها بصراء فيها قال أبو عبيده يقال: قد أبصر النّهار إذا صار النّاس يبصرون فيه، كقولهم رجل مخبت إذا كان أصحابه خبثاء و رجل مضعف إذا كان دوابه ضعفاء، هذا.

و بقى الكلام فى إضافه اللّيل و النّهار إلى السماء فى كلامه عليه السّلام، و وجهها أنّ استنادهما لما كان إلى حركه الفلك أضافهما إليها لتلك المناسبه (و أجراهما فى مناقل مجريهما و قدّر سيرهما فى مدارج درجيهما) أراد بالمناقل و المدارج منازل الشمس و القمر.

قال ابن عباس: للشمس مأئه و ثمانون منزلا كلّ يوم لها منزل و ذلك فى ستّه أشهر ثمّ إنها تعود إلى واحد واحد منها فى ستّه أشهر مرّه اخرى، و القمر له ثمانيه و عشرون منزلا.

ص:۳۵۶

و تحقيق المقام أنهم قسّموا دور الفلك الذى يسير فيه الكواكب اثنا عشر قسما و سمّوا كلّ قسم برجا كما قال سبحانه:

«وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ » و قال: «تَبارَكَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً » قال الرازى البروج هى القصور العاليه سمّيت بروج الكواكب لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكّانها، ثمّ إنّهم قسّموا كلّ برج ثلاثين قسما و سمّوا كلّ قسم درجه و سمّوا البروج بهذه الأسماء:

الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الاسد: السنبله، الميزان، العقرب، القوس، الجدى، الدلو، الحوت، و الشّمس تسير كلّ برج منها فى شهر واحد، فتحصل تمام دورتها لتلك البروج فى سنه كامله و به تحصل السّنه و هى ثلاثمأه و خمسه و ستّون يوما و شىء تنزل كلّ يوم فى منزل و ما قاله ابن عباس فى كلامه الذى حكيناه لعلّه مبنىّ على ما هو الشّايع فى ألسنه النّاس من تقدير السنّه بثلاثمأه و ستّين يوما و إن لم يكن مطابقا لشىء من حركتى الشّمس و القمر فتأمل، هذا و ما ذكرناه فى سير الشمس انّما هو بحسب حركتها الذاتيه، و أما حركتها بسبب حركه الفلك الأعظم فتتمّ فى اليوم بليلته، و أمّا القمر فيسير كلّ برج فى أزيد من يومين و نقص من ثلاثه أيّام و تمام دورتها فى ثمانيه و عشرين ليله، و له فى كلّ ليله منزل.

فمنازله ثمانيه و عشرون مسمّاه بتلك الأسماء:

الشرطين، البطين، الثريا، الدبران، الهقعه، الهنعه، الذراع، النثره، الطرفه، الجبهه، الدبره، الصرفه، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الاكليل، القلب، الشوله، النعايم، البلده، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبيه، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا، و هو بطن الحوت و إلى تلك المنازل اشير فى قوله سبحانه:

«وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » أى قدّرنا مسيره منازل أو سيره فى منازل ينزل كلّ ليله فى واحده منها، فاذا كان فى آخر منازله دقّ و استقوس حتّى عاد كالعرجون أى كالشمراخ المعوج القديم العتيق.

قال نصير الملّه و الدّين (ره) فى محكىّ كلامه من التذكره: و أمّا منازل القمر فهى من الكواكب القريبه من منطقه البروج جعلها العرب علامات الاقسام الثمانيه و العشرين التى قسّمت المنطقه بها لتكون مطابقه لعدد أيام دور القمر.

و قال الخفرى فى شرحه: و المراد من المنزل المسافه التى يقطعها القمر فى يوم بليلته، و منازل القمر عند الهند سبعه و عشرون يوما بليله و ثلث، فحذفوا الثلث لكونه أقل من النّصف كما هو عاده أهل التنجيم.

و أما عند العرب فهى ثمانيه و عشرون، لا لأنّهم تمّموا الثلث واحدا كما قال البعض، بل لأنّه لمّا كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلّه مختلفه الأوائل بوقوعها فى وسط الصّيف تاره و فى وسط الشّتاء أخرى، احتاجوا إلى ضبط سنه الشّمس لمعرفه فصول السنه حتّى يشتغلوا فى استقبال كلّ فصل منها بما يهمّهم، فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضع له من الشّمس فى قريب من ثلاثين يوما و يختفى فى هذا الشّهر ليلتين أو أكثر أو أقلّ فأسقطوا يومين من الثلاثين فبقى ثمانيه و عشرون و هو الزّمان الواقع فى الأغلب بين رؤيته فى العشيّات فى أوّل الشّهر و رؤيته بالغدوات فى آخره، فقسّموا دور الفلك عليه، فكان كلّ منزل اثنتى عشره درجه و احدى و خمسين دقيقه تقريبا أى ستّه أسباع درجه فتصيب كلّ برج منزلان و ثلث.

ثمّ وجدوا الشّمس تقطع كلّ منزل فى ثلاثه عشر يوما فى التقريب فسار المنازل فى ثلاثمأه و أربعه و ستّين يوما، لكن عود الشمس إلى كلّ منزل إنّما يكون فى ثلاثمأه و خمسه و ستّين يوما، فزادوا يوما فى أيّام منازل غفر و قد يحتاج

إلى زيـاده للكبيسه حتّى تصـير أيّامه خمسه عشـر و يكون انقضاء أيّام السـنه الشّمسـيه مع انقضاء أيّام المنازل و رجوع الأمر إلى منزل جعل مبدء.

ثمّ إنّهم جعلوا علامـات المنـازل من الكواكب الظـاهره القريبه من المنطقه ممـا يقـارب ممرّ القمر أو يحاذيه، فيرى كلّ ليله نازلا بقرب أحدها فان سترها يقال كفحه فكافحه أى واجهه فغلبه و لا يتفأل به و إن لم يستره يقال: عدل القمر و يتفأل به.

و قوله (ليميز بين اللّيـل و النّهـار بهمـا و ليعلم عـدد السـنين و الحسـاب بمقاديرهمـا) الظـاهر كون التميز و العلم غـايتين لمجموع الأفعال السابقه على حدّ قوله سبحانه فى سوره الاسرى:

«وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَهَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ » و قوله فى سوره يونس: «هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ » و يحتمل كون التميز غايه للأوّل و العلم غايه للأخير أو الأخيرين فيكون نشـرا على ترتيب اللّف، و معناه على ذلك أنّه تعالى جعل الشمس آيه مبصره و القمر آيه ممحوّه ليحصل التميز بين الليل و النّهار بهما، و أجرى الشمس و القمر فى منازلهما و قدّر سيرهما فى مناقلهما ليحصل العلم بعدد السّنين و الحساب بمقادير سيرهما و تفاوت أحوالهما، هذا.

و المراد بالحساب حساب ما يحتاج إليه النّاس فى امور دينهم و دنياهم ليتمكّنوا بـذلك من إتيان الحجّ و الصّوم و الصّلوات فى أوقاتها، و يعرفوا عدّه المطلقه و المتوفّى عنها زوجها، و مدّه حلول آجال الدّيون و انقضائها، و يرتّبوا معاشـهم بالزراعه و الحراثه و الفلاحه فى ساعاتها و يهيّئوا مهمّات الشّتاء و الصّيف و ضروريّات العيش

ص:۳۵۹

فی آنائها إلی غیر هـذه ممّا یحتاجون إلیها فی الـدّنیا و الدّین «إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَشْـکَرُونَ » (ثمّ علّق فی جوّها فلکها) هذه العباره من مشکلات کلامه علیه السّلام.

وجهه الاشـکال فیهـا من ثلاـثه وجوه: أحـدها أنّه علیه السّـلام قـال فی صـدر هـذا الفصل: و نظم بلا تعلیق رهوات فرجها، فنفی التعلیق فی نظم الأـجزاء ثمّه ینـافی إثباته هنا و ثانیها أنّ الجوّ عباره عن ما بین السّـماء و الأرض من الهواء فما معنی تعلیق الفلک فیه، ثمّ ما معنی الاضافه، و ثالثها أنّ المشـهور أنّ الفلک هو السّماء و الاضافه فی کلامه علیه السّلام یفید التغایر و یرفع الاشکال عن الأوّل بحمل التّعلیق المنفیّ فیما سـبق علی التعلیق بالعلایق المحسوسه و التعلیق المثبت هنا علی التّعلیق بالقـدره، و عن الثّانی بحمل الجوّ علی الفضاء الواسع الموهوم أو الموجود الذی هو مکان الفلک و وجه اضافته إلیها واضح، و عن الثّالث بجعل المراد بالفلک مدار النّجوم کما فسّره به فی القاموس.

و قال الشّارح المعتزلی: أراد به دائره معـدّل النهار، و قیل: المراد به سـماء الـدّنیا، و هو مبنیّ علی کون النّجوم فیها علی وفق قوله سبحـانه «إِنّـا زَیَّنَّا السَّمـاءَ الـدُّنْیا بِزِینَهٍ الْکَواکِبِ » و علی المشـهور من عـدم کون جمیعهـا فی السّـماء الـدّنیا فلعلّ الأظهر أن یراد بالفلک ما ارتکز فیه من السّـماوات کوکب یتحرّک بحرکته، قاله فی البحار ثمّ قال: و یمکن علی طریقه الاستخدام أو بدونه أن یراد بضـمیر السّـماء الذی أحاط بجمیع ما ارتکزت فیه الکواکب المدبّر لها فکون فلکها فی جوّها ظاهر أو یراد بالسّماء الأفلاک الکلّیه و بالفلک الأفلاک الجزئیه الواقعه فی جوفها (و ناط بها زینتها من خفیّات دراریها و مصابیح کواکبها) أی علّق بالسّماء ما یزیّنها من الکواکب الخفیّه الّتی هی کالدّر فی الصّـفاء و الضـیاء، و الکواکب التی هی بمنزله المصـباح یضـیء و کونها زینه لها إمّا بضوئها أو باشتمالها علی الأشکال

ص:۳۶۰

المختلفه العجيبه(و رمى مسترق السّمع بثواقب شهبها)و فيه تلميح إلى قوله سبحانه «إِلّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ » أى إلّا من حاول أخذ مسموع من السّماء فى خفيه فلحقه شعله نار ظاهر لأهل الأرض بيّن لمن رآه، و إلى قوله سبحانه:

«إِلّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَهَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ » قال الطبرسىُّ: و التقدير لا يتسمّعون إلى الملائكه إلّا من وثب الوثبه إلى قريب من السّماء فاختلس خلسه من الملائكه و استلب استلابا بسرعه فلحقه و أصابه نار مضيئه محرقه، و الثاقب النيّر المضىء.

فان قلت: تقدّم ذكر الشهب فى قوله: و أقام رصدا من الشّهب الثواقب على نقابها فما وجه إعادتها؟ قلنا: إنّه عليه السّلام ذكر سابقا أنه أقامها رصدا، و نبّه ههنا على أنّ إرصادها لرمى مسترق السّمع، روى عن ابن عباس أنه كان فى الجاهليّه كهنه و مع كلّ واحد شيطان فكان يقعد من السّماء مقاعد للسّمع فيستمع من الملائكه ما هو كائن فى الأرض فينزل و يخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن إلى النّاس، فلما بعث اللّه عيسى عليه السّلام منعوا من ثلاث سماوات، و لمّا بعث محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منعوا من السّماوات كلّها؛ و حرست السّمآء بالنّجوم و الشّهاب من معجزات نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنّه لم ير قبل زمانه، و قيل: إنّ الشهاب يقتل الشياطين، و قيل لا يقتلهم.

قال الفخر الرّازى بعد ما عدّد جمله من منافع النجوم:

و منها أنه تعالى جعلها رجوما للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الايمان إلى ظلمه الكفر، يروى أنّ السّبب فى ذلك أنّ الجنّ كانت تسمع بخبر السّماء، فلما بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حرست السماء و رصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسّمع رمى بشهاب

فأحرقه لئلّا ينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمره و يرتاب الناس بخبره، و هذا هو السّبب فى انقضاض الشّهب، فهذا هو المراد من قوله تعالى و جعلناها رجوما للشّياطين.

و من الناس من طعن فى هذا من وجوه:

أحدها أنّ انقضاض الكواكب مذكوره فى كتب قدماء الفلاسفه قالوا: إنّ الأرض إذا سخّنت بالشّمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التى دون الفلك احترق بها فتلك الشعله هى الشّهاب.

و ثانيها أنّ هؤلاء الجنّ كيف يجوز أن يشاهدوا واحدا و ألفا من جنسهم يسترقون السّمع فيحرقون ثمّ إنهم مع ذلك يعودون لمثل صفتهم فانّ العاقل إذا رأى الهلاك فى شىء مرّه و مرارا امتنع أن يعود إليه من غير فائده.

و ثالثها أنه يقال: فى ثخن السّماء مسيره خمسمائه عام فهؤلاء الجنّ إن نفذوا فى جرم السّماء و خرقوا له فهذا باطل لأنّه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال: فارجع البصر هل ترى من فطور، و إن كانوا لا ينفذون فى جرم السّماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكه من ذلك البعد العظيم فلم لا يسمعون كلام الملائكه حالكونهم فى الأرض.

و رابعها أنّ الملائكه إنما اطلعوا على الأحوال المستقبله إما لأنّهم طالعوها من اللّوح المحفوظ، أو لأنّهم يتلقّونها من وحى اللّه تعالى إليهم، و على التّقديرين فلم لا يمسكوا عن ذكرها حتّى لا يتمكّن الجنّ عن الوقوف عليها.

و خامسها أنّ الشّياطين مخلوقون من النّار و النار لا تحرق النّار بل تقويها فكيف يحتمل أن يقال: الشّيطان زجر من استراق السّمع بهذه الشهب.

و سادسها أنه إن كان هذا القذف لأجل النّبوّه فلم دام بعد وفات الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و سابعها أنّ هذه الرّجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أنّا نشاهد حركاتها بالغه و لو كانت قريبه من الفلك لما شاهدنا حركاتها كما لم نشاهد حركات

الکواکب، و إذا ثبت أنّ هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض کیف یقال إنّها تمنع الشّیاطین من الوصول إلی الفلک.

و ثامنها أنّ هؤلاء الشّیاطین لو کان یمکنهم أن ینقلوا أخبار الملائکه من المغیبات إلی الکهنه فلم لا ینقلون أسرار المؤمنین إلی الکفّار حتّی یتوسّل الکفار بواسطه وقوفهم علی أسرارهم إلی إلحاق الضّرر بهم.

و تاسعها لم لم یمنعهم اللّه ابتداء من الصعود إلی السّماء حتّی لا یحتاج فی دفعهم عن السماء إلی هذه الشهب و الجواب عن السؤال الأوّل أنا لا ننکر أنّ هذه الشهب کانت موجوده قبل مبعث النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد یوجد بسبب آخر و هو دفع الجنّ و زجرهم، یروی أنّه قیل للزّهری أ کان یرمی فی الجاهلیه؟ قال: نعم قال: أ فرأیت قوله تعالی:

«أَنّا کُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ یَسْتَمِعِ الْآنَ یَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً » قال: غلظت و شدّد أمرها حین بعث النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و الجواب عن السّؤال الثانی أنه إذا جاء القدر عمی البصر، فاذا قضی اللّه علی طائفه منهم الحرق لطغیانها و ضلالها قیّض له من الدواعی المطمعه فی درک المقصود ما عندها یقدم علی العمل المفضی إلی الهلاک و البوار.

و الجواب عن السؤال الثالث أنّ البعد بین السّماء و الأرض مسیره خمسمائه عام فأما ثخن الفلک فلعلّه لا یکون عظیما.

و الجواب عن السؤال الرابع ما روی الزهری عن علیّ بن الحسین بن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام عن ابن عباس (ره) قال بینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم جالس فی نفر من أصحابه إذ رمی بنجم فاستنار فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ما کنتم تقولون فی الجاهلیّه إذا حدث مثل هذا؟ قالوا: کنا نقول: یولد عظیم أو یموت عظیم، قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: فانها لا ترمی لموت أحد و لا لحیاته و لکن ربّنا تعالی إذا قضی الأمر فی السماء سبّحت

حمله العرش ثمّ سبّح أهل السّماء و سبّح كلّ سماء حتّى ينتهى التّسبيح إلى هذا السّماء و يستخبر أهل السّماء حمله العرش ما ذا قال ربّكم؟ فيخبرونهم و لا يزال ينتهى ذلك الخبر من سماء إلى سماء حتّى ينتهى الخبر إلى هذه السماء و يتخطّف الجنّ فيرمون. فما جاءوا به فهو حقّ و لكنّهم يزيدون فيه و الجواب عن السؤال الخامس أنّ النّار قد تكون أقوى من نار اخرى فالأقوى يبطل الأضعف.

و الجواب عن السّؤال السادس أنه إنما دام لأنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبر ببطلان الكهنه فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانه و ذلك يقدح فى خبر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن بطلان الكهانه.

و الجواب عن السؤال السّابع أنّ البعد على مذهبنا غير مانع من السّماع فلعلّه تعالى أجرى عادته بأنهم إذا وقعوا فى تلك المواضع سمعوا كلام الملائكه.

و الجواب عن السؤال الثامن لعلّه تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكه و أعجزهم عن ايصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين.

و الجواب عن السّؤال التاسع أنه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، فهذا ما يتعلّق بهذا الباب على سبيل الاختصار انتهى.

و قال المحدّث المجلسىّ (ره) بعد نقل كلام الرازى و أجوبته: أقول الأصوب فى الجواب عن الثالث أن يقال: قد ظهر أنّ للسماء أبوابا يصعد منها الملائكه و صعد منها نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عيسى و إدريس عليه السّلام بل أجساد ساير الأنبياء و الأوصياء بعد وفاتهم على قول، و قد ورد فى الأخبار أنّ الجنّ كانوا يصعدون قبل عيسى عليه السّلام إلى ما تحت العرش و بعد بعثته كانوا يصعدون إلى الرابعه و بعد بعثه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منعوا عن صعود السماء مطلقا بالشّهب، فصعودهم إمّا من أبوابها أو لكونهم اجساما لطيفه يمكنهم النفوذ فى جرمها و لعلّ (۱) المراد بالفطور فيها أن ترى فيها شقوق و ثقب أو تنهدم و تنحلّ أجزائها فلا إشكال فى ذلك.

ص:۳۶۴

۱- (۱) يعنى انّ ما ذكرناه لا ينافى الفطور المنفى عنها فى قوله تعالى: فارجع البصر هل ترى من فطور.

(و أجراها على اذلال تسخيرها) أى على مجارى تسخيرها أو وجوه مقهوريّتها و فيه تلميح إلى قوله تعالى:

«وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ » قال الطبرسىُّ (ره): أى مذلّلات جاريات فى مجاريهنّ بتدبيره و صنعه خلقهنّ لمنافع العباد.

و قال الفخر الرازىّ، كون الشّمس و القمر و النّجوم مسخرّات بأمره يحتمل وجوها:

أحدها أنا قد دللنا أنّ الأجسام متماثله، و متى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص و الضوء الباهر و التسخين الشّديد و التّدبيرات العجيبه فى العالم العلوى و السّفلى لا بدّ و أن يكون لأجل أنّ الفاعل الحكيم و المقدّر العليم خصّ ذلك الجسم بهذه الصّفات، فجسم كلّ واحد من الكواكب و النّيرات كالمسخّر فى قبول تلك القوى و الخواصّ عن قدره المدبّر العليم.

و ثانيها أن يقال: إنّ لكلّ واحد من أجرام الشمس و القمر و الكواكب سيرا خاصّا بطيئا من المغرب إلى المشرق و سيرا آخر سريعا بسبب حركه الفلك الأعظم، فالحقّ سبحانه خصّ جرم الفلك الأعظم بقوّه زايده على أجرام ساير الأفلاك و باعتبارها صارت مستوليه عليها قادره على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب، فأجرام الأفلاك و الكواكب صارت كالمسخّره لهذا القهر و القسر ثمّ ذكر باقى الوجوه و لا طائل تحتها.

و قوله عليه السّلام:(من ثبات ثابتها و مسير سائرها) بيان لوجه تسخيرها و ثبات الثوابت بالنسبه إلى سير السيارات.

و المراد بالسيارات الكواكب السبعه و هى: القمر، و عطارد، و زهره، و الشمس و المرّيخ، و المشترى، و الزّحل، و يسمّى الشمس و القمر بالنّيرين، و الخمسه

ص:۳۶۵

الباقيه بالمتحيّره لأنّ لكلّ واحد منها استقامه ثمّ وقوفا ثمّ رجوعا ثمّ وقوفا ثانيا ثمّ عودا إلى الاستقامه و ليس للنّيرين غير الاستقامه، و المراد بالثّوابت إمّا ساير الكواكب على السماء غير هذه السّبعه أو خصوص ما فى كره البروج.

و فى توحيد المفضّل قال: قال الصّادق عليه السّلام: فكّر يا مفضّل فى النّجوم و اختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك و لا تسير إلّا مجتمعه، و بعضها تنتقل فى البروج و تفترق فى مسيرها، فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب، و الآخر خاصّ لنفسه نحو المشرق كالنمله التى تدور على الرّحا، فالرّحا تدور ذات اليمين و النّمله تدور ذات الشمال و النّمله تتحرّك فى تلك حركتين مختلفتين، إحداهما بنفسه فتتوجّه أمامها، و الاخرى مستكرهه مع الرّحا تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزّاعمين أنّ النّجوم صارت على ما هى عليه بالاهمال من غير عمد و لا صانع لها ما منعها كلّها أن تكون راتبه أو تكون كلّها متنقّله؟ فانّ الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتى بحركتين مختلفتين على وزن و تقدير؟ ففى هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد و تدبير و حكمه و تقدير و ليس باهمال كما تزعمه المعطله.

فان قال قائل: و لم صار بعض النّجوم راتبا و بعضها متنقّلا؟ قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبه لبطلت الدلالات التى يستدلّ بها من تنقّل المتنقّله و مسيرها فى كلّ برج من البروج كما قد يستدلّ على أشياء ممّا يحدث فى العالم بتنقّل الشّمس و النّجوم فى منازلها، و لو كانت كلّها متنقّله لم يكن لمسيرها منازل تعرف و لا رسم يوقف عليه، لأنّه انما يوقف بمسير المتنقّله منها لتنقلها فى البروج الرّاتبه كما يستدلّ على سير السّاير على الأرض بالمنازل يجتاز عليها، و لو كان تنقّلها بحال واحده لاختلط نظامها و بطلت المآرب فيها و لساغ لقائل أن يقول: إنّ كينونيّتها على حال واحده توجب عليها الاهمال من الجهه التى وصفنا. ففى اختلاف سيرها و تصرّفها و ما فى ذلك من المآرب و المصلحه أبين دليل على العمد و التدبير فيها.

(و هبوطها و صعودها و نحوسها و سعودها) المراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجّمين، أو التوجّه إلى حضيض الحامل فانّ للكواكب صعودا فى الأوج و هبوطا فى الحضيض أو التوجّه إلى الغروب فيكون الهبوط حسّا و يقابله الصعود فيما ذكر.

و المراد بالسعود و النحوس كون اتصالات الكواكب أسبابا لصلاح حال شيء من الأشياء من أحوال هذا العالم و أسبابا لفساده.

قال المنجّمون: زحل و المريخ نحسان أكبرهما زحل، و المشترى و الزّهره سعدان أكبرهما المشترى، و عطارد سعد مع السعود و نحس مع النحوس، و النّيران سعدان من التثليث و التسديس نحسان من المقابله و التربيع و المقارنه، و الرّأس سعد و الذنب و الكبد نحسان، و اللّه العالم بحقايق ملكه و ملكوته.

الترجمه

بعض ديگر از اين خطبه در صفت آسمان است مى فرمايد:

ترتيب داد حق سبحانه و تعالى بدون قيد و علاقه پست و بلندى فرجه هاى آنرا و ملتئم نمود و بهم در آورد شكافهاى گشادگى آنرا و بهم پيوست ميان آنها و ميان زوجهاى آنها، و ذليل و آسان نمود بجهه ملائكه كه نزول كننده اند بأمر او سبحانه و صعود نماينده اند با عملهاى بندگان او دشوارى نردبانهاى آسمانها را، و ندا نمود آنها را بعد از اين كه بود دود پس بهم آمد بندهاى ريسمانهاى آنها و گشود بعد از بهم پيوستن درهاى بسته آنها را، و بر پا نمود ديده بانها از شهابهاى درخشان بر راهها و منفذهاى آنها، و نگه داشت آنها را از اين كه حركت نمايند و مضطرب گردند در شكاف هوا با قوت خود، و أمر كرد آنها را باين كه بايستند در حالتى كه انقياد و تسليم نمايند فرمان او را.

و گردانيد آفتاب آسمان را؟؟؟؟؟ آشكار براى روز آن، و ماه آنرا علامتى محو شده از شب آن، و جارى فرمود مهر و ماه را در مواضع انتقال كه جاى جريان ايشانست، و مقدّر كرد سير ايشان را در راههاى درجه هاى ايشان تا تميز دهد شب

ص:۳۶۷

و روز را بآن مهر و ماه و تا دانسته شود شمارهٔ سالها و حسابها بمقدار حرکات این دو کوکب، پس از آن در آویخت در فضای آسمان فلك را که محل دوران کوکب است، و منوط ساخت بآن زینت آنرا از ستارگان پنهان که مثل درّند در صفا و از چراغهای ستارها و انداخت بسوی شیاطین که بدزدی و سرقت گوش دهندگانند تا این که أسرار ملائکه را مطّلع شوند بشهابهای درخشنده سوراخ کننده و جاری ساخت ستارگان را بر مجاری تسخیر و مقهوریت آنها از ثبات کواکب ثابته و سیر کردن ستارگان رونده، و از هبوط کردن ایشان بحضیض حامل، و صعود نمودن ایشان بأوج حامل و از سعادت آنها و نحوست آنها.

الفصل الخامس

اشاره

منها فی صفه الملائکه ثمّ خلق سبحانه لإسكان سماواته، و عماره الصّفیح الأعلى من ملکوته، خلقا بدیعا من ملائکته، ملأ بهم فروج فجاجها، و حشابهم فتوق أجوائها، و بین فجوجات تلك الفروج زجل المسبّحین منهم فی حظایر القدس، و سترات الحجب، و سرادقات المجد، و وراء ذلك الرّجیج الّذی تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئه على حدودها، أنشأهم على صور مختلفات، و أقدار متفاوتات، أولی أجنحه تسبّح جلال عزّته، لا ینتحلون ما ظهر فی الخلق من صنعه، و لا یدّعون أنّهم یخلقون شیئا معه ممّا

ص:۳۶۸

انفرد به، بل عباد مكرمون، لا- يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون. جعلهم فيما هنا لك أهل الأمانه على وحيه، و حمّلهم إلى المرسلين و دائع أمره و نهيه، و عصمهم من ريب الشّبهات، فما منهم زائغ من سبيل مرضاته، و أمدّهم بفوائد المعونه، و أشعر قلوبهم تواضع إخبات السّكينه، و فتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده، و نصب لهم منارا واضحه على أعلام توحيده، لم تثقلهم موصرات الاثام، و لم ترتحلهم عقب اللّيالى و الأيّام، و لم ترم الشّكوك بنوازعها عزيمه إيمانهم، و لم تعترك الظّنون على معاقد يقينهم، و لا قدحت قادحه الأحن فيما بينهم، و لا سلبتهم الحيره ما لاق من معرفته بضمائرهم، و ما سكن من عظمته و هيبه جلالته فى أثناء صدورهم، و لم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو فى خلق الغمام الدّلّح، و فى عظم الجبال الشّمّخ، و فى قتره الظّلام الأيهم، و منهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السّفلى، فهى كرايات بيض قد نفذت فى مخارق الهواء، و تحتها ريح هفّافه تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهيه، قد استفرغتهم أشغال عبادته، و وصلت حقايق الإيمان بينهم و بين معرفته، و قطعهم الإيقان به إلى الوله إليه، و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره.

ص:٣٦٩

قد ذاقوا حلاوه معرفته، و شربوا بالكأس الرّويّه من محبّته، و تمكّنت من سويداء قلوبهم و شيجه خيفته، فحنوا بطول الطّاعه اعتدال ظهورهم، و لم ينفد طول الرّغبه إليه مادّه تضرّعهم، و لا أطلق عنهم عظيم الزّلفه ربق خشوعهم، و لم يتولّهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم و لا تركت لهم استكانه الإجلال نصيبا فى تعظيم حسناتهم، و لم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم، و لم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم، و لم تجفّ لطول المناجاه أسلات ألسنتهم، و لا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم، و لم تختلف فى مقاوم الطّاعه مناكبهم، و لم يثنوا إلى راحه التّقصير فى أمره رقابهم، و لا تعدوا على عزيمه جدّهم بلاده الغفلات، و لا تنتضل فى هممهم خدائع الشّهوات. قد اتّخذوا ذا العرش ذخيره ليوم فاقتهم، و يمّموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم، لا يقطعون أمد غايه عبادته، و لا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلّا إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعه من رجائه و مخافته، لم تنقطع أسباب الشّفقه منهم فينوا فى جدّهم، و لم تأسرهم الأطماع فيؤثروا و شيك السّعى على اجتهادهم، و لم يستعظموا

ص:۳۷۰

ما مضـى من أعمالهم، و لو استعظموا ذلک لنسخ الرّجآء منهم شفقات وجلهم و لم يختلفوا فی ربّهم باستحواذ الشّيطان عليهم، و لم يفرّقهم سوء التّقاطع، و لا تولّاهم غلّ التّحاسد، و لا شعّبتهم مصارف الرّيب، و لا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء إيمان لم يفکّهم من ربقته زيغ و لا عدول، و لا ونا و لا فتور، و ليس فی أطباق السّموات موضع إهاب إلّا و عليه ملک ساجد، أو ساع حافد، يزدادون على طول الطّاعه بربّهم علما، و تزداد عزّه ربّهم فی قلوبهم عظما.

اللغه

(عماره) المنزل جعله أهلا ضدّ الخراب الذی لا أهل له يقال عمره اللّه منزلک عماره و أعمره جعله أهلا و (الصفيح) السّماء و وجه کلّ شیء عريض قاله فی القاموس، و وصفه بالأعلى بالنسبه إلى الأرض لأنه الصفيح الأسفل، فما فی شرح المعتزلی من تفسيره بسطح الفلک الأعظم ليس بشیء بل مخالف لکلام الامام عليه السّلام مضافا إلى مخالفته لتفسير أهل اللغه إذ کلامه هنا و فی الخطبه الاولى صريح فی عدم اختصاص مسکن الملائکه بالفلک الأعظم، حيث قال ثمّه: ثمّ فتق ما بين السّماوات العلى فملأهنّ أطوارا من ملائکته، و ذکر هنا أنه تعالى ملأ بهم فروج فجاجها و حشابهم فتوق أجوائها.

و (الملکوت) کرهبوت العزّ و السلطان، قال بعض اللّغويين: إنّ أهل التحقيق يستعملون الملک فی العالم الظاهر و الملکوت فی العالم الباطن، و قال: إنّ الواو و التاء فيه کما فی رهبوت و رغبوت و جبروت و تربوت زيدتا للمبالغه فيکون معنى الملکوت الملک العظيم و (الفجاج) بکسر الفاء جمع فجّ بفتحها قال سبحانه:

«مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » و هو الطريق الواسع بين الجبلين و (حشوت) الوساده بالقطن جعلتها مملوّه منه و (الفجوات) جمع فجوه و هى الفرجه و الموضع المتّسع بين الشيئين و (الزجل) محرّكه رفع الصّوت مصدر زجل كفرح و (الحظيره) بالحاء المهمله و الظاء المعجمه الموضع الذى يحاط عليه لتأوى إليه الابل و الغنم و غيرهما ليقيها من الحرّ و البرد و (القدس) بسكون الدّال و ضمّها الطهر و (السترات) بضمّتين جمع ستره بالضمّ و هو ما يستتر به كالسّتاره و (السرادق) الذى يمدّ فوق صحن البيت و البيت من الكرسف و (المجد) الشرف و العظمه و (الرجيج) الزلزله و الاضطراب و منه رجيج البحر و (استكّت) المسامع ضاقت و صمت قال الشّاعر:

و نبّئت خير النّاس أنّك لمتنى و تلك التى تستكّ منه المسامع

و (السّبحات) بضمّتين النور و البهاء و الجلال و العظمه و قيل: سبحات الوجه محاسنه لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان اللّه تعجّبا و (ردعه) كمنعه كفّه وردّه و (خسأ) البصر كلّ من باب منع و الخاسئ من الكلاب و نحوها المبعد الذى لا يترك أن يدنو من النّاس و (تسبّح) من التّسبيح و فى بعض النسخ تسبح من السّباحه و فى هذه النسخه (خلال) بالخاء المعجمه المكسوره و هو وسط الشّىء أو جمع خلل بالتحريك و هو الفرجه بين الشيئين، و فى بعضها جلال بحار عزّته و (انتحل) الشّىء إذا ادّعاه لنفسه و هو لغيره و (حمّلهم) بتشديد الميم و (الزّيغ) العدول عن الحق قال سبحانه:

«ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى » و (استعنت به) فأعاننى و قد يتعدّى بنفسه فيقال استعنته فأعاننى و الاسم منه العون و المعانه و المعونه بفتح الميم و ضمّ الواو على وزن مكرمه و بضمّ العين أيضا و اتباع الواو على وزن مقوله.

قال الفيومى: وزن المعونه مفعله بضمّ العين و بعضهم يجعل الميم أصليه و يقول

ص:٣٧٢

هی مأخوذه من الماعون و یقول هی فعوله و(اشعر) قلوبهممن شعرت بالشّیء شعورا من باب قعد علمت و قیل مأخوذ من الشعار و هو ما یلبس تحت الدّثار أی الزم قلوبهم تشبیها بلزوم الشعار للبدن و (أخبت) الرجل خضع للّه و خشع قلبه و (السکینه) الوقار و الطمأنینه و المهابه و (الذّلل) بضمّتین جمع الذّلول و هو ضدّ الصّعب و (مجدّه) تمجیدا عظّمه و أثنا علیه و الجمع للدّلاله علی الأنواع و (الأعلام) جمع علم بالتحریک و هو الجبل الطویل قال الشّاعر:

ربما اوفیت فی علم ترفعن ثوبی شمالات

و (الاصر) الثقل و (العقب) جمع العقبه کغرف و غرفه و هی النوبه و اللّیل و النّهار یتعاقبان أی یتناوبان و یجیء کلّ منهما بعد الآخر و (نوازعها) فی بعض النسخ بالعین المهمله من نزع فی القوس إذا مدّها و فی بعضها بالغین المعجمه من نزغ الشیطان بین القوم أی أفسد و (الاعتراک) الازدحام و (قدح) بالزند من باب منع أی رام الایراء به و هو استخراج النّار و (أحن) الرّجل من باب تعب حقد و أضمر العداوه، و الاحنه اسم منه و الجمع احن کسدره و سدر و (لاق) الشّیء بغیره أی لزق و منه اللیقه للصوق المداد بها و (الاقتراع) الضرب بالقرعه و الاختیار.

و فی شرح المعتزلی هو من الاقتراع بالسهام بأن یتناوب کلّ من الوساوس علیها، و الأنسب أن یجعل المزید بمعنی المجرّد یقال قرعته بالمقرعه ضربته بها، و فی بعض النسخ فتفترع بالفاء من فرعه أی علاه و الأول أنسب بالطبع و (الرّین) بالنون کما فی بعض النسخ و هو الدنس و الطبع و الغطاء و ران ذنبه علی قلبه رینا غلب، و فی بعضها بالباء الموحّده بمعنی الشّک.

و (الغمام) جمع الغمامه و (الدلّح) بالحاء المهمله جمع دالح کراکع و رکّع یقاب سحاب دالح أی ثقیل بکثره مائه و (الشمّخ) بالخاء المعجمه جمع الشامخ و هو المرتفع العالی و (القتره) بالضمّ بیت الصاید الذی یستتر به عند تصیده من خصّ و نحوه، و الجمع قتر مثل غرفه و غرف و (الایهم) الذی لا یهتدی فیه و منه فلاه یهماء و (تخوم) الأرض بالضمّ حدودها و معالمها، قال الفیومی: التخم حدّ الأرض

و الجمع تخوم مثل فلس و فلوس، و قال ابن الاعرابى و ابن السّكيت الواحد تخوم و الجمع تخم مثل رسول و رسل.

و (ريح هفافه) طيبه ساكنه و (وصلت) فى بعض النسخ بالسين المهمله المشدّده يقال و سلّ إلى اللّه توسيلا و توسّل أى عمل عملا يقرب به إليه و (الوله) محركه شدّه الوجد أو ذهاب العقل و (شربوا بالكأس) بتثليث الرّاء و الكأس مؤنثه و (الرّويه) المرويّه التى تزيل العطش و (سويداء) القلب و سوداؤه حبّته و (الوشيجه) فى الأصل عرق الشجره يقال: و شجت العروق و الأغصان أى اشتبكت و (حنيت) العود ثنّيته و حنّيت ضلعى عوّجته و يقال للرّجل إذا انحنى من الكبر: حناه الدّهر.

و (اعجب) زيد بنفسه على البناء للمفعول إذا ترفّع و سرّ بفضائله و أعجبنى حسن زيد إذا أعجبت منه قال الفيومى: و التعجّب على وجهين أحدهما ما يحمده الفاعل و معناه الاستحسان و الاخبار عن رضاه به، و الثانى ما يكرهه و معناه الانكار و الذّم له ففى الاستحسان يقال أعجبنى بالألف و فى الذّم و الانكار عجبت و زان تعبت و (الفترات) جمع الفتره مصدر بنيت للمرّه من فتر الشيء فتورا سكن بعد حدّه و لان بعد شدّه.

و (دأب) فى عمله من باب منع دأبا و دابا بالتحريك و دؤبا بالضمّ جدّ و تعب.

و (غاض) الماء غيضا من باب سار قلّ و نقص و (اسله) اللسان طرفه و مستدقّه و (الهمس) محرّكه الصّوت الخفىّ و (الجؤار) و زان غراب رفع الصّوت بالدّعاء و التضرّع و (المقاوم) جمع مقام و (ثنا) الشيء يثنى و يثنو من باب رمى و دعا ردّ بعضه على بعض و ثنيته أيضا أى صرفته إلى حاجته و (بلد) الرّجل بالضمّ بلاده فهو بليد أى غير فطن و لا ذكى و (ناضلته) مناضله راميته فنضلته نضلا من باب قتل غلبته فى الرّمى و انتضل القوم رموا للسبق و (الهمه) ما همّ به من أمر ليفعل و (يمّمته) قصدته و (الأمد) المنتهى و قد يكون بمعنى امتداد المسافه و (رجع) يكون لازما و متعدّ يا تقول رجع زيد و رجعته أنا و (اهتر)

فلان بكذا و استهتر بالبناء للمفعول فهو مهتر و مستهتر بالفتح أولع به لا يتحدّث بغيره و لا يفعل غيره، و الاستهتار الولع بالشيء لا يبالى بما فعل فيه و شتم له.

و (الونى) الضّعف و الفتور من ونى فى الأمر من باب تعب و وعدو (الوشيك) القريب و السّريع و (نسخ) الشيء إزالته و إبطاله و (استحوذ) عليه الشيطان استولى و (التقاطع) التعادى و ترك البرّ و الاحسان و (تولّيت) الأمر قمت به و (الغلّ) الحقد و (الشعبه) من كلّ شيء الطائفه منه و شعّبهم أى فرّقهم و فى بعض النّسخ تشعبّتهم على التفعّل و الأوّل أظهر و (الرّيب) جمع الرّيبه و هو الشّك.

و (أخياف) الهمم اختلافها و أصله من الخيف بالتحريك مصدر من باب تعب و هو أن يكون إحدى العينين من الفرس زرقاء و الاخرى كحلاء، فالفرس أخيف و النّاس أخياف أى مختلفون، و منه قيل لاخوه الامّ: أخياف لاختلافهم من حيث الأب و (الاهاب) ككتاب الجلد و (الحافد) المسرع و الخفيف فى العمل و يجمع على حفد بالتحريك و يطلق على الخدم لاسراعه فى الخدمه و (العظم) وزان عنب خلاف الصّغر مصدر عظم و فى بعض النّسخ بالضّم و زان قفل و هو اسم من تعظّم أى تكبّر.

الاعراب

قوله: و بين فجوات آه الجمله حال من مفعول حشا، و قوله: و وراء ذلك خبر قدّم على مبتدئه و هو سبحات، و الابصار فى بعض النسخ بالنصب على أنّه مفعول تردع و فاعله راجع إلى سبحات، و فى بعضها بالرّفع على بناء تردع للمفعول، و أنشأهم عطف على ملاء بهم، و أولى أجنحه حال من مفعول أنشأ، و جمله تسبح صفه لأولى أجنحه أو لأجنحه، و جمله لا ينتحلون حال، و اللاّم فى قوله: بالقول عوض عن المضاف إليه أى لا يسبقون اللّه بقولهم.

و قوله إلى المرسلين متعلّق بحملهم على تضمين معنى البعث أو الارسال أو نحوه، و ودائع أمره بالنصب مفعول حمّلهم، و جمله لم تثقلهم استيناف بيانى، و الباء

ص:۳۷۵

فی قوله علیه السّلام: و شربوا بالکأس إمّا للاستعانه، أو بمعنی من و ربما یضمن الشّرب معنی الالتذاذ لیتعدّی بالباء و کلمه من فی قوله علیه السّلام: من قلوبهم ابتدائیه أی إلی موادّ ناشئه من قلوبهم، و فی قوله علیه السّلام، من رجائه بیانیّه، فالمراد الخوف و الرجاء الباعثان لهم علی لزوم الطاعه، و یحتمل أن یکون الاولی بیانیه أو ابتدائیه و الثانیه صله للانقطاع.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من کلامه علیه السّلام متضمّن لبیان صفات الملائکه و کیفیه خلقتهم و حاله عبودیّتهم و خشوعهم و ذلّتهم لمعبودهم، و قد مضی شطر واف من الکلام علی هذا العنوان فی شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الأولی، و تقدّم ثمّه ما ینفعک فی هذا المقام و لما کان الغرض من هذه الخطبه الاشاره إلی عظمه اللّه سبحانه و قدرته و الابانه عن الصّفات الجمالیه و الجلالیه له تعالی، و کان ملائکه السماوات من أفضل الموجودات و أشرف المجعولات و عجائب الخلایق و بدایع الصّنایع و عظم المخلوق کان دالا علی عظم الخالق و بدیع صنعه المصنوع کان دلیلا علی کمال قدره الصّانع و تدبیره و حکمته، لا جرم ساق علیه السّلام هذا الفصل لبیان حالهم و ضمنه ذکر أوصافهم المختلفه و شئوناتهم المتفاوته بعبارات رائقه و بدائع فائقه.

قال الشّارح المعتزلی و لنعم ما قال: إذا جاء هذا الکلام الرّبانی و اللّفظ القدسی بطلت فصاحه العرب و کانت نسبه الفصیح من کلامها إلیه نسبه التراب إلی النضار الخالص، و لو فرضنا أنّ العرب تقدر علی الألفاظ الفصیحه المناسبه أو المقاربه لهذه الألفاظ من أین لهم المادّه التی عبرت هذه الألفاظ عنها و من أین تعرف الجاهلیه بل الصحابه المعاصرون لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هذه المعانی الغامضه السّمائیه لیتهیّأ لها التعبیر عنها.

أما الجاهلیه فانّهم إنما کانت تظهر فصاحتهم فی صفه بعیر أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاه أو صفه جبال أو فلوات و نحو ذلک.

و أما الصّحابه المذکورون منهم بفصاحه إنما کان منتهی فصاحه أحدهم کلمات

لا یتجاوز السطرین أو الثلاثه إما فی موعظه تتضمّن ذکر الموت أو ذمّ الدّنیا و ما یتعلّق بحرب و قتال من ترغیب أو ترهیب.

فأمّا الکلام فی الملائکه و صفاتها و عبادتها و تسبیحها و معرفتها بخالقها و حبّها له و ولهها إلیه و ما جری مجری ذلک ممّا تضمّنه هذا الفصل بطوله فانّه لم یکن معروفا عندهم علی هذا التّفصیل، نعم ربّما علموه جمله غیر مقسّمه هذا التقسیم و لا مرتّبه هذا الترتیب بما سمعوه من ذکر الملائکه فی القرآن العظیم، فثبت أنّ هذه الامور الدقیقه مثل هذه العباره الفصیحه لم تحصل إلاّ لعلیّ علیه السّلام وحده، و اقسم أنّ هذا الکلام إذا تأمّله اللّبیب اقشعرّ جلده و رجف قلبه و استشعر عظمه اللّه العظیم فی روعه و خلده و هام نحوه و غلب الوجد علیه و کاد أن یخرج من مسکه شوقا و أن یفارق هیکله صبابه و وجدا.

إذا عرفت ذلک فلنعد إلی شرح کلامه علیه السّلام فأقول: قال علیه السّلام (ثمّ خلق سبحانه لإمکان سماواته و عماره الصّفیح الأعلی من ملکوته خلقا بدیعا من ملائکته) ظاهر کلمه ثمّ المفید للترتیب الحقیقی کون خلق الملائکه بعد خلقه السّماوات، و یدلّ علیه أخبار کثیره إلاّ أنّ فی بعض الرّوایات سبق خلقه الملائکه علی خلقه السّماوات، و یمکن الجمع بالتخصیص ههنا بسکان السّماوات الذین لا یفارقونها، و المراد بالصفیح الأعلی سطح کلّ سماء، و یقابله الصفیح الأسفل الذی هو الأرض، و یظهر من ذلک عدم تلاصق السّماوات علی ما ذهبت إلیه الفلاسفه من غیر دلیل یعتمد علیه.

و أمّا ما فی شرح البحرانی من أنّه یحتمل أن یشیر علیه السّلام بالصّفیح الأعلی إلی الفلک التاسع و هو العرش لکونه أعظم الأجرام و أعلاها و سکانه الملائکه المدبّرون له، فمبنیّ علی اصول الفلاسفه مخالف للأخبار و کلام أهل اللغه حسبما عرفت آنفا فی ترجمه لفظ الصفیح، و مخالف أیضا لظاهر قوله علیه السّلام (فملأ بهم فروج فجاجها و حشابهم فتوق أجوائها) إذ المستفاد من ذلک أنّ ما بین السّماوات مملوّه بهم فیکون السّطوح المحدّبه منها محلّ إسکان الملائکه و مکان عبادتهم للّه سبحانه

ص:۳۷۷

بأنواع العباده و يستفاد منه أيضا تجسم الملائكه و هو المستفاد من الأخبار المتواتره معنى.

و العجب أنّ شارح البحرانى أوّل ذلكأيضا بناء على الاصول الفاسده بأنه عليه السّلام استعار لفظ الفروج و الفجاج و الفتوق لما يتصوّر بين أجزاء الفلكك من التباين لولد الملائكه الذين هم أرواح الأفلاك و بها قام وجودها، و بقاء جواهرها محفوظه بها، و وجه المشابهه ظاهر، و رشح تلك الاستعاره بذكر الملاء و الحشو، و أما فجاجها و فروجها فاشاره إلى ما يعقل بين أجزائها و أجوائها المنتظمه على التباس لو لا الناظم لها بوجود الملائكه، فيكون حشو تلك الفرج بالملائكه كنايه عن نظامها بوجودها و جعلها مدبّره لها انتهى.

و قد مضى فساد ذلك و بطلانه فى شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الأولى فتذكّر (و بين فجوات تلك الفروج) و متّسعاتها (زجل المسّبحين منهم) و أصواتهم الرفيعه العاليه بالتضرّع و الابتهال و المسكنه (فى حظاير القدس و سترات الحجب و سرادقات المجد) لعلّ المراد بها المواضع المعدّه لعباده الملائكه بين أطباق السّماوات و وصفها بالقدس من حيث اتصافها بالطهاره و النزاهه من الأدناس و الأرجاس و يمكن أن يكون الاشاره بها إلى ما فوق السماء السّابعه من الحجب و السّرادقات النورانيه.

ففى الخبر أنّ ما فوق السّماء السابعه صحارى من نور، و لا يعلم فوق ذلك إلاّ اللّه.

و عن وهب بن منبه فوق السّماوات حجب فيها ملائكه لا يعرف بعضهم بعضا لكثرتهم يسبّحون اللّه تعالى بلغات مختلفه و أصوات كالرّعد العاصف، هذا.

و قد أشار عليه السّلام إلى تفصيل الحجب و السرادقات فيما رواه الصّدوق فى التوحيد باسناده عن زيد بن وهب قال: سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن الحجب، فقال عليه السّلام:

أوّل الحجب سبعه غلظ كلّ حجاب منها مسيره خمسمائه عام و بين كلّ حجابين مسيره خمسمائه عام، و الحجاب الثانى سبعون حجابا بين كلّ حجابين مسيره خمسمائه

عـام و طوله خمسـمائه عـام حجبه كـلّ حجاب منها سـبعون ألف ملك قوّه كلّ ملك منهم قوّه الثّقلين، منها ظلمه، و منها نور، و منها نار، و منها دخان، و منها سحاب، و منها برق، و منها مطر، و منها رعد، و منها ضوء، و منها رمل، و منها جبل، و منها عجاج، و منها ماء، و منها أنهار، و هى حجب مختلفه غلظ كلّ حجاب مسيره سبعين ألف عام.

ثمّ سـرادقات الجلال و هى سـتّون «سـبعون» سرادقا فى كلّ سرادق سبعون ألف ملك بين كلّ سرادق و سرادق مسيره خمسمائه عام، ثمّ سـرادقات العزّ، ثمّ سـرادق الكبرياء، ثمّ سـرادق العظمه، ثمّ سـرادق القدس، ثمّ سـرادق الجبروت، ثمّ سـرادق الفخر، ثمّ سرادق النور الأبيض، ثمّ سـرادق الوحـدانيه، و هو مسـيره سـبعين ألف عـام فى سـبعين ألف عام، ثمّ الحجاب الأعلى و انقضـى كلامه عليه السّلام و سكت، فقال له عمر: لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن.

قال المجلسىُّ (ره) بعد روايه ذلك فى البحار: قوله عليه السّلام: منها ظلمه، لعلّ المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدّمه كما يدلّ عليه قوله غلظ كلّ حجاب اه (و وراء ذلك الرجيج الذى تستكّ منه الأسماع) و الزجل الذى تنسدّ منه الآذان (سبحات نور تردع الأبصـار عن بلوغهـا) و تمنع الأـعين عن وصولهـا لشـدّه ضـيائها و فرط بهائها (فتقف) الأبصار (خاسـئه) حسـيره (على حدودها) أى حدود تلك السـبحات، و يسـتفاد من شـرح المعتزلى رجوع الضمير إلى الأبصار، قال: أى تقف حيث تنتهى قوّتها، لأنّ قوّتها متناهيه فاذا بلغت حدّها وقفت هذا.

و المراد بسبحات النور إما الأنوار التى تغشى العرش.

و يدلّ عليه ما روى عن ميسره قال: لا تستطيع الملائكه الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور.

و عن زاذان قال: حمله العرش أرجلهم فى التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور.

و فى حديث المعراج قال: و رأيت فى علّيين بحارا و أنوارا و حجبا و غيرها

لو لا تلک لاحترق کلّ ما تحت العرش من نور العرش، و إمّا حجب النّور التی دون العرش، و یؤیّده ما فی الحدیث أنّ جبرئیل علیه السّلام قال للّه سبحانه: دون العرش سبعون حجابا لو دنونا من أحدها لاحترقتنا سبحات وجه ربّنا، و فی حدیث آخر من طرق المخالفین حجابه النّور و النّار لو کشفه لأحرقت سبحات وجهه کلّ شیء أدرکه بصره.

و قال الشّارح البحرانی (ره) أشار علیه السّلام بسبحات النّور التی وراء ذلک الرّجیج إلی جلال وجه اللّه و عظمته و تنزیهه أن یصل إلیه أبصار البصایر، و نبّه بکون ذلک وراء رجیجهم علی أنّ معارفهم لا تتعلّق به کما هو، بل وراء علومهم و عباداتهم أطوار اخری من جلاله تقصر معارفهم عنها و تردع أبصار البصایر عن ادراکها فترجع حسیره متحیّره واقفه عند حدودها و غایاتها من الادراک.

أقول: و هو لا ینافی ما ذکرناه إذ ما ذکرته تفسیر للظّاهر و ما ذکره الشّارح تأویل للباطن، و قد تقدّم فی شرح الخطبه التی قبل هذه الخطبه(۱) ما ینفعک ذکره فی هذا المقام(أنشأهم علی صور مختلفات و أقدار متفاوتات اولی أجنحه تسبّح جلال عزّته)قال الشّارح البحرانی اختلاف صورهم کنایه عن اختلافهم بالحقایق و تفاوت أقدارهم تفاوت مراتبهم فی الکمال و القرب منه، و لفظ الاجنحه مستعار لقواهم التی بها حصلوا علی المعارف الالهیّه و تفاوتها بالزیاده و النّقصان کما قال تعالی:

«أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ » کنایه عن تفاوت ادراکهم لجلال اللّه و علومهم بما ینبغی له، و لذلک جعل الأجنحه هی التی تسبّح جلال عزّته فانّ علمهم بجلاله منزّه عمّا لا ینبغی لکرم وجهه و لا یناسب جلال عزّته.

أقول: تسلیط ید التّأویل علی الظواهر من غیر دلیل هدم لأساس الشّریعه و حمل اللّفظ علی المجازات إنّما هو عند تعذّر إراده الحقیقه، و امّا مع إمکانها

۱- (۱) و هی المصدّره بقوله: الحمد للّه المعروف من غیر رؤیه، منه

و دلاله الدّليل عليها فهو خلاف السيره المستمره مناف لمقتضى الاصول اللفظيه المتداوله بين أهل اللّسان من العرب و من حذاحذوهم من علماء الاصول و الأدب.

بل المراد انشاءهم على صور مختلفه و أشكال متشتّته فبعضهم على صوره الانسان و بعضهم على صوره الحيوان من الأسد و الثور و الدّيك و غيرها من أصناف الحيوان على ما ورد فى الأخبار، و بعضهم أولى أجنحه مثنى و ثلاث و رباع يزيد سبحانه عليها ما يشاء على وفق حكمته و مقتضى تدبيره و إرادته.

و ايجادهم على أقدار متفاوته فى الصغر و الكبر و الطّول و القصر، روى علىّ ابن إبراهيم القمّى (ره) فى تفسير قوله سبحانه:

«جاعِلِ الْمَلائِكَهِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَهٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ » عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال: خلق اللّه الملائكه مختلفين، و قد رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جبرئيل و له ستّمأه جناح على ساقه الدّر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السّماء و الأرض، و قال: إذا أمر اللّه ميكائيل بالهبوط إلى الدّنيا صارت رجله اليمنى فى السّماء السّابعه و الأخرى فى الأرض السّابعه، و أنّ للّه ملائكه أنصافهم من برد و أنصافهم من نار يقولون: يا مؤلّفا بين البرد و النّار ثبّت قلوبنا على طاعتك، و قال: إنّ اللّه ملكا بعد ما بين شحمه اذنه إلى عينه مسير خمسمائه عام بخفقان الطير، و قال عليه السّلام: إنّ الملائكه لا يأكلون و لا يشربون و لا ينكحون و إنما يعيشون بنسيم العرش و إنّ للّه ملائكه ركّعا إلى يوم القيامه و إنّ للّه ملائكه سجّدا إلى يوم القيامه ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السّلام ما من شيء ممّا خلق اللّه أكثر من الملائكه و أنّه ليهبط فى كلّ يوم أو فى كلّ ليله سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثمّ يأتون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ يأتون أمير المؤمنين عليه السّلام فيسلّمون عليه ثمّ يأتون الحسين عليه السّلام فيقيمون عنده، فاذا كان وقت السّحر وضع لهم معراج إلى السّماء ثمّ لا يعودون أبدا.

و فى التّوحيد بإسناده عن زيد بن وهب قال: سئل أمير المؤمنين علىّ بن

أبی طالب علیه السّلام عن قدره اللّه جلّت عظمته، فقام خطیبا فحمد اللّه و أثنا علیه ثمّ قال:

إنّ اللّه تبارک و تعالی ملائکه لو أنّ ملکا منهم هبط إلی الأرض ما وسعته لعظمه خلقته و کثره أجنحته، و منهم من لو کلّفت الجنّ و الانس أن یصفوه ما وصفوه لبعد ما بین مفاصله و حسن ترکیب صورته، و کیف یوصف من ملائکته من سبعمائه عام ما بین منکبیه و شحمه اذنیه، و منهم من یسدّ الافق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، و منهم من السّماوات إلی حجزته(۱) ، و منهم من قدمه علی غیر قرار فی جوّ الهواء الأسفل و الأرضون إلی رکبتیه، و منهم من لو ألقی فی نقره ابهامه جمیع المیاه لوسعتها، و منهم من لو القیت السفن فی دموع عینه لجرت دهر الداهرین فتبارک اللّه أحسن الخالقین.

و فیه بإسناده عن ابن عباس عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: إنّ للّه تبارک و تعالی دیکا رجلاه فی تخوم الأرض السّابعه و رأسه عند(۲) العرش ثانی عنقه تحت العرش «إلی أن قال:» و لذلک الدّیک جناحان إذا نشرهما جاوز المشرق و المغرب، فاذا کان فی آخر اللّیل نشر جناحیه و خفق بهما و صرخ بالتسبیح یقول: سبحان الملک القدّوس الکبیر المتعال لا إله إلّا اللّه الحیّ القیّوم، فاذا فعل ذلک سبّحت دیکه الأرض کلّها و خفقت بأجنحتها و أخذت فی الصّراخ، فاذا سکن ذلک الدّیک فی السّماء سکنت الدیکه فی الأرض فإذا کان فی بعض السحر نشر جناحیه فجاوز بهما المشرق و المغرب و خفق بهما و صرخ بالتسبیح سبحان اللّه العظیم «سبحان خ» العزیز القهار سبحان اللّه ذی العرش المجید سبحان اللّه ربّ العرش الرّفیع، فاذا فعل ذلک سبّحت دیکه الأرض فاذا هاج هاجت الدّیکه فی الأرض تجاوبه بالتسبیح و التقدیس للّه عزّ و جلّ و لذلک الدّیک ریش أبیض کأشدّ بیاض رأیته قطّ و له زعبا(۳) خضر تحت ریشه الأبیض کأشدّ خضره رأیتها قطّ فما زلت مشتاقا إلی أن أنظر إلی ریش ذلک الدّیک.

۱- (۱) الحجزه معقد الازار

۲- (۲) ثانی عنقه ای عاطف و ملتو لعنقه، منه

۳- (۳) الزعب شعیرات صفر علی ریش الفرخ، منه

و بهذا الإسناد عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: إنّ للّه تبارك و تعالى ملكا من الملائكه نصف جسده الأعلى نار و نصفه الأسفل ثلج، فلا النّار تذيب الثلج و لا الثلج تطفئ النّار و هو قائم ينادى بصوت رفيع: سبحان اللّه الذى كفّ حرّ هذه النّار فلا يذيب الثلج و كفّ برد هذا الثلج فلا يطفىء حرّ النّار اللّهمّ يا مؤلّفا بين الثلج و النّار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك هذا.

و بقى الكلام فى قوله عليه السّلام اولى أجنحه تسبح جلال عزّته، فأقول: إن كان تسبح بالتخفيف و الخلال بالخاء المعجمه فالمراد سباحتهم و سيرهم فى اطباق السّماوات و فوقها أو نزولهم و صعودهم لأداء الرّسالات و غيرها أو سيرهم فى مراتب القرب بالعباده و التسبيح.

و أمّا على روايه التشديد و كون الجلال بالجيم فالجمله إما صفه لاولى أجنحه فالتأنيث باعتبار الجماعه و المقصود أنهم يسبّحونه و يقدّسون جلاله و عظمته و عزّته و قوّته سبحانه من النقائص.

و إمّا صفه لأجنحه فالمقصود بالتسبيح إمّا التنزيه و التقديس بلسان الحال إذ كلّ جناح من اجنحتهم بل كلّ ذرّه من ذرّات وجودهم ناطقه بلسان حالها شارحه لعظمه بارئها و مبدعها، برهان صدق على قدرته و قوّته و كماله، و دليل متين على تدبيره و حكمته و جلاله، و هذا عام لجميع الملائكه.

و إمّا التنزيه بلسان المقال و هو مخصوص ببعض الملائكه.

و يشهد به ما رواه فى التوحيد باسناده عن ابن عباس عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

إنّ اللّه تبارك و تعالى ملائكه ليس شىء من أطباق أجسادهم إلّا و هو يسبّح اللّه عزّ و جلّ و يحمده من ناحيه بأصوات مختلفه لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء و لا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء و الخشيه للّه عزّ و جل.

و عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام هل فى السماء بحار؟ قال عليه السّلام: نعم أخبرنى أبى عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ فى

السماوات السبع لبحارا عمق أحدها مسيره خمسمائه عام فيها ملائكه قيام منذ خلقهم اللّه عزّ و جلّ و الماء إلى ركبهم ليس فيهم ملك إلاّ و له ألف و أربع مأئه جناح فی كلّ جناح أربعه وجوه فی كلّ وجوه «وجه خ» أربعه ألسن ليس فيها جناح و لا وجه و لا لسان و لا فم إلاّ و هو يسبّح اللّه عزّ و جلّ بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه، و اللّه أعلم بحقايق ملكه و ملكوته، و آثار جلاله و جبروته.

ثمّ وصف عليه السّلام الملائكه بأنهم (لا ينتحلون ما ظهر فی الخلق من صنعه و لا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به) أی لا يدّعون الرّبوبيه لأنفسهم كما يدّعيه البشر لهم و لأنفسهم فالفقره الأولى لنفی ادّعاء الاستبداد و الثانيه لنفی ادّعاء المشاركه أو الاولى لنفی ادّعائهم الخالقيه فيما هم و سايط وجوده و لهم مدخل فيه بأمره سبحانه و الثانيه لنفی ذلک فيما خلقه اللّه سبحانه بمجرّد أمره من دون توسط الوسايل (بل) هم (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون) و هو اقتباس من قوله سبحانه فی سوره الأنبياء.

«وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ » الآيه قيل: نزلت فی خزاعه حيث قالت: الملائكه بنات اللّه، فنزّه اللّه سبحانه نفسه عن ذلک و قال سبحانه أنفه له: بل هؤلاء الّذين زعموا أنهم ولد اللّه ليسوا أولاده، بل هم عباد مكرمون أكرمهم اللّه و اصطفاهم لا يسبقونه بالقول و لا يتكلّمون إلاّ بما يأمرهم به ربّهم، فكلّ أقوالهم طاعه لربّهم و يكفی بذلک جلاله قدرهم، و هم بأمره يعملون، و من كان بهذه الصفه لا يوصف بأنه ولد.

(جعلهم) اللّه (فيما هنالک أهل الأمانه على وحيه، و حملهم إلى المرسلين ودايع أمره و نهيه) لعلّ هذا الوصف مختصّ ببعض الملائكه و يشهد به قوله سبحانه «اَللّهُ يَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِكَهِ رُسُلاً »

و يكفى للنسبه إلى الجميع كون بعضهم كذلك و ما هنالك عباره عن مراتب الملائكه و يدلّ على الاختصاص بالبعض أيضا قوله عليه السّلام فى الفصل التاسع من الخطبه الأولى:

و منهم امناء على وحيه و ألسنه إلى رسله و مختلفون بقضائه و أمره، و قد تقدّم فى شرح ذلك الفصل ما ينفعك ذكره فى المقام و بيّنا ثمّه وجه الحاجه فى أداء الامانه إلى وجود الواسطه من الملائكه و أشرنا إلى جهه وصفهم بالامانه.

و محصّله أنّه لما كان ذو الامانه هو الحافظ لما ائتمن عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه و كانت الرّسالات النازله بواسطه الملائكه نازله كما هى محفوظه عن الخلل الصادر عن سهو لعدم أسباب السّهو هناك أو عن عمد لعدم الدّاعى إليه لقوله تعالى:

«يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ » صدق أنهم أهل الامانه على وحيه و رسالاته (و عصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته) هذا الوصف عام لجميع الملائكه لأنهم معصومون من الشكّ و الاشتباه الناشى من معارضه النفس الأماره للقوّه العاقله إذ ليس لهم هذه النفس فلا يتصوّر فى حقّهم العدول عن سبيل رضوان اللّه و الانحراف عن القصد لانتفاء سببه الذى هو وجود هذه النفوس.

(و أمدّهم بفوائد المعونه و أشعر قلوبهم تواضع اخبات السّكينه) لعلّ المراد أنّه سبحانه أعطاهم المدد و القوّه و أيّدهم بأسباب الطاعات و القربات و الألطاف و المعارف الصّارفه لهم عن المعصيه و أنه ألزم قلوبهم التواضع و الذلّه و الخضوع و الاستكانه لزوم الشعار للجسد أو أنه أعلمهم ذلك، و محصّله عدم انفكاكهم عن الخوف و الخشوع و قد مرّ بعض الأخبار فيه فى شرح الفصل التاسع من الخطبه الاولى.

(و فتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده) أى فتح لهم أبوابا سهله إلى تعظيماته و الثناء عليه، و الجمع باعتبار أنواع التحيات و فتح الأبواب كنايه عن إلهامها

علیهم و تسهیلها لهم لعدم معارضه شیطان أو نفس أماره بالسوء، بل خلقهم خلقه یلتذّون بها کما ورد: أنّ شرابهم التّسبیح و طعامهم التقدیس.

(و نصب لهم منارا واضحه علی أعلام توحیده) استعار لفظ الأعلام لأدلّه التّوحید و براهین التفرید و وجه المشابهه ایصال کلّ منهما إلی المطلوب، و لعلّه أراد بالمنار الواضحه المنصوبه علی تلک الأعلام ما یوجب لهم الاهتداء إلی تلک الأدلّه من الوحی و الالهام.

و ربما قیل فی شرح ذلک: إنه استعار المنار الواضحه للوسائط من الملائکه المقرّبین بینهم و بین الحقّ سبحانه إذ إخباره عن الملائکه السّماویه و لفظ الاعلام لصور المعقولات فی ذواتهم المستلزمه لتوحیده و تنزیهه عن الکثره، و وجه المشابهه أنّ المنار و الأعلام کما یکون وسایط فی حصول العلم بالمطلوب کذلک الملائکه المقرّبون و المعارف الحاصله بواسطتهم یکون وسایط فی الوصول إلی المطلوب الأول محرّک الکلّ عزّ سلطانه، و هو قریب مما قلناه إلاّ أنّ ما قلناه أظهروا أشبه هذا.

و أمّا توصیف المنار بوصف الوضوح فمن أجل وفور أسباب الهدایه و کثره الدلائل فی حقهم لقربهم من سیاحه عزّته و ملکوته و مشاهدتهم ما یخفی علینا من آثار ملکه و جبروته.

(لم تثقلهم موصرات الآثام) أی مثقلاتها و أشار علیه السّلام بذلک إلی عصمتهم من المعاصی لعدم خلق الشهوات فیهم و انتفاء النفس الاماره الداعیه إلی المعصیه (و لم ترتحلهم عقب اللّیالی و الأیام) أی لم یزعجهم تعاقبهما و لم یوجب رحیلهم عن دارهم، و المقصود تنزیههم عما یعرض للبشر من ضعف القوی أو القرب من الموت بکرور اللّیالی و مرور الأیام.

(و لم ترم الشّکوک بنوازعها عزیمه ایمانهم) عزیمه ایمانهم ما لزم ذواتهم من التّصدیق بمبدعهم و ما ینبغی له، و المراد أنه لم ترم الشکوک بمحرکاتها و هی شهواتها ما عزموا علیه من الایمان و التّصدیق، هذا علی روایه نوازعها بالعین المهمله

و أما على روايتها بالغين المعجمه فالمقصود عدم انبعاث نفوسهم الأمّاره بالشكوكات و الشبهات و القائها الخواطر الفاسده إلى أنفسهم المطمئنه.

(و لم تعترك الظنون على معاقد يقينهم) المراد بالظنّ إمّا الاعتقاد الراجح غير الجازم أو الشّك أو ما يشملهما، و لعلّ الأخير أظهر هنا، فالمقصود نفى ازدحام الظنون و الأوهام على قلوبهم التى هى معاقد عقائدهم اليقينيه (و لا قدحت قادحه الاحن فيما بينهم) أى لا تثير الأحقاد و العداوات بينهم فتنه كما تثير النّار قادحتها لتنزّهم من القوّه الغضبيّه (و لا سلبتهم الحيره ما لاق من معرفته بضمائرهم و سكن من عظمته و هيبه جلاله فى أثناء صدورهم) لمّا كان الحيره عباره عن عدم الاهتداء إلى وجه الصواب من حيث تردّد العقل فى أنّ أىّ الأمرين أولى بالطلب و الاختيار، و كان منشأ ذلك معارضه الوهم و الخيال للعقل و لم يكن لهم و هم و لا خيال، لا جرم لا حيره تخالط عقايدهم و تزيل هيبه عظمته من صدورهم.

قال المجلسى (ره): و يحتمل أن يكون المراد بالحيره الوله لشدّه الحبّ و كمال المعرفه كما سيأتى، فالمعنى أنّ شدّه و لهم لا يوجب نقصا فى معرفتهم و غفله عن ملاحظه العظمه و الجلال كما فى البشر، و على هذا فالسلب فى كلامه عليه السّلام راجع إلى المحمول كما أنه على ما قلناه راجع إلى الموضوع (و لم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم) أى لم تطمع فيهم الوساوس الشّيطانيه و النّفسانيه فتتناوب أو تضرب بأدناسها على قلوبهم، و الغرض نفى عروض الوساوس على عقولهم كما تعرض للبشر لانتفاء أسبابها فى حقّهم.

(منهم) أى من مطلق الملائكه (من هو فى خلق الغمام الدّلح) أى السحاب الثقيله بالمطر، و المراد بذلك الصّنف هم الّذين مكانهم السحاب و هم خزّان المطر و زواجر السحاب المشار إليهم بقوله سبحانه: و الزاجرات زجرا قال ابن عباس: يعنى الملائكه الموكّلين بالسحاب فيشمل لمشيعى الثلج و البرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل و إن كان السحاب مكانهم قبل النّزول قال سيّد

السّاجدين عليه السّلام فی دعائه فی الصّلاه علی حمله العرش و سایر الملائکه من الصحیفه الکامله: و خزّان المطروز واجر السحاب و الّذی بصوت زجره یسمع زجل الرعود و إذا سبحت به حفیفه السحاب التمعت صواعق البروق و مشیعی الثّلج و البرد و الهابطین مع قطر المطر إذا نزل، هذا.

ویحتمل أن یکون المقصود تشبیههم فی لطافه الجسم بالسحاب، فیکون المعنی أنهم فی الخلقه مثل خلق الغمام.

و کذلک قوله علیه السّلام(و فی عظم الجبال الشّمخ)یحتمل أن یراد به الملائکه الموکّلون بالجبال للحفظ و سایر المصالح، و أن یراد به تشبیههم بالجبال فی عظمه الخلقه.

و هکذا قوله(و فی قتره الظلام الایهم)محتمل لأن یراد به الملائکه السّاکنون فی الظلمات لهدایه الخلق و حفظهم أو غیر ذلک، و لأن یراد به تشبیههم فی السّواد بالظلمه.

(و منهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السّفلی، فهی کرایات بیض قد نفذت فی مخارق الهواء و تحتها ریح هفّافه تحبسها علی حیث انتهت من الحدود المتناهیه) لعلّ المراد بهم الملائکه الموکّلون بالأرض یقول علیه السّلام: إنهم قد خرقت أقدامهم حدود الأرض السفلی و معالمها و أقدامهم بمنزله أعلام بیض قد نفذت فی مخارق الهواء، و أراد بها المواضع التی تمکنت فیها تلک الأعلام بخرق الهواء، و تحت هذه الأعلام ریح طیّبه ساکنه أی لیست بمضطربه فتموج تلک الرّایات تحسبها حیث انتهت هذا.

و قال الشّارح البحرانی: یشبه أن یکون هذا القسم من الملائکه السّماویه أیضا و استعار لفظ الأقدام لعلومهم المحیطه بأقطار الأرض السفلی و نهایاتها، وجه الشبه کون العلوم قاطعه للمعلوم و ساریه فیه واصله إلی نهایته کما أنّ الأقدام تقطع الطریق و تصل إلی الغایه منها.

و تشبیهها بالرّایات البیض من وجهین احدهما فی البیاض لأنّ البیاض لما استلزم

الصّـفاء عن الكدر و السّواد كذلك علومهم صافيه عن كدورات الباطل و ظلمات الشبه، الثانى فى نفوذها فى أجزاء المعلوم كما تنفذ الرّايات فى الهواء، و أشار بالريح التى تحبس الاقدام الى حكمه اللّه التى اعطت كلاّ ما يستحقّه و قصرت كلّ موجود على حدّه و بهفوفها الى لطف تصرّفها و جريانها فى المصنوعات.

أقول: و لا بأس به و إن كان خروجا عن الظاهر.

ثمّ أشار إلى استغراقهم فى العباده و ثباتهم فى المعرفه و المحبّه بقوله:(قد استفرغتهم أشغال عبادته) أى جعلتهم فارغين عن غيرها (و وصلت حقايق الايمان بينهم و بين معرفته) أراد بحقايق الايمان العقائد اليقينيه تحقّ أن تسمّى إيمانا أو البراهين الموجبه له، و كونها وصله بينهم و بين معرفته من حيث إنّ التّصديق بوجود الشّيء الواجب تحصيله أقوى الأسباب الباعثه على طلبه فصار الايمان و التصديق الحق بوجوده جامع بينهم و بين معرفته و وسيله لهم إليه.

(و قطعهم الايقان به الى الوله إليه) أى صرفهم اليقين بوجوب وجوده عن التوجه و الالتفات إلى غيره إلى و لهم إليه و تحيّرهم من شدّه الوجد (و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره) أى رغباتهم مقصوره على ما عنده سبحانه من قربه و ثوابه و كرمه، فانه منتهى رغبه الراغبين و هو غايه قصد الطالبين.

(قد ذاقوا حلاوه معرفته) استعار عليه السّلام لفظ الذّوق لتعقّلاتهم و رشّحه بذكر الحلاوه و كنّى بها عن كمال ما يجدونه من اللذّه بمعرفته كما يلتذّ ذايق الحلاوه بها (و شربوا بالكأس الرّويه من محبّته) استعار لفظ الشرب لما تمكن فى ذواتهم من كمال المحبّه و رشّحه بذكر الكأس الروّيه أى من شانها أن تروى و تزيل العطش (و تمكنت من سويداء قلوبهم وشيجه خيفته) لما كان كمال استقرار العوارض القلبيّه من الحبّ و الخوف و نحوهما عباره عن بلوغها إلى سويداء القلب و تمكنها فيها عبّر عليه السّلام بها مبالغه و أشار عليه السّلام بوشيجه خيفته إلى جهات الخوف المتشعبّه فى ذواتهم الناشئه من زياده معرفتهم بعزّته و قدرته و مقهوريّتهم تحت قوّته.

(فحنوا بطول الطاعه اعتدال ظهورهم) أى عوّجوا ظهورهم المعتدله المستقيمه بطاعاتهم الطويله، و هو كنايه عن كمال خضوعهم.

ص:٣٨٩

(و لم ينفد طول الرّغبه إليه مادّه تضرّعهم) أراد به عدم إفناء طول رغبتهم إليه دواعى تضرّعهم له سبحانه كما فى البشر فانّ أحدنا إذا كان له رغبه فى أمر و أراد الوصول إليه من عند أحد تضرّع إليه و ابتهل و إذا طال رغبته و لم ينل إلى مطلوبه حصل له الملال و الكلال انقطع دواعى نفسه و ميول قلبه و ينعدم ما كان سببا لتضرّعه و ابتهاله، و لمّا كان الملال و الكلال من عوارض المركبات العنصريه و كانت الملائكه السماويه منزّهه عنها لا جرم حسن سلبها عنهم.

(و لا اطلق عنهم عظيم الزلفه ربق خشوعهم) لما كان من شأن مقرّبى الملوك و السّلاطين أنهم كلّما ازداد زلفاهم و قرباهم إليهم انتقص خضوعهم و خشوعهم و تواضعهم من أجل أنه يخفّ هيبتهم و سطوتهم فى نظرهم لكونهم بشرا مثلهم و لم يكن كذلك حال من كان مقرّبى الحضره الرّبوبيّه بل هم كلّما ازدادوا قربا ازدادوا خشوعا من حيث عدم انتهاء السّلطنه الألهيّه و عدم انتهاء مراتب العرفان و اليقين الدّاعيين إلى التضرّع و العباده و عدم وقوفها على حدّ، لا جرم لم يطلق عظم قربهم أعناق ذلّهم عن ربقه الابتهال، فهم بقدر صعودهم فى مدارج الطاعه يزداد قربهم، و كلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمته فيحصل بزياده العلم بالعظمه كمال الخشوع و الذلّه.

(و لم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، و لا تركت لهم استكانه الاجلال نصيبا فى تعظيم حسناتهم) المراد بذلك نفى استيلاء العجب عليهم و الاشاره إلى أنهم لا يستعظمون ما سلف منهم من العبادات، و لا يستكثرون ما تقدّم منهم من الطاعات، و أنهم لم يترك لهم خضوعهم الناشى عن ملاحظه جلال اللّه و ولههم النّاشى من شدّه المحبّه إليه نصيبا فى تعظيم الحسنات و حظا فى إعظام القربات، لأنّ منشأ العجب هو النّفس الأماره و هو من أحكام الأوهام و الملائكه السماويه مبرّؤون منها و منزّهون عنها.

(و لم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم) يعنى أنهم على طول جدّهم فى العباده لا يحصل لهم فتور و لا قصور، و قد مضى بيان ذلك فى شرح الفصل التاسع من الخطبه الاولى قال زين العابدين و سيّد السّاجدين عليه السّلام فى الصلاه على حمله العرش

اللّهمّ و حمله عرشک الذین لا یفترون عن تسبیحک و لا یملّون عن تقدیسک.

و العجب من الشارح البحرانی حیث قال فی شرح هذه الفقره: قد ثبت أنّ الملائکه السّماویه دائمه التّحریک لأجرامها حرکه لا یتخلّلها سکون و لا یکلّها و یفترها إعیاء و تعب، و لبیان ذلک بالبراهین اصول ممهّده فی مواضعها و امّا بالقرآن فلقوله تعالی:

«یُسَبِّحُونَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ لا یَفْتُرُونَ » انتهی أقول: و هو تأویل من غیر دلیل مقبول مبتن علی اصول الفلاسفه الجاعلین الملائکه بالنسبه إلی أجرام السّماء بمنزله النفوس الناطقه بالنّسبه إلی أبدان البشر القائلین بکونها مدّبره لأمرها کما أن النّفوس مدبّره للأبدان، و هو مخالف للاصول الشّرعیه موجب لطرح ظواهر الأدلّه من الکتاب و السّنه، فالأولی الاعراض عنه و الرّجوع إلی ما قاله المفسّرون فی تفسیر الآیه الشریفه.

قال الطبرسیُّ: أی ینزّهون اللّه عن جمیع ما لا یلیق بصفاته علی الدّوام فی اللّیل و النهار لا یضعفون عنه، قال کعب جعل لهم التسبیح کما جعل لکم النّفس فی السّهوله، و قیل: معنی لا یفترون لا یتخلل تسبیحهم فتره أصلا بفراغ أو بشغل آخر، و اورد علیه أنهم قد یشتغلون باللّعن کما قال تعالی:

«أُولئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَهُ اللّهِ وَ الْمَلائِکَهِ » و اجیب بأنّ التّسبیح لهم کالتنفس لنا لا یمنعهم عنه الاشتغال بشیء آخر.

و اعترض بأنّ آله التّنفس لنا مغایره لآله التکلّم فلهذا صحّ اجتماع التنفس و التّکلّم، و اجیب بأنّه لا یستبعد أن یکون لهم ألسن کثیره أو یکون المراد بعدم الفتره أنهم لا یترکون التسبیح فی أوقاته اللّایقه به.

(و لم تغض رغباتهم فیخالفوا عن رجاء ربّهم) أی لم تنقص رغباتهم إلی ما عنده فیعدلوا عن الرّجاء إلیه، و ذلک لأنّ أشواقهم إلی کمالاتهم دائمه و علمهم بعظمه خالقهم و بحاجتهم إلیه و بأنّه مفیض الکمالات و واهب الخیرات لا یتطرّق

إليه نقص فلا ينقطع رجائهم عنه و لا ييأسون من فضله.

(و لم تجفّ لطول المناجاه أسلات ألسنتهم) أراد عليه السّلام به عدم عروض الفتور و الكلال عليهم فى مناجاتهم كما يعرض علينا و يجفّ ألسنتنا بسبب طول المناجاه (و لا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم) أى ليست لهم أشغال خارجه عن العباده حتّى تنقطع لأجلها أصواتهم بسبب خفاء تضرّعهم إليه، و بعباره اخرى ليست لهم أشغال خارجه فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعه خافيه ساكنه.

(و لم يختلف فى مقاوم الطاعه مناكبهم) أى لم ينحرف مناكبهم أو لم يتقدّم بعضهم على بعض فى مقامات الطاعه و صفوف العباده (و لم يثنوا إلى راحه التقصير فى أمره رقابهم) يعنى لم يصرفوا رقابهم من أجل تعب العبادات و كثرتها إلى الرّاحه الحاصله باقلال العباده أو تركها بعد التّعب فيقصروا فى أوامره، و المقصود نفى اتصافهم بالتعب و الرّاحه لكونهما من عوارض الأجسام البشريّه و توابع المزاج الحيوانى.

(و لا تعدو على عزيمه جدّهم بلاده الغفلات) المراد أنهم لا تغلب على عزيمتهم و جدّهم فى العباده بلاده و لا غفله لكونهما من عوارض هذا البدن (و لا تنتصل فى هممهم خدايع الشهوات) أى لا ترمى الشهوات بسهام خدايعها هممهم، و المقصود نفى توارد وساوس الشّهوات الصارفه عن العباده و تتابعها عنهم لبرائتهم من القوّه الشهويّه.

(قد اتّخذوا ذا العرش ذخيره ليوم فاقتهم) ذو العرش هو اللّه سبحانه كما فى غير واحده من الآيات القرآنيه، و المراد بيوم فاقتهم يوم حاجتهم و هو يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار.

قال المجلسىُّ (ره) و لا يبعد أن يكون لهم نوع من الثّواب على طاعاتهم بازدياد القرب و افاضه المعارف و ذكره سبحانه لهم و تعظيمه إيّاهم و غير ذلک، فيكون إشاره إلى يوم جزائهم (و يمّموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم) أى قصدوه بتضرّعهم إليه سبحانه عند انصراف الخلق و انقطاعهم منه إلى المخلوقين

و يحتمل رجوع ضمير رغبتهم إلى الخلق و إليهم و إلى الملائكه على سبيل التنازع.

(لا يقطعون أمد غايه عبادته) أراد أنّه لا يمكنهم الوصول إلى منتهى نهايه عبادته الذى هو عباره عن كمال معرفته، و ذلك لكون مراتب العرفان و درجاته غير متناهيه فلا يمكنهم قطعها (و لا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلاّ إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعه من رجائه و مخافته) أى لا يرجعهم الولع بلزوم طاعته سبحانه إلاّ إلى موادّ ناشئه من قلوبهم غير منقطعه و هذه الموادّ هو رجائه و مخافته الباعثان لهم على لزوم طاعته، و الغرض إثبات دوام خوفهم و رجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعه بل لزيادتها كما يشعر به لفظ الموادّ.

قال الشّارح البحرانى: لما كانوا غرقى فى محبّته عالمين بكمال عظمته و أنّ ما يرجونه من جوده أشرف المطالب و أربح المكاسب و ما يخشى من انقطاع جوده و نزول حرمانه أعظم المهالك و المعاطب، لا جرم دام رجائهم له و خضوعهم فى رقّ الحاجه إليه و الفزع من حرمانه، و كان ذلك الخوف و الرّجاء هو مادّه استهتارهم بلزوم طاعته التى يرجعون إليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها.

(لم تنقطع أسباب الشفقّه منهم فينوا فى جدّهم) أى لم تنقطع أسباب الخوف منهم فيفتروا فى الجدّ فى العباده و أسباب الخوف هى حاجتهم إليه سبحانه و افتقارهم إلى إفاضته وجوده، فانّ الحاجه الضّروريه إلى الغير فى مطلوب يستلزم الخوف منه فى عدم قضائه و يوجب الاقبال على الاستعداد بجوده بلزوم طاعته و القيام بوظايف عبادته.

(و لم يأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السّعى على اجتهادهم) أى لم تجعلهم الأطماع اسراء و ليسوا مأسورين فى ربقه الطمع حتّى يختاروا السّعى القريب فى تحصيل المطموع من الدّنيا الفانيه على اجتهادهم الطويل فى تحصيل السّعاده الباقيه كما هو شأن البشر، و ذلك لكون الملائكه منزّهين عن الشهوات و ما يلزمها من الاطماع الكاذبه.

ص:۳۹۳

(و لم يستعظموا ما مضى من ذلك) قد مرّ معناه فى شرح قوله: و لم يتولهم الاعجاب آه و إنّما أعاد ذلك مع إغناء السّابق عنه و كفايته فى الدلاله على نفى العجب للاشاره إلى دليله و هو قوله (و لو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات و جلهم) يعنى أنهم لو استعظموا سالف أعمالهم لأوجب ذلك اغترارهم و زياده رجائهم لثواب أعمالهم فيبطل ذلك و يزيل ما دات وجلهم و خوفهم، ألا ترى أن الانسان إذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى فى نفسه استحقاق أجزل جزاء له و يجد التّطاول به فيهون ذلك ما يجده من خوفه، و كلّما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده فى قربه من الملك قوّه و بمقدار ذلك ينقص خوفه و يقلّ هيبته فى نظره، لكن الملائكه خائفون دائما لقوله سبحانه:

«وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ » فينتج أنّهم لا يستعظمون سالف عباداتهم (و لم يختلفوا فى ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم) أى لم يختلفوا فيه من حيث الاثبات و النفى أو التعيين أو الصّفات كالتّجرّد و التجسّم و كيفيّه العلم و غير ذلك، و قيل: أى فى استحقاق كمال العباده، و المقصود نفى الاختلاف عنهم باستيلاء الشّيطان كما هو فى الانسان لأنّه:

«لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ »(1) (و لم يفرقهم سوء التقاطع) و التعادى و ترك البرّ و الاحسان (و لا تولاّهم غلّ التحاسد) الناشى من النفس الاماره بالحقد و العدوان (و لا شعّبتهم مصارف الرّيب) و وجوهات شكوك الأذهان (و لا اقتسمتهم أخياف الهمم) و اختلافاتها لانحصار همّهم فى طاعه اللّه الرّحيم الرّحمن (فهم اسراء الايمان لم يفكهم من ربقته زيغ) و جور (و لا عدول و لاونا) و وهن (و لا فتور)

۱- (۱) اقتباس من الايه فى سوره الاسرى، منه

ثمّ أشار علیه السّلام إلی کثره الملائکه بقوله:(و لیس فی أطباق السموات موضع اهاب) و جلد (إلاّ و علیه ملک ساجد) خاشع لربّه (أوساع) مسرع (حافد) فی طاعه معبوده (یزدادون علی طول الطاعه بربّهم علما) و یقینا (و تزداد عزّه ربّهم فی قلوبهم عظما) و کمالا.

قال الشّارح البحرانی:اعلم أنّ للسماء ملائکه مباشره لتحریکها، و ملائکه أعلی رتبه من اولئک هم الآمرون لهم بالتحریک، فیشبه أن یکون الاشاره بالساجدین منهم إلی الآمرین، و السجود کنایه عن کمال عبادتهم کنایه بالمستعار،و یکون الاشاره بالساعین المسرعین إلی المتولّین للتحریک، فأمّا زیادتهم بطول طاعتهم علما بربّهم فلما ثبت أنّ حرکاتهم إنما هو شوقیّه للتشبّه بملائکه أعلی رتبه منهم فی کمالهم بالمعارف الالهیه و ظهور ما فی ذواتهم بالقوّه إلی الفعل، و زیاده عزّه ربّهم عندهم عظما بحسب زیاده معرفتهم له تابعه لها.

أقول: و قد مضی الاشاره منّا إلی أنّ هذا کلّه مبنیّ علی الاصول الحکمیّه و عدول عن طریق الشریعه النبویّه علی صادعها آلاف الصّلاه و السّلام و التحیّه و قدّمنا الأخبار المناسبه للمقام فی شرح الفصل التّاسع من الخطبه الاولی فتذکّر

و ینبغی تذییل المقام بأمرین مهمّین:

أحدهما فی عصمه الملائکه

و هو مذهب أصحابنا الامامیّه رضوان اللّه علیهم و علیه دلّت الآیات القرآنیّه و الأخبار الکثیره من طرقنا، و لنقتصر علی روایه واحده، و هو:

ما رواه فی الصّافی قال: قال الرّاوی: قلت لأبی محمّد علیه السّلام: فانّ قوما عندنا یزعمون أنّ هاروت و ماروت ملکان اختارتهما الملائکه لما کثر عصیان بنی آدم، و أنزلهما اللّه مع ثالث لهما إلی الدّنیا، و أنهما افتتنا بالزّهره و أراد الزنا و شربا الخمر و قتلا النفس المحرّمه؛ و أن اللّه یعذّبهما ببابل، و أنّ السحره منهما یتعلّمون السّحر و أنّ اللّه مسخ تلک المرأه هذا الکوکب الذی هو الزّهره.

فقـال الامام عليه السّـلام: معاذ اللّه من ذلک إنّ ملائکه اللّه معصومون محفوظون من الکفر و القبایـح بألطاف اللّه تعالی قال اللّه فیهم:

«لاـ یَعْصُـونَ اللّـهَ مـا أَمَرَهُـمْ وَ یَفْعَلُـونَ مـا یُـؤْمَرُونَ » و قـال: «وَ لَـهُ مَنْ فِی السَّمـاواتِ وَ الْـأَرْضِ وَ مَنْ عِنْـدَهُ » یعنی الملاـئکه «لا یَسْـتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا یَسْتَحْسِـرُونَ یُسَبِّحُونَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ لا یَفْتُرُونَ » و قال فی الملائکه أیضا: «بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ » إلی قوله «مُشْـفِقُونَ » و مثله فی البحار عن یوسف بن محمّـد بن زیاد و علیّ بن محمّـد بن سـیّار عن أبویهما أنهما قالا:

فقلنا للحسن أبی القائم علیهما السّـلام: فانّ قوما إلی آخر الخبر، و رواه أیضا فی الاحتجاج عن أبی محمّد العسـکری علیه السّلام مثله.

نعم فی بعض الرّوایـات ما یـدلّ علی خلاف ذلک، و هو ما رواه علیّ بن إبراهیم القمیّ (ره) عن أبیه عن الحسن بن محبوب عن علیّ بـن رئـاب عن محمّـد بن قیس عن أبی جعفر علیه السّـلام قـال: سـأله عطـا و نحن بمکّه عن هـاروت و مـاروت، فقـال علیه السّـلام: إنّ الملاـئکه کـانوا ینزلون من السّـماء إلی الأرض فی کلّ یوم و لیله یحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولـد آدم علیه السّـلام و الجنّ و یسـطرونها و یعرجون بها إلی السّـماء قال: فضجّ أهل السّماء من معاصی أوساط أهل الأرض فتوامروا فیما بینهم ممّا یسـمعون و یرون من افترائهم الکذب علی اللّه تبارک و جرأتهم علیه و نزّهوا اللّه تعالی ممّا یقول فیه خلقه و یصـفون، فقال طائفه من الملائکه: یا ربّنا ما تغضب مما یعمل خلقک فی أرضک و ممّا یصـفون فیک الکذب و یقولون الزّور و یرتکبون المعاصی، و قد نهیتهم عنها، ثمّ أنت تحلم عنهم و هم فی قبضتک و قدرتک و خلال عافیتک، قال علیه السّلام: فأحبّ اللّه عزّ و جلّ أن یری الملائکه سابق علمه فی جمیع خلقه و یعرّفهم

ما منّ به عليهم ممّا عدل به عنهم من صنع خلقه و ما طبعهم عليه من الطاعه و عصمهم به من الذّنوب.

قال عليه السّلام: فأوحى اللّه إلى الملائكه أن انتدبوا منكم ملكين حتّى اهبطهما إلى الأرض ثمّ أجعل فيهما من طبايع المطعم و المشرب و الشّهوه و الحرص و الأمل مثل ما جعلته فى ولد آدم، ثمّ اختبرهما فى الطّاعه، قال عليه السّلام: فندبوا لذلك هاروت و ماروت و كانا أشدّ الملائكه قولا فى العيب لولد آدم و استيثار غضب اللّه عليهم.

قال عليه السّلام: فأوحى اللّه إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبايع المطعم و المشرب و الشّهوه و الحرص و الأمل مثل ما جعلت فى ولد آدم قال عليه السّلام ثمّ أوحى اللّه إليهما: انظرا أن لا تشركا بى شيئا و لا تقتلا النّفس الّتى حرّم اللّه و لا تزنيا و لا تشربا الخمر.

قال عليه السّلام: ثمّ كشط (۱) عن السّماوات السّبع ليريهما قدرته، ثمّ اهبطا إلى الأرض فى صوره البشر و لباسهم، فهبطا ناحيه بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فاذا بحضرته امرأه جميله حسناء مزيّنه معطّره مسفره مقبله.

قال عليه السّلام فلمّا نظرا إليها و ناطقاها و تأملاها وقعت فى قلوبهما موقعا شديدا لموضع الشّهوه التى جعلت فيهما، فرجعا إليها رجوع فتنه و خذلان و راوداها عن نفسها، فقالت لهما: إنّ لى دينا أدين به و ليس أقدر فى دينى على أن اجيبكما إلى ما تريدان إلّا أن تدخلا فى دينى الذى أدين به، فقالا لها: و ما دينك؟ قالت: لى إله من عبده و سجد له كان لى السبيل إلى أن اجيبه إلى كلّ ما سألنى، فقالا لها: و ما إلهك؟ قالت: إلهى هذا الصّنم.

قال عليه السّلام: فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: هاتان خصلتان مما نهينا عنها الشّرك و الزّنا، لأنّا إن سجدنا لهذا الصّنم و عبدناه أشركنا باللّه و إنّما نشرك باللّه لنصل

۱- (۱) الكشط رفعك الشيء عن الشيء قد غشاه قال تعالى: و اذا السماء كشطت و كشط الجلّ من الفرس كشفه منه

إلی الزّنا و هو ذا نحن نطلب الزّنا فلیس نعطی إلاّ بالشّرک.

فقال علیه السّـلام: فائتمرا بینهما فغلبتهما الشّـهوه التی جعلت فیهما، فقالا لها نجیبک إلی ما سألت، فقالت: فـدونکما فاشـربا هـذا الخمر فـانّه قربان لکما و به تصـلان إلی ما تریـدان، فائتمرا بینهما فقالا: هـذه ثلاث خصال ممّا نهینا ربّنا عنها: الشـرک و الزّنا، و شرب الخمر، و إنّما نـدخل فی شـرب الخمر و الشّـرک حتّی نصل إلی الزّنا، فائتمرا بینهما فقالا: ما أعظم البلیّه بک قـد أجبناک الی ما سألت، قالت:

فدونکما فاشربا من هذا الخمر، و اعبدا هذا الصّنم، و اسجدا له، فشربا الخمر و عبدا الصّنم ثمّ راوداها عن نفسها.

فلمّـا تهیّـأت لهمـا و تهیّـآ لها دخل علیها سائل یسأل هـذه، فلمّا رآهما و رأیاه ذعرا(۱) منه، فقـال لهمـا: إنکما لامرء آن ذعران، فـدخلتما بهـذه المرأه المعطّره الحسـناء إنکما لرجلا سوء، و خرج عنهما، فقالت لهما: و إلهی ما تصـلان الآن إلیّ و قد اطلع هذا الرجـل علی حالکمـا و عرف مکانکما، و یخرج الآن و یخبر بخبر کما و لکن بادرا إلی هـذا الرجل فاقتلاه قبل أن یفضـحکما و یفضحنی ثمّ دونکما فاقضیا حاجتکما و أنتما مطمئنّان آمنان.

قال علیه السّلام: فقاما إلی الرّجل فأدرکاه فقتلاه ثمّ رجعا إلیها فلم یریاها و بدت لهما سوآتهما و نزع عنهما ریاشهما و اسقطا(۲) فی أیدیهما، فأوحی اللّه إلیهما أن اهبطتکما إلی الأرض مع خلقی ساعه من النّهار فعصـیتمانی بأربع من معاصی کلّها قد نهیتکما عنها و تقدّمت إلیکما فیها فلم تراقبانی و لم تسـتحییا منی، و قد کنتما أشدّ من نقم علی أهل الأرض بالمعاصی و استجرّ أسفی و غضبی علیهم لما جعلت فیکما من طبع خلقی و عصمتی إیّاکما من المعاصی فکیف رأیتما موضع خذلانی فیکما.

اختارا عذاب الدّنیا أو عذاب الآخره، فقال أحدهما لصاحبه: نتمتّع من

۱- (۱) ذعرا أی خافا منه

۲- (۲) سقط فی یده و اسقط مضمومتین ظلّ و أخطا أو ندم و تحیّر، ق

شهواتنا فى الدّنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخره، فقال الآخر: إنّ عذاب الدّنيا له مدّه و انقطاع و عذاب الآخره قائم لا انقطاع له فلسنا نختار عذاب الآخره الشديد الدّائم على عذاب الدّنيا المنقطع الفانى.

قال عليه السّلام: فاختارا عذاب الدّنيا فكانا يعلّمان النّاس السّحر فى أرض بابل ثمّ لما علّما النّاس السّحر رفعا من الأرض إلى الهواء، فهما معذّبان منكّسان معلّقان فى الهواء إلى يوم القيامه، و رواه فى البحار عن العيّاشى عن محمّد بن قيس مثله، و بمعناه أخبار اخر، و يمكن حملها على التقيّه، و يشعر به كون السائل فى هذه الرّوايه من علماء العامه.

و ما رواه فى البحار عن العلل عن الصّادق عليه السّلام فى حديث قال: و أمّا الزّهره فانّها كانت امرئه تسمّى ناهيد (ناهيل خ ل) و هى الّتى تقول الناس إنّه افتتن بها هاروت و ماروت، فانّ فى نسبه افتتانهما إلى النّاس إشاره إلى ما ذكرناه كما لا يخفى.

و قال بعض أهل العرفان بعد ما أورد الرّوايات الدّالّه على تكذيب أمر هاروت و ماروت و الرّوايات الدّالّه على صحّه قصّتهما:

و الوجه فى الجمع و التوفيق أن يحمل روايات الصّحه على كونها من مرموزات الأوائل و إشاراتهم، و أنّهم عليه السّلام لمّا رأوا أنّ حكاتها كانوا يحملونها على ظاهرها كذّبوها ثمّ قال: و أمّا حلّها فلعلّ المراد بالملكين الرّوح و العقل فانّهما من العالم الرّوحانى اهبطا إلى العالم الجسمانى لاقامه الحقّ فافتتنا بزهره الحياه الدّنيا، و وقعا فى شبكه الشهوه، فشربا خمر الغفله، و عبدا صنم الهوى، و قتلا عقلهما النّاصح لهما بمنع تغذيته بالعلم و التقوى، و محو أثر نصحه عن أنفسهما، و تهيّئا للزّنا ببغى الدّنيا الدّنيّه التى تلى تربيه النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمّى بالزّهره، فهربت الدّنيا منهما و فاتتهما لما كان من عادتهما أن تهرب من طالبيها لأنّها متاع الغرور و بقى اشراق حسنها فى موضع مرتفع بحيث لا تنالها ايدى طالبها ما دامت الزّهره باقيه فى السّماء و حملهما حبّها فى قلبهما إلى أن وضعها طرائق مر السّحر و هو ما لطف مأخذه و دقّ، فخيّرا للتخلّص منها

فاختارا بعد التنبّه و عود العقل إليهما أهون العذابين، ثمّ رفعا إلى البرزخ معذّبين و رأسهما بعد الى أسفل إلى يوم القيامه.

هذا ما خطر بالبال فى حلّ هذا الرّمز و اللّه الهادى.

الثانى

اختلف المسلمون فى أنّ الأنبياء و الملائكه أيّهم أفضل أى أكثر ثوابا، فذهب أكثر الأشاعره إلى أنّ الأنبياء أفضل، و قال المعتزله كما فى شرح المعتزلى إنّ نوع الملائكه أفضل من نوع البشر، و الملائكه المقرّبون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كلّ ملك عند الاطلاق أفضل من محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، بل بعض المقرّبين أفضل منه، و هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أفضل من ملائكه اخرى غير الأوّلين.

و لا خلاف بين علماء الاماميّه قدّس اللّه أرواحهم فى أنّ الأنبياء و الأئمّه صلوات اللّه عليهم أفضل من جميع الملائكه، و أخبارهم على ذلك مستفيضه، و قد حقّقوا ذلك فى كتب الاصول و لا حاجه لنا الآن إلى بسط الكلام فى ذلك المقام، و إنّما نقتصر على روايه واحده توضيحا للمرام.

و هو ما رواه الصّدوق فى كتاب إكمال الدّين و إتمام النّعمه قال: حدّثنا الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمى، قال: حدّثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى قال: حدّثنا محمّد بن علىّ بن أحمد الهمدانى، قال: حدّثنى أبو الفضيل العبّاس ابن عبد اللّه البخارى، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن إبراهيم بن عبد اللّه بن القاسم بن محمّد بن أبى بكر، قال: حدّثنا عبد السّلام بن صالح الهروى عن علىّ بن موسى الرّضا عليه السّلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن علىّ عن أبيه علىّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن علىّ عن أبيه علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ما خلق اللّه خلقا أفضل منّى و لا أكرم عليه منّى قال علىّ عليه السّلام: فقلت: يا رسول اللّه فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: إنّ اللّه تبارك و تعالى

فضّل أنبیاءه المرسلین علی ملائکته المقرّبین و فضّلنی علی جمیع النّبیّین و المرسلین و الفصل بعدی لک یا علیّ و الأئمّه من بعدک، فانّ الملائکه لخدّامنا و خدّام محبّینا یا علیّ «اَلَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ »... «وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا » بولایتنا، یا علیّ لو لا نحن ما خلق اللّه آدم علیه السّلام و لا حوّا و لا الجنّه و لا النّار و لا السّماء و لا الأرض، و کیف لا نکون أفضل من الملائکه و قد سبقناهم إلی التّوحید و معرفه ربّنا عزّ و جلّ و تسبیحه و تقدیسه و تهلیله، لأنّ أوّل ما خلق اللّه عزّ و جلّ أرواحنا، فأنطقنا بتوحیده و تمجیده ثمّ خلق الملائکه فلمّا شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا امورنا فسبّحنا لتعلم الملائکه أنّا خلق مخلوقون و أنّه منزّه عن صفاتنا فسبّحت الملائکه لتسبیحنا و نزهته عن صفاتنا.

فلمّا شاهد و اعظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائکه أن لا إله إلاّ اللّه فلمّا شاهدوا کبر محلّنا کبّرنا اللّه لتعلم الملائکه أنّ اللّه أکبر من أن تنال و أنّه عظیم المحلّ فلمّا شاهدوا ما جعل اللّه لنا من القدره و القوّه قلنا: لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم، لتعلم الملائکه أن لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه.

فلمّا شاهدوا ما أنعم اللّه به علینا و أوجبه من فرض الطاعه قلنا: الحمد للّه، لتعلم الملائکه ما یحقّ اللّه تعالی ذکره علینا من الحمد علی نعمه فقالت الملائکه الحمد للّه فبنا اهتدوا إلی معرفه اللّه و تسبیحه و تهلیله و تحمیده، ثمّ إنّ اللّه تبارک و تعالی خلق آدم علیه السّلام و أودعنا صلبه و أمر الملائکه بالسّجود له تعظیما لنا و إکراما، و کان سجودهم للّه عزّ و جلّ عبودیّه و لآدم إکراما و طاعه لکونه؟؟؟ فی صلبه فکیف لا نکون أفضل من الملائکه و قد سجدوا لآدم علیه السّلام کلّهم أجمعون.

و أنّه لما عرج بی إلی السّماء أذّن جبرئیل علیه السّلام مثنی مثنی ثمّ قال: تقدّم یا محمّد، فقلت: یا جبرئیل تقدّم علیک؟ فقال: نعم لأنّ اللّه تبارک و تعالی

اسمه فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين و فضّلك خاصّه، فتقدّمت و صلّيت بهم و لا فخر فلمّا انتهينا إلى حجب النّور قال لى جبرئيل عليه السّلام: تقدّم يا محمّد و تخلّف عنى، فقلت: يا جبرئيل فى مثل هذا الموضع تفارقنى؟ فقال: يا محمّد إنّ هذا انتهاء حدّى الّذى وضعه اللّه لى فى هذا المكان فان تجاوزته احترقت أجنحتى لتعدّى حدود ربّى جلّ جلاله، فزّج بى ربّى زجّه فى النّور حتّى انتهيت إلى حيث ما شاء اللّه عزّ و جلّ من ملكوته.

فنوديت: يا محمّد، فقلت: لبّيك ربّى و سعديك تباركت و تعاليت؛ فنوديت يا محمّد أنت عبدى و أنا ربّك فإيّاى فاعبد و علىّ فتوكّل فانّك نورى فى عبادى و رسولى إلى خلقى و حجّتى فى بريّتى، لمن تبعك خلقت جنّتى و لمن عصاك و خالفك خلقت نارى، و لأوصيائك أوجبت كرامتى، و لشيعتك أوجبت ثوابى.

فقلت: يا رب و من أوصيائى؟ فنوديت: يا محمّد إنّ أوصيائك المكتوبون على ساق العرش، فنظرت و أنا بين يدى ربّى إلى ساق العرش فرأيت اثنا عشر نورا فى كلّ نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كلّ وصىّ من أوصيائى أوّلهم علىّ بن أبى طالب و آخرهم مهدىّ أمّتى.

فقلت: يا ربّ هؤلاء أوصيائى من بعدى؟ فنوديت: يا محمّد هؤلاء أوليائى و أحبّائى و أصفيائى حجّتى بعدك على بريّتى، و هم أوصياؤك و خلفاؤك و خير خلقى بعدك، و عزّتى و جلالى لاظهرنّ بهم دينى، و لأعلينّ بهم كلمتى و لاطهّرنّ الأرض بآخرهم من أعدائى، و لا ملكنّه مشارق الأرض و مغاربها، و لأسخّرنّ له الرّياح و لاذللنّ الرّقاب الصّغار، و لا رقبه فى الأسباب، و لأنصرنّه بجندى، و لأمدّنه بملائكتى حتّى يعلو دعوتى و يجمع الخلق على توحيدى، ثمّ لأديمنّ ملكه و لأداولنّ الأيام بين أوليائى إلى يوم القيامه.

و الحمد للّه ربّ العالمين و الصّلاه على نبيّنا محمّد و آله الطّيبين الطاهرين و سلّم تسليما و إنّما ذكرت الرّوايه بطولها مع كون ذيلها خارجا عن الغرض لتضمّنه مناقب أهل البيت الأطهار، و كونه نصّا فى خلافه الأئمه الأبرار و لعا منّى بايراد

ص:۴۰۲

فضـايلهم و منـاقبهم مـا تعـاقب على اللّيل و النّار، سـلام اللّه عليهم أجمعين، و لعنه اللّه على أعـدائهم و منكرى فضائلهم إلى يوم الدّين.

الترجمه

بعضى ديگر از اين خطبهٔ شريفه در صفه ملائكه است مى فرمايد:

بعد از خلق آسـمان بيافريد حق سـبحانه و تعالى از براى ساكن فرمودن در آسـمانهاى خود و معمور ساختن صفحهٔ پهن بلند از ملكوت خـود خلقى عجيـب از ملاـئكه خـود پس پرسـاخت بايشـان فرجهـاى كشادگيهـاى آسـمانرا، و مملوّ نمـود بايشـان كشادگيهاى فضاهاى آنرا، و ميان وسـعتهاى اين كشادگيها است صوتهاى بلنـد تسبيـح كننـدگان از ايشان در حرمهاى قدس و طهـارت و پرده هـاى حجابهـاى عظمت و سـراپردهاى بزرگى و عزّت؛ و در پس اين زلزله و اضـطرابى كه كر مى شـود از آن گوشها، اشراقات نورى است كه بازميدارد ديدها را از رسيدن بآن، پس مى ايستد آن ديدها ذليل و متحيّر بر حدود آن.

آفريد خداوند متعال آن ملائكه را بر صورتهاى مختلفه و اندازهاى متفاوته در حالتى كه صاحبان بالها هستند كه تسبيح ميكنند بزرگى عزّت او را، در حالتى كه بخود نمى بندنـد آنچه كه ظاهر شـده در مخلوقات از صـنع قـدر او، و ادّعا نمى كنند اين كه ايشان مى آفرينند چيزى را با آفريدگار از آن چيزى كه يگانه است او و سـبحانه بآفريدن آن، بلكه ايشان بندگانى هستند گرامى داشته شده در حالتى كه پيشى نمى گيرند بخدا در گفتار خودشان، و ايشان بفرمان او سبحانه عمل مى نمايند.

گردانيـد حق تعـالى ايشـان را در آنجا كه هسـتند، يعنى در مقامات خودشان كه حظاير قـدس است أهل أمانت بروحى خود و تحميل نمود ايشان را در حالتى كه ارسال ميشوند بسوى پيغمبران أمانتهاى أوامر و نواهى خود را، و معصوم ساخت ايشان را از شك كردن در شـبهها، پس نيست از ايشان ميل كننده از راه رضاى او، و مدد نمود ايشان را بفايده هاى اعانت بسوى طاعات، و لازم فرمود قلبهاى ايشان را تواضع خضوع وقار را، و گشود بجهت ايشان درهاى سهل و آسان بسوى تمجيدات

خود، و بر پا نمود از برای ایشان منارهای آشکار بر نشانهای توحید خود.

گران نکرد ایشان را گران سازنده های گناهها، و ضعیف ننمود ایشان را تعاقب و تناوب شبها و روزها، و نینداخت شکها بمحرّکات فاسدهٔ خود محکمی ایمان ایشان را، و عارض نشد ظنّها و وهمها بر مواضع عقد یقین ایشان، و بر نیفروخت بر افروزندگیهای حقد و حسد در میان ایشان، و سلب نکرد از ایشان حیرت چیزی را که چسبیده از معرفت او بقلب ایشان، و ساکن شده از عظمت و هیبت او در میان سینهای ایشان، و طمع ننموده در ایشان وسوسه ها تا این که بکوبد با استیلای خود یا این که تناوب نماید با چرک خود بفکرهای ایشان.

بعضی از ایشان آنانند که قرار گرفته در أبرهای مخلوق شده گران بار بباران، و در کوههای بزرک بلند، و در سیاهی تاریکی که هدایت یافته نمی شود در آن، و بعضی دیگر آنانند که دریده است قدمهای ایشان حدود زمین پائین را، پس آن قدمها بمنزلهٔ علمهای سفیدند که فرو رفته باشند در مواضع خرق هوا و شکاف آن، و در زیر آن علمها است بادی که ساکن است و پاکیزه که بازداشته است آن علمها را بر مکانی که منتهی شده آن علمها از حدود بنهایت رسیده.

بتحقیق که فارغ نموده ایشان را از ما سوا شغلهای عبادت او سبحانه، و وصل نموده است حقیقتهای ایمان میان ایشان و میان معرفت آنرا، و بریده است ایشان را یقین و اذعان بخدا از غیر آن، و مایل ساخته ایشان را بسوی حیرانی او، و در نگذشته است رغبتهای ایشان از آن چیزی که نزد او است بسوی آن چیزی که نزد غیر او است.

بتحقیق که چشیده اند شیرینی معرفت او را، و آشامیده اند با کاسهٔ سیراب کننده از شراب محبّت او، و متمکّن و برقرار شده از ته دلهای ایشان رگهای خوف و خشیت او، پس خم کرده اند بدرازی عبادت راستی پشت های خودشان را، و تمام نکرده درازی رغبت بسوی او مادّهٔ تضرّع ایشان را، و رها نکرده از گردنهای ایشان بزرگی قرب و منزلت بحضرت ربّ العزّه ریسمان خشوع و ذلّترا و غالب نشده بر ایشان عجب و خودپسندی تا این که بسیار شمارند آنچه که پیش

گذشته از ایشان از طاعات و عبادات، و نگذاشته از برای ایشان خواری که ناشی شده از ملاحظهٔ جلال پروردگار نصیب و بهره در تعظیم و بزرگ دانستن حسنات خودشان، و جاری نشده سستیها در ایشان با درازی جدّ و جهد ایشان.

و ناقص نگشته رغبتهای ایشان تا مخالفت کنند و عدول نمایند از امیدواری پروردگار خودشان، و خشک نگشته بجهه طول راز و نیاز اطراف زبانهای ایشان و مالک نشده است ایشان را شغلهای خارج از عبادت تا این که منقطع شود بسبب پنهانی تضرّع ایشان بسوی او آوازهای بلند ایشان، و مختلف نشده در صفهای عبادت دوشهای ایشان، و ملتفت نساخته اند بسوی راحتی که باعث تقصیر در امر او است گردنهای خودشان را، و غالب نمی شود بر عزم جدّ و جهد ایشان بیخردی غفلتها، و تیر نمی اندازند در همّتهای ایشان فریب دهندگان شهوتها.

بتحقیق که اخذ نموده اند صاحب عرش را ذخیره بجهه روز حاجت شان، و قصد کرده اند او را نزد بریده شدن خلق بسوی مخلوقات برغبتشان، قطع نمی توانند کنند پایان غایه عبادت او را، و باز نمی گردانند ایشان را حرص و محبّت بلزوم طاعت او مگر بسوی مادّهائی که بریده نمی شوند آن مادّها که از دل ایشانست که عبارت اند از خوف و رجا آن، بریده نشده اسباب ترس از ایشان تا سست شوند در جدّ و جهد خودشان:

و أسیر ننموده ایشان را طمعهای دنیوی تا این که اختیار نمایند سعی نزدیک در تحصیل دنیا را بر کوشش خودشان در تحصیل سعادت آخرت، و بزرگ نمی شمارند آنچه که گذشته از اعمال ایشان، و اگر بزرک شمارند أعمال خودشان هر آینه باطل و زایل می نماید رجاء و امیدواری ایشان ترسهای ایشان را، و اختلاف نمی نمایند در ذات و صفات پروردگار بسبب غلبهٔ شیطان بر ایشان، و پراکنده نساخته ایشان را بدی بریدن از یکدیگر، و مالک نشده ایشان را خیانت حسد

بردن بیکدیگر، و متفرّق نساخته ایشان را مواضع صرف شکّ و کمان، و منقسم نگردانیده ایشان را اختلافهای همّتها.

پس ایشان أسیران ایمانند که رها ننموده ایشان را از بند ایمان میل نمودن از حق و نه عدول کردن از منهج صدق و نه سستی در عبادت و نه کاهلی در طاعت، و نیست در طبقهای آسمان جای پوستی مگر که بر او است ملک سجد، کننده یا سعی نماینده شتابنده که زیاده می گردانند بر درازی طاعت بپروردگار خودشان علم و یقین را، و افزون می گرداند عزّت کردگار ایشان در دلهای ایشان عطم و شأن را.

هذا آخر الجزء السادس من هذه الطبعه النفیسه و قد تمّ تصحیحه و تهذیبه بید العبد «السید ابراهیم المیانجی» عفی عنه و عن والدیه فی الیوم الثانی من شهر ذی الحجه الحرام سنه ۱۳۷۹ و یلیه انشاء اللّه الجزء السابع و اوله:

«الفصل السادس» من المختار التسعین و الحمد للّه أولا و آخرا.

ص:۴۰۶

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ.ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹


قائمیه
مرکز تحقیقات رایانه ای
اصفهان
WWW
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹